مجموع

أبحاث ورسائل وتوجيهات

لفضيلة الشيخ المجاهد

أبي يحيى الليبي

- حفظه الله -



محرم ١٤٣١هـ - يناير ٢٠١٠م

مجموع الرسائل والتوجيهات المفرغة

للشيخ المجاهد

|| حسن محمد قائد ||

أبي يحيى الليبي حفظه الله

الطبعة الأولى

محرم ١٤٣١ هـ – يناير ٢٠١٠ م

نخبة الإعلام الجهادي

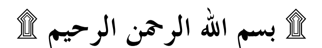


قسم التوثيق

للحصول على كتب وأبحاث الشيخ:

www.tawhed.ws

اللقاء الأول لمؤسسة السحاب مع الشيخ بعد النجاة من سجن باجرام





الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

مراسل مؤسسة السحاب:

شيخنا الكريم لو تحدثتم بداية عن مراحل الاعتقال كيف كانت ؟ وأين ؟

الشيخ أبو يحيى الليبي:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، فبعد الضربات المباركة التي تلقتها أمريكا في أحداث سبتمبر أعلنت أمريكا أن العالم قد انقسم إلى قسمين إما أن يكون معنا وإما أن يكون ضدنا فعلى إثر هذا التقسيم اتخذت حكومة باكستان وعلى رأسها برويز مشرف الموقف الخائن حيث أعلنت دعمها التام ومساندتها الكاملة لأمريكا، بعد ذلك بدأت حملة الاعتقالات العارمة لتشمل كل المجاهدين الذين يقيمون على أرض باكستان بل لم تقتصر الحملة على المجاهدين شملت كل الأجانب الذين كانوا يقيمون على أرض باكستان، ممن كان يقيم بطريقة رسمية في المدارس الدينية وغيرها ومن غيرهم، فضمن هذه الحملة العارمة الظالمة تم اعتقال الكثير من الإخوة المجاهدين وكان لنا نصيب من هذا الاعتقال واعتُقِلت أنا في يوم

٢٠٠٢\٥\٢٨م في مدينة كراتشي على أيدي القوات الباكستانية –الاستخبارات والبوليس– ولكن كان بترتيب وبإشارة من قِبل الاستخبارات الأمريكية، ثم بعد ذلك بعد اعتقالي،، وطبعاً كما تعلمون فإن أمريكا يعني أعلنت حملتها الشاملة على كل المجاهدين هي لم تقتصر على تنظيم القاعدة أو على طالبان وإنما كانت حملتها عامة وعارمة على كل الحركات الجهادية وأنا كنت أنتمي إلى جماعة جهادية وهي الجماعة الإسلامية المقاتلة المعروفة، فضمن هذه الحملة اعتُقلت ثم بعد ذلك أُخِذت إلى أحد مراكز الشرطة في باكستان وبعد ست ساعات فقط تم تسليمي إلى الأمريكان والذين كان لهم سجن في داخل كراتشي، هذه هي الطريقة التي تم بها اعتقالي.

مراسل مؤسسة السحاب:

هناك سجون عديدة مررتم عليها فهل لكم أن تذكروا لنا بعض تلك المعتقلات الأمريكية ؟

الشيخ أبو يحيى الليبي:

قصة السجون قصة مأساة والحقيقة إن اعتقالنا أطلعنا على أمور كثيرة كانت خفية لا يمكن للمرء أن يعرفها إلا من خلال المعايشة ومن خلال الاحتكاك المباشر بالأمريكان، ووجدنا فارقاً كبيراً وبوناً شاسعاً بين ما نسمعه ونراه في وسائِل الإعلام وبين الحقيقة التي تخفى على كثير من المسلمين بل على كثير من المجاهدين بسبب التعتيم الإعلامي الذي تضربه أمريكا على جميع وسائِل الإعلام.

أولاً أنا أقول إن العالم كله الآن يُعتبر جزء من الولايات المتحدة مركزه هو واشنطن لا توجد دولة من الدول مهما ادعت العداء ومهما ادعت معارضتها لأمريكا إلا وفيها سجن من السجون التي تستخدمها الولايات ضد المجاهدين.

في باكستان، باكستان هذه تعتبر من أكبر معتقلات المجاهدين، كراتشي هذه المدينة الكبيرة التي يوجد فيها أكثر من عشرين مليون مسلم يوجد فيها سجون للأمريكان والدولة التي فعلاً حوت سجون كبرى ومعتقلات ضخمة للمجاهدين ولأنصارهم هي أفغانستان، أفغانستان هذه كلها أصبحت سجن للمجاهدين وأكبر السجون التي تستخدمها الولايات المتحدة في هذه الحملة هو السجن المركزي أو سجن الظلام كما يسميه المجاهدون أو سجن التعذيب الذي يقع في كابل، وسجن باجرام وهذا معروف في وسائِل الإعلام والذي نجانا الله سبحانه وتعالى بفضله منه، ثم كذلك سجن غوانتانامو هذا كذلك معروف.

وأما السجون التي تقع في الدول العربية فحدث عنها ولا حرج، أنا عندما اعتُقلت مباشرة في أول جلسة من جلسات التحقيق طبعاً أراد أن يرغِّب ويرهِّب المحقق –وكان محقق لبناني– فمن بين التهديد قال لي إلى أي السجون تريد أن ننقلك إلى سوريا إلى الأردن إلى مصر إلى إسرائيل؟ ثم قال لي حتى ليبيا وطبعاً في تلك الفترة كان الظاهر أن العلاقات سيئة بين ليبيا وبين أمريكا وقال لي: لا يغرك ولا تنخدع بما تراه في وسائِل الإعلام

بأن هناك شيء من العداوة بين ليبيا وبين أمريكا، بل أقول إن كل الدول العربية هي جزء من الولايات المتحدة وهي مكملة لعدد الولايات الأمريكية.

مراسل مؤسسة السحاب:

تناقلت وسائل الإعلام صُوراً تُظهر فيها سوء معاملة الجنود الأمريكان للمعتقلين، وخاصة في سجن أبو غريب حبذا لو تُطلعونا على ما رأيتموه أو سمعتموه من انتهاكات داخل السجون الأمريكية وخاصة تلك التي مررتم عليها.

الشيخ أبو يحى الليبي:

أنا أقول ما تناقلته وسائل الإعلام خاصة ما وقع في سجن أبي غريب في العراق هذا يُعتبر شيئاً لا يُذكر بالنسبة لما يحصل للإخوة المجاهدين في سجون الأمريكان.

أولاً وسائل التعذيب ليس لها حد يعني أن المحققين هدفهم الأول هو استخراج المعلومات، أما الطريقة التي يستخدموها في استخراج المعلومات فأيديهم مطلقة في هذا الأمر، يعني لا يتوقفون عند حد معين كل ما يمكن أن تتخيله قد عانى منه إخواننا المجاهدون.

أولاً أنا أقول أعظم شيء يمكن أن يُذكر في هذا الباب هو انتهاك الأعراض، تعرض كثير من الإخوة لهذا الأمر وهذا ليس يعني مجرد أقاويل ودعاوى نقولها بل سمعناه ممن عانى من هذه المشكلة مباشرة، كذلك الضرب المبرح الذي يقوم به هؤلاء السجانون وخاصة الإخوة الذين نُقلوا إلى السجون العربية كسجون الأردن وسجون مصر وبعض السجون العربية الأخرى، هذه السجون يعني ما يلاقيه فيها المجاهدون هو أضعاف أضعاف ما يلاقيه المجاهدون في السجون التي يشرف عليها الأمريكيون مباشرة كسجن باجرام مع شدة ما يلاقيه المجاهدون في هذه السجون ولكن إذا قارنا بين السجون التي تسيطر عليها الحكومات العربية العميلة وبين ما يلاقيه إخواننا الأسرى والمجاهدون في السجون التي يسيطر عليها الأمريكان يعني الفرق كبير مع إنه في كل هذه السجون الأمر شديد.

يعني يوجد سجن التعذيب في كابل وهذا أنا أقول هو السجن المركزي والسجن الأول الذي يستخدمه الأمريكيون ضد الإخوة المجاهدين هذا السجن مر عليه تقريباً كل الإخوة الأسرى العرب خاصة أو من الجنسيات غير الأفغانية أو من بعض قيادات الطلبة أو الحزب الإسلامي التابع لحكمتيار، هؤلاء قد مروا على هذا السجن، هذا السجن هو عبارة عن زنازين انفرادية كل غرفة أمامها سبيكر كبير والموسيقى تضج في تلك السجون ٢٤ ساعة، يعني هناك بعض الإخوة من بقي يستمع إلى هذه الموسيقى الغربية والشرقية وغيرها سنة كاملة متواصلة وهو يستمع إلى هذه الموسيقى حتى أصبحت هناك عقد نفسية من مجرد أن يستمع الأخ إلى أدنى صوت من الموسيقى تجد بعض الإخوة يصبح يبكي لأنه يتذكر المأساة التي كان فيها، كذلك هناك بعض الإخوة

استُعمِل معهم الماء البارد في الشتاء القارص يؤتى ببرميل مليء بالماء البارد المُثلج ويوضع فيه الأخ وهو عــاري بغير ثياب، الأخ يصرخ يا الله يا الله يريد شيء من الرحمة شيء من الشفقة فيرد عليه العلِــج الكــافر المتكــبر المحارب لله ورسوله يقول له أين الله حتى يأتي ويخرجك من هذا البرميل، ثم يؤتى بهذا الأخ ويوضع في الزنزانــة الباردة يبقى الإخوة مقيدين في الحائط على مسافة ارتفاعها ستين سنتيمتر تقريباً ستة أشهر وأربعة أشهر وثلاثــة أشهر لا تفك يده لا وقت النوم ولا وقت الأكل ولا وقت قضاء الحاجة فقط عندما يُنقل إلى التحقيق.

استعمال الكلاب للتخويف هذا أمر شائع وخاصة في سجن باجرام، السجن الــذي أُقــيم في مركــز إمــارة أفغانستان الإسلامية في بيت أمير المؤمنين الملا محمد عمر حفظه الله هذا السجن لا يعرف عنه الكثيرون شــيء وهو من أشد السجون التي استعملها الأمريكيون ضد الطالبان، الغرفة في داخل السجن مساحتها متر في متــر يوجد في هذا السجن كشاف ضوئي كبير ضخم موجه على الأخ السجين العاري في هذا الــسجن، فيُــشعل الكشاف فتلتهب الغرفة لأن الكشاف ساخن جداً فبعد ذلك والأخ في هذه الحرارة يُفتح عليه الماء البارد فجأة وهكذا كل حين بين ساعة وساعة كشاف ماء كشاف ماء حتى يكاد الأخ يفقد عقله، هذه بعض المآسي الــتي يعاني منها إخواننا في السجون وإذا أردنا أن نستطرد فأظن أن هذا يحتاج منا إلى مجلدات وهذه الدولــة الــتي تزعم أنها تحترم الإنسان وتحترم حقوق الإنسان وأنها تسعى للمساواة وتسعى لرفع الظلم عن الشعوب العربيــة وتسعى لنشر الديمقراطية هذه حقيقتها التي لا يعرفها كثير من المسلمين وبفضل الله سبحانه وتعالى أن هذا مــا رأيناه في سجونهم كشف لنا عن خُبثهم وعرّفنا حقيقتهم وعرفنا أنهم أعداء لله ولرسوله وهذه الشعارات الــتي يرفعونها التي ذكرنا بعضها قبل قليل هذه كلها شعارات زائفة وإن أرادوا أن يطبقوها فعلى غير المــسلمين أمــا المسلمون فلا حق لهم فيها.

مراسل مؤسسة السحاب:

هل كان هناك أخوات معتقلات؟

الشيخ أبو يحيى الليبي:

نعم أنا البيت الذي اعتُقلت فيه كانت معي فيه أسرة باكستانية تسكن في الطابق العلوي واعتُقلت هذه المــرأة على أيدي الاستخبارات الباكستانية الخسيسة النذلة، فأخذت هذه المرأة وبقيت شهراً كــاملاً في الــسجن في مدينة غير مدينتها.

كذلك في سجن باجرام الذي يسر الله لنا النجاة منه كانت هناك امرأة باكستانية بقيت سنتين كاملتين في سجن باجرام الذي يوجد فيه أكثر من خمسمائة سجين كلهم من الرجال طبعاً وليس بين هؤلاء الرجــال إلا امــرأة واحدة في غرفة انفرادية، هذه المرأة والتي أظن أنها تبلغ من العمر فوق الأربعين تعامل في السجن تمامــاً كمــا يُعامل الرجل في خروجها لحاجتها في تقييدها بالسلاسل في لباسها اللباس البرتقالي الذي يــستخدمونه كلبــاس للسجناء في تحقيقها كل الأساليب التي يستخدمونها ضد السجناء من الرجال تُستخدم ضد هذه المرأة، بقيــت

هذه المرأة سنتين كاملتين في السجن حتى فقدت عقلها وأنا إلى الآن أتمنى لو أعرف مكان هذه المرأة أتمنى لو أعرف اسمها لأن هذه المرأة يعني نحن في السجن حقيقة شعرنا بمأساتها شعرنا بالظلم والقهر الذي تعانيه، نحن بقينا في الغرف الانفرادية ستة أشهر أو شهر أو شهرين على فترات متقطعة ونعرف ماذا يعني السجن الانفرادي ماذا تعني الغرفة الانفرادية هي انقطاع عن العالم هي وضعك في قبر وأنت حي هذا هو السجن الانفرادي فيسر الله سبحانه وتعالى بسبب ما رأيناه من معاناتها ومن ظلمها وقفنا موقف التأييد والنصرة لهذه المرأة ولكن بما نملكه وبما نستطيعه، نحن السجناء أسراء والسجين كالرقيق لا يملك من أمره شيئاً فامتنعنا أنا وإخوة لي ومنهم بعض الإخوة الذين نجوا معنا في خروجنا من سجن باجرام أضربنا عن الطعام لمدة ستة أيام متواصلة، أتونا الجنود وقالوا لنا لماذا أنتم تُضرِبون عن الطعام؟

قلنا لهم من أجل هذه المرأة المسكينة فقالوا لنا هذه المرأة هي كأنها مجرمة تستحق هذا، فنحن أصررنا على أمرنا وعُوقِبنا ووضِعنا في الغرف الانفرادية لمدة شهرٍ كامل والحمد لله صبرنا ثم الله سبحانه وتعالى منّ على هذه المرأة وفرّج عنها وهذا أولاً بفضل الله سبحانه وتعالى وحده ثم بنصرة المسلم للمسلم وهذا درسٌ بسيط لعامة المسلمين أنك لا تستحقر شيئاً مما يُمكن أن تقدمه لإخوانك الأسرى أو لإخوانك المجاهدين، فالله سبحانه وتعالى يُبارك في السبب البسيط إذا رأى فيك الصدق ورأى فيك الإخلاص ورأى فيك الحُرقة الحقيقية على دين الله سبحانه وتعالى وعلى ما يُعانيه إخوانك فالله سبحانه وتعالى يُبارك في هذا السبب، وأنت هذا الأمر الذي تملكه لا تستطيع أن تملك أكثر من ذلك فالله سبحانه وتعالى أرغم أُنوف هؤلاء المتكبرين واستجابوا لهذا المطلب ثم الله سبحانه وتعالى ومن منّه وكرمه أن أطلق سراحنا وبطريقة خيالية لا نكاد نصدقها نحن الذين باشرناها وعايشناها حيث خرجنا من ذلك الحِصن الحصين الذي يفتخرون به وهو سجن باجرام.

مراسل مؤسسة السحاب:

مررتم بمراحل عديدة في التحقيق فلو تُعطونا صورة عن أساليب التحقيق المُتّبعة في المُعتقلات الأمريكية.

الشيخ أبو يحيى الليبي:

حقيقة احتكاكنا بالمحققين عرّفنا على بعض الأمور:

أولاً كنا نقرأ في الكتب أن كفر المرتد أشد وأغلظ من الكافر الأصلي وهذه حقيقة باشرناها وعايشناها وأظن أن الإخوة المسجونين في سجون الطواغيت العرب –الحكام العرب العملاء– يعرفون هذه الحقيقة، أخبث المحققين وأشدهم وأكثرهم حِقداً وسوء معاملة للسجناء هم الذين يرجعون إلى أصولٍ عربية خاصة المحققين المصريين والمحققين الأردنيين والمحققين اللبنانيين هؤلاء هم أخبث شريحة من المحققين مررنا عليها سواء في بذاءة الألفاظ التي يستخدمونها ضد السجين أثناء التحقيق أو في التعذيب ومباشرة التعذيب والوقوف عليه بأنفسهم أثناء التحقيق وأثناء السجن، فهذه الحقيقة عرفناها من خلال المعايشة وليست مجرد حكاية أو عِبارات نقرؤها في الكتب.

وفي المُقابِل اكتشفنا أن هؤلاء المحققين سواء الذين ينتمون إلى السي آي إيه أو الإف بي آي أو الاستخبارات العسكرية اكتشفنا ضحالة معلوماتهم سواء معلوماتهم الاستخباراتية أو ثقافتهم العامة أنا أضرب لك مثلاً وهو مثل مُضحك حقيقة واسمح لي أن أحكيه لك:

أول جلسة من جلسات التحقيق جلس أمامي محقق لبناني ومعه رجل أمريكي، فقال هذا المحقق اللبناني أراد أن يُظهر لي أنه يفهم في الدين شيء وهو رجل نصراني باعتباري رجل ملتزم وأنتمي إلى جماعة إسلامية فأراد أن يركب هذه السكة فقال لي أنت لا بد أن تستعمل عقلك وأن تكون متفهماً حتى تنقذ نفسك مما أنت فيه الآن وقال لي باللهجة اللبنانية وأنا لا أستطيع أن أقلدها قال لي :

الله بيقول إيه في القرآن الكريم؟

قلت له: أيش بيقول؟

فقال لي: الله بيقول اعقلها وتوكل.

فبعد ذلك أنا أردت أن أفهم ما وجه هذه الآية التي ذكرها حسب قرآنه الذي يعرفه هو وبين نصيحته لي باستخدام عقلي!

فجاء التفسير موافقاً للآية التي ذكرها هو فقال لي: اعقلها يعني استعمل عقلك.

فقلت في نفسي: آن لأبي حنيفة أن يمد رجليه!

هذا هو مستوى المحققين الذين تعاملنا معهم، وأنا لا أنكر أن منهم الخبراء الخُبثاء الذين عندهم خبرة في التحقيق وعندهم قدرة على استخراج المعلومات بالخُبث والمكر إلا أن الشريحة العامة التي تعاملنا معها ورأيناها وتعامل معها إخواننا هو ما ذكرنا.

مراسل مؤسسة السحاب:

من خلال اعتقالكم كيف وجدتم الشخصية الأمريكية ؟

الشيخ أبو يحيى الليبي:

حقيقة وجدنا الشخصية الأمريكية أو الجندي الأمريكي الذي احتككنا بهم لمدة طويلة وجدناهم مزيجاً من الانحراف العقدي والسلوكي والأخلاقي والفكري، أنا لم أجد وصفاً أدق وألصق من قول الله سبحانه وتعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ).

ولم أجد وصفاً أدق وألصق من قول الله سبحانه وتعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى).

رأيناهم في نعمة في رغد كل ما يريدونه فهو موجود أمامهم، حتى في قاعدة باجرام والحارس يجلس أمامك ليحرس القفص أمامه كمبيوتر ويتعامل مع شبكة الإنترنت، إلى هذه الدرجة قد وصلوا من الرغد والترف ولكنهم يعيشون في تيه وفي ضياع، نحن العرب والمسلمين كلنا يفتخر المرء بأنه ينتسب إلى أسرة معينة وأنه يعرف أباه ويعرف أمه ويعرف قبيلته وهذا من أصول انتمائنا العربي ومن أصول انتمائنا الإسلامي، تأتي إلى الجندي الأمريكي تراه في حيرة وفي تيه تسأله تقول له أين أبوك؟ يقول لك لا أعرف، تقول له ما اسم أبيك؟ لا أعرف يقول لك، وهكذا بكل صراحة وهذا ليس مع واحد أو اثنين أو ثلاثة هو شريحة كبيرة في داخل الجيش الأمريكي، يأتيك الجندي الأمريكي وهو يُعبر لك عن تذمره، وتذمره الاجتماعي يسب لك أمه ويلعنها ويقول لك أمي تركتني وأنا صغير أنا مُدمر محطم هو يقول هذا ولكنه لا يستطيع أن يرفع شكواه إلى أخيه الجندي لأنه يعاني من مشكلته فيأتيك أنت لأنه يجد فيك شيء من الاستماع يثق في حالك فيحكي لك مشكلته.

فالشخصية الأمريكية أولاً شخصية جبانة صرخة واحدة تهز السجن كاملاً ويحدث استنفاراً عاماً في داخل السجن، الشخصية الأمريكية شخصية ضائعة، يبحثون عن الطريق يبحثون عن السبيل أين نذهب لا نعرف، الشخصية الأمريكية تتعامل بتعامل مادي محض ليس بينهم وبين السجناء بل فيما بينهم، الأحقاد والضغائن التي تقع بين الجنود أنفسهم بل هي صفتهم الملازمة لهم، أنا أضرب لك مثل:

السجن ينقسم إلى فرقتين، فرقة تعمل في الليل وفرقة تعمل في النهار كل فرقة لها إثنا عشر ساعة تشتغل فيها، فرقة الليل تلعن فرقة النهار وفرقة النهار تلعن فرقة الليل فتذكرت قول الله سبحانه وتعالى: (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا) هذا في الدنيا وهذا مصيرهم أيضاً في الآخرة، كلما وقعت مشكلة يقول لك هذا كله بسبب فرقة الليل وفرقة الليل تقول هذا كله بسبب فرقة النهار، كذلك الجندي الأمريكي لا يعرف مصير هذه المعركة الذي دخل فيها لا يعرف منتهاها وهذا يجعله في ضيق وفي تذمر ينتظر اللحظة التي تنتهي فيه مدة إقامته في أفغانستان ليرجع إلى البلد وعندما يقترب موعد رجوعه إلى أمريكا تراه في حالة من الفرح والسرور والتهلل ويأتي ويخبر السجناء ويقول لهم أنا سأذهب قريباً، بعض السجناء يتكلم معهم عن حالة السجن وما هم فيه من الضيق يقولون لنا نحن سجناء مثلكم، يقول نحن فقدنا عقولنا والله يقولون هذا – i am crazy – خلاص أنا فقدت عقلي أنا أخرج من البيت إلى السجن من السجن إلى البيت وموجود في هذه القاعدة التي لا أستطيع أن أخرج منها لمدة سنة كاملة له شهر واحد في خلال سنة يقضي فيه مُتعه وملذاته في الدول التي يختارها.

مراسل مؤسسة السحاب:

هكذا كانت حياة السجّانين والمحققين فكيف هي بالنسبة للإخوة المجاهدين ؟

الشيخ أبو يحيى الليبي:

نحن تحدثنا قبل قليل عن حالة الجندي الأمريكي، والأصل الذي يعيش حراً طليقاً وقد توفرت له ملاذ الحياة ومتاعها أن يعيش مرتاحاً مطمئناً منشرحاً، والأصل في الذي يعيش في غرفة مغلقة ممنوعاً من الكلام له برنامج محدد ثابت روتيني كل يوم لمدة سنتين أو ثلاثة أن يكون في ضيق وفي تذمر وفي وحشة، ولكن حقيقة أن نور الإيمان يقابله ظلمات الكفر، هذا الانشراح وهذه الراحة التي عايشناها ورأيناها في إخواننا أنا لا أقول الإخوة المجاهدين الكِبار بل عوام السجناء الأميين الذين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة تراه في حالة من الفرح والسرور والراحة حتى يأتي الجندي الأمريكي ويستغرب ويقول لهم كيف أنتم تعيشون بهذه الطريقة؟

وأنا أذكر لك قصة: نحن العرب كنا في غرفة واحدة فعندما يُخرجوننا جميعاً –هذا يقوله ويحكيه أحد الجنود الأمريكان لنا– عندما نخرج جميعاً إلى الرياضة أو إلى الاغتسال قال أحد الجنود: وأجلس مكان السجين –يعني أنام مكان السجين– فقال أشعر أنني سأنفجر أشعر أنني سأختنق أقول كيف يبقى هذا السجين طول هذه المدة وهو على هذه الحالة؟

فحقيقة النفسية التي يعيشها السجناء ليس في باجرام فقط نحن مررنا على سجون كثيرة أنا مررت على أربعة سجون وفي غرف انفرادية و الإخوة الذين عشنا معهم مروا على سجون كثيرة ليس في أفغانستان فقط في مصر وفي الأردن ثم جيء بهم هنا، فتجدهم في حالة من الفرح والضحك والسرور ربما والله وأقول هذا ليس مبالغة ربما في حالة إيمانية وفي انشراح أكثر مما لو كان في خارج السجن، فحالة السجناء عموماً معنوياتهم مرتفعة وأنا أقول هذا من باب المعايشة أنا أقول أن كثيراً من الإخوة مروا على ظروف سيئة وصعبة لا يمكن لإنسانٍ أن يتخيلها ومع ذلك لم أسمع أن واحداً من الإخوة المجاهدين تراجع عن مبدئه أو تراجع عن عقيدته بل هناك ممن كان لديه بعض الانحراف قد يكون انحراف فكري أو تصور للأوضاع وعندما عاش في السجن واحتك بهؤلاء العلوج واحتك بالمجاهدين صحح مفاهيمه وبعضهم يقول أنا لو كنت أعلم أن الجندي الأمريكي بهذه النفسية وبهذه الحالة والله ما قبضوا علي وفعلاً الشخص يقول هذا ولكن هذا قدر الله سبحانه وتعالى.

وأما عن علاقة العرب بالأفغان فكانت هي علاقة الأخوة علاقة الموالاة علاقة الرابطة الإيمانية علاقة وحدة العقيدة، الأفغان حقيقة وخاصة الطلبة والله لا يشعرون بأدنى ذنب في أن ما وقع ربما يكون –مما يُثار– أن سببه العرب، هم يشعرون أن مشكلتنا ومشكلتهم واحدة وأن مصيرنا ومصيرهم واحد فالعلاقة كانت علاقة وطيدة حتى أننا عندما نُنقل من غرفة إلى غرفة والله يودعوننا بالبكاء وبالنحيب وعندما ندخل إلى غرفة يستقبلوننا أحياناً بالبكاء، وهذا يدل على أن رابطة الإيمان هي أعلى الروابط كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

مراسل مؤسسة السحاب:

هل كانت لكم لقاءات مع قادة الطلبة؟ وكيف كانوا داخل السجون؟

الشيخ أبو يحيى الليبي:

نعم التقينا ببعض قيادات الطالبان وربما أنا لا أستطيع أن أذكر بعض الأسماء هنا حتى لا يقع عليهم بعض الضرر، ووالله شهادة لله سبحانه وتعالى نقول إن الإخوة الطالبان الذين التقيناهم في السجون كانوا من خيرة من رأينا من عباد الله سبحانه وتعالى سواء في التقوى وخشية الله سبحانه وتعالى، وسواء في براءتهم من الكافرين ومن مناهجهم الضالة، وسواء في ولائهم للمؤمنين حتى أنه يشعر أنه مقصر في حقك يشعر أن ما وقع لك وأنك الآن بجانبه في السجن إنما هو بسببه لأنه لم يحمك الحماية الكاملة، فمن رأينا من قيادات الطالبان كانوا في أعلى مستوى وفعلاً يستحقون أن يكونوا قادة للأمة وأنا لا أقول هذا على وجه المبالغة والمدح والإطراء الزائد والمتجاوز للحقيقة وإنما أقوله شهادة لله سبحانه وتعالى أُسأل عنها بين يديه.

مراسل مؤسسة السحاب:

ما هي المعلومات والأخبار التي كانت تصلكم من خارج السجن عن أحوال العالم من حولكم ؟

الشيخ أبو يحيى الليبي:

السجون هي في الحقيقة كانت قبور والأخبار التي كانت تتسرب إلى السجناء تكون بمصادر محدودة جداً وأغلبها السجناء الجدد الذين يؤتى بهم إلى سجن باجرام هؤلاء تكون لديهم بعض المعلومات وربما يكونون قد قضوا بعض المدة في السجون الأخرى فتكون معلوماتهم متأخرة بالنسبة لنا، كانت تأتي هناك مجلة تُسمى الصلح تصدر باللغة الإنجليزية والبشتو والفارسي ولكن ليس فيها أخبار ليس فيها إلا الإطراء والمدح والتحريف الفكري من أجل تبجيل والاقتناع بهذه الحكومة العميلة حكومة كرزاي، وأحياناً بعض الجنود يأتي ويذكر لنا بعض الأخبار وخاصة أخبار العِراق لأن الجنود كانوا يشعرون بالمرارة لدخولهم للعراق يقولون نحن نتفهم – هذا على لسانهم هم– يقولون نحن نتفهم دخولنا إلى أفغانستان لأن فيها القاعدة وطالبان ولكن ما هو الدافع لماذا ندخل إلى العراق أين الأسلحة النووية أسلحة الدمار الشامل التي ادعى بوش أنها موجودة في العراق قُبِض على صدام لماذا نبقى إلى الآن في العراق كل يوم يُقتل من الجنود الأمريكان في العراق نحن الجنود وحدنا الذين ندفع هذه الضريبة، فهم تعبيراً عن المرارة التي يجدونها في قلوبهم وانتقاداً لسياسات حكومتهم العميلاء يأتون ويخرجون ما يجدونه في صدورهم بحكايات وذكر أخبار تقع في العراق أو أفغانستان.

مراسل مؤسسة السحاب:

خلال مراحل هروبكم من السجن حتى وصلتم إلى المجاهدين مررتم من عدة مناطق داخل أفغانستان فكيف كان تعامل العوام معكم ؟

الشيخ أبو يحيى الليبي:

حقيقة الشعب الأفغاني نحن قطعنا زمناً طويلاً ومسافة طويلة ومررنا على بيوت متعددة خلال رحلتنا من خروجنا من سجن باجرام إلى وصولنا إلى الإخوة المجاهدين والله ما وجدنا رجلاً واحداً من الذين مررنا عليهم ولا بيتاً واحداً من البيوت التي دخلناها إلا وهو متعاطفٌ معنا ومؤيد لنا، آوونا وكسونا بفضل الله سبحانه وتعالى وأعطونا ما نحتاج من الأموال وأرشدونا إلى الطرق وحذرونا من نقاط التفتيش التي توجد على الطرقات العامة، استقبلونا استقبال الأبطال وكان خبرنا شائعاً بين الأفغان الذين مررنا عليهم فبمجرد أن نصل إليهم، أنتم الأربعة الذين فررتم من باجرام؟

نعم نحن نقول نعم نحن الذين فررنا من باجرام فيأتي في خفية وعلى خوف ومع فقرهم وحاجتهم إلا أنهم والله ما تركوا شيئاً يمكن أن يقدموه لنا إلا وأعطوه لنا حتى أن بعضهم والله نزع الملابس التي على جسمه وألبسها إيانا، فوجدنا منهم التعاطف التام ووجدنا منهم الكراهية التامة للقوات الأمريكية ولحكومتهم العميلة حكومة كرزاي وبراءتهم منها وانتظارهم ليوم الفرج الذي يأتي على أيدي المجاهدين، فما تبثه وسائل الإعلام من أن الشعب الأفغاني هو مؤيد لحكومة كرزاي وأنه حصل على الاستقرار والنمو الاقتصادي وأنهم فرحوا بخلاصهم من الفترة التي حكمهم فيها طالبان والله هذا لا حقيقة له في أرض الواقع وهذا ما عايشناه ورأيناه وإلا كيف وصلنا إلى هذا المكان إذا لم يسخر الله سبحانه وتعالى لنا هؤلاء الناس الطيبين المؤيدين المناصرين كيف استطعنا أن نقطع هذه المسافة الطويلة من أين نأكل من أين نشرب ؟

نحن خرجنا من سجن باجرام بغير ملابس لا نلبس إلا السراويل، كيف نستطيع أن نمر بالمدن والقرى وعبر المزارع، من أين حصلنا على الملابس، من أين حصلنا على الأموال التي نشتري بها؟

هذا كله بتأييد هؤلاء، والله ندخل عليهم حتى النساء تستقبلنا حتى العجائز تستقبلنا وتود أنها تصافحنا وتقبل رؤوسنا حباً للمجاهدين ومناصرة لهم وعندما يودعنا هؤلاء الأفغان من بيوتهم والله يودعوننا بالبكاء والنحيب وبالاحتضان وبالخوف من أن نقع في أيدي هؤلاء وبالدعاء المستمر لنا.

مراسل مؤسسة السحاب:

لعلكم في المعتقل رأيتم بعض قيادات المجاهدين فهل لكم أن تذكروا لنا بعضهم؟

الشيخ أبو يحيى الليبي:

لا شك أن الحملة –وعلينا أن نعترف بهذا– أن الحملة التي خاضتها أمريكا على المجاهدين دفع المجاهدون ضريبة فيها وهذا ليس عيباً نحن نسمي أنفسنا مجاهدين وهؤلاء رفعوا شعار الجهاد، والجهاد ما هو؟ هو من الجهد من المشقة من التعب من النصب وهذا فخرٌ لهم وعزٌ لهم، فشملت هذه الحملة بعض قيادات المجاهدين وبعض رؤوسهم وبعض قدواتهم وبعض الذين بذلوا أنفسهم وأوقاتهم في سبيل نصرة دين الله سبحانه وتعالى ونذكر

منهم على سبيل المثال الشيخ البطل المجاهد خالد الشيخ محمد هذا الرجل الذي لا تعرف الأمة قدره ولم تعرف الأمة ما قدمه من خدمات لدين الله سبحانه وتعالى وكم تأسفنا أن وقع هذا الأخ في أيدي الأمريكيين ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أمراً ولا شك أن ما اختاره الله سبحانه وتعالى له وللمجاهدين سيكون خيراً.

كذلك منهم القائد البطل ابن الشيخ الليبي وأنا قابلت ابن الشيخ الليبي كنا معاً لمدة أربعة أشهر في سجن بنشير والتقيته وتكلمت معه وكنت أسأله: ابن الشيخ كيف المعنويات ؟ يقول لي عشرة على عشرة، يعني معنويات مرتفعة مع أنه عانى معاناة شديدة في سجون الأمريكان وهو رجلٌ نحيف ضعيف وأصبح كما نقول جلدة على عظم يعني أصبح ضعيف ومع ذلك فهو صابرٌ محتسبٌ يترقب فرج الله سبحانه وتعالى وكان يقول إن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أمراً هيأ له أسبابه فالله سبحانه وتعالى ما ساق أمريكا إلى أفغانستان وهي مقبرة لمن سبقهم من البريطانيين والروس وإلى العراق والعراق معروف أهلها بالقِتال والصبر والشراسة إلا أن الله أراد نهايتهم، هكذا كان يقول، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يفرج عنه.

كذلك من قيادات الطالبان كان هناك مولوي نور جلال وهو نائب رئيس الاستخبارات وهو رجلٌ فاضل تعرض لتعذيب شديد في سجن الظلام في كابل ونُقِل إلى باجرام ونحن خرجنا وتركناه في قاعدة باجرام.

مراسل مؤسسة السحاب:

هل من كلمة توجهونها لعلماء المسلمين خاصة وللأمة الإسلامية عامة ؟

الشيخ أبو يحيى الليبي:

أنا أقول لعلماء المسلمين أولاً:

يا علماء المسلمين ما الذي تنتظرونه ما الذي يقعدكم –وأنا أقول هذا لبعض علماء المسلمين الذين تبرؤوا من المجاهدين وتنصلوا من أعمال المجاهدين والذين سخروا أقلامهم وأفواههم ومنابرهم للطعن في المجاهدين– أقول لهم ألا تعلمون أنكم ستقفون يوماً بين يدي الله سبحانه وتعالى ؟

ألا تعلمون أنكم ستُسألون عن كل كلمة تقولونها ؟

ألا تعلمون أنكم ستُسألون عن كل شهادة تشهدونها سواء للكافرين أو على المجاهدين ؟

ألا تعلمون أن الدنيا إنما هي زمنٌ قصيرٌ سينقضي وينتهي ثم بعد ذلك ستجنون ثمار ما تفعلونه اليوم ؟

يا علماء المسلمين من الذي يوقظ الأمة من سباتها ؟

من الذي يبعث الِهمم إلى هذه الأمة ؟

لماذا دائماً نسمع من علماء المجاهدين اذهبوا، جاهدوا، الجهاد فرض عين في العراق ؟

لماذا لا نسمع من عالمٍ مجاهد تعالوا إلى ساحة الجهاد؟ لماذا لا نسمع منهم أقبِلوا إلينا؟ لماذا لا يوجد في ساحات الجهاد، إذا كان الجهاد فرض عين فهو على الشباب فقط، ما الذي استثناك؟ علمك؟ ما الذي أخرجك من هذا الفرض؟

يا علماء المسلمين عليكم أن تتنصلوا من هذا الواقع الأليم عليكم أن تتبرؤوا من هذه الحكومات العميلة التي ترهبكم وتخيفكم والله لن تجدوا لذة الإيمان ولن تجدوا عزة المؤمن وعزة العقيدة وقوة العقيدة واليقين بالله سبحانه وتعالى الحقيقي إلا إذا دخلتم إلى ساحات الجهاد إلا إذا عايشتم الجهاد معايشة حقيقية وليس عن بُعد، فنحن نرجو من علماء المسلمين أن يقفوا بجانب إخوانهم وأن لا يكونوا في مواجهتهم وأن لا يكونوا عِبئاً عليهم وأن لا يدفعوا المجاهدين إلى أن يبذلوا شيئاً من طاقتهم وجهدهم للرد على شبهاتهم نحن ننتظر من علماء المسلمين أن يكونوا هم أصحاب الفتاوى هم أصحاب التوجيهات هم أصحاب التربية هم أصحاب التحريض هذه المهمة العظيمة التي أوكلها الله سبحانه وتعالى للنبي صلى الله عليه وسلم وقال له: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذه العبادة المنسية إذا لم يقم بها العلماء الصالحون الصادقون من الذي يقوم بها؟ من الذي ننتظره أن يقول للمجاهدين أقدِموا؟ من الذي ننتظر منه أن يقول لهم ضحوا؟ من الذي ننتظر منه أن يقول لهم أثخِنوا في أعداء الله ؟

لماذا دائماً أو في الأغلب نجد كثيراً من العلماء يقفون عقبة في طريق الجهاد ؟

هل هناك راية أوضح وأصفى من الراية التي يرفعها المجاهدون في هذا الزمان؟ سواء في أفغانستان أو في العراق أو في فلسطين أو في غيرها من دول العالم ؟

إذا وقع المجاهدون في بعض الأخطاء فهذا بسبب تقصيركم بسبب غيابكم عنهم هم يبذلون جهدهم في أن تكون أعمالهم جميعها موافقة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وإنما يعتريهم الخطأ من باب أنهم بشر أو من باب نقصهم العلمي لغيابكم أنتم عن الساحة فإذا قعدتم أنتم فليس واجب المجاهدين أن يلحقوكم في قعودكم وأن يتخلوا عن ساحات الجهاد ويتركوا أعداء الله يُقتِّلون ويذبحون وينتهكون الأعراض ويهدمون المساجد ونحن نقول لهم اتركوا الجهاد، الجهاد ما جر على الأمة إلا الفساد وما جر عليها إلا الويلات والدمار.

الجهاد هو الذي فضح هذه الحكومات العميلة ورفعت راية الولاء المطلق لأعداء الله سبحانه وتعالى من اليهود والنصارى لولا الجهاد لما افتُضِح هؤلاء، واليوم نرى المؤتمرات الكبيرة التي تُعقد لمحاربة الإرهاب ونرى المقترحات مثل المقترح الذي يقترحه طاغوت السعودية الأمير عبد الله بإنشاء مؤسسة كاملة على نمط الأمم المتحدة من أجل مكافحة الإرهاب، لماذا خرجت هذه المقترحات في هذا الزمان ؟ مِن الآلام التي لاقوها ووجدوها على أيدي المجاهدين، نعم المجاهدون يعانون وهذا هو الجهاد، فيهم قتلى فيهم أسرى فيهم مشردون فيهم جرحى فيهم فقراء فيهم من لا يجد أين يسكن من لا يجد أين يقر وهذا هو الجهاد.

فمهمتكم يا علماء المسلمين اليوم أعظم من مهمتكم من قبل، أنتم الآن الأمة محتاجة إليكم محتاجة إلى الوقوف بجانبها المجاهدون ينادونكم ويرجونكم أن تقفوا بجانبهم أن تدخلوا ساحات الجهاد معهم أن يجد المجاهد عالماً صادقاً يقف معه في المعركة هذا الذي ينتظره.

وأما عموم المسلمين فما نطلبهم منهم هو ما نقوم به نحن الآن، ما نطلبه من عموم المسلمين هو أن يعلموا أن المعركة التي يخوضها المجاهدون اليوم هي ليست معركة خاصة بطائفة معينة كما يريد الإعلام أن يصورها طائفة من قطاع الطرق أو من الإرهابيين كلا إنها معركة مصيرية الأمة جزء منها والأمة هي المستهدفة في هذه المعركة الأمة مستهدفة في عقيدتها مستهدفة في أخلاقها مستهدفة في سلوكها مستهدفة في تصوراتها فالأمة اليوم بجميع شرائحها وطوائفها من الرجال والنساء والشباب والفتيات عليهم أن يقفوا بجانب أبنائهم، فنقول للأمة الإسلامية قليلاً من الصبر قليلاً من المصابرة قليلاً من البذل والعطاء والمساندة لإخوانكم المجاهدين حتى نقطف هذه الثمرة التي طالما سُفِكت دماء وقُطِّعت أشلاء من أجل أن نصل إليها.

مراسل مؤسسة السحاب:

بفضلٍ من الله أنتم الآن بين إخوانكم المجاهدين فما هي مشاعركم وتطلعاتكم وأنتم بين إخوانكم الآن؟

الشيخ أبو يحي الليبي:

من أعظم ما منّ الله سبحانه وتعالى به علينا أن نجانا من القوم الظالمين، هذه نعمة كلما ذكرناها شعرنا بالذل لله سبحانه وتعالى، المرء لم يكن يظن بل حتى الآن لا نظن في أنفسنا هذا أننا مستحقون أن ينعم الله سبحانه وتعالى علينا بهذه النعمة فنحن كما قلنا من قبل الله سبحانه وتعالى يسر لنا الأمر من أوله إلى منتهاه وأوصلنا إلى أراضي العزة وأوصلنا إلى أراضي البذل وأوصلنا إلى أراضي الجهاد التي كانت قلوبنا تحن إليها ونحن في تلك الغرف المظلمة وفي تلك الغرف المنعزلة فهانحن نقف مع إخواننا المجاهدين فكنا مدداً لهم بفضل الله سبحانه وتعالى وكنا بشرى لإخواننا وهو درسٌ عظيم أعطاه الله سبحانه وتعالى لنا وللمجاهدين وللأمة الإسلامية ولأولئك الذين غلفت قلوبهم بالظلمات من الكافرين أن الأمر كله لله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون لم تستطع أمريكا ونحن ليس بقوتنا خرجنا من السجن خرجنا ونحن ليست علينا ملابسنا، الله سبحانه وتعالى أراد أن يظهر لنا زيادة فقرنا إليه وأننا مجردون من كل شيء فالله سبحانه وتعالى إذلالاً لأولئك المتكبرين وإرغاماً لأنوفهم وإظهاراً لضعفهم أخرجنا من بينهم وأنا حقيقة عندما رأيت صور لقاعدة باجرام لم أصدق أن هذه هي القاعدة التي خرجنا منها مدينة نحن لم نكن نخرج إلا وعيوننا معصوبة كيف خرجنا هذا بفضل الله سبحانه وتعالى.

فأنا أقول أن الله سبحانه وتعالى هو الذي منّ علينا بالخروج من هذا السجن وهو الذي سهل لنا الطريق وهو الذي آوانا هذا الإيواء، فبإذن الله سبحانه وتعالى سنستمر على هذا الطريق سنستمر على طريق الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، نحن ذقنا لذة الجهاد فلا نستطيع أن نتركها، نحن بفضل الله سبحانه وتعالى أرانا الله

سبحانه وتعالى ضعف أعدائنا وأرانا قوتنا من باب ضعفنا حينما كنا ضعفاء أرانا الله سبحانه وتعالى أننا أقوياء، فنحن بإذن سبحانه وتعالى سنكون مساندين لإخواننا بل نحن جزء منهم وسنكون بإذن الله محاربين لهؤلاء النصارى وأعوانهم المرتدين لن نتخلى عن طريق الجهاد بإذن الله سبحانه وتعالى، لن نتخلى عن طريق القتال سنصبر ونصابر إلى أن يختم الله لنا سبحانه وتعالى بالشهادة في سبيله أو يحكم بيننا وبين هؤلاء بالحق وهو خير الحاكمين.

مراسل مؤسسة السحاب:

هل من كلمة أخيرة للمجاهدين وقادتهم وأسراهم ؟

الشيخ أبو يحيى الليبي:

نعم ما زلت أقول للمجاهدين ما قاله الله سبحانه وتعالى لهم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

عليكم بالصبر وعليكم باجتناب المعاصي فهي أبواب الهزائم إننا لا نهزم من قلتنا ولا نُهزم بقلة سلاحنا إنما نُهزم بسبب ما تكتسبه أيدينا من معصية الله سبحانه وتعالى فعلينا –وهذا الكلام للمجاهدين وللمسلمين عموماً وخاصة المجاهدين منهم– علينا بتقوى الله سبحانه وتعالى وكثرة التضرع والانكسار بين يدي الله سبحانه وتعالى والابتعاد عن الغرور والعجب وأن نستشعر دائماً أن كل فتحٍ نلناه إنما هو هبة وعطية ومنحة ربانية لنا علينا أن نشكرها ومن شكرها أن نحافظ عليها.

ثم إنني أقول لإخواننا الأسرى الذين تركناهم وراءنا ممن رأيناهم ومن لم نرهم إننا ماضون على الطريق بإذن الله سبحانه وتعالى.

ونقول لقيادات المجاهدين وعلى رأسهم الإمام الشهم الذي يعيش في غير زمانه الذي جدد للأمة معنى الولاء والبراء أمير المؤمنين الملا محمد عمر نقول له نحن ما زلنا على العهد وما زلنا على الطريق وأبشر فإن نصر الله سبحانه وتعالى آت لك وأبشر فإن الله سبحانه وتعالى بإذنه سيمكن لك في الأرض تمكيناً خيراً وأقوى وأوسع مما كان عندك واعلم أن ما فقدته ليس بشيء وأن ما أعطاك الله سبحانه وتعالى من حب المؤمنين لك ودعائهم لك آناء الليل وأطراف النهار هو أعظم مما فاتك.

كما نقول لمجدد راية الجهاد في هذا الزمان الشيخ المجاهد الفاضلِ أسامة ابن لادن امضِ على بركة الله سبحانه وتعالى فإن الله سيقر عينيك بهلاك هذه الدولة الفاجرة المتكبرة، وأن أنصارك وراءك لن يقيلوا ولن يستقيلوا بإذن الله سبحانه وتعالى.

وكذلك نقول للصارم المسلول الذي سله الله سبحانه وتعالى على أعداء الله المحادين له ولرسوله وللمؤمنين الشيخ المجاهد الفاضل أبي مصعب الزرقاوي أثخِن في أعداء الله سبحانه وتعالى وزد فيهم إثخاناً واعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الذي بوّأك هذه المنزلة واستشعر الأمانة التي أُلقيت على كاهلك واعلم أن الأمة تنتظر المزيد منكم وأن المستضعفين والمشردين يترقبون وينتظرون مأوى يلجؤون إليه فلا تضيعوا هذه الأمانة واحفظوها وحافظوا عليها.

ونقول أيضاً للشيخ الفاضل المجاهد القائد أبي الليث القاسمي إن الله سبحانه وتعالى قد هيّأ لك هذا الأمر ورفع منزلتك بسبب سلوكك لطريق الجهاد في سبيل الله فاثبت على هذا الطريق ولا تلتفت يمنة ولا يسرة ولا تغتم ولا تهتم بالمتهالكين المتساقطين على طول الطريق.

ونقول أيضاً للشيخ المجاهد القائد العابد الزاهد –نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله– الدكتور أيمن الظواهري اعلم أن الله سبحانه وتعالى قد يسر لكم سلوك طريق الجهاد وثبتكم عليها فأديموا تحريضكم للأمة وأبلغوها كلماتكم التي تهتز بها قلوب المؤمنين ويغتاظ منها الكافرون فاثبتوا على هذا الطريق وأكثروا من إرشاداتكم ونصحكم وتوجيهكم للمجاهدين في مشارق الأرض ومغاربها.

كذلك لا ننسى إخواننا الأسرى القابعين في سجون المرتدين سواء في مصر كالشيخ المجاهد الفاضل أبو ياسر رفاعي أحمد طه، وكذلك إخواننا في سجون ليبيا كالشيخ الفاضل أبو المنذر الساعدي والقائد أبو عبد الله الصادق، وكذلك الشيخ الصابر في الأردن أبو محمد المقدسي، وكذلك شيخ الصابرين في هذا الزمان الرجل الذي علم الأمة كيف يكون العالم كيف يكون صبره كيف يكون بذله كيف يكون صدعه بالحق كيف يكون المجاهد صادعاً بهذه الكلمة لا يخاف في الله لومة لائم الشيخ عمر عبد الرحمن فك الله أسره وأسر إخوانه الذين معه، وأنا لا أشك أن ما أصاب أمريكا من الدمار والقوارع التي لم تنقطع عنها إنما كان أحد أسبابها هو معاداتها لهذا الرجل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب"، وكذلك هذا هو كلامنا لجميع الأسرى ولجميع المجاهدين في مشارق الأرض ومغاربها.

ونبعث تحياتنا الصادقة إلى أولئك الاستشهاديين في فلسطين وفي العراق أولئك الذين أعادوا للأمة معنى التضحية ومعنى البذل ومعنى العطاء، أولئك الذين تحطمت على صمودهم وعلى قوتهم وعزيمتهم صخرة الكفر العالمي التي تقودها أمريكا، وأنا يسعدني أن أهدي لهم بعض الكلمات التي ربما لا ترتقي إلى مستوى تضحياتهم ولكن هذا هو الذي أملكه في هذا الموطن، أقول:

أنا لن أرثيَ من باع الدنا *** واشترى الأخرى وللخلد رنا

ومضى ثبتاً ومن أعماقه *** ومض الإيمانُ ومضاً وسنا

مِسعَرٌ للحرب فرداً باسلاً *** إن يُقَل مَن ليثها؟ قال: أنا

صارم القلب جريء الصدر *** قد رافق البأساء واعتاد العنا

بين جنبيه همومٌ لو ثوت *** فوق طود شامخ منها فنى

ما قنى المالَ ولكن دهرَه *** تحت ظل السيف أو سمر القنا

تالياً للذكر بكّاء إذا *** قهقه المغرور في دنيا الغنا

هذا وأصلي وأسلم على خير خلق الله محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللقاء الثاني لمؤسسة السحاب مع الشيخ بعد النجاة من سجن باجرام





مراسل مؤسسة السحاب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وبعد:

يسر السحاب للإنتاج الإعلامي أن ترحب بالشيخ أبي يحيى الليبي في لقائها الثاني بعد مرور عامين من نجاته من سجن باجرام.

ونسأله بداية: شيخنا الكريم بعد مرور هذه المدة على نجاتك من الأسر واحتكاككم بالمجاهدين وبقائكم بينهم كيف تقيمون المسيرة الجهادية بصورة عامة وفي أفغانستان بصورة خاصة ؟

الشيخ أبو يحيى الليبي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

بين يدي الجواب أتقدم بالشكر الجزيل لمؤسسة السحاب الإعلامية على مجهودها الكبير الذي تقوم به لتبليغ المنهج الحق والصورة الناصعة للإسلام بعيداً عن الترقيع والتلفيق ومناهج التوفيق التي أصبح تبنيها أحد سمات العصر وربما من مفاخره.

أما عن الجواب أخي الكريم فيمكن وضعه في فقرتين:

الأولى: تتعلق بالتقدم العلمي المنهجي الفكري إن صح هذه التعبير الذي أحرزه ويحرزه المجاهدون يوماً بعد يوم وهذا سواء كان من جهة النظر إلى أصحاب هذا المنهج وحملته داخل الأمة الإسلامية التي ينتمون إليها أم من جهة فرض رؤيتهم واتساعها على مستوى الأمم والشعوب جميعاً ودخولهم لحلبة صراع الأفكار وتدافع المناهج بقوة وثقة وبصيرة وفهم ليقول المنهج الجهادي وسط هذه المعمعة هاأنذا فأين المنازل، فبفضل الله عز وجل نحن نلحظ وبكل وضوح تفوقاً وتقدماً يحرزه المنهج الجهادي في جميع الاتجاهات النظرية العلمية عبر تأصيلاته الشرعية وتحليلاته للواقع ونظرته للأحداث وتوصيفه للقضايا وإعطائه تصورات شرعية واضحة محددة لكثير من الشؤون الكبرى التي تمس الأمة الإسلامية داخلياً وخارجياً، وبتنا نشعر ونرى ترقب الأمة الإسلامية لكلمة المجاهدين في جل الأحداث التي تقع بين الحين والحين، وأصبح الصوت الجهادي هو المقدم عندها والمعبر عن رأيها ورؤيتها، ولم يعد الجهاد كمنهج كلي مغموراً بين ركام الأفكار ولا مغيباً تحت مختلف المناهج، بل أصبح وبفضل الله أولاً وآخراً يدافع كل المناهج والأفكار والتصورات المنحرفة، يقابل الحجة بالحجة، والبيان بالبيان، يناقش الأطروحات ويرد الشبهات ويزيل الضلالات ويصحح الأخطاء ويقوم الاعوجاج ويقول كلمته بالصفاء والنقاء لا يخاف في ذلك لومة لائم.

وغدا الطرح العلمي المؤصّل لمنهج الجهاد تظهر آثاره على كثير من الحركات الإسلامية والتي كان كثير من عناصرها كالمخدرين بتصورات أشبه ما تكون بالخيالات منها إلى الصلة بالشرع والواقع وهذا كله بالنظر إلى الأمة الإسلامية.

أما إذا وسّعنا دائرة النظر وانتقلنا إلى مدى بلوغ وتأثير صوت الجهاد إلى العالم ككل سواء كان على مستوى الحكومات أم الشعوب فإننا سنسمع أصداء هذا الصوت يتردد من أعماق العالم الكافر في أوروبا وغيرها وكما يقال فإن لكل فعل رد فعل فما هذه الهجمة الإعلامية الشرسة التي يشنها أهل الكفر وبصور مختلفة ومتنوعة على الجهاد والمجاهدين إلا بسبب الزلزلة التي يحدثها تناول المجاهدين وتحليلهم للمسائل الكبرى التي يأبى هؤلاء أن ينظروا إليها نظراً منطقياً صحيحاً بعيداً عن التلبيس والتدليس والتحريف والتزييف، وبالجملة فإن الجهاد كعبادة وشعيرة إسلامية لها أحكامها وآدابها وضوابطها وقواعدها أصبحت تنتشر وتتسع وتزداد وتقوى وتتقدم ولهذا فإن محاولة الدول الكافرة ومن ورائهم عملاؤهم في المنطقة إماتة الروح الجهادية في الأمة وإرجاعها إلى الوراء وخنقها بحبال التضييق المتنوعة إنما هو ضرب من العبث اليائس ستكون كل تلك الجهود التي تُبذل والأموال التي تُنفق وبالاً عليهم وحسرة في قلوبهم وسيستمر الجهاد في النمو والعلو والاتساع وإن كرهت قلوبهم ورغماً عن أُنوفهم مصداقاً لقول الله عز وجل: (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ).

وقوله سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ).

أما ثاني الفقرتين: فهي تتعلق بالإنجاز العملي المتمثل في الجهاد المسلح الذي تخوضه الأمة الإسلامية اليوم في ساحات كثيرة وأثبت فيه المجاهدون –الذين هم جزء من أمتنا– بأن منازلة الأعداء في ساحات القتال هي أملٌ طالما تمنوه ورغبوا فيه وحرصوا عليه لعلمهم أن انكسار العدو عسكرياً وتبدد قوته سيعني بلا شك تقهقرهم فكرياً لأن النفوس مشغوفة بتقليد الأقوى ومعركتهم التي يخوضونها هي مع أقوى قوة عالمية، فأمريكا التي هي إحدى أمهات الخبائث في هذا العصر كانت قبل بضع سنوات تتبجح بقوتها وتتباهى بجيشها وعتادها وكان الجميع خاضعين لها مستسلمين لقراراتها فلا انتقاد ولا اعتراض ولا مراجعة إنما هو الاستجداء والتوسل وتقبيل أعتاب البيت الأبيض ونعال ساسته، أما اليوم فأين أمريكا وأين قوتها وبهرجتها، أين شعارات من لم يكن معنا فهو ضدنا ؟

أين كلمات التهديد وعبارات التوعد، أين بطر وكبر الجيش الأمريكي وساسته ؟

بل أين قيمة الجندي الأمريكي الذي كان مقتله يتصدر قائمة الأخبار في جميع وسائل الإعلام، واليوم صار يُجرجر في شوارع بغداد ويُعلق على جسور الفلوجة ويتدحرج فوق صخور أفغانستان ويتفحم وسط عاصمتها كابل ومع ذلك فخبره يمر مروراً عابراً خاطفاً بلا اهتمام ولا تحليل هذا إن ذُكِر في وسائل الإعلام ولم تعتبره خبراً هامشياً لا يسعه وقت أخبارها وبرامجها.

ومن هنا فعلينا أن نسأل سؤالاً صريحاً من الذي أوصل القوة الأمريكية إلى هذه الهاوية ؟

من الذي ميّز بين اللحم والورم فوَضَعَ أمريكا على المحك وفي كفة الميزان ثم بيّن للجميع وزنها وقيمتها وأظهر حقيقتها ؟

إنك ستُجيبني بلا شك بعد فضل الله عز وجل وتوفيقه إنهم المجاهدون بلا مُنازع، سواء في أفغانستان أو العراق أو الصومال أو في قلب أمريكا.

ولهذا فلو لم يكن من مكاسب الجهاد والمجاهدين العسكرية إلا هذا لكفاهم فخراً ونصراً وظفراً، فكيف والأمر أكبر من ذلك بكثير والمكاسب بفضل الله ومدده متوالية متتالية واتجاه المعركة إن شاء الله يسير نحو ما خطط له المجاهدون وما يريدونه.

وأفغانستان هي إحدى حلقات هذه المواجهات بل هي الساحة الأم باعتبار الأقدمية وأهلها الأبطال قد تمرسوا في مواجهة قوى الكفر وأتقنوا تفتيت الإمبراطوريات الواحدة تلو الأخرى والتي نسأل الله أن تكون أمريكا أخرها.

فيمكن أن تضع مقارنة بين ما كان عليه المجاهدون من إخواننا الطالبان وأنصارهم وما هم عليه، حيث كانت السنة الأولى من سقوط إمارة أفغانستان الإسلامية –أعادها الله– سنة يأس وإحباط إلا لمن ثبّته الله بنور اليقين وقوة الإيمان والثقة بوعد الله عز وجل، أما اليوم والفضل لله وحده فأصبح المجاهدون مُطارِدين لا مُطارَدين ومُستهدِفين في الأغلب لا مُستهدَفين وصارت العمليات العسكرية بشتّى أنواعها تضرب في أعماق المدن الأفغانية بل وفي قلب القواعد العسكرية المحصنة وسيطر المجاهدون على مساحات شاسعة واسعة من أرض أفغانستان وباتت تحت قبضتهم وسلطانهم وأصبح هناك جيل جديد من المجاهدين يتدفقون بالآلاف على ساحات القتال وقد انكشف لهم زيف الدعايات وأزيل عن قُلوبهم التهويل الذي كان أحد الأسلحة التي استخدمها العدو ضدهم في أول المعركة وبدأ العدو يتخبط في قراراته ويتردد حتى في إمداد قواته والحمد لله رب العالمين.

مراسل مؤسسة السحاب:

رسمت لنا صورة مشرقة عن الجهاد والمجاهدين فكرياً وعسكرياً، ولكن هناك من يخالفكم في هذا التقويم ويرى أن الصورة فيها نوع مبالغة أو ربما هي على عكس ما ذكرتم، فعلى الصعيد العسكري قد قُتل أو اعتُقِل كثير من قادة المجاهدين وعلماؤهم، وعلى الصعيد الفكري فلا يخفى عليكم التراجعات التي صدرت أو نُسبت إلى بعض الرموز الجهادية بل بعض الجماعات الجهادية، فما قولكم؟

الشيخ أبو يحى الليبي :

من البديهي حينما نقول إننا في جهاد وقتال ومدافعة فهذا يعني بالضرورة أن هناك تضحيات سيقدمها ويبـــذلها هؤلاء المجاهدون، وعندما نصف أنفسنا بأننا في معركة وعلى جبهات مختلفة ومفتوحة فمعنى ذلـــك أن المعركـــة تحتاج إلى وقود وزاد وطاقة تتحرك بها عجلتها، وأنا لم أقل في جوابي السابق أننا لم نقدم شيئاً من التـــضحيات في المواجهة الساخنة والشرسة بيننا وبين أعدائنا الصليبيين وأذنابهم فهذا لم نقله ولا يمكن أن نقوله، وهل الجهاد إلا الجروح والقروح والقتل والقتال والحرب السجال ؟

فكل من وفقه الله عز وجل والتزم عبادة الجهاد فهو بذلك قد مهّد لنفسه الطريق بقاعدة عامة يتعامل بها مـــع كل خطوة يخطوها في مسيرته الجهادية تلك القاعدة التي أوضحها القرآن أتم إيضاح فقال: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ و هما النصر أو الشهادة، وقال الله عز وجل: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ فميزان الإســـلام في تقـــويم الأمور وقياسها ليس ميزاناً دنيوياً محضاً مبتوراً عن عالم الآخرة، فكفّته التي نزن بها قيمـــة الأعمـــال الجهاديـــة جزؤها الأكبر يتصل بعالم الآخرة عالم الأُجور والثواب والمكافأة العظمى من الكريم الوهاب، أما باقي جزء هذه الكفة فهو المرتبط بالدنيا ومصالحها والذي يوضع فيها حلاوة النصر والظفر والتمكين، وعليه فبهـــذا التـــصور الصحيح للتعامل مع الربح والخسارة والنصر والهزيمة والتمكين والإخفاق علينا أن ننظر إلى أعمالنا الجهاديـــة، وتأمل معي الحديث الذي يرويه الإمام مسلم وغيره عن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من غازية أو سرية تغزو فتغنم وتسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجـــورهم، وما من غازية أو سرية تُخفق وتُصاب إلا تم أُجورهم"، ولهذا نهى الله عز وجل المؤمنين عن التعامل مـــع أمـــور الجهاد بهذه الطريقة ورد على من جعل سبيل التعقل هي طلب السلامة والبعد عن المخاطرات والانطواء علـــى الذات فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَـــانُوا غُزّىً لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيـــتُ وَاللَّـــهُ بِمَـــا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وكما قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، ومن هنا فقد شدد الله عز وجل النكير على النفر الذين حاولوا التخلي عن المعركة ووضع الـــسيوف بمجرد إشاعة مقتل النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد وهو أعظم مصيبة يمكن أن يبتلى بها المسلمون على الإطلاق إلى يوم القيامة وبيّن لهم أن موت أو قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقدانه لا يعني التراجـــع ولا يعني الخسارة في ميزان الجهاد ولا يُقبل معه الانقلاب على الأعقاب فقال سبحانه : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَـــدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَـــضُرَّ اللّـــهَ شَـــيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

خذ مثلاً حادثة المسجد الأحمر في إسلام آباد والتي أعتبرها نقلة نوعية في الحيـــاة الجهاديـــة المعاصـــرة بجميـــع المقاييس، فلو أردنا أن نضعها في كفة ميزان الربح والخسارة الدنيوي والذي كثيراً ما يموهه أصحابه بالتعقـــل والفهم العميق والتعامل مع الواقع بحكمة ورزانة وغير ذلك فإن أصحابه لا شك أنهم سيوصفون بأنهم متهورون

طائشون عديمو الخبرة قد ورطوا أنفسهم في معركة لا قِبل لهم بها فأهلكوا أنفسهم وأدوا إلى تضييع جهود واعدة تصب في مصلحة باكستان وغير ذلك، ولكن لو وضعت هذه الحادثة في الميزان الإسلامي الصحيح الذي يرتبط بعالم الآخرة فإنك ستجد نظيرها قد حصل زمن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قُتل في بئر معونة سبعون من علماء الصحابة، وتنبه لقولنا من علماء الصحابة يعني بالتعبير العصري المعهود من كوادر الدولة بل من أعلى طبقاتها وهذه لو حصلت في هذا العصر لعُدت نكبة من النكبات ولتغير تجاهها سياسات وحصلت تراجعات ولتوالى النقد اللاذع من هنا وهناك، ولكن انظر ما يقول الصحابة رضي الله عنهم حيث عدوا هذا منقبة من مناقب الأنصار كما قال قتادة: "ما نعلم حياً من أحياء العرب أكثر شهيداً أعز يوم القيامة من الأنصار"، وقال أنس : "قُتل منهم يوم أحد سبعون ويوم بئر معونة سبعون ويوم اليمامة على عهد أبي بكر سبعون"، وأعظم من ذلك نيل رضوان الله عز وجل كما قال أنس رضي الله عنه : "أُنزِل في الذين قُتلوا ببئر معونة قرآن قرأناه ثم نُسِخ بعد، بلغوا قومنا أنّا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه".

فهذا الجزء الأخروي هو المفقود في معادلة تقويم الربح والخسارة في معركتنا مع أعدائنا وبالطبع هذا لا يعني لا عقلاً ولا شرعاً التهاون في الأخذ بالأسباب ولا التفريط فيما يمكن القيام به منها والاجتهاد في سد الخلل وتكميل النقص والاستفادة من التجارب وتمحيصها ومحاسبة المقصرين في ذلك ولكن هذا شيء وجعل ما يقدمه المجاهدون من التضحيات مهما كانت باهظة عقبات وحواجز تمنع بها مواصلة المسير شيء آخر وعليه فمقتل من قُتِل من قادة المجاهدين الذين كان لهم أعظم الأثر وأبلغه في معركة الإسلام المعاصرة بين حزب الرحمن وحزب الشيطان يُعد جزءاً من التضحيات التي كان أصحابها أحرص الناس عليها وأكثرهم طلباً لها وإدراكاً لقيمتها، ومقتل هؤلاء القادة الأجلاء وإن كان له بعض التأثيرات السلبية على الجماعات الجهادية، إلا أن جوانبه الإيجابية لا تكاد تقل بل ربما تربوا على هذه السلبيات ومن أعظمها إثبات قوة ولاء أهل هذا الدين لعقيدتهم وشريعتهم وأنهم مستعدون أن يتخلوا في سبيل تحقيقها وإقامتها وتمكينها عن كل شيء حتى ولو كانت نفوسهم وحياتهم.

ومن تلك الجوانب أيضاً البرهان القاطع على أن شريعتنا وجهادنا بالخصوص ليس مرتبطاً بفردٍ من الأفراد مهما علا قدره وظهر أثره بل هو عقيدة باقية وشريعة محفوظة تتقوى وتشتد وتثبت بقدر الدماء التي يبذلها أصحابها من أجلها، ألم يقل القرآن: (وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) وأنا أضرب لك أمثلة على ذلك:

قبل مقتل الشيخ المجاهد أبي مصعب الزرقاوي رحمه الله وهو أبرز قادة الجهاد الذين فقدتهم الساحة تقريباً كانت الآلة الإعلامية الأمريكية تُحاول أن تُقنع شعبها البائس بأن نصرها في العراق سيتحقق بمجرد مقتل أو أسر هذا القائد البطل حتى جُعلت قضية العراق هي قِصة أبي مصعب رحمه الله واعتبروه كخيط المسبحة الذي إن انقطع توالت حباتها في السقوط، ولكن هل كانت أحلام وأوهام إدارة بوش صادقة في ذلك ؟

والجواب هو ما نراه اليوم في العراق والتقدم الكبير والمتواصل الذي حققه ويحققه المجاهدون هناك، والخسائر الفادحة اليومية التي يتكبدها الأمريكان وأذنابهم.

ومثل ذلك استشهاد القائد داد الله رحمه الله في أفغانستان حيث ضخّم الإعلام قضية مقتله واعتبرها مسألة فيصلية في مسيرة الجهاد الأفغاني، وزعم أن استشهاده سيؤدي إلى انكسار أو انحسار الأعمال الجهادية وخاصة العمليات الاستشهادية ولكنّ الواقع اليومي وبالنظر إلى ما تتلقاه القوات الصليبية وحكومة العمالة في كابل يكذب تلك الدعاوى تكذيباً صريحاً والعلميات الاستشهادية اليوم تضرب في قلب العاصمة الأفغانية كابل وقندهار وخُوست بل وفي سائر الولايات الأفغانية ولم يظهر أي تأثر على العمل الجهادي الميداني في أفغانستان والحمد لله.

ولهذا فالأمريكان أنفسهم أصبحوا يدركون تمام الإدراك أن المسيرة الجهادية لا تتوقف حركتها على وجود قائد بعينه ولا يمكن أن تسقط بفقدانه، وأصبح تعاملهم مع الجماعات الجهادية مبني على هذه القناعة، فراحوا يقرعون أبواباً أخرى لعلهم يكسبون بها هذه الجولة من المواجهة مثل ما أسموه بحرب الأفكار وغيرها.

وخلاصة الأمر في هذه المسألة أننا نقول نعم إن المجاهدين قدّموا وبشرف واعتزاز العديد من قادتهم الأبطال قدّموا خالد الشيخ، قدّموا أبا أنس الشامي، قدّموا أبا مصعب الزرقاوي، قدّموا أبا عمر السيف وقبله خطّاب، قدّموا الملا داد الله، قدّموا عبد العزيز المقرن وغيرهم كثير، وأخيراً قدّموا الشيخ عبد الرشيد غازي رحمهم الله جميعاً، وهم لا يُخفون هذا ولا يجعلونه وبحسب الميزان الشرعي خسارة يوقفون بسببها أعمالهم الجهادية وإنما يجعلون دماء هؤلاء القادة مُحرِّضاً ومُحفِّزاً لهم للثّبات على طريقهم والتأسي بهم والاجتهاد للأخذ بثأرهم والأمة مليئة بالأبطال الذين يسدون هذه الثغرات وكما خرّجت المدرسة الجهادية هؤلاء فستُخرِّج غيرهم، وكما قاد هؤلاء سيقود سواهم بإذن الله:

إذا سيّدٌ منا خلا قام سيّدٌ *** قؤولٌ بما قال الكِرام فعُولُ

أما عن قصة التراجع والتي يحاول البعض أن يجعلها هزيمة للمنهج الجهادي فكرياً وضربة قاصمة له وقاضية عليه فهي إحدى حلقات الصراع التي ابتكرها أئمة الكفر في دهاليز أجهزة الأمن المصرية لتقدمها كوصفة طبية جديدة يمكن أن تساهم في علاج المأزق الحرج الذي يجدون أنفسهم وأسيادهم فيه، والذي سببه لهم المد الجهادي المتدفق محلياً وإقليمياً وعالمياً فسارعت بعض الدول العربية إلى تلقفها كدولة آل سعود أو ليبيا والأردن وغيرها ولهذا فنحن لا ننظر إلى التراجعات التي صدرت أو قد تصدر من هنا أو هناك بنظرة ضيقة نحصرها في أن فلاناً قد تخلى عن ما كان يحمله من منهج قتالي جهادي فندخل معه في دوامة الردود والمناقشات التفصيلية إلا إذا كان على سبيل التّبع ورفع اللبس لا الأصل .

وإنما ننظر إلى قضية التراجعات على أنها فكرة جديدة متكاملة هي جزء من منظومة حرب الأفكار التي تعد إحدى جبهات المواجهة الشرسة بيننا وبين أعدائنا الصليبيين وأذنابهم وعليه فنتعامل على هذا الأساس ومن هذا

المنطلق وإلا فنحن نحفظ من نسب إليهم التراجع سابقتهم وجهادهم ومكانتهم وقدرهم، ونقدر أيضاً ظروف الكثيرين منهم بما صدر أو قد يصدر عنهم من أفكار طارئة ترشحت من ظلمات الزنازين وتحت سياط الجلادين وسياسة القهر والإكراه. ولعلك توافقني أن أفكاراً صدرت في ظروف كهذه لا يمكن أن تعطي القناعة الحقيقية لصاحبها.

مراسل مؤسسة السحاب :

و كيف ترون الطريقة الصحيحة في التعامل مع هذه القضية ؟

الشيخ أبو يحيى الليبي :

يمكن أن ألخص لك الطريقة الصحيحة حسب نظري في التعامل مع هذه القضية الخطرة في نقاط:

الأولى:

أن الظروف التي يعيشها هؤلاء الإخوة الأسرى الذين ينسب إليهم التراجع هي ظروف إكراه وقهر وانتزاع للأقوال بالإرغام والجبر والضغط على هؤلاء الأسرى وابتزازهم بوسائل قذرة لتأصيل أفكار ومناهج يدرك كل من له أدنى فهم أنها أبعد ما تكون صلة بالدليل الشرعي والتأصيل العلمي .

ولهذا فالإنصاف يوجب علينا التوقف في اعتبار هذه الأفكار والمناهج الجديدة المطروحة مطابقة لقناعات أصحابها حتى يتكلموا بها ويتبنوها وهم في كامل حريتهم وتمام اختيارهم، فإذا كان الشرع قد جوّز للمسلم أن يتكلم بكلمة الكفر وهي أعظم ما يمكن قوله في حالة الإكراه مع اطمئنان القلب بالإيمان فكيف بما دونه، فقد قال الله عز وجل: (مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ).

الثانية:

للذين يريدون أن يجعلوا قضية التراجعات عنواناً بارزاً قد خطّ عليه (هاهم إخوانكم فكونوا مثلهم) ، نقول لهؤلاء: يجب التفريق بين الاستفادة من التجارب واستخلاص الدروس منها وبين الاعتبار بأحداثها و بين جعل تلك التجارب حكماً عدلاً و قولاً فصلاً عند موارد النزاع و مواطن الاختلاف، فالحكم و الفصل و رفع الخلاف إنما هو لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وبهما فقط توزن أقوال العباد وأعمالهم ويرفع نزاعهم قال الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً).

فمن هنا فليس صحيحاً بأي وجه من الوجوه أن نجعل تراجعات المتراجعين وتجارب المجربين مهما كانت مرتبتهم أن نجعلها حجة شرعية نرجع إليها عند الخلاف، فلا يأتي أحدٌ ويقول لنا أنتم مازلتم مصرين على طريقتكم ومنهجكم ومستمسكين بأفكاركم وقد تراجع عنها فلان وفلان وهو من هو في العلم والسابقة ! فنقول نعم، هم من أهل العلم والسابقة ولكن هذا لا يضفي على أقوالهم قدسيةً تجعلها مسلمةً لا مجال فيها للنقد والاعتراض فالواجب علينا شرعاً و ديانةً أن نقيس أقوال كل متراجع بالميزان الشرعي الدقيق الذي لا يظلم فتيلاً، وأن نضع تلك الأفكار الطارئة على محك الأدلة لنرى مدى قربها أو بعدها عن الحق وحينها فقط نحكم بتخطئته أو تصويب أي فكرة تصدر من هنا أو هناك ، أما القبول المطلق والتسليم الكامل والتحاكم العشوائي للتجارب والمراجعات من غير عرضٍ لها على كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فهذا مدحضةٌ ومزلّةٌ لا يسلم معها دين المرء، ولا يمكن أن يكون سبيل من طلب الحق وتوخى معرفته وأتباعه.

الثالثة:

نسأل الله أن يثبتنا على الحق ويثبت إخواننا المسلمين داخل السجون و خارجها ، فحتى لو كانت تلك التراجعات التي كانت تنسب إلى البعض صدرت عنهم بمحظ اختيارهم و كامل قناعتهم فأسباب التراجع ليست محصورة دائماً في الانتقال من الخطأ الصريح إلى الحق الصريح، حتى يُجعل كل متراجع قدوة لمن وراءه فهناك أيضاً تقلب القلوب وتنكرها للهدى، ألسنا نقرأ في كتاب الله عز وجلّ دعاء أهل الخوف و الوجل و الإشفاق: (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ)، و كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"، فقيل له في ذلك ، قال :" إنه ليس آدمي إلا و قلبه بين إصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام و من شاء أزاغ " .

و يُروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "من كان مستناً فليستن بمن قدمات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة"، نسأل الله أن يعافينا و إخواننا المسلمين من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

مراسل مؤسسة السحاب :

أشرتم سابقاً إلى أن قضية التراجعات هي جزء من منظومة حرب الأفكار التي تشن ضد المجاهدين فهل يمكن أن تبينوا لنا أهم محاور هذه الحرب و بعض الوسائل المستخدمة فيها ؟

الشيخ أبو يحيى الليبي :

أدرك الصليبيون و على رأسهم أمريكا ومن ورائها أذنابها بالطبع أن الجهاد ليس كما كانوا يتصورونه هو مجرد عمليات عسكرية عابرة لا تعدوا دوافعها أن تكون ردات فعل للواقع المرير الذي يشعر به المجاهدون تجاه أمتهم، و لا هو فقط محاولة لرفع معاناة اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية بحيث يمكن امتصاص ذلك الفوران ببعض الترقيعات الإصلاحية لتخدير الأمة ومن ثم العودة لإجراء العمليات الجراحية التي يتم بها تقطيع أوصالها

من غير أن تشعر ، كلا ! وحيث توصلوا لهذه الحقيقة نشطوا في فتح جبهات جديدة ضد المجاهـــدين و تعتمـــد على محورين:-

الأول: محور التفكيك الداخلي للجماعات الجهادية بل للمنهج الجهادي ككل، فبعد احتكاكهم بالمجاهـــدين و اطلاعهم على كثير من تفاصيل أفكارهم التي توصلوا إليها من خلال ما يدونه المجاهدون في أدبياتهم أو يلقونـــه في كلماتهم أو من خلال المناقشات التي تحصل بين الحين والحين داخل مكاتب التحقيق وراء القضبان بعد هـــذا كله علم هؤلاء أن الأمر أكبر وأعمق من أن يكون مجرد فرقعات هوائية أو ردود أفعال مؤقتـــة أو انعكاســـات مجردة لمعاناة متداخلة، و أدركوا أن الجزء الأكبر من المعركة يكمن في القناعات الراسخة، و المنطلقات العقدية المنهجية التي يتبناها و يتعامل من خلالها المجاهدون و التي تعد المحرك و الدافع الحقيقي لهم فيما يقومون به مـــن أعمال ضد هذه الدول الكافرة و أحزابها، و من هنا فكروا و قدروا ثم نظروا ثم فكروا وقدروا فتوصلوا إلى أن جزءاً كبيراً من المعركة يعتمد على خلخلة القناعات التي يبني عليها المجاهدون مسيرتهم والتشكيك في المنطلقات العقدية التي يعد أكثرها من المسلمات عندهم، و بهذا يحدث تصدع و ربمـــا انهيـــار للمرتكـــزات و القواعـــد الأساسية التي يقوم عليها المنهج الجهادي، ونحن نعلم أن التذبذب و التردد والاضطراب العملي هو انعكـــاس وتعبير عن التذبذب والتخلخل والغبش العقدي والمنهجي ، فهذا هو المحور الأول الذي تنطلق منه فكرة حرب الأفكار الموجهة ضد المجاهدين والتي صارت جزءاً أصيلاً من المعركة الصليبية العارمة.

أما المحور الثاني: فهو محاولة عزل المجاهدين عن الأمة و محاصرتهم داخلها واعتبارهم جسماً غريباً ناتئـــاً داخـــل المجتمع الإسلامي يجب استئصاله، لأننا نعلم أن المجاهدين ما هم إلا جزء لا يتجزأ من الأمـــة الإســـلامية دينـــاً وعقيدةً وانتماءً .

فإن استمرار هذا التصور و ما يترتب عليه من قضايا عملية يعني تواصل تدفق المد الجهادي وانتعاشه من خلال احتضان الأمة له وشعورها واقتناعها بأنه امتداد لجهودها ودعمها بشرياً ومعنوياً واقتصادياً، فيريد الـــصليبيون وضع حواجز و موانع تحول بين الشعوب المسلمة وبين هذا الفهم والشعور بحيث تصبح كـــل القـــضايا الـــتي يطرحها المجاهدون لا تعبر عن ضمير الأمة وعقيدة الأمة و نظرة الأمة و إنما هي أفكار شاذة منبوذة محـــصورة في طائفة صغيرة تتصرف بعشوائية وارتجالية و بهذا يصبح المجاهدون في طوق مغلق والتآكل يأخذهم من الـــداخل فلا يلبثون أن يتلاشوا و ينتهوا .

مراسل مؤسسة السحاب :

و حسب نظرتكم ما هي الوسائل التي يمكن أن يستخدمها الصليبيون لتحقيق هذا الهدف ؟

الشيخ أبو يحيى الليبي :

أولاً: أقول و بكل اطمئنان و إيمان أن هذا الهدف بمجموعه وشموله لن يتحقق، و يقيننا في ذلك لن يتطرق إليه أدنى شك، لأن ما يسمى بالقناعات أو المنطلقات هي عبارة عن أصول و أسس شرعية مبنية على أدلة شرعية ناصعة لامعة، و التي هي جزء من الدين الإسلامي الذي تكفل الله بحفظه و بقائه و لو كره الكافرون، كما أنه أصول الطائفة المنصورة الظاهرة على عدوها إلى قيام الساعة.

نعم قد يكون لهذه الحرب "الفكرية" تأثير على بعض الأفراد وربما الجماعات وقد تحدث شيئا من الاضطراب و التشويش في بقعة من البقاع، أما أن تقود إلى استئصال المنهج الجهادي استئصالاً كاملاً و إماتته إماتة لا قيام له بعدها فهذا ما لن يحدث أبداً إن شاء الله.

وعودة إلى سؤالك المتعلق بالوسائل التي يستخدمها أعداؤنا في حربهم الفكرية فأقول:

إن هؤلاء الأعداء ليست لهم في حروبهم أخلاقيات يقفون عندها ومن ثم فليس لهم لبلوغ غاية النصر وسيلة ينضبطون بها و لا يتعدونها إلى سواها فالكذب والاختلاق و بث الإشاعات وارتكاب أقذر الأفعال و أخسها كلها عندهم من الوسائل التي لا تنفك عن حربهم طرفة عين ولكن حينما نتحدث عن الحرب الفكرية فإنها فيما يظهر لي يمكن ذكرها في عدة نقاط أساسية :

الأولى :

الإعلان عن تراجع بعض قيادات المجاهدين داخل السجون و تخطئتهم لأنفسهم فيما كانوا عليه وإشهار نصائحهم لإخوانهم للتخلي عن الطريق الذي يسيرون فيه، و الإعلام حاضر بقوة في هذه العملية لإجراء اللقاءات و نشر مقالات و كتب التراجعات و تضخيمها و التهويل من شأنها وإظهارها على صورة مسلّمات غير قابلة للنقاش والأخذ والرد وقد تحدثت عن هذه النقطة سابقاً و ذكرت لك الأسس الصحيحة للتعامل معها.

الثانية :

اختلاق بعض الأكاذيب المنفرة أو التضخيم والنفخ في بعض الأخطاء التي لا تخلو منها ساحة جهاد واعتبارها انحرافات لصيقة بالمنهج الجهادي و جزءاً لا يتجزأ منه و توسيع دائرتها لتكون حُكماً عاماً يشمل جميع الجماعات الجهادية و في كل ساحات الجهاد .

مراسل مؤسسة السحاب :

يا شيخ لو تعطينا مثال.

الشيخ أبو يحيى الليبي :

مثل القول بأن المجاهدين يكفرون الأمة و يكفرون علماءها و يستحلون دماءهم و أموالهم وتصويرهم على أنهم شرذمة قليلون خارجون عن القانون و مشاقون لسبيل المؤمنين وأن أفكارهم أفكار غلو وتطرف و تشديد وانغلاق وغلظة لا تمت إلى رحمة الإسلام وسماحته ورفقه بصلة ومن طرائف ما سمعته هنا قول بعض من يسمون بالمحللين والخبراء بالجماعات الإسلامية: "إن دستور تنظيم القاعدة ينص على قتل كل من يخرج عنها"! ونحن نقول لهؤلاء المفترين الذين لا يستحيون من الكذب الفاضح هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، أرونا هذا الدستور الذي اطلعتم على هذه الفقرة فيه ونحن نتكفل لكم بنشره على أوسع المستويات وعلى كافة الأصعدة، فتنظيم القاعدة وقادته أسمى وأرقى وأنقى من أن يتنزلوا إلى هذا الحضيض المنتن من السفاسف، فهم ليسوا أصحاب أعمال عشوائية ولا أفعال ارتجالية ولا مصالح وهمية وقتية ولا يخبطون في سيرهم و سيرتهم خبط عشواء و إنما هم يقيمون منهجهم على الدليل الشرعي الواضح والقواعد الإسلامية الراسخة والمحكمات العقدية القاطعة ومعالم مسيرتهم يدركها كل أحد بشرط واحد وهو أن يكون متجرداً في البحث عن الحق والحقيقة و لم تعمه العداوة أو الحسد أو الجهل المطبق .

و من الوسائل التي أشرنا إليها أيضا التركيز على مسائل اجتهادية سلكها المجاهدون بناءً على اجتهاد شرعي و حاجة واقعية ، و جعلها محوراً في النقد و اعتبارها خطأً فاحشاً قطعا لا مجال لتصحيحه و لا لقبوله بل و التوصل من خلاله إلى إصدار أحكام ظالمة بلا تثبت و لا روية ولا برهان ، و أبرز الأمثلة على ذلك التفجيرات العامة التي يستهدف فيها المجاهدون أوكار التشريع الكفري و مراكز الإجرام الاستخباراتي والثكنات العسكرية وغيرها كما حدث في الجزائر وقبلها في جزيرة العرب ، فتصور تلك الأعمال المباركة على أن المقصود الأول بل ربما الوحيد هم عوام الناس وضعفتهم و يتخفى الإجرام المستهدف والردة المغلظة وراء مشهد يحرك العواطف و يثير العواصف تتناقله وسائل الإعلام بعضها عن بعض .

الثالثة :

و من أعظم الوسائل المستخدمة في الحرب الفكرية إصدار الفتاوى أو بالأصح استصدار الفتاوى التي تجرم الجهاد والمجاهدين وتصفهم بمصطلحات شرعية معروفة منفرة كقطاع الطرق والخوارج بل القرامطة والغلاة و غيرها، و تلصق بهم تهم العمالة والخيانة، وقد أتقن هؤلاء المفتون تحريف النصوص واعتادوا ليّ أعناقها بل لا بأس بكسرها أحيانا إن أبت المطاوعة بل وأصبحت الدول تكوّن لجانا خاصة من المشايخ لمناقشة المجاهدين المقهورين وراء قضبان السجون كما يحصل في جزيرة العرب إتباعا لسنة الحكومة المصرية، فقل لي ماذا تنتظر من شخصٍ يرى السيف فوقه و النطع أمامه و الشيخ يلقنه الحجة والبرهان على وجوب طاعة السلطان ؟! و لطالما دعا المجاهدون وعلماؤهم للمناظرة العلنية المفتوحة من غير شرط ولا قيد فهلا قبلها هؤلاء العلماء وواجهوا الحجة بالحجة قبل أن تكون الأيدي في القيد .

و زيادة في محاصرة المنهج الجهادي من قبل العملاء في المنطقة هناك مساعٍ حثيثة و جهود متواصلة لتقنين مصادر الفتوى و تحريم و تجريم من يحاول الخروج في الإفتاء أو الاستفتاء عن القنوات التي سيعينونها، و لتكون مهمة تلك القنوات الرسمية التسبيح بحمد الطغاة والتطبيل لهم و التسويغ لقبائحهم، و في المقابل الطعن في المجاهدين و إثارة الشبهات حول أفعالهم وإصدار الفتاوى الحازمة ضدهم .

الرابعة :

تقوية و دعم بعض المناهج التي تتبناها الحركات الإسلامية البعيدة عن الجهاد، لاسيما ذات المنهج الديمقراطي وجماعات تمييع وتطويع النصوص وتذليلها لتوافق حضارة الغرب وثقافة الغرب ومناهج الغرب، و إظهارها في مظهر البديل المعتدل المتزن المتعقل المتحضر، و من ثم دفع هذه الجماعات للمواجهة الفكرية مع الجماعات الجهادية، وتغذية تلك المواجهة وإشغال المجاهدين بها وهي إحدى خطوات عزل المجاهدين داخل المجتمعات و وضعهم أمام سيل جارف من الأفكار والمناهج التي تجد دعماً و تقوية و نشراً من جهات متعددة حتى إذا انتهت مهمة تلك الجماعات قلب لها ظهر المِجنّ و ستقول بعدها أُكلت يوم أكل الثور الأبيض .

الخامسة :

قتل أو أسر أو تحجيم أو تشويه الرموز الجهادية الموجهة و المرشدة و عزلها و منعها من إيصال صوتها للناس و إخلاء الساحات منهم أو حسرهم قدر الإمكان فبعدها سيصبح المجاهدون بلا مرجعية يثقون بها ثقة كاملة تقوم بتوجيههم و ترشيدهم و كشف الشبهات عنهم، و تضبط مسيرتهم بالعلم و الفهم و الحكمة، فيؤدي ذلك بتدخل بعض من لم ينضج في هذا الطريق نضجاً كاملاً أو من هو مناوئ لهم أصلاً فيبث ما شاء من الأفكار والآراء التي تحدث تشويشاً وغبشاً في الرؤية الصحيحة التي يجب أن يكون عليها كل مجاهد .

السادسة :

النفخ في بعض الخلافات الجزئية الاجتهادية التي قد تقع بين المجاهدين و تكبيرها و اعتبارها خلافات منهجية عقدية، و ابتكار أوصاف وأسماء جديدة لتلك الجماعات بناءً على هذه الاختلافات وجعلها مدخلاً لهم لتسعير نار النزاعات، و إلقاء التهم و نشر الإشاعات ليتوصلوا بذلك إلى انقلاب الاختلافات من جزئية اجتهادية قابلة للنظر إلى تصويرها على أساس أنها خلافات منهجية عميقة متضاربة تصنف على أساس الجماعات هل هي معتدلة أم متوسطة أم متطرفة، و لا شكَّ أن الأجواء إذا بلغت هذا الحد من التوتر صارت محضناً محفوظاً و ملاذاً آمناً للمرجفين و المخذلين والمثبطين، و صار الباب مفتوحاً على مصراعيه للطعن و التشكيك و إثارة التهم والرمي بالإفك، و عندها مهما حاول المجاهدون بيان الحق و كشف اللبس و الرد على التهم فسيكون صوتهم كصوت المبحوح وسط آلاف الناس الذين يصرخون بصوت واحد، هذا الصوت التي تمثله اليوم وسائل الإعلام بلا استثناء، والله المستعان!

و أنا أقول: إن ما يسميه هؤلاء الأعداء بحرب الأفكار ويحسبون أن هذا شيء جديد قد ابتكرته عقليتهم أقول إن عقول صناديد قريش الكافرة ومن حذا حذوهم من ثعابين المنافقين قد سلكوا هذا النوع من الحرب من الأيام الأولى لدعوة النبي صلى الله عليه و سلم، و هي حرب يمكن أن نسميها حرب الطعن و التشكيك و التشويه، فبعد أن قارعتهم الحجة و بهرهم البرهان و عجزوا عن مقابلته و ظهر هوانهم أمامهم طعنوا في حامله و مبلغه فقالوا عنه ساحر كذاب و قالوا معلم مجنون أو هو كاهن كما حكى القرآن عن أسلافهم: (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ)، و لما لم تفلح هذه الحجة و جعلوا أنفسهم عرضة للسخرية بسبب إثارتها لأن الجميع يشهد بصدق النبي صلى الله عليه و سلم و بأمانته و كمال عقله ووضوح بيانه وشمول دعوته استخدموا سياسة التهويش والتشويش واللغط والمهاترة ومنع الناس من الاستماع لصوته والإنصات لحجته وهي حجة المفلسين في كل حين وهو مطابق لما تمارسه وسائل الإعلام المرذولة على اختلاف مشاربها و تنوع أساليبها (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ).

مراسل مؤسسة السحاب:

ماذا تقصد بمنهج التمييع والتطويع الذي ذكرته ؟

الشيخ أبو يحيى الليبي:

هذا المنهج مما ابتُليت به أمتنا الإسلامية في هذا العصر، وفُتِن به الكثيرون ممن يُصفون بالمفكرين أو المتنورين أو المعتدلين أو الوسطيين، وحقيقة هذا المنهج هو تمييع حقائق الدين وتطويعها وإخضاعها لتوافق أفهاماً ورؤى وقناعات اعتقدها أصحابها خاصة القضايا التي يُستشعر معها مخالفة أو مصادمة لبعض المسائل التي روج لها الغربيون، فتجد هؤلاء التطويعيين لا يألون جُهداً ولا يدخرون وسيلة ليثبتوا بها موافقة الإسلام وتطابق أحكامه بل سابقيته لما ذهب إليه هؤلاء الغربيون، وللأسف فإن هذه العدوى قد أصابت كثيراً من علماء المسلمين ودعاتهم حتى صاروا من رؤوس هذه المدرسة هؤلاء العلماء الذين ألقى الله على عاتقهم تبليغ الرسالة ونشرها بين الناس كما هي من غير لبسٍ ولا غشٍ ولا يثنيهم عن ذلك رغبة ولا رهبة كما قال الله عز وجل: (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً).

فمدرسة التمييع والتطويع هذه جعلت كل مسائل الدين حمى مستباحاً تقتحمه عقولهم وتلغ فيه أفكارهم وتتناوله أبحاثهم ولا يحول بينهم وبين ذلك وازعٌ ولا مانع وهي مصيبة عظيمة من مصائبنا العصرية وقد بين القرآن هذه الحقيقة وكشف دخيلة أصحابها ودوافعهم فيما يفعلون وهو الزيغ والانحراف القلبي والذي نلخصه هنا في الافتتان بثقافة الغرب والانجراف وراء فتنة الفكر والنظر فقد قال الله عز وجل: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال: "إذا رأيتم الذين يتّبِعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّاهم الله فاحذروهم".

إذاً ينبغي للمسلم حتى يسلم له دينه ويصون نفسه من الزيغ والضياع في متاهات الضلال أن يحذر من هؤلاء ويُحذِّر منهم وأن لا يغتر بالأسماء والألقاب والشهرة وغير ذلك، فما يقوم به هؤلاء هو تلويث لمصادرنا الإسلامية وتدنيس لمفاهيمنا الخاصة الخالصة والتي حرص الإسلام على بقائها باستقلاليتها في مصطلحاتها ومعانيها ومضمونها للحيلولة دون تسرب أي شائبة تكدر هذا المنبع الصافي، وفي هذا قصة النبي صلى الله عليه وسلم حينما أتاه عمر رضي الله عنه فقال: "إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها ؟ فقال : أمُتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي"، وأنت ترى اليوم ما إن يتكلم مفكرٌ أو مثقفٌ غربي ويُثني على شيء مما جاء به الإسلام حتى يُجعل حجة على مصداقية الرسالة وكأننا مُفتقرون إلى مثل هذه الشهادات والأدهى من ذلك والأمر والأخطر أن الأمر سار بالعكس وهو أن أصحاب هذه الأفكار الفضفاضة صاروا يطوِّعون المعاني الإسلامية لتكون شاهدةَ صدقٍ على صحة كثير من أوجه الثقافة الغربية التي تُصادم الإسلام مصادمة كاملة في المفهوم كما تُخالفه في المصطلحات وأنا أرى أننا في حاجة إلى دراسة كافية وافية لأُسس وقواعد مدرسة الزيغ والتلاعب هذه واجتثاثها من أصولها وبيان خطرها على مسلّمات الدين ومدى إفسادها لمفاهيمهم ومباينتها التامة لسبيل تسليم القلب وانضباط الفهم الذي كان عليه السلف والعلماء الراسخون من بعدهم.

كما أنني أنبه هؤلاء الذين تولوا كبر ترسيخ مفاهيم هذه المدرسة وعاثوا في حقائق الدين فساداً تملقا للغرب الكافر إن هذا لن يرضيه عنكم ويوم خسرانك الحقيقي الكبير حينما تسمعون تصفيق الغرب الكافر لأفكاركم ورضاه عن ثقافتكم فهم يريدون منا الاقتراب منهم بالتنازل عن ديننا شيئاً فشيئاً ونقضنا لعراه عروة عروة، ولا بأس أن يتظاهروا لأجل ذلك ولو مؤقتاً بشيء من المرونة واتساع الصدر ولكن من غير أن يتنازلوا في الحقيقة والواقع عن شيء من عقائدهم وثوابتهم وأفكارهم كما قال الله عز وجل: (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) وقال سبحانه: (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) .

فنقول لهؤلاء التطويعيين المميعين لحقائق الدين ما قاله ربنا عز وجل : (قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ).

مراسل مؤسسة السحاب:

ذكرتم في المحور الأول للحرب الفكرية أن للجهاد أُسساً ثابتة وقواعد راسخة يقوم عليها، وهي التي يحاول العدو الصليبي وأذنابهم الوصول إليها، هل لكم أن تبينوا لنا أهم تلك الأُصول والركائز؟

الشيخ أبو يحيى الليبي :

أول تلك القواعد وأهمها في نظري هو الاعتقاد الجازم بأن الجهاد عِبادة شرعية بل هو من أعظم العبادات التي أمر الله بها في كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم في سنته، إن استيعاب هذا المفهوم استيعاباً عميقاً وفهمه فهماً صحيحاً يجعل الإنسان تلقائياً يتعامل مع الجهاد كما يتعامل مع الصلاة والصيام والحج وغيرها من شعائر

الإسلام، فالجهاد ليس خياراً يقابله خيارات أخرى ينتقى من بينها انتقاء، والجهاد ليس بديلاً عن وسائل أخرى مستقلة لها ذاتيتها وحلولها.

مراسل مؤسسة السحاب:

معذرة على المقاطعة، ألا يُعد الجهاد وسيلة وليس غاية ؟

الشيخ أبو يحيى الليبي :

هذا الكلام صحيح إذا فُهِم فهماً صحيحاً، ولكن كثيراً ممن يكرر هذه العبارة يخطيء في إدراك مضمونها وربما يتعمد ذلك، فالجهاد يُعد وسيلة إلى أعظم غاية وأجل مقصود ألا وهي توحيد الله عز وجل وتحقيق عبوديته في الأرض التي لن تحصل حصولاً كاملاً شاملاً إلا بالجهاد، وشرف الوسيلة بشرف الغاية، قال الله عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ أي إن لم تقاتلوهم فستكون فتنة والفتنة هي الكفر والشرك كما قال المُفسرون، وفي الحديث المُتفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُمِرتُ أن أُقاتِل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله " ... إلى آخر الحديث، والجهاد وسيلة أيضاً لإنقاذ المستضعفين ورفع الظلم والقهر والكف عنهم كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾، إلا أن الجهاد مع كونه وسيلة يُتوصل بها إلى هذه الغايات النبيلة وغيرها قد جعله الله تعالى غاية في ذاته بالنظر إليه من جهة أخرى يُمحّص بها أهل الإيمان ويتميز الخبيث من الطيب وترتفع به درجات أهل الصدق والإخلاص وتتفتح أنوار الهداية وسُبل التوفيق للمؤمن في أمور دينه، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾، وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وبما أن إقامة الدين والتمكين للشرع وكشف الذل والهوان الذي يعيشه المسلمون لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يُرفع ويُزال بغير الجهاد في سبيل الله وهو الطريق الوحيد لإدراك هذه الغايات فما هي الفائدة إذاً من الدندنة المستمرة حول جعل الجهاد وسيلة وليس غاية مع استخدام معنى خاطئ للوسيلة في هذا الموطن، قال النبي صلى الله عليه وسلم : "ما ترك قومٌ الجهاد إلا عمّهم الله بالعذاب"، وقال صلى الله عليه وسلم: "من مات ولم يغزُ ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق".

إن الفقهاء رحمهم الله حينما قسموا العبادات إلى مقصودة بذاتها ومقصودة لغيرها لم يدر في خلدهم أو يخطر ببالهم شيء من معنى الوسيلة التي يذهب إليها كثير من المعاصرين والذين جعلوا هذه العبارة مُتكأ لهم لترك الجهاد والتنصل من أعبائه والبحث عن بدائل أخرى يزعمون أنهم سيصلون بها إلى نفس الغاية التي يؤدي لها الجهاد، وللأسف فياليتهم صانوا تلك الغاية من التدنيس وشغب العقول والأهواء ولكنهم أفسدوا الغاية كما حرّفوا الوسيلة وفرّطوا في المقصود مثل ما استهانوا بما يؤدي إليه وما ذلك إلا لتجريدهم الجهاد من معناه

التعبدي وقطعه عن عالم الآخرة، والحقيقة أنه ما من عبادة من العبادات إلا وهي مقصودة لذاتها من وجه ووسيلة من وجه آخر، فالصلاة مثلاً هي وسيلة للنهي عن الفحشاء والمنكر كما قال سبحانه وتعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) فلا يقول قائل إني قد تحصلت على بُغيتي في الانتهاء من الفحشاء والمنكر من غير طريق الصلاة فيتركها لذلك لأننا نقول إن الصلاة عبادة أمر الإسلام بها ونهى عن تركها وحذّر من التهاون فيها وتوعد المفرط في أدائها وجعل لها آداب وأحكام تتعلق بها وهكذا كل عبادة من العبادات هي وسيلة لنيل رضا الله عز وجل والفوز بجنّاته والظفر بمحبته والتحلي بتقواه كما قال الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)، وهي في نفس الوقت مقصودة لذاتها بحسب مرتبتها وجوباً أو استحباباً، والجهاد واحد من هذه العبادات بل هو في قِمّتها وعلى رأس هرمها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وذروة سنامه الجهاد".

مراسل مؤسسة السحاب:

لنعود إلى مسألة الركائز التي يقوم عليها المنهج الجهادي.

الشيخ أبو يحيى الليبي :

نعم قلت أن الأساس الأول والمنطلق الرئيس في هذه القضية هو الإيمان الكامل والاعتقاد الجازم بأن الجهاد عبادة ربّانية أُمرنا بها علينا أن نجتهد في أدائها تماماً كما نؤدي الصلاة والصيام والحج وغيرها من العبادات، وكثير من الجماعات التي سلكت طريق الجهاد أولاً أصابها الدخل والخلل من فهمها المضطرِب لهذه الحقيقة حيث كان أو صار الجهاد في تصورها عبارة عن وسيلة مجردة جافة كغيره من الوسائلِ الأرضية التي يسعى عن طريقها الساعون لإقامة الدول فلما وقع الغبش في هذا المفهوم سَهُل عليهم التخلي عن الجهاد والقفز إلى صناديق الاقتراع باعتبارها خياراً آخر يُساوي عبادة الجهاد فجعلوه بديلاً عنها ولهذا راج في الاصطلاح المعاصر خيار الجهاد وخيار المقاومة والتي يعنون بها الجهاد أيضاً وخيار السلاح وخيار الكفاح وخيار النضال إلى أخر هذه السلسلة العصرية المقيتة، أمّا نحن فنقول عِبادة الجهاد وحينما نُضيف العبادة إلى الجهاد فهذا يجعله نابعاً من التذلل والانقياد والاستسلام وترك الخيرة من الأمر.

أما ثاني الركائز التي يقوم عليها المنهج الجهادي:

هو أن هذه العبادة التي نقوم بها ونجتهد قدر طاقتنا في إحيائها غايتها الأولى هي إقامة الدين وتحكيم الشرع وتعبيد الخلائق لخالقهم، فهو وسيلة نبيلة لغاية جليلة ليست مدنسة بلوثة الوطنية ولا رِجس القومية ولا دنس العقلانية ولا تلاعب الأهواء وهو المعنى السامي الذي يعبر عنه القرآن والسنة بكلمة "في سبيل الله"، أي في طاعة الله عز وجل، وهذا الباعث يجب أن يكون مُحرراً محدّداً في أعماق النفس كما يجب أن يكون قائماً ملموساً في الممارسات العملية ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن أبي موسى قال: "جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله

عليه وسلم فقال: الرجل يُقاتل للمغنم والرجل يُقاتل للذِكر والرجل يقاتِل ليُرى مكانه فمن في سبيل الله ؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله".

وقال صلى الله عليه وسلم: "من قاتل تحت راية عُمّية يغضب لعصبية أو يدعو لعصبية أو ينصر عصبية فقُتِل فقِتلةٌ جاهلية".

وبناء على هذا الأصل فنحن نُحذّر بعض الجماعات الإسلامية ومنها حماس التي تُغامر بدماء أبناءها وتُقحمهم في معارك لا زِمام لها ولا خِطام وندعوهم أن يُجرِّدوا جهادهم و يُصفوه من اللوثات الجاهلية المُعاصرة ومن المصطلحات التي زيّنها لهم الشيطان وهي في ميزان الشرع كالريح في الفلاة، فالوطنية والقومية ووحدة المصير والمصلحة العليا وغير ذلك من الشعارات التي تُعاد في اليوم مرات ومرات على لسان مسؤوليهم وقادهم كل هذه لا مكان لها في دين الله عز وجل وهي إحدى الطوام العِظام التي نتجت عن الاختلال في إدراك هذه الركيزة الأصيلة من ركائزِ المنهج الجهادي.

إذاً فليكن مقصدنا واضح وهدفنا محدد وغايتنا معلنة إقامة دين الله عز وجل بمفهومه الكامل الشامل الذي يُفصح عنه قول الله عز وجل: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّه﴾ وهي غاية من أجلها نضحي ولإقامتها نُريق دماءنا ونبذل جُهودنا وكل ما سواها مهما كان قدره فهو دونها.

ولهذا فنحن لا نقبل تجاهها أدنى تنازل ولا نرضى أن نضعها محل البحث والنظر والأخذ والرد ولو أدى الاستمساك بها إلى فناء جماعاتنا عن بكرة أبيها، فلسنا في ذلك خيراً من أصحاب الأخدود، فلا مجال لاحترام الشرعية الدولية ولا الالتزام بمواثيق الأمم المتحدة ولا الرجوع لقرارات مجلس الأمن ولا تقديس ميثاق جامعة الدول العربية فكل هذه الهيئات بما فيها ومن فيها لا تساوي عندنا ذرة.

أما الركيزة الثالثة التي يقوم عليه المنهج الجهادي فهو الولاء والبراء عقيدة ومفهوماً وسلوكاً وعملاً، هذا المفهوم الإيماني العميق الذي هو أوثق عرى الإيمان كما جاء في الحديث الصحيح هو من أعظم وأهم ما يستند إليه المنهج الجهادي، وإن أي خدش لهذا المفهوم أو تلاعب به يعني زعزعة المسيرة الجهادية وخلخلتها من الداخل وتمييعها تمييعاً شنيعاً تقديماً لمصالح موهومة مزعومة يهدم بها أصل الدين وركنه الركين، فالموالاة التي يتفرع عنها حق النصرة والتأييد والمحبة والمودة يجب أن تكون قائمة على أساس واحد راسخ رسوخ الجبال ألا وهو الإيمان، فالمسلمون أمة واحدة من شرقهم إلى غربهم ومن شمالهم إلى جنوبهم سواء في ذلك الأحمر والأسود، العربي والعجمي، القريب والبعيد قال الله عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"، فلا اعتبار للون ولا للجنس ولا للقبيلة ولا للحدود ولا للبعد ولا للقرب، سواء كان في أفريقيا أو آسيا أو أوروبا أو أمريكا أو استراليا إنما هو الإيمان والتقوى فمن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه، فتأصل هذا المعنى في قلوبنا يُوجب علينا تبني قضايا المسلمين والشعور الحقيقي الذي يورث عملاً أن فرحهم هو فرحنا وحزنهم حزننا ومصيبتهم مصيبتنا وذمتهم ذمتنا فليس هناك شيء مما يتعلق بالمسلمين يمكن أن نسميه

قضية داخلية نتنصل بها عن النصرة مع القدرة وإعلان الموالاة وتأدية حقوق الأخوة الإيمانية، فالقاعدة العامة التي تنبثق عن هذا المفهوم المتأصل هو ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل يا رسول الله أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً ؟ قال: تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه" والحديث متفق عليه.

أما مفهوم البراء والذي يتضمن العداوة الدائمة والبغضاء المستمرة بين الإيمان وأهله من جهة والكفر وشيعه من جهة أخرى، فالكفار كل الكفار هم أعداؤنا لا نواليهم ولا نوادهم ولا نحبهم فكيف نحب أو نود من جعله الله عدواً له ؟ إنما الأمر معهم كما قال إمام الحنفاء وأبو الأنبياء: (إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ).

فلا نفرق بين كافر وطني وكافر أجنبي، ولا بين كافر محلي وآخر خارجي، ولا بين محتلٍ غازٍ ومرتدٍ مناصر، فعلى هذا فنحن لسنا ممن يجعل معقد الولاء هو المواطنة أو الجنسية أو القرابة أو غيرها، فالمؤمن أخونا ولو كان أبعد البعداء سكنى ونسباً، والكافر عدونا وإن كان أقرب الأقرباء محلاً وصلة قال الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ).

وقال سبحانه: (لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ).

وقال عز وجل: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ).

ولسنا أيضاً ممن يجعل الجهاد عضين فيحله ويؤيده ويناصره ويدعو له ضد اليهود في فلسطين ويحرمه ويجرمه ويمنع منه ويصد عنه في العراق أو أفغانستان أو الشيشان أو الجزائر أو غيرها، فالجهاد والذي هو أعلى وأجلى صور البراءة يكون ضد اليهود تماماً كما يكون ضد النصارى والمجوس والهندوس والمرتدين سواء بسواء، لأن نوع علاقتنا مع هذه الطوائف كلها واحدة وهي المفاصلة التامة والبراءة الكاملة والعداوة الظاهرة وما دام الأمر كذلك فلن نحابي كافراً على كافر لأجل وطنيته ولا لأجل قوميته ولا لأجل حسبه ولا نسبه فنحن نقاتل المشركين كافة كما يقاتلوننا كافة ولا نقف في هذا عند حد ولا ننحصر في نوع ولا نتقوقع في إقليم وهكذا حتى يُذعِن الجميع لدين الله عز وجل ويخضع لأحكامه ويستسلم لسلطانه.

مراسل مؤسسة السحاب:

وهل يعني هذا أنكم ستفتحون جبهات قِتالية مع جميع هذه الطوائِف التي ذكرتها في آنٍ واحد ؟

الشيخ أبو يحيى الليبي:

لا، ليس هذا هو المقصود ولا هو المطلوب شرعاً ولا عقلاً، فأنا لم أتحدث عن قضية القتال من جهة متى نبدأ ومع من نبدأ وكيف نبدأ، فهذه مسألة خاضعة للسياسة الشرعية وقائمة على أساس رجحان المصلحة ومنوطة بالقدرة أيضاً وهي مسألة ترتيب أولويات بينتها الشريعة الإسلامية كما قال الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ).

والجهاد كغيره من العبادات متوقف على الاستطاعة والوسع فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها وإنما كان حديثي منصباً على طبيعة العلاقة التي يقوم عليها الإسلام بين أهله المنتمين إليه وبين من هم سواهم من الأديان الأخرى، هذه العلاقة التي كلما كانت على الأساس العقدي الصحيح الواضح انضبطت المسيرة الجهادية وسلمت من منهج التمييع والتطويع الذي صار له دعاته ومُفكروه ومنظِّرُوه، نعم ما نعتقده أن جميع الأرض لا بد أن تكون تحت حكم الإسلام لا يخرج عن ذلك ذرة واحدة منها لأن رسولنا صلى الله عليه وسلم قد أُرسِل للناس كافة لا يُستثنى منهم أحد ولكن هذا لا يعني أبداً أننا سنقاتل جميع شعوب الأرض دفعة واحدة لنُخضعها للشريعة الإسلامية فالإسلام لم يأمرنا بذلك وإنما أمرنا بأن نقاتِل الأدنى فالأدنى ممن أبى أن يخضع للحكم الإسلامي ونشرع مع الأقرب فالأقرب وهكذا حتى تتسع الدائرة حتى يُذعِن الجميع لحكم الله، ونحن الآن في أول الخطوات ومبدأ الطريق حيث نسعى لاسترداد أراضينا التي استولى عليها الكفرة من اليهود والنصارى وأنصارهم المرتدين من الحكام الخونة، وهذا هو المتعين على المسلمين الآن ليجدوا لأنفسهم موطئ قدمٍ يقيمون فيه دولتهم التي تحكمهم بالإسلام ويتفيؤون بظِلاله ويتنعمون بعدله.

مراسل مؤسسة السحاب:

على ذِكركم لقضية الأولويات في القتال هناك من يطرح مسألة البدء بقتال الحكومات المرتدة باعتبارها العدو الأقرب للمسلمين في مقابل الأمريكان والأحلاف الكافرة الأخرى.

الشيخ أبو يحي الليبي:

لا شك أن الحكم المتقرر الأصلي الذي نصت عليه الآية الكريمة والذي دلت عليه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وجرى عليها أصحابه من بعده هو البدء في القتال بالأقرب فالأقرب كما قال الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ) وهذا في حال استواء الحال وانتظامه أي عندما تسير الأمور سيراً طبيعياً بحيث ينتقل المجاهدون في فُتوحاتهم من الأدنى إلى من يليه فهذه الآية من أقوى الأدلة على أن الجهاد لا تمنعه الحدود ولا يتوقف على صورة الدفع فقط كما يحاول أن يقرر ذلك كثير من المنهزمين العصريين وعلى كل حال فالفقهاء الذين تكلموا في هذه المسألة وبينوا حكمها قد نصوا على أن هناك حالات متعددة يترجح فيها البدء في قتال العدو الأبعد ويُقدم على من دونه، من تلك الحالات إذا كان العدو الأبعد أشد ضرراً وأكثر خطراً على المسلمين ودينهم وتقدير هذا يرجع إلى قادة المجاهدين الذين يقررون بعد تشاورهم ونظرهم من من الأعداء أولى أن يبدؤوا به لأي اعتبار من الاعتبارات الشرعية المعتمدة فالقضية ليست مسألة نصية قطعية غير قابلة للاجتهاد والبحث والترجيح بحسب الواقع والحاجة والقدرة والمصلحة وإنما أفسح فيها الشرع المجال

واعتبر فيها المصلحة والتقدير ثم إن القرب والبعد المكاني في عصرنا الحاضر لم يعد له ذلك الاعتبار الكبير إذا نظرنا إلى الواقع، لأن أنواع الأسلحة المستخدمة من طائرات وصواريخ وغيرها قد اخترقت الحدود وتجاوزت السدود وصارت تعبر القارات والمحيطات وتستهدف المسلمين وهم وسط بيوتهم وبين أهليهم والعلاقات التي تربط الدول الكافرة الكبرى بالدويلات الصغيرة وحكوماتها المرتدة علاقات متداخلة وثيقة على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والعسكرية بل حتى الثقافية فهم في الجملة شيء واحد وعدو واحد وجيش واحد وهم علينا يدٌ واحدة والمعركة التي يخوضونها ضدنا معركة واحدة إما أن تتبناها الدول الصليبية الكافرة بنفسها وإما أن يتولاها وكلاؤها العملاء المتسلطون على الشعوب المسلمة، هذا زيادة على الوجود العسكري الثقيل لتلك الدول وعلى رأسها أمريكا في عقر دار المسلمين تقتل وتخرب وتدمر وتستبيح حرماتهم وتنتهك ثرواتهم وتفرض عليهم سياساتها وقوانينها وما هذه الحكومات المرتدة بالنسبة لها إلا كالجنود مع قائدهم بل كالعبيد مع سيدهم لا تسمع لهم همساً ولا رِكزا، وكلنا يعلم أن تهشيم هذا الصنم العصري وإلحاق الهزيمة به سيعني تلقائياً ضعف هذه الحكومات العميلة الهزيلة والتي ستُدفن مع إلاهها التي ظلت عليه عاكفة لتُلقى معه في مزبلة التاريخ غير مأسوفٍ عليها، فالمجاهدون اليوم في حالة دفع للعدو وصد لهجمته الشرسة على بلاد المسلمين فالخيارات في ابتداء القتال مع هذا العدو أو ذاك ليس له حقيقة مُعتبرة في الواقع فحتى من أراد أن يبدأ بقتال الحكومات المرتدة المتسلطة على بلاد المسلمين سيجد نفسه بعد فترة وجيزة ورُبما من أول يوم يستأنف فيه عمله سيجد نفسه في مواجهة بصورة أو بأخرى مع القوات الصليبية وعلى رأسها أمريكا ومن ثم سيقف وجهاً إلى وجه مع العدو الذي كان يعتبره ويفترضه أبعد وتفادى البدء بقتاله.

فأعداؤنا اليوم كلهم قريب قريبهم قريب وبعيدهم قريب وحض المجاهدين من اختيار وقت المواجهة هو المقاربة والتسديد قدر الإمكان لخوض المعركة الحاسمة التي تتناسب مع قدراتهم وتتوافر فيها عوامل النجاح وتختصر عليهم كثيراً من الجهود وتؤدي إلى استئصال العدو الأكبر الذي يصدر الفساد وينشر الخراب وفي كنفه تنشأ وتترعرع أنظمة البطش والتنكيل.

مراسل مؤسسة السحاب:

شيخنا أشرتم فيما سبق إلى أن المتعين على المسلمين عموماً والمجاهدين خصوصاً إيجاد موطن أو دولة تكون المنطلق الأول لهم لنشر دين الإسلام في رُبوع الأرض وكما تعلمون فإن المجاهدين في العراق قد أعلنوا عن قيام دولة العراق الإسلامية فما هي نظرتكم لهذه الخطوة التي قام بها إخواننا هناك ؟

الشيخ أبو يحيى الليبي:

حقيقة أنا أعتبر أن إقدام إخواننا المجاهدين في العراق على إعلان قيام الدولة الإسلامية هو توفيقٌ إلهي محض، وهو جزء من الهداية التي تكفل الله بها لعباده المجاهدين بقوله: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) بل لا أشك أنه من دفاع الله عن المؤمنين الذين نصروا دينه وكتابه كما قال سبحانه وتعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ)، فالجهاد في العراق قبل إعلان الدولة كان يسير نحو منزلقٍ خطيرٍ وقاتل

ولكن بخفية وتستر والذي كشف هذا المنزلق وأزاح الغطاء عن تلك الهاوية المُهلكة هو إعلان قيام الدولة ولهذا فإن العدو المحتل وقع في مأزق لا يُحسد عليه حيث أربكت عليه هذه الخطوة كل حساباته وخلطت جميع أوراقه وذلك أن الخطوة أو بالأصح الخطة التي كان يسير عليها العدو قُبيل إعلان الدولة هي إيجاد حكومة عميلة محسوبة على أهل السنة تكون مرضياً عنها نوعاً ما ومُعترفاً بها من قِبل دول السوس المجاورة وخاصة دولة آل سعود والأردن اللتان تتوليان كِبر هذه المؤامرة فصارتا تنفخان في بوق الدفاع عن أهل السنة في العراق وتتظاهران بالحرص على دمائهم وصار الإعلام يضخم هذه القضية وينوع صور إخراجها ونحن لا نعني هنا أن إخواننا أهل السنة في العراق لم يكونوا ولا زالوا يتعرضون لأبشع صور الإجرام الرافضي والصليبي على حد سواء بل المقصود من كلامي أن الدندنة المستمرة على هذه القضية ومن قِبل دول مردت على النفاق والإجرام كان جزء من مؤامرة كبرى تُحاك ضد الجهاد والمجاهدين في العراق، فبعد أن يبلغ التنكيل والتقتيل بأهل السنة مداه ويقتنع الجميع داخل العراق وخارجها أنهم وصلوا الذروة من المعاناة تُفبرك لهم مسرحية سياسية تترشح عن حكومة ذات أغلبية سنية وتُبادر دول المنطقة إلى دعمها وتقويتها وتلميع صورها فيُقال لأهل السنة في العراق ها قد نلتم ما تُريدون وظفرتم بما كنتم تطلبون ونجوتم من مسالخ الرافضة ومذابح أهل الصليب فانعموا بحكمٍ علماني عميل طبّل له القريب والبعيد ومن سيعترض على تلك الحكومة (السنية) وهذه بين قوسين، فسيجد نفسه شاذاً منبوذاً لأنه سيحاول بأفعاله تدمير هذا الصرح العظيم الذي ناله أهل السنة في العراق والذي يعيشون تحت مظلته وحمايته وهكذا يُسدل الستار على تضحيات الأبطال ودموع الأرامل ومعاناة الأيتام لتذهب هباء مع عاصفة الفرح والتأييد والتلميع والبطولات المصطنعة التي ستظهر بها تلك الحكومة المفترضة ولكن الله سلم وأنقذ الجهاد العراقي من ضربة قاصمة ستؤدي به أو ترجعه إلى نقطة الصفر وذلك بإعلان قيام دولة العراق الإسلامية.

مراسل مؤسسة السحاب:

ولكن كما تعلمون فإن كثيراً من المجاهدين داخل العراق وخارجها يرون أن الخطوة لا تصب في مصلحة الجهاد والمجاهدين.

الشيخ أبو يحيى الليبي:

فيما أرى والله أعلم أن الاعتراض على إعلان دولة العراق الإسلامية من قِبل هؤلاء الفُضلاء قد أخذ أكبر من حجمه وما أقدم عليه إخواننا من الإعلان يُعد خطوة أقل ما يُقال فيها أنها اجتهاد لطائفة كبيرة وشريحة واسعة من المجاهدين ويُتعامل معها على هذا الأساس ونتجاوز هذه المرحلة إلى مرحلة التسديد والترشيد والدعم والتقوية ورص الصفوف والسعي الدائم للأفضل والأكمل ولا نقف عند نقطة الإعلان ونجعلها وكأنها قاصمة ظهر الجهاد في العراق مع أن الواقع على الأرض يظهر غير هذا ويكشف الجوانب الإيجابية الكبرى التي توالت بعد إعلان الدولة ولا ينبغي أن نتغافل عن أعظم مكسب في هذا الإعلان وهو إنقاذ الجهاد في العراق من مشروعٍ استئصالي يأتي على قواعده وهي الحقيقة التي أدركها العدو قبل الصديق، فالقول بأن هذه الخطوة لا

تصب في مصالح الجهاد والمجاهدين غير صحيح على الإطلاق وهو تجاهلٌ يصطدم اصطداماً مباشراً مع الواقع الذي تسير فيه قافلة الجهاد في العراق وحقيقة إننا حينما نريد أن نقوم أي أمرٍ من الأمور ونخرج فيه بنتيجة صائبة منصفة يجب علينا أن نوازن بين الايجابيات والسلبيات التي يتضمنها هذا الفعل أو ذاك (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا) فرُب إيجابية واحدة بسبب ثقلها وقوهّا ورجحانها ينغمر في بحرها مئات السلبيات والعكس كذلك والذين يتحدثون عن المشروع الإسلامي الحضاري الكبير ويتعلقون بالصورة المثلى له ويجعلونه معيارهم في نجاح أو فشل أي عملٍ حقيقة هؤلاء لم يترلوا إلى ساحة العمل الواقعية ولم يحتكوا بتفاصيل الأحداث ولم يتعمقوا في النظر لدرجة الكيد والمكر والدسائس التي تتفتق عنها عقول دهاقنة الكفر يوماً بعد يوم، فقل لي بالله عليك هل هذا المشروع الحضاري الذي تتمتع العقول بتخيله وتسبح في بحار تصوره هل سيولد بين عشية وضحاها كاملاً فتياً قوياً قد سد الأفق بازدهاره وحضارته ونضارته أم أن معاناة الواقع واتجاهات أحداثه ستكون منعكسة تماماً عليه في قوته وحجمه وامتداده ولكنه يقاوم ويقاوم ويسدد ويقارب ويتقوى ويرتفع حتى يقترب شيئاً فشيئاً من مرحلة التمام والتي لن تكون إلا عبر عقودٍ من الزمان وليس في يومٍ أو يومين.

مراسل مؤسسة السحاب:

وفي نظركم ما هي أهم المخاطر التي يمر بها الإخوة في دولة العراق الإسلامية في هذه المرحلة ؟

الشيخ أبو يحيى الليبي :

كما ذكرت لكم من قبل فإن إعلان قيام الدولة كان مفاجأة كبرى للعدو المحتل بجميع المقاييس، حيث صارت القناعة التلقائية للشعب العراقي أن الدولة هي البديل الوحيد والمباشر الذي سيخلف المحتل عند انسحابه بإذن الله، ومع الضربات المتتالية التي يتلقاها الصليبيون على أيدي المجاهدين هناك وتزايد الضغوطات الداخلية لإدارة بوش ومع شدة الخطر الذي يستشعرونه من خلال إقامة المسلمين لدولة لها كامل الاستقلالية على كافة الاتجاهات مع هذا كله صار همّ المحتل هو إفشال هذا المشروع ووأده في مهده بأية طريقة ومن ذلك اقتلاع هذه القناعة التي ترسّخت في قلوب العراقيين بإعلان الدولة ليصنعوا لهم بعد ذلك من البدائلِ ما شاؤوا وكانت أنجح وأنجع الطرق في هذا هو بث الفرقة الداخلية وتغذيتها بين المجاهدين واستغلال بعض النقاط التي تختلف فيها أنظارهم وتضخيمها وتعميق الخلاف من خلالها ومحاولة اختراق الصفوف للعبث بالمنهج الجهادي من الداخل وارتكاب بعض التصرفات الشنيعة ونسبتها للمجاهدين تنفيراً منهم وبذلك سيصبح المجاهدون منشغلين بأنفسهم ومنكبين على سلسلة مشاكلهم التي لا نهاية لها تُستهلك طاقاهم وتُهدر جهودهم وتنعدم الثقة بينهم ولهذا فإنني أشبه حال إخواننا في دولة العراق الإسلامية بحالة من يمشي في حقلٍ من ألغام وسط ظلام دامس وهذا يتطلب منهم تيقظاً كاملاً وتحسساً مستمراً لمواطن الأخطار ووعياً محيطاً بأنواع المؤامرات وبصيرة تكشف لهم سبيل المجرمين وأن تكون قراراهم منبثقة من النظر الشمولي للأحداث والتعامل المستقل مع القضايا والشعور

بالمسؤولية عند كل خطوة والبعد التام عن سياسة ردات الفعل والاستجابة للاستفزاز فالمرحلة جد خطيرة ودقيقة والخروج من عنقها بسلام يعني كمال النصر وتمام التمكين بإذن الله.

مراسل مؤسسة السحاب :

حقيقة هناك كثير من القضايا الساخنة التي كنا نتمنى أن نتناولها في هذا اللقاء مثل قضية فلسطين والجزائر والصومال وجزيرة العرب وغيرها ولعل فرصة أخرى تُتاح يكون فيها الحديث أشمل وأكمل ولكن هل من كلمة ختامية توجهونها للمجاهدين خصوصاً وللأمة عموماً ؟

الشيخ أبو يحيى الليبي :

أقول إن المرحلة التي يمر بها الجهاد العالمي هي من أخطر المراحل، ووسائل المواجهة بين المعسكرين ليس فيهما أدنى تكافؤ ولكن ما يرجح كفتنا بعد أخذنا بالأسباب المعتبرة هو صدقنا مع الله عز وجل وإيماننا العميق والجازم بأن الله معنا وهذا يستوجب منا خضوعاً لله وتواضعاً بين يديه وابتعاداً عن الكبر و البطر والغرور وهو أهم ما نوصي به إخواني المجاهدين في ساحات الجهاد كافة، أن تكون ثقتهم بالله كبيرة ويقينهم بصحة منهجهم راسخاً وأن يضعوا بين عينيهم قول الله سبحانه وتعالى ممتناً على الصحابة الكرام الذين نصرهم يوم بدر مع قِلتهم وذلتهم وضعفهم (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) وأن يكونوا أشد الناس نفرة من معصية الله، فهل يُعقل أن نعصي ربنا سبحانه ثم نطلب النصرة منه ؟

كما أوصيهم بتوحيد صفوفهم وجمع كلمتهم وتذليل كل عقبة تحول بينهم وبين ذلك فإن الخِلاف كله شر وإن توهمنا فيه المصلحة وادعينا من خلاله الإصلاح هذا مع الحفاظ على سلامة المنهج ووضوح الغاية وتطهيرها من أي دنسٍ يكدر صفوها كالعصبية الجاهلية والقومية والوطنية وغيرها.

وإذا كان الكفار وهم أهل نِحلٍ متضاربة وقُلوب متنافرة قد اتفقوا واجتمعوا وتنازلوا لبعضهم وكونوا أحلافاً اعتبروا فيها مصلحتهم العليا المتمثلة في القضاء على الإسلام فكيف بنا نحن المسلمين وديننا واحد وعقيدتنا واحدة وربنا واحد ونبينا صلى الله عليه وسلم واحد ألسنا أحق منهم بهذه المنقبة وهذا الشرف ؟

أما أمة الإسلام فأقول لها أبشري فوالله لقد آذن ظلام الظلم والقهر بالزوال وبدأت شموس الحق ترسل أشعتها شيئاً فشيئاً وما كان ذلك ليحصل بالخنوع والخضوع والاستسلام والتهرب عن مواطن المخاطرة والمغامرة وإنما بدأت هذه الغمّة في الانكشاف بتضحيات أبنائك البررة التي امتزج فيها دم الشهيد وعرق المُجهدين ودموع الثكالى، فاصبري أمتنا الحبيبة فإنما النصر صبر ساعة (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ).

مراسل مؤسسة السحاب:

وفي خِتام هذا اللقاء نشكر الشيخ أبا يحيى ونسأل الله تعالى أن ينفع بعلمه ويجزيه خير الجــزاء عــن الإســلام والمسلمين.

الشيخ أبو يحيى الليبي:

وأنتم أيضاً جزاكم الله خيراً على جهودكم ومساعيكم نسأل الله أن يبارك فيها والــسلام علــيكم ورحمــة الله وبركاته.

كلمة للشيخ في إصدار (إنهم فتية آمنوا بربهم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده.

الحمد لله القائل وقوله الحق: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِــنْ هَادٍ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ)، (قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ)، والقائل وقوله الحق: (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

والصلاة والسلام على خير الأنبياء وسيد المرسلين وإمام المجاهدين محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وعلى آلــه وأصحابه أجمعين.

ثم أما بعد:

فبعد ثلاث سنوات عِجَافٍ سوداء مظلمة من الظلم والقهر ذقنا فيها مرارة الأسر ورأينا فيها قهــر الرجــال وتجسد أمام أعيننا حقد الكفر والكافرين على أولياء الله وعلى المؤمنين منّ الله سبحانه وتعالى علينا أن نقف هذا الموقف في موطنٍ من مواطن العزة وفي مكانٍ من أماكن الجهاد نعيد فيها للأمة مجدها ونعيد فيه للأمــة عزهــا راجين من الله سبحانه وتعالى أن يثبتنا على هذا الطريق وأن يمن علينا بخاتمة حسنةٍ شهادة في سبيله عز وجل.

لقد رأينا من ظلم أولئك الكافرين الذين يتبجحون بالعدالة والمساواة والذين يرفعون شعارات التسامح والوئام والمحبة رأينا فيها من غيظهم وكفرهم وحقدهم ما أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنه منبهاً لنا ومحذراً لنــا في آيــات شتى ومواضع متعددة في كتاب الله عز وجل قال الله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّــن

دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)، لقد رأينا من حقد هؤلاء ومن غيظهم ومن محاربتهم لله سبحانه وتعالى ولرسوله ولكتابه وللمؤمنين ما زادنا تمسكاً بديننا وما زادنا يقيناً بالله سبحانه وتعالى ويقيناً بعقيدتنا وأننا أهل الحق وأننا أهل الإسلام وأننا أتباع النبي صلى الله عليه وسلم الذي سبق فيه أسلاف هؤلاء الكافرين برفع رايات العداوة له صلى الله عليه وسلم من قريش ومن اليهود ومن النصارى الحاقدين، إننا وبإذن الله سبحانه وتعالى وبعد أن وهبنا الله سبحانه وتعالى هذه النعمة وأوصلها إلينا من غير كُلفة ومن غير تعب ومشقة إنما هي محض منة ومحض عطاء من الله سبحانه وتعالى نعاهده عز وجل على شكر هذه النعمة وأعظم شكرٍ لها وأولها وأولاها هو أن نثبُت في ميادين القتال حتى ننازل هؤلاء ونُقارعهم حتى يفتح الله سبحانه وتعالى بيننا وبينهم وحتى يحكم بيننا وبينهم بالحق وهو خير الحاكمين، لقد أرانا هؤلاء من حقدهم وغيظهم ما علمنا منه أن هذه الحرب التي يرفعون شعارها تحت لافتة زائفة (محاربة الإرهاب) ما علمنا منه يقيناً وعلى الواقع والحقيقة أنها حربٌ لدين الله سبحانه وتعالى وحربٌ لعباد الله المؤمنين وفي مُقدمتهم المجاهدون الصادقون، رأينا من المجاهدين من اعتُقِل من مشارق الأرض ورأينا منهم من اعتُقِل من مغاربها ورأينا منهم العربي والعجمي والأسود والأبيض حتى علِمنا يقيناً وبما سمعناه من أفواههم وما قرأناه في كتبهم أنهم لا يريدون بذلك إلا استئصال شأفة الإسلام مستغلين هذه الظروف التي وقعت حتى يقتصوا لأنفسهم مما ذاقوا على أيدي المؤمنين من قبل.

إنها حربٌ لا يخوضها هؤلاء الصليبيون وحدهم، إنها حربٌ اشترك فيها هؤلاء الصليبيون وقام فيها أعوانهم المرتدون فلم يألوا جهداً بأن يقدموا كل غالٍ ورخيص وأن يثبتوا ولاءهم لهؤلاء الصليبيين وأن يقدموا الطاعة المطلقة والدعم التام لهم بأموالهم وخبراتهم وبما عندهم.

إنها حربٌ شاملة للإسلام والمسلمين تخوضها ملل الكفر كلها اشترك فيها اليهود والنصارى والمرتدون، فتح هؤلاء المرتدون أبواب سجونهم على مصارعها في مصر وفي الأردن وفي السعودية وفي اليمن وفي ليبيا وفي موريتانيا وفي كل بقاع الأرض يوجد لهؤلاء المجرمين الصليبيين الحاقدين سجونٌ يذوق فيها أولياء الله سبحانه وتعالى أشد وأنكى أنواع التعذيب على من ينتسبون للإسلام قبل أن يذوقوه على أيدي هؤلاء الصليبيين.

إن السجون التي عُمِّرت بهؤلاء الضعفاء وبأولئك المجاهدين رأوا فيها من تنكيل هؤلاء المجرمين ما يندى له الجبين وما تتفطر له الأكباد، اسألوا إخواننا ماذا يذوقون في سجون الأردن، لا أتكلم عن إخواننا المجاهدين الأردنيين الذين اعتُقلوا في الأردن أو اعتُقلوا في مصر، كلا، إنما نتكلم عن إخواننا المجاهدين الذين اعتُقلوا في باكستان أو اعتُقلوا هنا في أفغانستان أو اعتُقِلوا في اليمن أو اعتُقلوا في بعض الدول الأوروبية وسِيقوا إلى تلك السجون إلى سجن الأردن وهو أعظم سجون هؤلاء الصليبيين لا أقول المرتدين! في سجون أولئك الصليبيين، فذاقوا فيه من أنواع التعذيب والتنكيل ما رجوا أن يكونوا فيه في سجون هؤلاء الصليبيين، اُنتُهِكت أعراضهم

مُزِّقت أجسادهم والله لا أقول هذا الكلام لأستثير حماس الشباب أو لأستمطر دموع الضعفاء إنها حقيقة مـرة علينا أن نعرفها.

فيامن يدافع عن هؤلاء الحكام المرتدين ويامن نصّبهم بدعواته الزائفة أئمة للمسلمين عليهم أن يسمعوا ويُطيعوا ألا تتقوا الله سبحانه وتعالى ألا تعلموا أنكم واقفون بين يديه غداً سبحانه وتعالى، لماذا نزيف الحقائق ولماذا نمـوه الواقع ولماذا نفر من ذكر الحقيقة إنها حقيقة مرة وإنها حقيقة مريرة ولكن علينا أن نقولها وعلينا أن نعترف بهـا حتى نخطو خطوة صحيحة ثابتة من أجل تغيير هذا الواقِع المرير.

يا أيها المسلمين:

إن أبناءكم المجاهدين الأسارى في سجن باجرام وفي سجن التعذيب في كابل عند مطار كابل وفي سجن قنـدهار الذي أُقيم على أنقاض بيت أمير المؤمنين الملا عمر ذلك البيت العزيز الذي كانت تصدر منه الأوامـر لإعـزاز دين الله سبحانه وتعالى هاهو اليوم أولئك الرجال الذين وقفوا لتنفيذ تلك الأوامر التي يُصدرها لهـم إمـامهم وأميرهم هاهم الآن في تلك الزنازين المظلمة الضيقة في ذلك البيت نكاية فيهم وزيـادة للمـرارة في قلـوبهم يذوقون أشد وأنكى أنواع التعذيب، في سجن بنشير عند أولئك الذين باعوا دينهم فخسروا الدنيا والآخرة في ذلك السجن أنا بقيت فيه عشرة أشهر رأينا فيه من الإهانات والإذلال ورأينا فيه الولاء التـام الـذي يقدمـه أولئك المرتدون لهؤلاء اليهود والنصارى، هم يعرفون أننا على الحق يقولون هذا بألسنتهم ويعرفون أن هـؤلاء كافرون ويقولون هذا بألسنتهم إلا أنهم من أجل بِضع دراهم أو بِضع دولارات رضوا أن يكونوا عبيـداً أذلاء لهؤلاء المجرمين باعوا هذه الأرض التي غُسلت وطُهِّرت بدماء الصادقين الشهداء فنالوا ما نالوا مـن ذل الـدنيا قبل ذل الآخرة فماذا لهم الآن في هذه الحكومة المرتدة إنه إذلالٌ من الله سبحانه وتعالى لهم كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ هذه سجونٌ في هذه البلاد الطاهرة وكلها سجنٌ يُطارد فيها الموحدون ويطارد فيها المجاهدون ويُطارد ويُلاحق فيها الـصادقون فلا يكادون يجدون موطئ قدمٍ لهم إلا كمثل هذا الموطن الذي يكون فيه السلاح رفيقهم وهذه الألبـسة الـتي تعبر عن استمرارهم وثباتهم على طريق الجهاد ومنازلة هؤلاء الكافرين حتى يردوا لهذه الدولـة عزهـا وحـتى يعيدوا لها مجدها وحتى يثأروا لأولئك الأسرى ووفاءً لأولئك الشهداء.

يا أيها المسلمون:

إنّ واجب الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى وإنّ واجب إنقاذ الأسرى من سجون الظالمين الذين يتجرعـون في اليوم آلاف الغُصص من القهر والإذلال وما يرونه من الطغيان الذي يُذيقه إياهم أعداء الله سبحانه وتعـالى إن إعادة مجد الأمة إن إعادة الشريعة الغراء لهذه الأرض الطاهرة ليس واجب الأفغان وحدهم وليس واجب العجم وحدهم إنه واجب على الأمة كلها إنه واجب عليّ وواجب على هذا وواجبٌ على هذا.

والله لو أردنا الراحة والدعة لوجدناها حيثما طلبناها ولكنها راحة ذليلة بخيسة في بِضع أيامٍ تنقضي وتنتهي، إننا نريد راحة الآخرة، إننا نريد عز الإسلام في الدنيا ونريد أن نكون بجوار الله سبحانه وتعالى يوم القيامة لــذلك فإننا وشكراً لله سبحانه وتعالى على هذه النعمة العظيمة التي أوصلها الله سبحانه وتعالى واختارها لنا واخترنا لها نعاهده سبحانه وتعالى بقدر استطاعتنا ما بقينا أن نكون مقاتلين لهؤلاء المجرمين منازعين لهم محاربين لهم مشردين لهم في أرض أفغانستان ولن نخرج من هذه الأرض بإذن الله ما استطعنا إلى ذلك سبيلا حتى يعــود الحــق إلى نِصابه وحتى ترجع الشريعة الغراء فوق هذه الأرض الطاهرة وحتى يُفك أسر هؤلاء المظلومين وإلا فإنني أقــول بِئس حامِل القرآن أنا وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه.

الملا داد الله... أرجو أن أطأ بعرجتي الجنة

(قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبـــــــعد:

إخوة الإسلام..
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

فلم تزل أمة الإسلام تقدم صفوة رجالاتها، وتضحي بخيار أبنائها، وتجود بأفضل قادتها، حماية لعقيدتها التي تحملها، وحفظاً لشريعتها التي تنتمي إليها، وبرهنةً منها على أن صيانة المبادئ وإحقاق الحق وإقامة العدل أولى وأسمى وأغلى من كل شيء حتى من الحياة التي يتشبث بها الذين لا يعقلون، وقد خـُــط لهذه الأمة الوسط منهاجٌ لا تردد فيه، وغايةٌ لا التفات عنها.

ركضاً إلى الله بغير زاد
إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد
فكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

وسيراً على هذه القاعدة الراسخة، واستيعابا لهذا المفهوم العميق، مضت مواكب الحق، وتوالت قوافل حملة الهدى، يعقبُ بعضها بعضا، يسقط شهداؤها فلا تنثني، ويستمسك بالعهد والميثاق أحياؤها فتتقوى، وتنشأ على الإئتساء بهم أجيالها فتواصل مسيرتها {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا }.

فبالأمس كنا قد ودعنا قادةً أجلاء من صانعي التاريخ ومسطري قصص البطولات، تناءت أقطارهم، وتنوعت أجناسهم، ولكن تواطأت سيرهم، وتطابقت مقاصدهم، أبو مصعب الزرقاوي، أبو عمر السيف، شامل باسييف، أبو محمد التركستاني، أبو الدرداء الكردي، عبدالحنان الأفغاني، وغيرهم من الذين تركوا وراءهم إرثاً حيا، وعطاءً متدفقاً من علو الهمة وصرامة العزم واستسهال الصعاب وقوة الإصرار، تغترف منه أمتهم من بعدهم، فيفجر فيها طاقات كامنة ساكنة، فينشأ على ذكرى صنائعهم والتخلق بسيرتهم من يسد ثغرتهم ويقتدي بفعالهم مصداقا لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته"، فأمّتنا هي الأمة الولود.

واليوم ها نحن نودعُ قائداً فذاً من هؤلاء القادة النبلاء، الذين صنعتهم العقيدة، وصهرتهم الحادثات، وحركهم الإيمان، وحقّر المخاطر عليهم الشوق إلى الجنان، ليلحق بإذن الله بذلك الركب المهيب، وينضم إلى تلك القافلة المباركة قافلة الشهداء، إنه المقدام المغامر، وليث الحروب، وخــوّاض الغمرات، (الملا داد الله) – رحمه الله –، فبعد حياة قضاها في ساحات النزال، ومجالدة أهل الكفر والضلال، بلسانه وسنانه، وعطّرها بالتحريض الدائم لأبناء أمّته، وبعث أمل النصر في قلوب البائسين اليائسين، وتصبير ومواساة المصابين المنكوبين، كان مسك الختام لهذه الحياة الحافلة، شهادة في سبيل الله –نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله–، فأكرم بها من خاتمه، وأنعم بها من نهاية، فلئن كان مصابنا بفقده عظيما عظيما، فإنّ عزاءنا بحسن خاتمته ونيل طلبته أجلّ وأجلّ، فكفى بالقرآن عند المصاب معزيا، وبآياته البينات لغمّة النوائب مجليا، وبنوره المشرق لظلمات الأحزان مبددا، فبه تطمئن القلوب، وتسكن النفوس، ويضمد الجرح، فليكن زادنا إذاً عند كل مصيبة، وسلواناً نقدمه قبل أية رزية، ففيه نتلو العزاء قبل البلاء {وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ*وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}، فأسلافنا الذين هم سادتنا وأسوتنا كانوا مضرب المثل بالصبر عند البلاء، والتجلد أمام الملمات، والتمالك والتماسك في وجهها، فلا جزع ولا هلع.

ليسوا مفاريح إن نالت رماحــُـهمُ ** قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا

هكذا نعتهم وهكذا بإذن الله سنكون، فهؤلاء الرجال كما كانوا يــُحيون الأمة بفعالهم، ويستنهضون هممها بإقدامهم، ويدفعوها نحو التضحية بصدق كلماهم، فسيُحيوها بإذن الله بدمائهم، ويوقظوها بعجائب قصصهم، ويحركون عجلتها بحسن آثارهم، فإذا هم كأن لم يموتوا !

إن آثارنا تدلُّ علينا *** فانظروا بعدنا إلى الآثار

حقاً إن قصة العقيدة واحدة، ومدرستها باقية، وأبوابها مفتّحة، فدرجة المرء فيها بحسب اجتهاده وجهاده، وصدقه وإخلاصه، وهمته وصبره، فهذه صفحةٌ مشرقةٌ من الماضي، يخط أحرفها نور اليقين، ويحكي فصولها الشوق للقاء رب العالمين، لا مكان فيها للأحساب والأنساب ولا الأجناس ولا الألوان، فمن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

كان عمرو بن الجموح رضي الله عنه رجلاً أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأُسُد، يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد، فلمّا كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له: إن الله عز وجل قد عذرك. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن بنيّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك، وقال لبنيه: ما عليكم ألا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة، فخرج معه وقتل يوم أحد شهيداً!

واليوم، ونحن في زمن الترف والسرف، والزهو واللهو، والتثاقل إلى الأرض، تُعاد قصة العقيدة بصورها، وتتجدد بتفاصيلها، لأن لها رجالاً يعرفون قدرها، ويأخذون من معينها، ويسيحون في رحابها، تُبتر ساق الملا داد الله –رحمه الله– في ساحات الوغى وهو يخوض غمرات الشدائد، فكان يمكنه أن ينأى بنفسه جانبا، ويريح نفسه من مشقة ملازمة، ونصب دائم، ويتلو عذره الذي عذره الله به {لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ}، ولكن روح الإيمان التي يحيا بها، ولذة الجهاد التي ذاقها واعتادها، ومعاني العزة التي جرت في عروقه جريان الدم أبت عليه ذلك، واختار لنفسه أن يكون من طائفة الصدق، وعصابة الفلاح الذين قال الله فيهم {لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ}.

فما غمزته الحرب إذ شمرت له *** ولا خار إذ جرّت عليه الجرائر

فذهبت ساقه وسبقته –إن شاء الله– إلى حيث يحب، وبقي وفياً لها مستمسكاً بالسبيل الذي ودعها فيه، وأنف أن يكون من المنقبين عن الأعذار، المختلقين للحجج، المموهين لخورهم بأوهى الأسباب، طائفة المخلفين المخذولين الذين قال عنهم العليم الخبير: {إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ}، ليعيد لنا برجله الواحدة قصةً مضت، ويقول بفعله الصريح الفصيح: إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة.

نعم إن الملا داد الله –رحمه الله– لم يتخرج من كلية عسكرية ليبرز إلى أمته بعد سنواتها، وهو عبد للخميصة والقطيفة والدرهم والدينار لا يتقن إلا قرع النعال ودق الطبول وألحان المزامير وإسداء التحايا، ولكنه تخرج من مدرسة مفتاحها: {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}.

ووسامها: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}.

وشهادة تخرجها: {وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}.

وإن الملا داد الله –رحمه الله– لم ينل شهادته وألقابه من جامعة دبلوماسية ليتخرج منها وقد أتقن تصعير الخدود وفذلكة الكلام، واختراع الأكاذيب، والتمايل والتصنع أمام وسائل الإعلام، وإنما نال ما نال بعزة الإسلام، واستعلاء الإيمان، وبساطة الحق، واحتقاره الباطل، ولواؤه في ذلك قولةُ عمر:

"إنّا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله".

وإن الملا داد الله –رحمه الله– لم يبلغ ما بلغ بالتطواف في عواصم الكفر والإذلال، وإعلان الاحترام والالتزام بالشرعية الدولية، واستجداء الأمم الملحدة، والركض وراء قرارات مجلس الأمن، والوقوف أمام أركان الكفر ليستمتع باستماع التصفيق لكلماته المنمقة، وإنما تبوأ منزلته السامية بين الأمة فيما نحسب والله حسيبه بصبره ويقينه {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}، فحينما زحفت نحو بلاده جحافل الكفر براً وجواً وبحراً واتفقت كلمة أهله على اقتلاع جذور الإسلام من أفغانستان المسلمة، ومسخ شعبها ليصير إمعةً يقتدي بالغرب ويعتز بحضارة الخلاعة والمجون والفساد، ونبغ النفاق وأطلّ برأسه وقلّب لسانه، وقف هذا الأسد يزأر بين تلك الجموع، وبين عينيه: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}، وكلما انتفش الباطل وأرعد وأزبد وهدّد وتوعد تعالى أمامه: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}، فمضى متنقلاً من جبل إلى جبل، ومن قرية إلى قرية، ومن وادٍ إلى واد، يحرض المؤمنين على القتال، ويبشرهم بالنصر مع الصبر، وينغمس أمامهم في بحار المعارك المتلاطمة.

وإذا كانت النفوس كبارا ** تعبت في مرادها الأجسامُ

وكلما خُوّف وحُذر من القتل والموت، نطق إقدامه وأجاب يقينه: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ}، فتجرعت تلك الزحوف الكافرة الموت صرفاً على يد هذا البطل وإخوانه، وذاقت من غصص الآلام ألواناً وألوانا، حتى تصدّع جمعهم وتنافر تحالفهم واختلفت قلوبهم وتضاربت آراؤهم، فصاروا سُخرية الدنيا بعد أن كانوا شرطيها.

وما الفخر في جمع الجيوش وإنما ** فخارُ الفتى تفريق جمع العساكر

فيا عُبّاد الصليب وأذنابهم المرتدين، أبشروا بصيف كالسيف تُفلق فيه هامتكم وتنسف مراكزكم وتتطاير أشلاؤكم، فجنود إمارة أفغانستان الإسلامية قد أعدوا للأمر عدته، وطلاب الشهادة وخُطّاب الحور من

الاستشهاديين وغيرهم الذين تخرجوا من جامعة الجهاد على يد الملا داد الله وإخوانه قد بدأت جموعهم تتوالى يتنافسون لنيل شرف السبق في موسم الحسم، ولأخذ الثأر من قطعان الخيانة والردة، ولتهيئوا من إعلامكم الكاذب المضلل ما شئتم، فما سعيكم لستر الحقيقة وتزييف الواقع إلا كمن يروم تغطية الشمس بالغربال، فقد عودتنا وسائل إعلام حكومة كرزاي على الكذب الفاضح والتحريف المخزي وصدق من قال: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت، فما تكاد تقع عملية استشهادية في قرية نائية أو في طريق يشق بطن الصحراء، إلا وخرج متحدثوهم الكَذَبة ليعلنوا أن القتلى هم مجموعة من النساء والأطفال والعوام، وكلنا يعلم أن هؤلاء الأفّاكين هم أحرص الناس على إبداء أدنى صورة تصدق دعواهم وتعزز مزاعمهم، فما بالهم لا ينقلون صور هؤلاء القتلى والجرحى عبر وسائل إعلامهم وإعلام أسيادهم إن كانوا صادقين؟

ومن هنا فإننا ننبه المسلمين الذين ينساقون وراء ذلك الافتراء، أن ينأوا بأنفسهم عن هذه السفاسف وتصديق هذه الأكاذيب، وليقولوا لهؤلاء المجرمين: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.
ويا أمة الإسلام ويا حملة راية التوحيد، هؤلاء هم قادتكم الذين أقلوا الكلام وأكثروا الفعال، فنافحوا عن الحق وذبوا عن الحرمات وصقلوا مرآة الدين بدمائهم النقية الزكية، فعلى طريقتهم سيروا، وبعهدهم فوفوا {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ}، وإلا فقد أبرؤوا ذمتهم، ونالوا بإذن الله بغيتهم، ولن يضرهم خذلان من الخذل، ولا تخلف من تخلف، وخلق الله غيرنا كثير {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

العراق بين أمارات النصر ودسائس المؤامرات





الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد،

أيها الإخوة المجاهدون الأحباب في عراق العزة وبغداد الخلافة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فلقد شرفكم الله اليوم وأنتم في موطنكم الذي أنتم فيه بأعظم وأجل ما يشرف به عباده المؤمنين، ألا وهو عبادة الجهاد، حيث وفقتم لإحيائه بعد مواته، فرفع الله به قدركم ونشر ذكركم وشفا صدوركم وأقر بكم أعين إخوانكم، كما منّ عليكم سبحانه وتعالى بأن يكون لكم نصيب وفير وحظ كبير في زلزلة أركان عاد العصرية وهبل الزمان التي خر لها الطغاة شرقا وغربا ركعا وسجدا، فكسرتم بصبركم هيبتها وأذهبتم بحزمكم كبرياءها.

فكأني بكم وأنتم تدكون حصونها المؤسسة على قواعد الأهواء والإغواء، وتمرغون أنفها وتبددون زيف حضارتها التي فتنت القريب والبعيد، كأني بكم وفي أيديكم معاول الإيمان الصلبة، تقتفون سيرة نبيكم يوم الفتح المبين وهو يهشم تلك الأحجار الصماء المنتصبة حول الكعبة، ويردد: {وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً}.

فها هي الدولة العظمى – كما يسميها عبادها – قد أضحت هائمة بين الدول، تتسكع بينها، تستجديها، تطلب معوناتها، تتوسل إليها، رجاء الوقوف بجانبها، وقد أثقلتها الجراح واستنزفتها الحرب وأنهكها توالي المصائب وتتابع الضربات، وأطاش عقلها هول المواجهات {وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ}.

وكنتم اليوم بحق أحق الناس وأولاهم بما نعت الله به أولئك القوم الذين يكرمهم الله بفضله الواسع ويفيض عليهم من مننه العظيمة، حين يرجع من يرجع على أعقابه منتكسا مرتكسا مرتدا: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}.

وأنتم بلا ريب مع صفاء رايتكم واستقامة طريقكم ووضوح أهدافكم؛ حلقة متصلة بمواكب الإيمان المتوالية وكتائبه المتعاقبة من لدن نبينا صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، كما أخبرنا بذلك وهو الصادق المصدوق: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك."

فاستبشروا بهذا الوسام النبوي الذي تقلدتموه بفضل الله أولا، ثم بفضل توكلكم على ربكم وصبركم في معركتكم وثباتكم على عقيدتكم، غير عابئين ولا آبهين بحملات التشويه التي تروم تدمير محيا هذا الجهاد

الناصع اللامع، ولا مكترثين بطعونات أصحاب القلوب الخاوية الذين تغلغل حب الدنيا إلى أعماقها، ولا منتظرين لحوق المترددين المتذبذبين ممن هالهم انتفاش عدوكم وتوعده المستمر.

فحري بكم إخوتي الأحبة أن تستشعروا هذه النعمة الجليلة التي أسبغها الله عليكم وجعلكم من أهلها ومحل تنزّلها، واختار أرضكم لتكون موطنها، وأن تكونوا أحرص الناس على حفظها ورعايتها وحياطتها والذب عنها وقطف ثمرها؛ بالشكر الدائم والذكر المستمر والعمل الجاد والحكمة البالغة، {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}.

وأن تحذروا كل الحذر من أن تسلب منكم، بعد أن بلغتم فيها هذا المبلغ الجليل بالتهاون فيها أو التفرق عليها أو تناسيها مع طول الزمن ومرور الأيام، فما تسلب النعم وتضيع المنن إلا بما تكسب الأيدي، {ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

فهي أمانة من أمانات الله التي أمركم أن تؤدوها إلى أهلها، فخذوها بقوة ولا تفرطوا فيها ولا تجعلوا لغيركم كائنا من كان سبيلا لتضييعها أو تحريفها، فعيون المسلمين في أقطار الأرض جميعها كانت ولا زالت ترقبكم وتتهيأ ليوم الفتح الأكبر والتمكين الأعظم.

الذي أقمتم أساسه ووضعتم لبناته الأولى بإعلان قيام دولة العراق الإسلامية، والتي خرجت من رحم الآلام والجراحات والمعاناة والتضحيات لتكون بعون الله مولودا جديدا يستهل في هذا العالم المظلم الظالم، لا بالصياح والنواح والشجب والتنديد، إنما بالتهليل والتكبير وأصداء كلمة الإيمان والتوحيد .

فكم كانت الأمة تتحين هذا اليوم لتذوق حلاوة العدل بعد تجرعها غصص الظلم عصورا ودهورا ولتنعم بنور الإيمان الذي حرمت منه عقودا قضتها وهي تتخبط في أنفاق مظلمة متشعبة من الأفكار الضالة والمذاهب المنحرفة والأهواء المتنوعة، وليزول عن صدرها كابوس جاثٍ عليها السنين الطويلة كلها كبت وذل وهوان وتبعية تامة وانقياد مخز لأراذل الخلائق وأسافلهم.

فاعرفوا قدر المنزلة التي بوأكم الله إياها، ثم انظروا ماذا أنتم صانعون، {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}.

أيها الإخوة المجاهدون الأحباب:

إن دولتكم –بل دولتنا ودولة كل المسلمين– مولود جديد طالما انتظره العالم بشغف المحب ولهف المكبوت، فما أحوجه إلى العناية الجادة والرعاية الصادقة والصيانة التامة لينشأ على صفاء الفطرة، فلا يُنصّر ولا يُهوّد ولا يُمجّس ولا يُحرف عن الجادة إلى أي وجهة كانت، وهذا يستوجب منكم جميعا جهدا مضنيا ويقظة تامة وعملا دؤوبا، تنمو به الدولة نموا طبيعيا متسلسلا، يلائم قوتها ويلاحظ قدرتها، يجتمع فيه الحزم والعدل والرفق والقوة

والفهم والواقعية والحكمة والإخلاص والتثبت والإقدام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع مراعاة آدابهما وضوابطهما وقواعدهما وفقههما، {الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}.

وهو يتطلب أيضا من كل المجاهدين المخلصين في العراق أن يوحدوا جهودهم ويرصوا صفوفهم ويجمعوا كلمتهم ويضموا قوتهم، ليكونوا صفا متماسكا مرصوصا ويدا واحدة، تطيب بها قلوب المحبين الصادقين، وتغيظ نفوس الحاقدين الحاسدين.

ومن هنا فإني أدعو –وبكل إلحاح– إخواني المجاهدين في "جماعة أنصار السنة" و "الجيش الإسلامي" و "جيش المجاهدين" وغيرهم من الجماعات الجهادية، التي كانت ولا زالت لها صولات وجولات في مقارعة النصارى المحتلين وأذنابهم المرتدين؛ أدعوهم –قيادة وأفرادا– إلى المسارعة في الخير الذي دعا إليه القرآن وحض عليه وأمر به، والذي به نجاح الدنيا وفوز الآخرة، {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}، وأن يكونوا خير معين في إنجاح هذا المشروع العظيم –دولة العراق الإسلامية –وذلك بانضمامهم – قلبا وقالبا – إلى إخوانهم فيها، ووقوفهم إلى جانبهم في دعمها وتقوية أركانها، فاجتماع الكلمة كما أنه واجب شرعي أولا، فهو أيضا مطلب واقعي وحاجة ملحة يفرضها الظرف وتقتضيها المرحلة التي يمر بها الجهاد المبارك في العراق، {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.

تأبى العصي إن اجتمعن تكسرا *** وإذا افترقن تكسرت آحادا

فارتفعوا بأنفسكم عن دواعي التفرق والخلاف، وتغلبوا كل العقبات التي تمنعكم من هذه الغاية السامية، وقدموا مصلحة دينكم ومطلب أمتكم وصيانة مسيرتكم.

وأذكركم بقول الصحابي الفقيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذ قال: "إن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة."

وهاهم إخوانكم في دولة العراق الإسلامية –صانها الله– قد شرحوا لكم صدورهم ومدوا أيديهم وذللوا أنفسهم وخاطبوكم –ولا زالوا– خطاب الأخ المحب لأخيه الحريص عليه وقرعوا كل باب لبلوغ هذا المطلب الشريف –الاتفاق والاجتماع– ونحن ندعوهم ونحرضهم ونحضهم على الاستمرار في هذا المسلك الطيب الذي يسيرون فيه تجاهكم بالنصيحة والرفق وخفض الجناح ولين الجانب، زادكم الله سدادا ورشادا.

فبادروا أحبتنا لتكونوا معهم حصنا حصينا تقام به شريعة الإسلام وتجتمع تحت لوائه كلمة التوحيد وتحفظ تضحيات الأبطال وتصان جهود المخلصين لتنالوا بذلك ثناء الصالحين المصلحين في الدنيا وعلو الدرجات في الآخرة.

إخواني المجاهدين في العراق:

إنكم اليوم رأس الحربة وفي مقدمة القافلة وعلى خط النار الأول، فنصركم –بإذن الله العزيز الحكيم– له ما بعده، فشدوا الحملة وقووا العزم وأعلوا الهمة وشمروا عن ساعد الجد واحفظوا الأمانة وارتقوا بأنفسكم ومساعيكم عن سفاسف الأمور وسقطها وتجردوا من حظوظ النفوس وانبذوا دخائلها واحذروا من خفايا الأهواء.

واعلموا أن أمتكم كلها من ورائكم، بقلوب يحدوها أمل الظفر، ويشدها انتظار النصر، فلا تخيبوها ولا تخذلوها، وأروها منكم رشادا وسدادا وثباتا على سبيل الجهاد وطريق القتال وصفاء المنهج، كما بدأتم المسير فلتواصلوه، وكما شرعتم في الزرع فلتحصدوه، واجتنبوا متاهات السبل التي لا تزيدكم إلا رهقا.

أيها الإخوة المجاهدون الأحباب:

إن جهادكم المبارك وملحمتكم العظيمة ومعركتكم الفاصلة؛ ليست جهاد شعب العراق وحده ولا جهاد جماعة أو طائفة فحسب، بل هو جهاد أمة الإسلام كلها .

فهو جهاد الشهداء الصادقين الذين قدموا من أجل دينهم وعقيدتهم وشريعتهم أغلى وأجل ما يملكون، حيث جادوا بأرواحهم، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، وقدموا مهجهم بقلوب سخية ونفوس رضية، إذ توالت صفوف الاستشهاديين تترى من أصقاع الأرض وهم يتسابقون على الانغماس في بحر المنايا، لتعز وتهنأ أمتهم، فحق للعراق أن تتباهى بهم وأن تنال وسام أرض الاستشهاد.

وهو جهاد الأسير المكبوت الذي يتجرع غصص الإذلال والإهانات والكبت والشدة على أيدي عباد الصليب وأذنابهم في أبي غريب وغوانتانامو وباجرام والأردن وجزيرة العرب وغيرها، وهو في ذلك كله صابر مصابر محتسب، مترقب يوم نصركم وساعة فوزكم، ليستلم جائزة ضريبته، مستبشرا آمنا لا باسرا وجلا.

وهو جهاد المهجّرين المشتتين الذين أحرقتهم ودمرت قراهم قنابل الحقد الصليبي في الفلوجة وتلعفر والقائم وغيرها وهم يتربصون يوم تطهير الأرض من رجس الكفرة ويرقبون كسر شوكتهم، ليأووا إلى ديارهم ويرجعوا إلى مساكنهم، آمنين مطمئنين، فتنقلب أحزانهم أفراحا ومآسيهم هناء.

وهو جهاد الطاهرات العفيفات المصونات، اللاتي ولغ في أعراضهن أرجس وأنجس الخلائق، لا لشيء إلا أن دينهن الإسلام وعقيدتهن التوحيد، فهن يلقين على كواهلكم أمانة تنوء لحملها الجبال الراسيات لأخذ ثأرهن ومواساتهن في مصيبتهن.

وهو جهاد المشردين المطاردين في مشارق الأرض ومغاربها ممن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فلا مأوى يؤويهم ولا ملجأ يضمهم، إذ تخطفهم أيدي الكفرة حيثما حلوا، وأينما نزلوا، فهم ينظرون إليكم وقلوبهم تتحين يوم الإيواء والتمكين، ليزول ما هُم فيه من الاستضعاف والمطاردات والتشرد الذي لا يكاد ينفك عنهم أو يفارقهم طرفة عين.

وهو جهاد العلماء الصادعين بالحق، الذين عرضوا أعراضهم للطعن والسب من أجلكم، فهم يذبون عنكم بأقلامهم وألسنتهم ليلا ونهارا، ويبددون شبهات المرجفين ويدحضون دعاوى المبطلين، وتحملوا في سبيل ذلك كل عنت ونصب.

وهو جهاد الأمة المسلمة بأسرها، والتي تسلط عليها حثالة من العملاء والأشرار وتحكم فيها أراذل الناس –من السنغال غربا إلى إندونيسيا شرقا– وقد اصطلوا بنار الطغيان والظلم والقهر وكبت الأنفاس وقوانين الكفر المستوردة والمحلية، فهم يبحثون عن نسيم هدى ينعشون به حياتهم البئيسة ويستردون كرامتهم الضائعة .

وهو جهاد إخوانكم في الأرض المقدسة التي بارك الله فيها وحولها في فلسطين، حيث بلغ بهم البلاء والشدة والعناء مبلغا لا يصفه لسان ولا يبلغه بيان وقد أذاقهم ويذيقهم أحفاد القردة والخنازير صنوفا وألوانا من العذاب من تشريد وتهجير واعتقالات وتهديد مما يشيب له مفارق الولدان، فآمالهم –بعد الله تعالى– في جهادكم المبارك، لتكونوا لهم ردءا ومعينا ونصيرا، تقوون ساعدهم وتشدون أزرهم.

فالله الله في ذلك كله.

أيها الإخوة المجاهدون الأحباب:

إنكم اليوم على مفرق الطريق، حيث بدأت ملامح الانكسار وبوادر الهزيمة لعدوكم المحتل تتجلى على الساحة العسكرية، لاسيما بعد خطته الأمنية الخائبة وأصبحت هزيمته بإذن الله قاب قوسين أو أدنى وغدا يصارع الموت ويعالج سكراته، باحثا عن مخرج ينقذ به نفسه ولو كان كسم الخياط، وعلم علم اليقين أنه خاسر في هذه المعركة لا محالة .

وما إعلان بريطانيا العجوز –وهي أكبر حلفائه– عن سحبها لبعض قواتها إلا بداية الانحدار والانكسار الذي لا يغطيه تمويه الإعلام وكذب الساسة .

فها هو العدو المندحر قد لجأ إلى المخادعة والمراوغة والمكر والكيد والكذب والبهت وركض نحو عملائه في المنطقة ليخرجوه من ورطته التي غرق فيها.

فبدأت خيوط المؤامرات تنسج بأيديهم النجسة وتدبر بعقولهم الماكرة، فاقتحمت حكومة آل سعود حلبة الصراع، ولكن ليس بجيشها الهزيل، فهو أضعف وأوهن وأذل من أن يخوض هذه المعامع، ولكن بتدثر ثوب الحرص على أهل السنة في العراق وإطفاء نار الحقد الرافضي التي تلتهمهم وتصليهم، ليترلق في هذه المؤامرة الماكرة كل من لم يكن الجهاد عنده دينا راسخا وعقيدة ثابتة وعبادة قائمة ومنهاجا مؤبدا، فيجد نفسه قد وقع في الشراك الذي نصب له وأحاطت به حبائل الكيد من كل جهة، وإلا فما هذه الحمية الإسلامية واليقظة العقائدية التي حركت حكومة آل سعود وتوابعها من حكومات المنطقة للدفاع عن أهل السنة في العراق؟! وكلنا يعلم أن سجون هذه الدول قد غصت بالآلاف من العلماء والعُباد وطلبة العلم والمجاهدين أهل الغيرة الحية والنصرة الصادقة والولاء الحقيقي لإخوانهم من أهل السنة!

وإذا كانت هذه الحكومات العميلة الهزيلة جادة في محاربة الرفض وأهله وإبطال مشروعهم في المنطقة، فلماذا يُحارب الرافضة المجرمون في العراق ويفتح المجال لكل متحدث ببيان حقيقتهم وكشف مخططاتهم وإصدار الفتاوى ضدهم، بينما تُفتح أبواب دعوتهم داخل جزيرة العرب وفي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقام هناك مواسمهم الشركية وأعيادهم البدعية بحماية ورعاية أجهزة حكومة آل سعود نفسها، بل ويتولون أعلى المناصب في تلك الدول، وفوق ذلك يُحارب ويُعتقل ويُنكل بكل من يُستشعر منه أدنى معارضة أو تمعر للمد الرافضي في جزيرة العرب؟! وإن شئت فسل سجونهم تنبئك عن صدق الخبر!

{أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ فِي الزُّبُرِ}.

إن الذابين عن أهل السنة في العراق؛ هم المخلصون من المهاجرين والأنصار، الذين لم يجعلوا جهادهم سلعة مهينة تباع وتشترى في أسواق المصالح الدولية ولا صفقات سياسية، يحلونه به عاما ويحرمونه عاما، ففدوا أهل السنة بنفوسهم وذبوا عنهم بكل ما يملكون، وأذاقوا الروافض الأشرار الويلات وسقوهم كؤوس الحسرات ومزقوهم كل ممزق، انتصارا للحق، لا لدعاوى المصلحة، وقياما بواجب الولاء، لا لمخادعات الضلال والأهواء.

وهؤلاء المجاهدون الصادقون لن يرضوا أبدا ومن أي أحد أن يكون شعار الدفاع عن أهل السنة ثغرة يتسلل منها المفسدون لتحريف الجهاد عن مسيرته أو سرقة ثمرته أو تمييع قضيته أو جعله كرة يتلاعب بها الطغاة بأهوائهم.

ولذا فإن نصرة إخواننا أهل السنة في العراق الحبيب ليست بحاجة لأن تمتد إليهم أيدي حكومة آل سعود النجسة، والتي ما دخلت قضية من قضايا المسلمين إلا دنستها وأفسدتها وحرفتها وضيعت ثمرتها، كما هو دأبهم في جميع ساحات الجهاد المعاصر.

إنما هم بحاجة لدعم ومساندة ومناصرة الشعوب المسلمة بالنفس والمال والإيواء والدعاء والتحريض، فهذا هو التأييد الذي هم بحاجة إليه، والذي تُجنى ثماره النقية حفظا للأرواح وصيانة للأعراض وتمكينا للشرع الخالص، لا لشريعة آل سعود، فبهم تربطهم رابطة الولاء الإيماني، وهم محل ثقتهم لبراءتهم من إفك السياسة وتضليلات المصالح وتزيينات الإعلام.

فيا أيها الإخوة المجاهدون في العراق:

لتكونوا على يقظة تامة مما يخطط لجهادكم ويحاك لدولتكم، فما كان لهؤلاء الأشرار الذين ترسو بواخر الدمار في مياه دولهم، وتنطلق الطائرات التي تحمل الموت والخراب من قواعد عسكرية محصنة فوق أراضيهم، وتنفق المليارات بسخاء حاتمي لا نظير له من كنوز أموالهم على دعم أعدائكم، ما كان لهم أن يقدموا خيرا أو نصحا أو نفعا لكم ولشعوبكم، مهما تظاهروا بذلك، إلا وقد دسوا فيه السموم ما يكفي لإبادتكم وتخريب جهادكم، وستكتشفون ذلك بعد فوات الأوان فيحل الندم، ولات ساعة مندم.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ}.

فإياكم أن تستهويكم الدعايات البراقة، وأن يوقعكم الشيطان وأولياؤه في مصائدهم المتشابكة المتداخلة المعقدة، فوالله ما ذلك إلا خيانة عظيمة فادحة لدماء الشهداء وإهدار مجاني لجهود الصادقين الأوفياء وتضييع للأوقات في غير طائل ولا فائدة ترجى، والأدهى من ذلك كله والأَمَرّ هو تذليل للطريق أمام المعتدي الغاصب وأعوانه للتمكن في الأرض من جديد والتحكم في رقاب العباد مرة أخرى ومن ثم الرجوع من حيث البدء.

فالأمر جد خطير، وليس كما يريد البعض أن يهوّن من شأنه ويروج له بكافة السبل من تزيين وترغيب ودعايات، فلا طريق للتمكين وحفظ الدول إلا الجهاد في سبيل الله، والجهاد وحده، ولا سبيل لطرد الغاصب المحتل المعتدي وسحق أذنابه إلا السلاح والقوة والقتال، مع استعانة بالله وتوكل عليه واستنصار دائم به، فهذا هو السبيل، وما سوى ذاك وسواس الشياطين.

فبه يقام الشرع وتحفظ الملة وتحبط المخططات وتنكشف الدسائس وينفضح الدخلاء وينقمع العملاء، فعليه سيروا وبه فاستمسكوا، {وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ}.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾



إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، رسول الهُدى البشير النذير والسراج المُنير.

وبعد:

فاللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميدٌ مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، اللهم صل وسلم على النبي الأمي سيد المرسلين وإمام المتقين صاحب الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، من أدّبه ربه فأحسن تأديبه شرح صدره ورفع ذِكره وأعلى قدره، خير من وطِئ الثرى وأفضل من سكن القُرى من جعله الله رحمة للعالمين ونعمة ومنة وقدوة للمؤمنين، قضى عمره داعياً للحق ساعياً لهداية الخلق.

قال الله في حقه: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أخشى البرية لله وأتقاهم لمولاه وأعرفهم به وأقربهم منه وأحبهم إليه فهو خليله وحبيبه وصفيه اختاره الله واصطفاه وأسرى به وأعلاه، أقسم الله بحياته وما أقسم بحياة أحد سواه فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

كلامه وحيٌ ونورٌ وهدى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، صاحب الشفاعة الكُبرى والمقام المحمود صلى الله عليه صلاة دائمة باقية ما بقي الليل والنهار.

فلقد تناهى إلى أسماعنا وأسماع المسلمين جميعاً ذلك الحدث الجلل والداهية العظمى والنازلة الكبرى والتي اهتزت لها الأرض وارتجّت بأهلها شرقاً وغرباً في فاجعةٍ هي أم الفجائِع وطامة هي أم الطوام تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا.

تناهى إلى أسماعنا ما أقدمت عليه بعض الصحف الوضيعة القذرة في دويلتي الدنمارك والنرويج وما ارتكبته الأقلام القزمة في حق سيد الأنبياء والمُرسلين الصادق الأمين من الاستهزاء والسخرية والازدراء بنشر تلك الرُسوم البشعة الحقيرة التي أرادوا بها حسداً من عند أنفسهم وبغضاً وكراهية مُنتنة تفوح بها قلوبهم، أرادوا بها تصوير النبي المُختار سيد الأبرار وإمام الأخيار صلى الله عليه وسلم وذلك بأقبح المظاهر وأرذل التعابير وأخس التصاوير أخزاهم الله وكبتهم وشلّ أيديهم وقطّع أناملهم وأوصالهم.

فبعد هذا كله ما كان لكل مؤمنٍ صادقٍ مُحب موالٍ لله ولرسوله إلا أن يرتج قلبه ويلتهب صدره من هول ما سمع أو قرأ، وإنه لمن المؤسف حقاً وأمام هذا الحدث الجلل أن يكون ردنا عليه مجرد كلمة قصيرة نلقيها نُعبِّر فيها عن شدة المرارة والأسف والأسى والحُزن والضيق فالأمر أدهى وأمر وأعظم وأكبر من أن يكتفى فيه بمجرد الكلمات العابرات، إنه إهانة بالغة لمن قال الله سبحانه وتعالى في حقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، إنه استهزاء قذر بمن قال الله فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾، إنه ازدراء بمن قال الله فيه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، إنه غمطٌ وسُخرية لمن قال الله في حقه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

إنه سبٌ وشتمٌ وطعنٌ ولعنٌ لمن قال الله فيه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ولمن قال عن نفسه: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر".

إنه استنقاص وهزأ لمن عرفه أصحابه رِضوان الله عليهم فلهجت ألسنتهم بِذكره وتبجيله وتوقيره ومدحه فقال شاعره والذّاب عن عِرضه حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وأحسن منك لم تر قط عيني *** وأجمل منك لم تلِد النساء

وُلِدت مبرأ من كل عيبٍ *** كأنك قد وُلِدت كما تشاء

والذي قال في حقه عبد الله بن رواحة وقد تملّك قلبه حبه رضي الله عنه:

وفينا رسول الله يتلو كتابه *** إذا انشق معروفٌ من الفجر ساطعُ

أرانا الهُدى بعد العمى فقلوبنا *** به موقناتٌ أن ما قال واقعُ

يبيت يُجافي جنبه عن فِراشه *** إذا استثقلت بالكافرين المضاجعُ

فهو حبيبنا وقرة أعيننا وريُّ قلوبنا، قال صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين".

فتلك هي منزلة نبينا صلى الله عليه وسلم عند ربه وبين أصحابه وأتباعه، فبهذه الحادثة الشنيعة والجرأة الوقحة قد كشف الكفر عن وجهه الكالح الأسود ورفع الحجاب عن حقيقة ما تُكنه صدور أهله من الحقد الدفين والحسد الكمين والغيظ الفائض، وأسفروا عن محادهم جهاراً وأعلنوا عداوهم نهاراً والتي أخبرنا الله عنها في كتابه مراراً وتكراراً كما قال سبحانه: (إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبينا)، وكما قال عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ)،وكما قال عز وجل: (إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ).

وهي الحقيقة التي لا يمكنهم الصبر على إخفائها مهما دلّسوا ولبّسوا وزوّروا ومهما تظاهروا وتصنعوا فما كان منهم وقد رأوا نور الإسلام أضحى يشع شرقاً وغربا، وروح الحياة بدأت تدب في أوصال أمّة الإسلام، ونسائم العز صارت تهب عليها في ميادين الجهاد والجلاد ومواطن القتال والنزال، ما كان منهم بعد هذا كله أن يصبروا على نفاقهم ومسايراته فأفصحوا عمّا تمتلئ به قلوبهم وتنضح منه صدورهم فأقدموا على ما أقدموا (وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ).

نعم لقد ظهر للجميع حقيقة ادعاءات وشعارات التسامح والتعايش والحوار والسلام والوئام والتوافق والتصافي التي طالما رفعوها وزينوها وخدعوا بها الكثير ممن لم يقرأ صفاهم ويعرف حقيقتهم كما بينها العليم بذات صدورهم وخبايا نفوسهم فراح يركض وراء ذلك السراب وهو يحسب بذلك أنه يُحسن صُنعا، فها هي الأُمور تظهر على واقعها الذي لا لبس فيه ولا غبش بعداوة ظاهرة سافرة وبغضاء مُعلنة مُجاهرة بحيث لم يبق أصحابها الكفرة الفجرة حجة لمحتج ولا اعتذار لمعتذر ولا تمييعاً لِمُميع.

إنّ هذا الحدث الأليم العظيم قد أبان عن أهمية عقيدة الولاء والبراء ووجوب خلوصهما ونقائهما من كل شوب وتصفيتهما من كل تلبيس لِيُعرف الكافر بكفره فيُعادى ويتميز المؤمن بإيمانه فيُوالى، وهذا يستوجب من كل مسلم لاسيما الدعاة الصادقين بيان حقائق الكفر وإظهار دركاته وتعرية ظلماته وتجلية حقيقة الإيمان وتفصيل شُعبه بمناهج محددة واضحة تفصل سبيل المجرمين عن سبيل المؤمنين وتُعري أهل الضلال والخبال عن أصحاب الهداية والرشاد، فإن تقوية عامل العداء والبراء والبغضاء في قلوب المؤمنين تجاه الكفرة المارقين أمر من

قواعد الدين وأُصوله ومُرتكزاته، قال الله تعالى: (لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) وقال عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ).

إنّ هذا الحدث الأليم العظيم الأثيم قد كشف عوار تلك الدعوات المهينة الاستسلامية الانهزامية التي رفع لواءها بعض الإسلاميين ممن أُشرِبوا حُبّها وشغفوا بشعاراتها، والتي تكاد تطوي سجل الجهاد طياً لا رجعة بعده ولا عود، وتستحيي من ذِكره فضلاً عن الدعوة إليه، مستبدلة الذي هو أدنى بالذي هو خير، فراحت تركض وراء سراب الديمقراطية وشِعارات الحرية وخدائع المساواة.

فها نحن اليوم نجني ثِمار ما زرع أولئك فالكفرة يُحاجونهم بقواعدهم التي تبنوها ويُناظِرونهم ويُلزِمونهم بأُصولهم التي نافحوا عنها ودعوا إليها وركضوا وراءها حتى ذابت في بحر التمييع والاستلطاف حقائق الدين ومصطلحاته الكبرى، فسُمي الكافر بـ(الآخر)، ونُعِت الكفرة بـ(غير المسلمين)، وثقُل على ألسن الكثيرين وصف المجرمين بهذه الصفة التي سمّاهم الله العليم الخبير بها، وكبُر عليهم مناداتهم ومخاطبتهم بها وراحوا وراء ذلك يتحسسون ويبحثون عن قواسم مشتركة يتم فيها التعايش ويُبتعد عن صراع الحضارات كما زعموا وتمنوا.

فبعد هذه الجناية الأثيمة ألم يأنِ للذين يلهثون وراء سراب الديمقراطية عقوداً متتالية أن يفيقوا من غفلتهم ويستيقظوا من سُباتهم ويرجعوا ويتراجعوا عن متاهاتهم ويكفوا عن تضليل أمتهم ويقفوا عند حدود الشرع مُذعنين مستسلمين عالمين بأن الخير كل الخير فيما اختاره الله سبحانه وتعالى لهم.

أما دروا أنهم قد خدروا شعوبهم وخدعوها بذلك ؟

ألم يشعروا أنهم أماتوا الغيرة والحمية في قلوب المؤمنين وقلبوا الحقائق في أذهانهم ؟

فماذا لو قال لهم الكفرة المجرمون –وقد قالوها– بأن حرية التعبير –وهي من أُسس النظام الديمقراطي– لا تمنع من شيء ولا تحد حدا ولا تقدس أحدا ؟

أما آن لنا أن نسد هذا الباب الذي لم يُدخل علينا إلا كل شر وضلال ووبال ؟

فإلى متى نخادع أنفسنا بها ونُغمِض أعيننا عن فسادها وإفسادها، ونُميت قلوبنا بدعواتها ؟

داهنّاهم فما داهنونا، وتوددنا إليهم فما وادّونا، وألنّا إليهم فتصلبوا أمامنا، ومدحناهم فأكثروا من ذمنا، وقدّسناهم فأهانونا، واستجديناهم فاستعلوا علينا، فلماذا نلبِّس الحق بالباطل، ونمزج النجس بالطاهر، ونخلط الدنِس بالخالص، ثم نقول للناس هذا دين الله الذي جاءت به الرسل وجُرِّدت لأجله السيوف وتقارعت في سبيل تحقيقه الأبطال.

نعم.. إنّ ما فعله هؤلاء الكفرة وإن كان أمراً مستعظماً ومُستبشعاً ومُستقبحاً لدى كل صاحب إيمانٍ وخُلُق وهُدى إلا أنه ليس بغريبٍ على من عرف مناهج الكفرة قديماً وحديثا، وخبر طرائقهم في محاربة الدين سراً وجهرا، واستوعب أساليبهم في التنفير منه ومن أصحابه وحملته قولاً وفعلا، فلطالما حدثنا القرآن الكريم بكل وضوح وجلاء وبيان عن صور الصراع الدائم المتواصل بين الرسل وأتباعهم من جهة وبين أعدائهم الكفرة من جهة أخرى بالطعن واللعن والسخرية والاستهزاء والتعالي والتكبر والقتل والرجم والتهجير والتهديد.

فما حصل اليوم ما هو إلا حلقة متصلة بهذه السلسلة العدائية القذرة الضاربة في أعماق أعماق الزمن والتاريخ، فهو غريب وعجيب على من لم يعرف سبيل المجرمين على حقيقتها، وهو غريب وعجيب على من لم يستقِ مفاهيمه وآراءه ومذاهبه من مشكاة الوحي الذي جلا بنوره كل تلك الترهات، وهو غريبٌ وعجيب على من أحسن الظن بالكفر والكافرين وحسب أنهم صادقون مخلصون في شعارات التسامح والتعايش ونبذ العداء والاحتكام إلى الحوارات.

أمّا أهل الإيمان الصادق والمعرفة الحقة والعقيدة الراسخة والفهم القويم والاستمساك بالعروة الوثقى فهؤلاء يقرؤون في كتاب ربهم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ).

ويقرؤون فيه: (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ).

ويقرؤون فيه: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ).

ويتلون فيه أيضا: (وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ).

فالشيطان هو الشيطان وأولياؤه وأنصاره وأتباعه هم اليوم كما هم بالأمس، فلماذا العجب إذاً مما فعل رعاة البقر وعبدة الشهوات وسقط الخلائق الذين قال الله فيهم: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)، وقال الله فيهم: (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً).

إذاً فنحن أمام إعادة بشعة لصورة طالما ذكّرنا بها القرآن الكريم، وعرفها وعرّفها التاريخ من العداء والبغضاء والكراهية والحقد الذي مارسه الكفرة ضد أنبيائهم ورُسُلِهم، وهذا الفعل القذر هو بمثابة معول ضخم هُشِّمت به دعاوى الحضارة والتقدم والرُقي التي راجت على كثير من المُغفّلين أو الغافلين، وأظهرت أن الكفر هو الكفر

والكافر هو الكافر والعداوة هي العداوة، سواء مارسها رجل يقود جملاً أو حماراً أو بغلة أم مارسها رجل يركب سيارة أو طائرة أو باخرة، وسواء صدرت عن من سكن الخيام وأقام بين الرمال والجبال أم صدرت عن من يسكن الفلل الفارهة والمُدن الراقية والقصور العالية فقد نُظِم الجميع في سلك واحد ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾.

يا أهل الإسلام، ويا أمة التوحيد، ويا حُماة العقيدة، ويا ذوي الغيرة على الحق:

إنّ من لم يستيقظ اليوم فلن يستيقظ أبدا، ومن لم ينهض اليوم فلن ينهض أبدا، ومن لم يتحرك اليوم فليمت في ركوده وجموده وليعكف على سكونه وركونه، فماذا بقي من شريعتنا ومقدساتنا وشعائرنا لم تُعمل فيه معاول الهدم أو تصله أيدي العابثين وتحاربه أقلام المجرمين، فكتاب ربنا الذي جعله الله سبحانه حجة باقية محفوظة متحدية قد أهانوه بأقبح وأوقح الإهانات ودنسوه بأخس وأرجس الطرق على مرأى ومسمع من المسلمين شرقاً وغربا، ولسان حالهم يقول في تبجح وبطرٍ واستعلاء: هذا كتابكم رمز عِزتكم وروح حياتكم ووقود حركتكم قد دنّسناه ودُسناه وأهنّاه فماذا أنتم فاعلون.

ومساجدنا وهي بيوت الله والتي يُرفع فيها اسمه كثيراً قد هدموها ومسخوها وجعلوها مراكز لهم ومحطات لتنقلاتهم في حربهم ضد المجاهدين من قبل في البوسنة والهرسك والآن في عراق الخلافة وأفغانستان الصابرة وفلسطين الجريحة وكأنهم يقولون لنا غير مُبالين ولا مكترثين: تلك هي مساجدكم ومفاخركم آن لها أن تصمت عن تكبيراتها وتكف عن إخراج الكتائب وتخريج الرجال لتكون بعد ذلك معقِل فساد ومنبع إفساد:

حيث المساجد قد صارت كنائِس ما *** بهنّ إلا نواقيسٌ وصُلبانٌ

حتى المحاريب تبكي وهي جامدةٌ *** حتى المنابر ترثي وهي عيدانُ

وأعراض أخواتنا المسلمات الطاهرات العفيفات الحرائر قد ولغوا فيها بلا حساب ولا عِقاب ولا زاجرٍ ولا رادع، صرخن فلا مُجيب وندبن فلا مُستمع، واستغثن فلا مُغيث، وهُنّ في ظُلمات سجونهم الظالمة تأكل اللوعة قلوبهن وتفتت الحسرة أكبادهن ولسان حالهن: ما طعم عيش المرء إذ ذهب العِرضُ.

وأخيراً: لم يُشبعهم كل ما فعلوا ولم يشف صدورهم كل ما ارتكبوا فراموا إمام المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ليشينوه بتلك الرسوم الحقيرة فكانت الطعنة القاتلة بعد تلك الطعنات، والداهية الماحقة إثر تلك الداهيات فلا طاب عيشٌ بعدها ولا هنأت الحياة فوقها:

فإنّ أبي ووالدتي وعِرضي *** لعِرض محمدٍ منكم فِداءُ

فيا أيها المسلمون:

أشعلوها ناراً لا تخبو ولا تنطفئ وحرباً لا توقف، أقّلوا من الكلام وأكثروا من الفعال، اقتصدوا مـــن التنديـــد والشجب والاستنكار وشدوا الحملة بالصارم البتار، إننا لا نريد منهم اعتذاراً ولكن نريد منهم هواناً وصـــغاراً وذلة وانكساراً تُرغم بها أُنوفهم ويُذل كبرياؤهم وتُكف شرورهم وليخسؤوا فلن يجاوزوا قدرهم، وهل لمثلـــهم قدر! ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾.

ولتصغوا أيها المؤمنون جميعا لنبيكم ولتستمعوا له حينما مسه الأذى من ذلك الكافر المارق كعب بن الأشرف فقال بأبي هو وأمي: "من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله"، فقال له الفارس المنتصر لله ولرســـوله محمد بن مسلمة: أتُحبُ أن أقتله؟ قال: "نعم"، فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعقد الندوات المنددة بأفعال كعب بن الأشرف ولم يأمر الصحابة بالظهور في مظاهرات حاشدة للشجب والاستنكار وطلـــب الاعتـــذار ولم يُشغِل نفسه بسفاسف حريات التعبير والفكر والرأي وإنما جهّز له من الأبطال الشجعان بسرية وكتمان من حزّ رأسه وسفك دمه وقطع دابره، ليكون لمن وراءه عبرة ظاهرة وعظة قاهرة ألا فلتكونوا جميعاً محمد بن مـــسلمة انتصاراً لنبيكم ودفعاً للأذى عنه بالقتل والقتال والغزو والنزال ولا شيء غير القتل يُشفى به الصدرُ، ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّـــهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

فلتسلوا لذلك السيوف وهّيئوا الزحوف ولتسقوهم كؤوس الحتوف لعلكم بذلك تنالون وسام الرفعة ونياشـــين الرضا وتيجان الفلاح التي تقلدها وتُوج بها محمد بن مسلمة ورفقته رضي الله عنهم حينما قال لهم رســـول الله صلى الله عليه وسلم: "أفلحت الوجوه".

ونحن نقول اليوم من لدويلة الدنمارك ولقرينتها النرويج وثالثة الأثافي فرنسا عدوة الحجاب والنقـــاب والعفـــة والطُهر فإنها قد آذت الله ورسوله.

فقد كثُر الأكعاب فينا وجاهروا *** بسب الهدى لما تغيب مسلمة

وإننا والله لنود أن تُدك دكا وتُصيّر هشيماً تذروها الرياح، وتنقلب حصيداً خامدا كأن لم تغن بالأمس وتعـــود قاعاً صفصفا لا ترى فيها عِوجاً ولا أمتا وقد قال صلى الله عليه وسلم: "ما من امرئ مسلم يخذل امرأ مـــسلماً في موضع تُنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلم في موضع يُنتقص فيه من عرضه وتنتهك فيه حرمته إلا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته" فكيـــف إذا كان ذلك المنصور هو سيد المرسلين وأول المسلمين وحامل لواء الانتصار لشرائع وشعائر الدين، صلى الله عليه وسلم.

فيا سواعد الإيمان، ويا أهل القرآن، ويا ليوث التوحيد، ويا أحفاد محمد بن مسلمة:

إياكم وخُذلان نبيكم والتراخي في الذب عن جناب حبيبكم وحذارِ حذارِ أن يكون موقفنا جميعا هو مجرد ثورة عارمة ومظاهرات صاخبة وندوات متتالية تُشعلها وسائل الإعلام ثم تخبو شيئاً فشيئا حتى تتلاشى وتتوارى مع امتداد الزمن وننسى هذه الإهانة المقيتة ونتوانى عن مسح الجُرم واستئصال الورم وكأن شيئاً لم يكن كما حصل من قبل مع العُتل الزنيم الأفاك الأثيم سلمان رشدي والذي لا يزال متنعماً مصوناً محمياً من قِبل ذيل أمريكا بريطانيا بعد كتابه الشيطاني (الآيات الشيطانية).

وقولوا لهؤلاء المسخة بأقوالكم وأفعالكم:

يا شباباً لا يرى الموت سوى *** جنةٍ فيها الجنى نعم الجنى

طاب ممشاكم ومحياكم فإنْ *** بأسُكم في الحرب إلا فخرُنا

مزِّقوا أوصال من صالوا على *** أرضنا بل عرضنا بل شرعنا

فتتوا أكبادهم ذُعراً كما *** بالرزايا فتتوا أكبادنا

زلزلوا الأرض بهولٍ لا يروا *** غيرَه حتى يذوقوا بأسنا

جدِّدوا حكماً لسعد قد جرى *** قبلُ في أجدادهم دون انحِنا

أحطموا حطمًا حصوناً لم تزل *** موئلاً بل هدِّموا كل بنا

واجعلوا الأرض بحاراً من دما *** من بنوا للكفر صرحاً بيننا

هكذا يُجلى العدا عن أرضنا *** وبه نرجعُ منهم حقنا

فانبذوا نهجاً سقانا ذلةً *** وارفعوا بالحق دوماً رأينا

يا أُمّة الإسلام ويا شباب الإسلام يا أحفاد محمد بن مسلمة وسعد بن معاذ وخالد بن الوليد والمقداد بن عمر:

هذا بابٌ من أبواب الجنة قد فُتح أمامكم على مِصراعيه لا يلِجُه إلا الصادقون المُحبون الباذلون نفوسهم بسخاء ورضا، فهُبوا ولبوا وانفروا خفافاً وثقالا شيوخاً وشبابا، جماعات ووحدانا وشدوا حملتكم على الكفرة المستهزئين وأروا الله العظيم ما يرضيه عنكم لتستحقوا إنزال نصره لكم.

(إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)، وإلا فاعلموا إن تخليتم وتأخرتم وتقهقرتم وتقاعستم أن لله جنود السماوات والأرض وقد وعد بكف كل شرٍ عن نبيه صلى الله عليه وسلم (وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)، (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)، (إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ).

أما إنكم إن تهاونتم إزاء هذا الجرم الأثيم وزهدتم في التضحية والانتصار لنبيكم الكريم وتركتم سفهاء القـوم وسفلتهم يتمادون في وقاحتهم ويسترسلون في سخريتهم واستهزائهم فعندها فالأمر كما أخبرنا ربنـا عـز في عُلاه: (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ).

أمّا أنتم يا طُغاة الحُكم وحماة الظلم يا أيتها الخُشب المسنّدة والشياطين المُجنّدة، يا عبدة العروش والكروش:

فمالكم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم، وما هذه الحمية الأسدية والغضبة العُمريـة الـتي انتفـضتم بهـا وتقمّصتم ثوبها ومنذ متى عرفتكم أُمّة الإسلام حملة راية عزها وحصن شريعتها وقادة جيوشها وأبطال حروبها.

يا أساتذة النفاق ورؤوس الخيانة وجلادي الأمم:

استأصلتم شريعته وجئتم تتباكون عليه، وحاربتم سُنته وتظاهرتم بالانتماء إليه، ونكّلتم بأوليائه تقتيلاً وتـشريداً وتعذيبا وزعمتم أنكم أنصاره، وألجمتم ورثته الصادقين الصادعين بالحق والقائمين بالقـسط وادّعيـتم بـأنكم أتباعه، ونفستم بأفكاركم المسمومة في جسد أمّتنا حتى ماتت أو كادت ثم جئتم لتعالجوها، ومكّنـتم لأعـدى أعدائه وأبغض الخلق إليه وأشدهم عليه فشرحتم لهم صدوركم وأسلمتم دياركم وأذللتم شعوبكم عمالة لهـم وطلباً لإرضائهم وحِرصاً على مناصرتهم فكنتم لهم في كل محفل الجُند المُحضرين.

فمن ذا الذي يُصدق بعدها أنكم الذابون عن جناب سيد الأولين والآخرين الحامون لعرضه من عبث العـابثين والغاضبون له من سخرية الساخرين، ألا فتباً لكم ثم تباً لكم ثم تباً لكم.

ولتعلمي أمّة الإسلام أن ما ارتكبه هؤلاء السفلة ما هو إلا بداية نكستهم وعلامة ذهاب قوتهم وريحهم وهلاك دولتهم وانتكاس حضارتهم وتردِّيهم إلى هُوة سحيقة من المقت والغضب والانتقـام لا يقومـون ولا يُفلحـون بعدها أبدا، فما كان الله سبحانه وتعالى أن يُبقي من آذى نبيه بمثل هذه الأذية القذرة سارحاً مارحا وقد قال عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً)، وقـال سـبحانه: (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

وإنّ من سنن الله تعالى التي أخبرنا عنها في كتابه أنه إن أراد إهلاك أمّة واستئصالها وأخـذها اسـتدرج أهلـها بالفُسوق والفساد والطُغيان حتى إذا اشتد عليهم غضبه أخذهم أخذة رابية شديدة أليمة (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِـكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً).

فاللهم يا عزيز يا حكيم يا مُنتقم يا جبار يا قوي يا قهار

اللهم عليك بمن آذى نبيك، اللهم أحصهم عددا واقتلهم بِددا ولا تُغادر منهم أحدا.

اللهم سلط عليهم جُندك وعِبادك المؤمنين واجعلهم عبرة للمعتبرين وعِظة للمتعظين وشفاء لصدور قومٍ مؤمنين.

وصلِ اللهم وبارك على خير خلقك وخاتم رُسلك سيدنا وحبيبنا وقرة أعيننا محمدٍ وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

النـــــفيـــــر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾



{انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}

إن الحمد لله نحمده ونستعينه و نستغفره، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له، و أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله ، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وعلى من اهتدى بهديه وسار على سنته إلى يوم الدين.

أما بعد :فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتديَ لولا أن هدانا الله، الحمد لله الذي منَّ علينا بنعمة الاسلام و بنعمة القرآن و بنعمة اتّباع سيد المرسلين محمد صلى الله عليه و سلم، الحمد لله الذي منَّ علينا بالإيمان به، ومنَّ علينا بالهجرة في سبيله، ومنَّ علينا بالجهاد الذي أمر به في كتابه وأمر به نبيه صلى الله عليه و سلم.
فهذه الأمور الثلاثة التي هي الإسلام و الهجرة والجهاد من أعظم ما يمنُّ به الله سبحانه و تعالى على عبده، و قد قال النبي صلى الله عليه و سلم: "إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له في طريق الإسلام فقال أتُسلم وتذر دينك و دين آبائك و آباء آبائك ؟ فعصاه فأسلم و قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر و تذرأرضك و دارك وسماءك و إنما المهاجر كالفرس في طِوَله فعصاه فهاجر و قعد له في طريق الجهاد و هو جهد النفس و المال فقال أتقاتل فتُقتَل فتنكح الزوجة و يُقسم المال فعصاه فقاتل قال النبي صلى الله عليه و سلم : فمن فعل منهم ذلك فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة و من قُتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة و إن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة و إن وقصته دابّته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة. "
يبيّن لنا هذا الحديث العظيم الرحلةَ الصحيحة التي سيسير عليها العبد في هذه الدنيا إن هو سلك الطريق القويم ، و سار على سنّة و هدي الأنبياء و المرسلين، فأولها دخوله في دين الاسلام، إلا أن دخوله لهذا الدين واهتداءه بشرعه القويم سيكون أمامه فيه العقبات والعقبات ، فأولها أعظم عقبةٍ و أكبرها و هو الشيطان الرجيم الذي

أخرج أبوينا من الجنة بعد أن زيّن لهما أكلهما من الشجرة) وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ۞ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ۞.

فالشيطان الرجيم قعد لابن آدم في كل طرق الخير ليصدّه عن طاعة الله عزّ و جل و ليأمره بمعصية الله سبحانه و تعالى، فقعد له في طريق الإسلام لأنه يعلم أن دخول العبد في دين الله عزّ وجل يعني الفلاح والنجاح والفوز في الآخرة كما قال الله عزّ و جل} :فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ}.

فالشيطان يريد من ابن آدم أن يموت على الكفر و أن يموت على الشرك ليكون معه في نار جهنّم ، و ليستمع عندها إلى تلك الخطبة الشيطانية و هو في قعر جهنّم يصطلي بنارها و بجحيمها {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ}.

{كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ} .

هذا هو حال الإنسان عندما يتّبع خطوات الشيطان يدعوه إلى معصية الله و يزيّن له مخالفة أمر الله عزّ و جل حتّى إذا زلّت قدمه و اتبع هواه و قاده الشيطان عندها تبرّأ منه و أعلن براءته من اتباعه ، و لذلك فما من أحد يتبع الشيطان في هذه الدنيا إلا و هو يعبده و إن زعم خلاف ذلك ! وإن لم يركع و لم يسجد و لم يصلِّ للشيطان إلا أنّه في الحقيقة إنّما يعبد هذا الشيطان كما قال الله عز و جل {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ}.

إذاً : فكلّ هؤلاء الكفرة الذين يعيثون في الأرض فساداً و الذين تسلّطوا على رقاب العباد بالقهر و الإذلال و الذين يُخرجون الناس من النورإلى الظلمات و الذين يُلزمون الناس بالكفر و الشرك و الضلال المبين إنما هم جنود للشيطان و هم أولياء للشيطان و إن تبجّحوا و إن تفاخروا و إن تسمّوا بالأسماء المتعدّدة. فما بوش و برويز و مبارك و ابن سعود و أبوتفليقة إلا جنود للشيطان ، فنحن عندما نقاتل هؤلاء المجرمين إنما نقاتل من ؟ نقاتل جنود الشيطان كما قال الله عزّ و جل {الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} .

إذن إذا كان كيد رئيسهم و قائدهم و سيّدهم والقائد الأعلى للقوات المسلّحة لهم ، إذا كان كيده ضعيفا فكيف سيكون كيد جنوده إذن ؟ فقال النبي صلى الله عليه و سلم: "إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه. "

فيا ابن آدم تذكّر عندما تريد أن تسلك سبيلا لطاعة الله عزّ و جل سواء كانت صلاةً أو صياماً أو هجرةً أو جهاداً أو أمراً بالمعروف أو نهياً عن المنكر، تذكّر أنّ الشيطان قد قعد لك في هذا الطريق ، فالشيطان أقسم بهذا {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}.

فتذكّر أنّك في صراع و حرب و مدافعة دائمة للشيطان ، الشيطان سيحاول أن يصدّك أولاً عن طاعة الله عزّ

و جل ، و أعظم الطّاعات التي يريد أن يمنعك منها هو دخولك في دين الله عزّ وجل، في هذا النور و هذه الهداية و هذه السعة و الراحة التي حُرم منها الملايين من البشر ، مَن الذي حال بينهم و بين هذا ؟ من الذي زيّن لهم الشهوات ؟ من الذي حسّن في أعينهم الشرك و الكفر و الضلال ؟ مَن الذي قلب لهم الظلمات فرأوها نوراً و حَسَناً و حضارةً و رقياً و منعهم من نور الاسلام و جعله جموداً و خموداً و رجعيّةً و تخلّفاً و تطرّفاً و تشدّداً ؟ مَن ؟ إنّه الشيطان الرجيم.
فتذكّر يا عبد الله أنك تتبع الشيطان حينما تسلك سبيل معصية الله عزّ و جل {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} .

إذن نحن في حرب دائمة ، إنّ حربنا ليست مقتصرة و لا محصورة على الحرب التي نخوضها مع أعداء الله عزّ وجل من النصارى و اليهود و المرتدين و الروافض و البوذيين و الشيوعيين و غيرهم، لا ، إنّ جزءاً من حربنا و هو الجزء الأكبر منها هو الحرب التي نخوضها مع سيد هؤلاء الكفرة و مع رئيسهم و قائدهم، هو الشيطان الرجيم .
فعليك يا عبد الله أن تتذكّر أنّك دائماً و في كل حين و عند كل طاعة في معالجةٍ و مدافعةٍ و مقاتلةٍ مع هذا العدو اللدود الذي يريد من الإنسان أن يكون معه في ماذا ؟ في نار جهنم .
إنّ الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام و كما قلنا هذه أول خطوة للنجاة و النجاح ، دخول الإنسان في دين الله عزّ و جل يعني أنه نجا، إن مات على هذا الدين فقد نجا من عذاب الله عزّ و جل ، إمّا أنه نجا من الدخول في نار جهنّم ابتداءً ، و إما أنّه لن يخلد في نار جهنّم لأنه لا يخلد في نار جهنّم أحدٌ مات على دين الاسلام.
فقال :أتسلم و تذر دينك و دين آبائك و آباء آبائك ؟ كيف تترك هذا الدين الذي نشأ عليه والدك و نشأ عليه جدّك و نشأ عليه أجدادك و تنتقل إلى دين جديد ؟ هذا الدين ما هو ؟ هو دين الإسلام ، الذي يريد أن يصدّك عنه ، و الاحتجاج بما كان عليه الأولون هي حجّة الكفرة في كل حين {بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ۝ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ}.

إمعات ! إنما يقلّدون من سبق ، أما أن يسألوا أنفسهم و أن يقوموا مثنى و فرادى ثم يتفكروا فقد جمدت عقولهم.
فقال فقعد له في طريق الإسلام و إنّنا اليوم نسمع مثل هذا ، نسمع من هذه الحجج الشيطانيّة التي تحول بين الناس و بين الدخول في دين الله عزّ و جل ، فكم من الذين يقولون ممن يتسمّون من المسلمين و الذين يتكلمون بألسنتهم ، و لكنهم ينطقون بلسان الشيطان و يعبّرون عن أفكار الشيطان ، كيف تنتقل إلى هذا الدين الذي أكل عليه الدهر و شرب! و نحن في زمن الحضارة و في زمن التقدّم و في زمن الديموقراطيّات و في زمن الحريّات و في زمن و في زمن ، ثم بعد ذلك ..طيب .. ما الذي يحول بينك و بين دين الله عزّ و جل هل منعك دين الله من الصناعات؟ هل منعك دين الله من أن تضرب في الأرض ؟ هل منعك دين الله من التقدّم و التكنولوجيا ؟ لا ، إنّما هي وساوس الشيطان و إملاءات أوليائه.

إذن هذه ليست حجّة قد مضت و يذكرها الشيطان للأولين السالفين الذين كانوا يعبدون حجرا أو شجرا ، لا إنّما نسمعها اليوم ممن لبس الكرافيت ، و نسمعها اليوم ممن جلس في البرلمان ، و نسمعها اليوم ممن يتسمون بالمفكرين و المتنورين و المتحضرين و غير ذلك من تلك الأسماء الشيطانية ، هؤلاء هم الذين يحولون بين الناس و بين الدخول في دين الله عزّ و جل.

إن الاسلام هو دين التقدّم و هو دين الحضارة و هو دين العدل و هو دين المساواة في الحقوق . إن الله قد حرم الظلم على نفسه و جعله بين عباده محرما.

{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} .

هل هناك أسمى و أعلى من هذه القيم الإسلامية التي حُرم منها الناس فعاشوا في هذه الجاهليّة المعاصرة التي حرقت أخلاقهم و عقائدهم و سلوكهم فجعلتهم كالسوائم أولئك كالأنعام بل هم أضل .إن الإسلام هو دين النّور ، الإسلام هو دين السعة ، الإسلام هو دين الحياة الطيبة ، نعم .

إذن فعلينا أن نتذكر هذه المعاني القيّمة التي أمر بها دين الله سبحانه و تعالى ، و لا نغتر و لا نهتم و لا نتشوش بما يقوله هؤلاء المجرمون ، هؤلاء إنّما هم شياطين و أولياء للشيطان و جنود للشيطان يسحبون الناس معهم إلى دين الله ، هم دعاة على أبواب جهنّم من أجابهم قذفوه فيها و لا يبالون . إن الدخول في دين الله عزّ و جل يعني انتقال الانسان من الموت إلى الحياة {أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا}.

إنّ الانتقال من الكفر إلى الايمان يعني الانتقال من الظلمات الحالكة السوداء إلى النور كما قال الله سبحانه و تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ}.

فعلينا أيها الإخوة أن نعتزّ بهذا الدين و أن نتمسّك بهذا الدين فإنّ عزّتنا و قوّتنا و تمكيننا و راحتنا في الدنيا و الآخرة بقدر استمساكنا و تشبثنا و اعتزازنا بعقيدتنا و إيماننا {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}.

أما هؤلاء الذين تردّوا في حفر الضلالات، هؤلاء الذين اغترّوا بالأسماء و بالبهارج و بزينة الحياة الدنيا أولئك كما وصفهم الله سبحانه و تعالى {أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ}

{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} ، {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ} ، هؤلاء {لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ} .

فقعد الشيطان لابن آدم في هذا الطريق ليحول بينه و بين هذه النعمة العظيمة بين هذا النور العميم الذي أكرم الله سبحانه و تعالى به البشريّة ، فقال : أتسلم و تذر دينك و دين آبائك و آباء آبائك ؟ فعصاه فأسلم ، فتجاوز هذا الإنسان العقبة الأولى، و إنّما تجاوزها بفضل الله ومنّته وحده سبحانه و تعالى {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ}.

تذكّر يا عبد الله أن ما أنت فيه من الإيمان و الإسلام و الطاعة و العقيدة الصافية الصحيحة النقيّة إنّما هو بفضل الله عزّ و جل عليك ، ليس بخبرتك و لا بحنكتك و لا بتدبيرك و لا بوراثتك ، وإنّما هو فضل الله يؤتيه من يشاء .

{ فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء} ,{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّه}.

الله سبحانه و تعالى هو الذي أذن لنفسك بأن تدخل في هذا الدين ، فتشبّث بهذه النعمة و أكثر شكر الله سبحانه و تعالى عليها.

ثم قعد له في طريق الهجرة، و إنّما ذكر النبي صلى الله عليه و سلم في هذا الحديث الأمور العظيمة الثلاثة التي يتكرر اقترانها في كتاب الله كثيراً: الإسلام و الهجرة و الجهاد

كما قال الله سبحانه و تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} ,و قال سبحانه و تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ} .

و قال سبحانه و تعالى :{الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ}.

فيتكرر اقتران هذه الأمر الثلاثة: الإسلام الهجرة الجهاد كثيراً في كتاب الله عزّ و جل ، فالهجرة هي الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام ، و هذا الحديث و كما يدل على ذلك الآيات القرآنية المتعددة ، يدلنا على أن التعايش المتساوي بين أهل الايمان و أهل الكفر في الموطن الواحد لا يمكن أن يقع.

لا بد أن يحصل التدافع بين أهل الايمان الحق و بين أهل الكفر و الضلال ، لأن الإسلام في ذاته لا يقبل الباطل ، و لأن الباطل في ذاته لا يقبل الهدى، فلذلك يحصل التدافع فيما بينهم، فإما أن يتغلب أهل الايمان على أهل الكفر و يقهروهم و يدخلوهم في دين الله عزّ و جل ، أو أن يعطوا الجزية عن يدٍ و هم صاغرون ، و إمّا أن يتغلّب أهل الكفر على أهل الايمان ، أو أن يهاجر ويخرج أهل الإيمان من بلاد الكفر و تلك هي الهجرة ، و لذلك قال الله عز و جل في كتابه العظيم : {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّـكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا}.

لا يوجد هناك خيار في التعامل مع أهل الكفر، فالذين يبحثون اليوم عن أرضيّةٍ للتعايش بين أهل الإيمان أهل التوحيد أهل البراءة من الكافرين أهل العقيدة الصافية الحقّة مع أهل الكفر الذين يقولون إن الله ثالث ثلاثة ، أو يقولون عزير ابن الله ، أو يعبدون النار و الأحجار و الأشجار و الفئران ، يريدون أن يقع التعايش فيما بينهم، هؤلاء يصادمون سنن الله سبحانه و تعالى الكونيّة قبل أن يعارضوا أحكامه الشرعية ، قال الله سبحانه وتعالى في حق قوم شعيب : {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا}.

فقال النبي صلى الله عليه و سلم : "و قعد له في طريق الهجرة فقال أهاجر و إنما المهاجر كالفرس في طِوَله" ، كيف تضع هذه الأرض و السماء و الوطن و الوظيفة و الأهل و الأموال التي عشت فيها و ترعرعت فيها و

كبرت فيها ، و تنتقل إلى أرضٍ غريبةٍ بعيدةٍ ، فتصير مقيّداً لا تستطيع أن تتحرك و لا تستطيع أن تتنقل كما يكون الفرس مقيّدا في الحبل ؟

و إنما المهاجر كالفرس في طوله ، أنت إذا هاجرت و تركت وطنك و أرضك فعندها ستحترق أوراقك ، جوازك لن تستطيع أن تتنقل به ، ستصبح مطلوباً عند الاستخبارات الأمريكية أو الاستخبارات السعودية أو الاستخبارت العراقية أو الاستخبارت كذا و كذا ، فلماذا تضيق على نفسك و أنت الآن في أمان و في راحة و في طمأنينة ؟ أبناؤك بجانبك تعلمهم تدرسهم ، زوجتك بجانبك ، وظيفتك مستقرة ، راتبك ينزل كل شهر فلماذا تضيع على نفسك هذه الحياة ثم تنتقل إلى الضيق و إلى الغربة و إلى الفقر و إلى المطاردات و إلى الخوف ؟

و لكن نقول للشيطان كذبت فإن الله سبحانه و تعالى قد أخبرنا في كتابه العزيز بخلاف ما ذكرتَ فقال الله سبحانه و تعالى {وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ}.

إذاً يجد في الأرض مراغماً يعني متحولاً في الأرض متنقَّلاً فيها يتنقل من مكان إلى مكان ، إذا ضاق عليه هذا المكان فسيُفتح له مكان آخر {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُون}.

لا تقيد نفسك بأرضٍ و لا ببيتٍ و لا بوظيفةٍ و لا بسماءٍ ، الأرض أرض الله و العباد عباد الله والأمر أمر الله سبحانه و تعالى ، إنّك ميت في أرضك أو في مهاجَرك، ليس هناك فرق ، فلماذا تقيد نفسك و لماذا تنقاد لدعوة الشيطان الذي يقول لك "و إنما المهاجر كالفرس في طوله" ؟ المهاجر الصادق في سبيل الله عزّ و جل هو في طريق الجنّة من يوم أن يضع رجله خارج عتبة داره قال الله سبحانه و تعالى {وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ}.

المهاجر في سبيل الله الذي يريد وجه الله و اتباع سنّة النبي صلى الله عليه و سلم لا يضرّه بعد ذلك إن مات أو قتل فهو إلى الجنة بلا شك ، قال الله سبحانه و تعالى {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا} .قال الله سبحانه و تعالى :{وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} .

خير مما يجمعون، خير من الدينا و ما فيها خير، من وظيفتك خير من مرتبك خير من جاهك خير من سلطانك خير من مكانتك ، لماذا تضيع هذا الخير العظيم و تتشبث بدنيا زائلة يوشَك أن تتركها لمن وراءك؟.

فيا عبد الله هذه أرض الله واسعة و هذا دعاء الله سبحانه و تعالى يناديك في كتابه العزيز، و هذه أوامر الله سبحانه و تعالى تتكرر عليك ليلاً و نهارا ، فانفر في سبيل الله و هاجر في سبيل الله واقطع علائق الدنيا التي تتشبث بها والتي تتعلق بها والتي ساقتك إلى الذلّ و المهانة حتى تسلط علينا أراذل الخلق.

نعم ، فقال النبي صلى الله عليه و سلم" فعصاه فهاجر" ، إذاً تجاوز العقبة الثانية. نسأل الله سبحانه و تعالى أن ينفعنا بما سمعنا و أن يجعلنا من المهاجرين الصادقين و أن يختم لنا في هجرتنا إنه سميع قريب.

إن الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره ، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له ، و أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده و

رسوله أرسله الله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره الكافرون ، صلى الله عليه و على آله و أصحابه أجمعين و بعد:

ثم قال النبي صلى الله عليه و سلم : "و قعد له في طريق الجهاد فقال أتجاهد و هو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل و تنكح الزوجة و يقسم المال ؟ فعصاه فقاتل. "
كما قلنا فإن هذه الأمور الثلاثة تقترن كثيرا في كتاب الله عز و جل: الإسلام الهجرة الجهاد.

فذكر النبي صلى الله عليه و سلم الأمر الثالث و هو الجهاد في سبيل الله ، و بيّن لنا أن الشيطان يبذل جهده ليحول بين العبد و بين النفير إلى ساحات الجهاد ، و الجهاد كما نعلم هو من أشقّ العبادات ، و عندما أمر الله سبحانه و تعالى به في كتابه بيّن لنا أن النفس تكرهه فقال{ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ}.
نعم هو كُره لأن فيه فقد المال و فقد الأنفس و مفارقة الأحبة و فيه الجراحات و فيه الأسر وفيه الخوف و فيه التعب وفيه النّصَب إلى غير ذلك.
و بقدر هذه المشقّة بقدر ما ينال العبد من ثواب الله عزّ و جل ، فقال الشيطان هنا لابن آدم ، قاله في ثوب الناصح المشفق الذي يظهر بماذا ؟ بعقلية الحكيم الخبير الذي يريد لك الخير، و بذلك أخرج أبوينا من الجنة و قاسمهما إني لكما لمن الناصحين فقال : أتجاهد و هو جهد النفس و المال ، يعني و إنما الجهاد هو إتعاب النفس و إتلاف المال ، أين تذهب أأنت متهورطائش لا عقل لك؟ تدع هذا الأمان و هذه السكينة و الطمأنينة و الراحة و تذهب وتلقي نفسك في محرقة العراق !
أو تذهب وتلقي نفسك في محرقة أفغانستان ! عند قوم غرباء فقراء ! أتذهب لتلقي نفسك في أتون فقر الصومال!
هكذا يتكلم حكماء الأمة الذين حالوا بين الشباب و بين نصرة إخوانهم الذين صهرتهم ماذا ؟ صهرتهم حرب هؤلاء المجرمين الصليبيين و غيرهم.
نعم، يأتي الشيطان في هذا الثوب ، نحن نعلم أن الشيطان لا يخاطبنا وجهاً لوجه لا يكلمنا مشافهة ، و لكن عنده وكلاء هم الذين ينطقون ، هم المتحدثون باسمه ، قد يكون هذا المتحدث رجلا كافراً، و قد يكون هذا الناطق عالم سوء ضال مضل ، و قد يكون هذا الناطق رجلاً ضالاً يتزيّى بثوب الحكمة و الخبرة و الفكر وغير ذلك.
فعلينا أن ننظر ما يأمرنا به كتاب ربنا، نعم، ألم نسمع مرات و مرات أناسا علماء ينصحون الشباب بعدم الذهاب إلى العراق ؟ ووضعوا لذلك قائمة من النقاط التي تحول بين الشباب و بين النفير؟ من أين جاؤوا بهذه العقبات ؟ من أين جاؤوا بهذه الأمور التي يتشبثون بها و يريدون من شباب الأمة أن يتعلقوا بها معهم ؟ إن الله سبحانه و تعالى قد أمرنا أمراً صريحاً في كتابه يفهمه العالم و العامّي {انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} أتحتاج هذه الآية إلى تفسير و تأويل و فلسفة ؟ لا ، هي آية صريحة واضحة.

العلماء اتفقوا و اجتمعوا اجتماعا لا اختلاف فيه بينهم أن العدو إذا صال أي هاجم بلاداً من بلاد المسلمين فيجب على أهل تلك البلاد أن يقاتلوا و أن يدافعوا هذا العدو حتى يخرجوه ، فإن عجزوا أو قصّروا أو تكاسلوا انتقل الوجوب إلى من بجوارهم، و هكذا و هكذا حتى يعم الفرض الأمة كلها .

هل استطاع إخواننا المسلمون في العراق أن يطردوا المحتل ؟

هل استطاع إخواننا المجاهدون في أفغانستان أن يخرجوا عدوهم ؟

الآن ست سنوات و هم في النزال و القتال و الحرب السجال ، كم من الشهداء الذين سقطوا ؟ وكم من الأسرى الذين وقعوا في أيدي الكافرين ؟ و كم من النساء اللاتي رُملن ؟ و كم من اليتامى الذين ملؤوا البيوت ؟ هؤلاء ست سنوات و هم في قتال و حرب و شدة و ضيق ، و نحن نسمع من يحُول بين الشباب و بين من يقف مع إخوانهم ؟ أي عقيدة هذه ؟! و أي إيمان هذا الذي يأمر عالماً بأن يحول بين الشباب و بين نصرة إخوانهم ؟! ما قيمة هذه الحدود ، أيجب الجهاد على العراقي إذا كان في هذا الطرف و يسقط الفرض عن السعودي أو الكويتي أو السوري إذا كان في الطرف الآخر و لو كان بينهما متران أو ثلاثة ؟

أهذا هو دين الله الذي قرأتموه في كتابه ؟ أهذا هو شرع الله الذي قرأتموه في سنة نبيه صلى الله عليه و سلم ؟

إنّ النبي صلى الله عليه و سلم عندما كشف يهودي واحد سوأة امرأة مسلمة أجلى بني قينقاع كلهم! هذا هو دين الله، هذه هي العقيدة التي تعلّمناها ، هذه هي الأوامر التي نجدها في كتاب الله ، أما الفلسفات و الأفكار الطارئة و الخزعبلات والضلالات فلا مكان لها بيننا.

فيا شباب الأمة انفروا لنصرة إخوانكم في العراق ، انفروا لنصرة إخوانكم في أفغانستان ، انفروا لنصرة إخوانكم في الصومال ، انفروا لنصرة إخوانكم في الجزائر ، انفروا لنصرة إخوانكم في الشيشان ، و لا تستمعوا إلى هذه الشبهات الشيطانية التي يُمليها الشيطان على ألسنة أوليائه .نعم هذا هو دين الله الذي قرأناه و إن أحبّ من أحب و كره من كره ، بذلك أُمرنا و لهذا دعينا.

"فقال الشيطان : أتقاتل فتقتل وتنكح الزوجة و يقسم المال" ، هذه هي الأمور التي يتشبث بها بنو آدم {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ}.

تربّصوا أيّها القاعدون .. تربّصوا أيّها المثبّطون .. تربّصوا أيّها المرجفون ، و الله إن لم تنفروا لنصرة إخوانكم و إن لم تقفوا معهم كما وقفتم من قبل عندما كان هناك جهاد يسمى جهاداً ضد الاتحاد السوفييتي ، و الله ليصيبنكم ما أصابهم ، فإن الجزاء من جنس العمل.

فقال النبي صلى الله عليه و سلم : "فعصاه فجاهد" ، و هكذا هو أمر المسلم و هكذا هو صاحب العقيدة الصافية الصحيحة الذي يحركه الولاء لإخوانه و الغيرة على حرمات دين الله عز و جل.

نعم، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: "فمن فعل منهم ذلك فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، و إن قُتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، و إن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، و إن وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة . "

إذاً سلوك هذا الطريق الإسلام ثم الهجرة ثم الجهاد هو طريق مضمون إلى الجنان.

فيا من تريد جنّات النعيم ، يا من تطلب رضا الله سبحانه و تعالى ، يا من تسعى لتكون رفيق محمد صلى الله عليه و سلم و صحبه ، هاهي طريق الجنة قد بُيّنت ، و هذه طريق الله عز و جل قد أُوضحت ، فلا تغرّنّك الحياة الدنيا و لا يغرّنّكم بالله الغرور ، فو الله ما ثّم إلا طريق مُنجٍ آخره جنات النعيم أو طريق مهلك آخره العذاب في نار الجحيم.

فيا عبد الله لماذا تضيّع هذا الخير؟ لماذا تفرط في هذه المنة الكبرى و هذه الهبة العظيمة التي قدمها الله سبحانه وتعالى لك ؟ أمِن أجل امرأة أو من أجل وظيفة أو من أجل تجارة أو من أجل مال أو من أجل جاه تضيع رضا الله سبحانه و تعالى تضيع جنات النعيم ؟

فهبّوا يا شباب الأمّة ، اخرجوا لنصرة دينكم ، اخرجوا غيرة على أخواتكم ، اخرجوا لتطردوا هؤلاء المجرمين الذين أفسدوا البلاد و العباد و حطّموا القيم و هدموا الأخلاق و أقاموا على أنقاض دين الله عزّ و جل عقيدة التثليث و الشرك و الضلال و الفجور و الخمر و العهر ، حتى صار أبناء المسلمين متنكرين لدينهم و لا حول ولا قوة إلا بالله!

اللهم أعز دينك و كتابك و عبادك المؤمنين

اللهم أعز دينك و كتابك و عبادك المؤمنين

اللهم انصر عبدك المجاهدين نصرا مؤزرا و افتح لهم فتحا مبينا

اللهم امددهم بجندك يا من له جند السماوات و الأرض

اللهم إنهم فقراء فأغنهم ..اللهم إنهم جياع فأطعمهم ..اللهم إنهم مشتتون فآوهم ..اللهم إنهم مشردون فاجمعهم ..اللهم دافع عنهم يا من يدافع عن المؤمنين

اللهم فرج عن عبادك المأسورين المكروبين ، اللهم اجعل لهم من كل ضيق فرجا ، و من كل هم مخرجا و ارزقهم من حيث لا يحتسبون ، اللهم عجل بخلاصهم و نجاتهم ، اللهم فرج عنهم في سجون اليهود و النصارى و في سجون المرتدين و الملحدين و الهندوس والروافض و البوذيين

إنك سميع قريب مجيب.

اللهم صل على خير خلقك محمد و على آله و أصحابه أجمعين .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تقارب الأديان.. خطوة جديدة ضمن الحرب الصليبية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾



{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران/٨٥].

الحمد لله القائل: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة/١٢٠].

والصلاة والسلام على نبينا الكريم الذي أنزل الله عليه {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} (٥٣) [الشورى/٥٢، ٥٣]، والذي قال عن نفسه [والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار]، والقائل [لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي.] صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين عرفوا الحق فاتبعوه فاستنارت به أبصارهم وبصائرهم، واطمئنت أفئدهم وطابت به نفوسهم، فاعتزوا به واحتقروا ما سواه، ودعوا إليه ونبذوا ما عداه، فحيوا حياتهم الطيبة خالية من أدناس الباطل وأرجاس الأهواء وظلمات الإغواء فكانوا كما وصفهم الله {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}[الفتح/٢٩].

ثم أما بعد....

هي ذي دعوات الضلال تُطل علينا بوجهها، وبحار الإلحاد تتدفق نحونا بموجها، وصنوف المكائد تطوِّق الحق بنسجها، فتراها تبدل أثوابها، وتغير أسماءها، وتنوع أساليبها، لتروج كفرها، وتنفِّقَ شرها، وتسوغ تلبيسها، وراثة مسلكاً إبليسياً لم تزل تزِل فيه الأقدام {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى} [طه/١٢٠]

وكما قال الإمام ابن القيم رحمه الله: [فهذا أول المكر والكيد ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها فسموا الخمر: أم الأفراح، وسموا أخاها بلقيمة الراحة وسموا الربا بالمعاملة وسمو المكوس بالحقوق السلطانية وسموا أقبح الظلم وأفحشه شرع الديوان وسموا أبلغ الكفر وهو جحد صفات الرب تنزيها وسموا مجالس الفسوق مجالس الطِّيبة] (إغاثة اللهفان ١ / ١١٣).

أما اليوم –ونحن في زمن الحضارة والتقدم والتقنيات– فما بقيت موبقة من الموبقات، ولا خبيثة من الخبائث، ولا رذيلة من الرذائل، إلا وانتقي لها من الأسماء أحسنُها، ومن الأوصاف أجملُها، ومن الكلمات أرقها، ومن العبارات أعذبها، ولئن كانت هذه السنة الإبليسية جارية من قبل مجرى العفوية والبدائية، فما هي اليوم كذلك، إذ يقوم عليها أئمة الكفر، وزنادقة الفكر، ومنظمات المكر، وتقدَّم لأجلها الأبحاث والدراسات، وتعقد لها الندوات والمؤتمرات، وقد شمرت وسائل الإعلام عن ساق الجد لتنشر وتبشر، فانهال منها سيلٌ جارفٌ من الاصطلاحات والعبارات والتسميات التي غُلِّف بها الباطل حتى تلقفه الناس أفواجا إثر أفواج، فانجرف معه من انجرف بالانحراف والاستدراج، فزلت الأقدام، وضلت الأفهام، وتجرأ الطغام، ونبغ النفاق، وتبختر أهل المحادة والشقاق.

فلم يبق للإسلام حصنٌ حصينٌ إلا وقصدوه، ولا بابٌ محكمٌ متينٌ إلا وكسروه، ولا حدٌ فاصلٌ من حدوده إلا وطمسوه وأزالوه، ولا حق جلي نقي إلا وحرفوه وميعوه، فغدت عقائده وأصوله مرتعاً لكل سفيه، وصار الخوض في قواعده وقطعياته عنوان الثقافة والفكر والنظر، وغدا التهجم على أعظم مقدساته والنيل منها بكل نقيصة قولية أو فعلية شعاراً لحرية التعبير وحرية الصحافة، يتم كل ذلك بطرق منظمة، وسبل مدروسة محكمة، ووسائل دقيقة متقنة، وبرامج متسلسلة متواصلة، فلا يكاد ينطق كافر غوي في بلاد الغرب بشيء من رجس الشيطان إلا وترددت أصداؤه في بلدان المسلمين، وراح الجهلة والزنادقة والملاحدة يرددون أقاويله، وينصرون أباطيله، وينشرون أكاذيبه، فما هي إلا كلمح الطرف لميلاد فكرة خبيثة أو نظرية ساقطة حتى يُحشَر الناسُ لتأييدها وتوطيدها ورعايتها والدعاية لها زرافات ووحدانا، فتسخر لها الأقلام، وتَستنفر لبثها وتزيينها وسائل الإعلام، ويتهافت السوقة من كل حدب وصوب لمناقشتها وإبراز محاسنها ونفي أي نقيصة عنها، فلا تلبث إلا أياماً وليالي حتى تغدوَ فكرة رائجة، ونظرة مستحسنة، صار لها هويتها وهواها، وتصوراتها وأفكارها، وأسسها ومؤسساتها، وأعلامها وإعلامها، وندواتها ومؤتمراتها، وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال: [لتتبعن سَنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قيل يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن] متفق عليه.

نعم أمة الإسلام...إنها دعوات هدمت العقائد، وقطعت القطعيات، ودمرت الأخلاق، وأفسدت الآداب، ونسفت الأحكام، ومزقت ملة الإسلام، ومع ذلك كله فما زلنا على قيل وقال، وخلاف وجدال، وتذبذب وحيرة، وتردد واضطراب، ونار الصليب قد نفذت إلى أعماق ديننا، ودعاتها ودعائمها يناصرونها سراً وعلانية وهم بين أظهرنا وفي عقر دارنا، وقد جعلوا من أنفسهم الذليلة وقفاً منتصباً في كل حين، وجنداً مخلصين محضرين، يلبون إذا نودوا، ويطيعون إذا أُمروا، ويسارعون إذا دُعوا،{فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} [المائدة/٥٢] فلا تنقضي مكيدة إلا وتبعها شرٌ منها، ولا تموت فكرة إلا وقد أوجدوا بديلها، وهم يمكرون الليل والنهار، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، وصدق الله: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} [البقرة/٢١٧]

وإن الغر حقاً من يحسن بهؤلاء ظناً، أو يترقبُ منهم خيراً، أو يبغي عندهم فلاحاً ونجاحا، وهو يسمع قول ربه: {هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ} [آل عمران/١١٩]

فكان مما قذفته لنا أمتا الرجس والغضب اليهود والنصارى عبر وكلائهما العملاء الفكرة القديمة الجديدة، التي يراد بها أن يكون الإسلام ثالث ثلاثة ليصبح أخاً مواداً، وصديقاً حميماً، ورفيقا مساويا، وخلا وفياً، لدينين يجاهر أهلهما بسب ربهم صباحا ومساءا، { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [التوبة/٣٠]

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تَعَالَى يَشْتِمُنِي ابنُ آدَمَ وما يَنْبَغِي له أَنْ يَشْتِمَنِي وَيُكَذِّبُنِي وما يَنْبَغِي له، أَمَّا شَتْمُهُ فَقَوْلُهُ إِنَّ لي وَلَدًا وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ فَقَوْلُهُ ليس يُعِيدُنِي كما بَدَأَنِي

إنها الدعوة التي نَشط لها طاغية جزيرة العرب عبد الله بن عبد العزيز، بجرأة سافرة، وردة ظاهرة، غير مكترث بإنكار المنكرين، ولا ملتفت إلى صيحات المخلصين، ليعلن على رؤوس الأشهاد بفصاحته النادرة، وبلاغته الساحرة، عن ميلاد دين جديد، اكتشفه واستحسنه بعد أن فكر وقدر ثم نظر ثم فكر وقدر ألا وهو (دين التقارب بين الأديان)، فيا ويح جزيرة العرب من تسلط السفهاء، والسنوات الخداعات، وسياسة الصم البكم الذين لا يعقلون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويُخَوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة قيل وما الرويبضة قال الرجل التافه يتكلم في أمر العامة]، وهل قامت سياسة دولة آل سعود إلا على الكذب والخداع والخيانة والعمالة.

فبالأمس القريب استجر طغاة آل سعود قوات الصليب بآلافها المؤلفة، وجيوشها المجيشة، وعَددها وعُددها وعتادها، حتى حلت بعقر دار المسلمين، وأرست فيها قواعدها، ودنست أطهر البقاع، وغدت بواخرها وبوارجها وحاملات طائراتها تصول وتجول في بحارها، وصارت تلك الأرض المباركة التي أشرقت من قِبلها

شمس النبوة معقلاً حصيناً لجيوش الرجس والرذيلة والتثليث والتهود، ضاربين بقول النبي صلى الله عليه وسلم [أخرجوا المشركين من جزيرة العرب] عُرض الحائط.

واليوم ها هم طغاة آل سعود يكملون مهمتهم، ويسفرون عن عمالتهم، فراحوا يروجون لغزو العقول بعد أن يسروا غزو المعاقل، ويخططون لنسف العقائد الإسلامية، بعد أن أذلوا المسلمين بنشر القواعد الصليبية، ليعلنوها وقفة صريحة ومظاهرة مكشوفة للحملة الصليبية العصرية وذلك بوقوفهم معها ظاهرا وباطنا، سراً وعلنا، قولاً وفعلا، بفتح أراضيهم، وإنفاق أموالهم، وتسخير جيوشهم، واستنفار استخباراتهم، وتهيئة مؤسساتهم، وفتح أفسح المجالات لنشر عقائدهم وثقافتهم، وبذل أقصى الجهود لمسخ هوية الإسلام، وإذابة شخصيته، وتفتيت خصائصه، وتضييعها في متهاهات الأديان المنحرفة المحرفة، وأنفاق الأفكار الظالمة المظلمة، وسخافات العقول الضائعة التائهة، ليخرجوا لنا مزيجاً جديداً، ومخلوطاً عصرياً، يوافق أهواءهم وأهواء سادتهم، ويحققُ مطامعهم ومطامع أربابهم، تحطم به الحواجز، وتذاب معه الفوارق، وتتداخل به العقائد، وتتآخى في ظله الأفكار، فلا يعرف معه حق من باطل، ولا مؤمن من كافر، ولا تقي من فاجر، ولا يميز هدى من ضلال، وليقولوا بجرأتهم معارضين قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء فيه [لا يجتمع دينان في جزيرة العرب]، بل سنجمع فيها أدياناً وليس دينين، ومللاً شتى لا ملتين.

ولأجل ذلك كله وزيادة أعلن طاغية بلاد الحرمين عن ميلاد هذا الدين الجديد وفي جزيرة العرب ألا وهو (التقارب بين الأديان) في وقت بدأ فيه مجد الإسلام يرجع شيئا فشيئاً، ويقظة أهله تزداد يوما فيوما، وتضحيات أبنائه تتضاعف من ساحة إلى ساحة، وقد أصاب أعداءه الوهن واليأس من أن ينالوا منه في ساحات القتال والنزال، وفي معامع التضحية والإقدام، فلجأوا عبر عملائهم ووكلائهم وعلى رأسهم طاغية بلاد الحرمين إلى محاولة إطفاء الروح الحماسية التي تتأجج في قلوب أبناء الإسلام، وتذكي في نفوسهم معاني البذل، فما أن سمع هذا الطاغية وأذنابه نداء أربابه إلى دينهم الجديد حتى قال لهم بملئ فيه (لبيك لبيك)، فصفق له المصفقون، وطبل له المبطلون، واصطف وراءه كل من هان عليه دينه، ورخصت عنده عقيدته، فلا ينبض فيه للحمية عرق، ولا تأخذه أنفة ولا عزة نفس، فعندها مُيِّز من بكى ممن تباكى وصدق الله {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج/٤٦]

فجاءت هذه المحنة لتكشف مَن هم أهل دعوة التوحيد الصادقون، الذين لا يساومون على عقيدتهم، ولا يتنازلون عن مبادئهم، ولا يتقلبون في مواقفهم، ممن تُميلهم ريح الفتن حيث مالت، فكان إيمانهم أهون شيء عندهم، ونعوذ بالله من الفتن {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران/٨]

إن دعوة تقارب الأديان التي أطلقها طاغية بلاد الحرمين، ودعا فيها للتآخي بين الأديان الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام بل ومع غيرها من الأديان، ليست دعوة عفوية مرتجلة، ولا هي طفرة مرحلية عابرة، ولا

فكرة عرضية سائرة، وإنما تولدت عن دراسة مستوعبة وبحث مستفيض ومكر دفين، اختير لها الوقت المناسب –كما يظنون– والبلد المناسب والطريقة المناسبة، لتكون جزءاً محكماً وحلقة متصلة من الحرب الصليبية المكشوفة على الإسلام والمسلمين، بل هي لب هذه الحملة وجوهرها وخلاصتها، فأعداء الله لا يريدون منا أكثر من الانسلاخ عن ديننا، والتخلي عن عقيدتنا، وتمييع ولائنا وبرائنا، وتضييع شخصيتنا وهويتنا، رافعين شعار الإصلاح والتآخي والتعايش والسلام فأسلموا راية الدعوة لهذا الدين الجديد لطاغية بلاد الحرمين ليقفو أثر مَن سبقوه ممن قال الله فيهم {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} [البقرة/١١] ولكن...{أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ} [البقرة/١١، ١٢]

نعم إنه التقارب الذي يجعل التوحيد أخا للشرك والتنديد، ويشيِّد المسجد جنباً إلى جنب مع الكنيسة والمعبد، ويصير القرآن الكريم مساوياً للكتب المحرفة كالتوراة والإنجيل، ويكون فيه المسلمون –الذين هم خير أمة أخرجت للناس– كشر البرية {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [هود/٢٤]

إن اختلاق وتنويعَ الأسماء لهذه الدعوة المفضوحة لا يغير من حقيقتها شيئاً، فهي في واقعها دعوة صريحة إلى التخلي عن الإسلام والتنكر لجملة عظيمة من عقائده وأصوله والبحث عن القواسم المشتركة التي تجمعه مع اليهودية والنصرانية ليكون ما يتفق عليه أهل التجمع الثلاثي هو الدينَ العصري الجديد الذي يسمح بالدعوة إليه، والإنكار على من خالفه، وإلزام الناس باعتناقه وقبوله، وسينتصب دعاة السوء وعلماء الضلالة ليسموا هذه الجريمة بأسماء يلبسون بها على الناس كما هو ديدنهم وعادتهم، كقولهم إنما هو (حوار الأديان) أو (المجادلة بالتي هي أحسن) أو (الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة) أو (الدعوة إلى الوسطية والاعتدال)، ولن يعجزهم استلال عدد من الآيات القرآنية ليسوقوها تقوية لباطلهم، وترويجاً لضلالهم، وتملقا وإرضاء لحكامهم، وتلبيسا على عباد الله، ولا يعنيهم بعد ذلك لو ضلت الأرض كلها، وتشتت لأمة الإسلام أمرها، وضاع بين الأهواء والهون هديُها ومجدها، فهمهم لا يعدو أن يحظوا برضا حكامهم عنهم، وأن يفتحوا لهم بين الحين والحين أبوابهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [من أتى أبواب السلطان افتَتَن وما ازداد أحد من السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعدا].

ويا ويل هؤلاء الذين يشترون بآيات الله ثمناً قليلا –إن لم يتوبوا ويرجعوا – يوم يقفون بين يدي ربهم ولن يغني عنهم هنالك مناصب رفيعة، ولا وظائف راقية، ولا أموال جزيلة، ولا ألقاب براقة، ولا مراكب فارهة، ولا قصور شاهقة، ولا تملقٌ زائف، {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ} [القصص/٦٥، ٦٦] قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ} [البقرة/١٧٤، ١٧٥]،

وقد أحسن كل الإحسان من عرف شرف العلم وقدره فقال:

ولم أقْضِ حَقَّ العلمِ إن كنتُ كلما... بَدَا طَمَعٌ صَيَّرتُه لِيَ سُلَّمَا

ولم أبْتذِلْ في خدمةِ العلمِ مُهْجَتِي... لأخدُم مَن لاقيْتُ لكنْ لأُخْدَمَا

أأشْقَى به غَرْساً وأجْنيه ذِلَّةً... إذاً فاتِّباعُ الجهلِ قد كان أحزما

ولو أنَّ أهلَ العلمِ صَانُوه صانَهُمْ... ولو عظَّموه في النفوسِ لَعُظِّمَا

ولكنْ أهانُوه فهَان ودَنَّسُوا... مُحَيَّاه بالأطْماعِ حتى تجهَّمَا

إن الترويج لهذا الجريمة الشنيعة، أو محاولةَ ستر حقيقتها، وتحسين قبحها، وتغطية وجهها الكالح بالفتاوى الزائفة، ولَي الألسن بالخطب الرنانة، وتسويد الأوراق بالبيانات المنمقة، والتهافت على المؤتمرات الخادعة، والندوات المضلِّلة، لهو خيانة للإسلام وأهله، ومشاركة مباشرة في تعزيز ودعم وتقوية هذا الدين الجديد، وجعْلِ جزيرة العرب منبعاً للإلحاد ومرتعاً للكفر والإفساد، بعد أن كانت مناراً للإيمان والتوحيد الهدى، ولن يتجاوز القائمون على هذا التلبيس –مهما بذلوا من الجهود التي يبرئون بها أنفسهم– لن يتجاوزا قولَ الله تعالى في أمثالهم: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران/٧٨].

فيا مَن ملأتم الأرض ضجيجاً بوجوب طاعة ولي أمركم

ها قد نطق إمامكم ودعا إلى ما قررتم في فتاواكم وأبحاثكم أنه كفر بواح، وردة صريحة، وانسلال من الدين، فأي عذر لا زلتم تتعلقون به، وأية حجة ستتعللون بها، لتكون لكم ملجأً، تعذرون بها أمام الله تعالى بعد هذا كله؟!

فهذا العلامة بكر أبو زيد رحمه الله كتب كتاباً بعنوان (الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان) وهو أحد علماء جزيرة العرب بل من هيئة كبار العلماء فكان مما قاله في مقدمة كتابه: [فإن نازلة الدعوة إلى الخلط بين دين الإسلام وبين غيره من الأديان الباطلة كاليهودية، والنصرانية، التي تعقد لها أمم الكفر المؤتمرات المتتابعة باسم "التقريب بين الأديان" و"وحدة الأديان" و"التآخي بين الأديان "و"حوار الحضارات" هي أبشع دعائم "الكهفين المظلمين": "النظام العالمي الجديد" و"العولمة"، اللذين يهدفان إلى بث الكفر والإلحاد، ونشر الإباحية وطمس معالم الإسلام وتغيير الفطرة.] انتهى كلامه رحمه الله.

وقال أيضاً: [إن دعوة المسلم إلى توحيد دين الإسلام مع غيره من الشرائع والأديان الدائرة بين التحريف والنسخ بشريعة الإسلام: ردة ظاهرة، وكفر صريح ؛ لما تعلنه من نقض جريء للإسلام أصلا، وفرعا،

واعتقادا، وعملا، وهذا إجماع لا يجوز أن يكون محل خلاف بين أهل الإسلام ". وإنها دخول معركة جديدة مع عُبَّاد الصليب، ومع أشد الناس عداوة للذين آمنوا. فالأمر جد وما هو بالهزل] انتهى كلامه رحمه الله.

وقال أيضاً رحمه الله: [إن الدعوة إلى هذه النظرية الثلاثية: تحت أي من هذه الشعارات: إلى توحيد دين الإسلام الحق الناسخ لما قبله من الشرائع، مع ما عليه اليهود والنصارى من دين دائر كل منهما بين النسخ والتحريف، هي أكبر مكيدة عُرفت لمواجهة الإسلام والمسلمين اجتمعت عليها كلمة اليهود والنصارى بجامع علتهم المشتركة: " بغض الإسلام والمسلمين ". وغلفوها بأطباق من الشعارات اللامعة، وهي كاذبة خادعة، ذات مصير مروع مخوف. فهي في حكم الإسلام: دعوة بدعية، ضالة كفرية، خطة مأثم لهم، ودعوة لهم إلى ردة شاملة عن الإسلام ؛ لأنها تصطدم مع بدهيات الاعتقاد، وتنتهك حرمة الرسل والرسالات، وتبطل صدق القرآن، ونسخَه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخَ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع، وتبطل ختم النبوة والرسالة بمحمد – عليه الصلاة والسلام – فهي نظرية مرفوضة شرعا، محرمة قطعا بجميع أدلة التشريع في الإسلام من كتاب وسنة، وإجماع، وما ينطوي تحت ذلك من دليل، وبرهان] انتهى كلامه رحمه الله.

فانتصبوا يا علماء الإسلام الصادقين دفاعاً عن دينكم، وحمية لشريعتكم، وحماية لعقيدتكم، وقياماً بواجبكم، بعيداً عن التمتمات الخفية، والزمزمات الباهتة، والتعميمات المحيرة، فقد طما الخطب حتى غاصت الركب، فاليومَ يومكم، والميدان ميدانكم، فطوبى لمن كانت له السابقة في كف عادية المستهزئين بدين الله، ليكون من {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا} [الأحزاب/٣٩]، وليقف موقف الأنبياء الذي وقفه إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله يوم أن حلت البدعة، ورفعت السنة، فصبر صبر الرجال، وحمل نفسه على أشد البلاء وأعسر الأحوال، حتى استقام الاعوجاج، وانقطع اللَّجاج، وارتفع الحق، وانخفض الباطل، وأعز الله الإيمان وأهله، وأذل الضلال وحزبه، وأبقى الله في العالمين أثره وذكره.

فمن ذا الذي يحذو حذوه، ويخطو خطوه، ليُميط الزبد، ويحامي عن دين الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وليخاطب نفسه بعزيمة المؤمن، ويقين المستبصر، المحيي للشهادة بطلب الشهادة:

فَصَبْراً في مَجالِ المَوْتِ صَبْراً... فَما نَيْلُ الخُلُودِ بِمُسْتَطاعِ

ولا ثَوْبُ البقَاءِ بثَوْبِ عِزٍّ... فيُطْوَى عن أَخِي الخَنَعِ اليَراعِ

سَبِيلُ المَوْتِ غايَةُ كُلِّ حَيٍّ... فَداعِيهِ لأَهْلِ الأَرْضِ داعِي

ومَنْ لا يُعْتَبَط "ْ يَسْأَمْ ويَهْرَمْ... وتُسْلِمْهُ المَنُونُ إِلى انْقطاعِ

وما لِلْمرءِ خَيْرٌ في حَياة... إذا ما عُدَّ مِن سَقَطِ المتاعِ

وحاش للعلماء الربانيين بدور الدجى وأنوار الهدى وورثة الأنبياء أن يكونوا من سقط المتاع.

فليرتفع صوت التوحيد مدوياً {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ} [المائدة/٧٣]، فلا ثم لا للتقارب مع الذين يجعلون لله الصاحبة والولد.

وليعلُ نداء التتريه والتقديس في وجه أمة الغضب والتنجيس: {غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة/٦٤] فبعداً وسحقاً للطاعنين في رهم المستنقصين لخالقهم.

ولتتزلزل عروش المحرفين للدين المبدلين للشرع المبين {إِنَّا بُرَآَءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} [الممتحنة/٤]، فتقارب الأديان أو اتحادها دينكم الذي ارتضيتموه وكفركم الذي أصلتموه أما نحن فعلى خطا سيد المرسلين نسير: {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام/١٦١]، {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [آل عمران/٦٧]

أما أولئك الذين تتجارى به الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، وجعلوا الناس على دين الملك، فتارة مشرقين، وتارة مغربين، الذين زادوا الأمة محنة على محنتها، وحيرة فوق حيرهّا، فما إياهم نعني، وما نحوهم نلتفت، وهم يحرفون الدين، ويفسدون الملة، وما أجمل قول حذيفة رضي الله عنه: إن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكرَ ما كنت تعرف، فانظر الذي أنت عليه اليوم فتمسك به فإنه لا يضرك فتنة بعد.

فاليوم نراهم ينقضون ما نسجوه، ويشيدون ما هدموه، ويعرفون ما أنكروه، فما يرتكبه ولي أمرهم ويدعو إليه اليوم كانوا بالأمس قد أصلوا ضلاله، وبينوا خطورته، وكفّروا دعاته، فقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة، ومن بين الموقعين على هذه الفتوى عبد العزيز آل الشيخ مفتي مملكة آل سعود الحالي جاء فيها: [إن من يحدث نفسه بالجمع أو التقريب بين الإسلام واليهودية والنصرانية كمن يُجهد نفسه في الجمع بين النقيضين بين الحق والباطل، بين الكفر والإيمان، وما مثله إلا كما قيل:

أيها المنكح الثريا سهيلا... عَمْرَكَ اللهَ كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت... وسهيل إذا استقل يمان

إلى أن يقولوا.... فلا يجوز للمسلمين أن يتقاربوا معهم؛ لأن في التقارب معهم إقرارا لهم على الباطل من ناحية، وتغريرا بالجهال من ناحية أخرى، والواجب فضح باطلهم كما فضحهم الله في القرآن.]انتهى النقل.

فما بال الثريا وسيهل قد اجتمعا أو كادا، ألأن وليَ الأمر هو من جمعهما، ومَن الذي يدعو اليوم إلى التقارب بين هذه الأديان، وكيف استطاع ولي أمركم أن يجمع بين النقيضين، ومَن الذي يغرر بالجهال ويلبس عليهم، ومن الذي ألجم الأفواه عن فضح اليهود النصارى؟ أوليس صاحبُ كل هذه الفضائح والقبائح هو وليَ أمركم، أم أن عين الرضى عن كل عيب كليلية ولكن عين السخط تبدي المساويا.

وكذلك في فتوى مطلولة للجنة أيضاً في هذا المسألة ومن الموقعين عليها المفتي المذكور جاء: [وأمام هذه الأصول الاعتقادية، والحقائق الشرعية، فإن الدعوة إلى (وحدة الأديان) والتقارب بينها وصهرها في قالب واحد، دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجر أهله إلى ردة شاملة، ومصداق ذلك في قول الله سبحانه: { وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا } (١) وقوله جل وعلا: { وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً }...إلى أن يقولوا... إن الدعوة إلى (وحدة الأديان) إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله عز وجل، وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناء على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعا، محرمة قطعا بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن وسنة وإجماع.

إلى قولهم: وبناء على ما تقدم: فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها، وتسليكها بين المسلمين، فضلا عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها، والانتماء إلى محافلها.} انتهى كلامهم.

فأي مصلحة هذه التي عقدت ألسنتكم عن النطق بكلمة الحق، ولا زلتم تزعمون مراعاتها، وطاغية بلاد الحرمين يسوق الناس إلى الكفر والردة السافرة سوقا حثيثاً بلا رادع ولا دافع، وأي فتنة تلك التي تخافون وقوعها، ودعوات الكفر الصراح تتعالى أصواتها، ويتباهى دعاتها، وتنتشر بين الخلائق أصولها وفروعها، ألم يقل الله تعالى { وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} [البقرة/١٩١]، وقال سبحانه: {وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ} [البقرة/٢١٧]

فإلى أي مدى وأنتم تركضون وراء هؤلاء الطغاة تسترون كفرهم، وتسوغون تضليلهم، وتخرِّجون شطحاتهم، وتجادلون عنهم، ألا تكفون عن كل ذلك وأنتم تقرأون قوله تعالى: {وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا * هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا} [النساء/١٠٧-١٠٩]

فأين أولئك العلماء الذين طالما سلطوا ألسنتهم وأقلامهم على المجاهدين تحت شعار النصح والإرشاد والتوجيه، فليبرزوا اليوم إلى ميدان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشجاعتهم، ولينتصبوا بجرأتهم، وليصرحوا بنصحهم، ولتحركهم غيرتهم، وليقولوا لهؤلاء العابثين بدين الله، المحرفين لأحكامه، الساعين لنسف أصوله: أوقفوا تيارات الردة الجامحة التي أطلقتم عنانها على المسلمين في جزيرة العرب،

أم أن التشهير لا يستحقه إلا المجاهدون، والتجريح في الفضائيات باسم المناصحة لا يجري إلا عليهم، فأين أهل بيانات البراءة من أعمال المجاهدين، وأين الباحثون عن كل شاردة وواردة ليلصقوها بهم، فلتجردوا أقلامكم، وتسخروا بلاغتكم، وتظهروا مناصحتكم، وتحققوا غيرتكم، وإلا:

أَقِلُّوا عليهِمْ، لا أبا لأَبِيكُمُ... مِن اللَّوْمِ أَو سُدُّوا المَكانَ الذي سَدُّوا

فسبحان الله:

كم تُظلمون ولستم تشتكونَ وكم... تُستغضبون فلا يبدو لكم غَضَبُ

ألفتمُ الهُونَ حتى صارَ عندكم... طَبْعاً وبعضُ طباع المرءِ مكتسبُ

وفارقتكمْ لطولِ الذُّلِّ نخوتُكُمْ... فليس يؤلمكم خَسْفٌ ولاعَطَبُ

للّهِ صَبْرُكُمُ لو أن صبركمُ... في ملتقى الخيلِ حين الخيلُ تضطربُ

فحتى الرافضة المشركون الذين كانت بالأمس تصدر الفتاوى تلو الفتاوى في تكفيرهم وفضحهم وبيان شركهم صاروا اليوم شركاء (أصحاب العقيدة السمحة) في تمثيل المسلمين في المؤتمرات التي تعقد للتقارب بين الأديان، فهل اهتدى الرافضة المشركون أم ضللتم يادعاة التقارب وأنصارَه؟

فلطالما وقف العلماء الصادقون في وجه دعوات التقريب بين السنة والشيعة مع أنهم ينسبون أنفسهم للإسلام ويزعمون أنهم على شيء، وكتب بعض أصحاب السعي لذلك خلاصة تجربته وأن هذا من أمحل المحال ومن تضييع الجهود في غير طائل، فانظر كيف قفز طغاة آل سعود هذه القفزة التي صار معها التقريب بين السنة والشيعة من المسلمات التي لا غمز عليها ولا طعن فيها، وغدا البحث فقط بحثاً عن تقارب الأديان، فبئس الدين الذي جمع بين توحيد السنة وشرك الرافضة، وضم تحت قبته المترضين عن الصحابة الكرام والمتقربين بلعنهم وبغضهم، وتآخى فيه المبرؤون لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والقاذفون لها المفترون عليها.

إن هذه الدعوة الكفرية الصريحة هي مفرق طريق للمسلمين وعلمائهم في جزيرة العرب خصوصا وفي العالم عموماً، فلا مجال للمجاملات، ولا وقت للمساجلات، ولا بقاء للتدليس والتلبيس، وإنما هو شحذ السنان، وإظهار البيان، وموقف التوحيد للملك الديان، فو الله إن التعجيل بقتل هذا الطاغية العابث الذي أعلن نفسه إماما من أئمة الكفر لهو من أعظم القربات وأجل الطاعات استجابة لقوله تعالى: { وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ}[التوبة/١٢].

ولن ينكف شره، وينقطع ضره، ويزال كفره، إلا بكتائب محمد بن مسلمة التي أرسى دعائمها رسول الرحمة والملحة حينما قال (من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله، فقال محمد بن مسلمة أتحب أن أقتله قال نعم)، فمَن لهذا المتجبر فإنه قد عبث بالدين، وظاهر اليهود والنصارى على المسلمين، وملأ سجونه بالخيار الموحدين، وتجرأ على عقيدة التوحيد، وآخى السابّين للنبي الكريم، وعلى رأسهم عابد الصلبان باب الفاتكان، فمن له ثم مَن له، فطوبى لمن كتب الله هذه الحسنة على يديه، وجعل من نفسه فداءً للدين وحصناً للتوحيد، ليدفع عن المسلمين موجة كفر عاتية تستأصل عقيدتهم وتقتلع جذور إيمانهم، ولن يكون ذلك إلا بردم هذا المنبع المفسد الذي يخرج علينا كل يوم برجسه ونجسه.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف/٢١]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خطبة عيد الفطر 1426

بسم الله الرحمن الرحيم



الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

الله أكبر .. كلمةٌ تسري في دمائنا.

الله أكبر .. كلمة سكنت في قلوبنا.

الله أكبر .. كلمة انشرحت بها صدورنا.

الله أكبر .. كلمة خضعت لها جوارحنا.

الله أكبر .. كلمة نرد بها على أعدائنا.

الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

إخوة الإيمان:

بالأمس كنا ننتظر رمضان ونترقب هلاله ونستبشر بأيامه ولياليه فهو الشهر العظيم الذي أنزل الله فيه القــرآن وجعله بينات للناس وهدى ذلك الشهر الذي قال فيه نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم: "من صام رمضان إيمانــاً واحتساباً غُفِر له ما تقدم من ذنبه"، ذلك الشهر الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "رغِم أنفه من دخل عليه رمضان ولم يُغفر له"، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن ما لم ترتكب الكبائِر".

وهانحن اليوم قد ودعنا ذلك الشهر وطوينا صفحته بما فيه من خير وشر، ذلك الشهر العظيم الذي قال فيه الله سبحانه وتعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)، ذلك الــشهر الذي قال فيه الله سبحانه وتعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

فالله سبحانه وتعالى فرض صيامه لعل التقوى تدخل إلى القلوب، لعل النفوس تزكــو بــصيامه لعــل النفــوس والقلوب تطهُر بقيامه فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من عُتقاء ذلك الشهر العظيم، نــسأل الله ســبحانه وتعالى أن نكون قد خرجنا منه كيوم ولدتنا أمهاتنا لا ذنب علينا ولا خطيئة ونعوذ بالله من أن نكون قد خرجنا منه ولم تُغفر لنا ذنوبنا.

وها نحن اليوم نستقبل يوماً عظيماً من أيام الإسلام إنه عيد الفِطر الذي جعلــه الله ســبحانه وتعــالى فُــسحة للمسلمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: "دخل علينــا أبو بكرٍ –وهو أبوها رضي الله تعالى عنهما– وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان –وليــستا بمغنيــتين– فزجرهما أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقال: "أبمزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟"، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دعهما يا أبا بكر إن لكل قوم عيد وهذا عيدنا".

وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليعلم اليهود أن في عيدنا فسحة".

الذي فُرِضت فيه وشُرِعت فيه زكاة الفطر طعمة للمساكين وطهرة للصائمين.

الذي شرع الله فيه التكبير كما قال سبحانه وتعالى: (وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).

إنه يومٌ عظيم من أيام الإسلام إنه يوم فرح ويوم سرور ويوم بهجة إنه يوم جعله الله سبحانه وتعــالى اجتماعــاً للمؤمنين يتراحمون فيه فيما بينهم ويذكر بعضهم بعضا بهذه الشريعة العظيمة وبهذا الهدي الرباني الكبير الــذي منّ الله سبحانه وتعالى به عليهم، نعم إن من حق المسلمين أن يفرحوا بهذا اليوم ولكن إخوة الإيمان يــا إخــوة الإيمان أين فرحنا وأين سعادتنا وأين سرورنا وأنى للفرح أن يتسرب إلى قلوبنا ونحن نرى أمتنا قد مزقتها حِراب المجرمين وقطعتها سيوف الكافرين شرقاً وغربا، أنّى لنا أن نفرح إخوة الإسلام وأخواتنا في فلسطين وفي العراق

وفي أفغانستان وفي بلاد المسلمين شرقاً وغرباً هذا هو يوم حزنهم وهذا هو يوم مآسيهم وهذا هو يوم ذكرياتهم المظلمة!

يا إخوة الإسلام نعم إننا نريد أن نفرح كما يفرح المسلمون ونريد أن نبتهج كما يبتهج المسلمون ولكن والله يا إخوة الإسلام ليس في أمتنا ما يُفرح وليس في أمتنا ما يُسعِد المرء إلا القليل وإلا اليسير ونسأل الله أن يبارك فيه.

يا إخوة الإسلام إن مصائبنا عظيمة ووالله إننا لا نذكرها لننكد على أنفسنا ولكن نذكرها ونتذكرها لنعلم حال إخواننا المسلمين ونحن منهم فمآسيهم مآسينا ومصائبهم مصائبنا وكروبهم كُروبنا هذا هو حق الأخوة ونحن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر"، فتعالوا إخوة الإسلام لننتقل إلى بقاع الأرض لننظر حال المسلمين في فلسطين في بلاد مسرى النبي صلى الله عليه وسلم حيث كل يوم شهيد وكل يوم أسير وكل يوم بيوت تُهدّم ونساء تُعتقل.

يا إخوة الإسلام:

تلك هي فلسطين قلب الإسلام، من الذي يدنسها ومن الذي تسلط عليها ومن الذي يسوم أهلها سوء العذاب؟

إنهم الذين ضُرِبت عليه الذِلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله، إنهم أحفاد القِردة والخنازير أولئك هم الذين يسومون إخواننا هناك سوء العذاب!

ولننظر إلى إخواننا في العراق وفي أفغانستان حيث جاءت قوات الكفر الصليبية بخيلها ورجلها تدمر بيوتهم وتقتل أبناءهم وتعتقل شيوخهم ونساءهم وتملأ بهم سجونها في أبي غريب وفي باجرام وفي قندهار وفي جوانتانامو، أولئك كيف يكون عيدهم ؟

أولئك كيف يكون سرورهم ؟

أولئك كيف تكون فرحتهم ؟

يا إخوة الإسلام:

إن قلوبنا تتفطر أسى وإنّ أكبادنا تذوب حسرة لواقعنا، فنسأل الله سبحانه وتعالى في هذا اليوم العظيم أن يُبرِم لهذه الأمة أمر رُشد يُعز فيه أهل طاعته ويُذل فيه أهل معصيته ويُؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ..

اللهم لك الحمد ربنا حمداً يليق بجلالك وعظيم سلطانك، اللهم لك الحمد ربنا على أن هديتنا للإسلام، اللهم لك الحمد ربنا على أن شرحت صدورنا لدينك وجعلتنا من أتباع نبيك، اللهم لك الحمد ربنا على أن نورت قلوبنا بنور الإيمان والقرآن، اللهم لك الحمد ربنا على أن جعلتنا من المسلمين، اللهم إنا نحمدك ربنا على أن جعلتنا من خير أمة أُخرِجت للناس، اللهم وصلِّ على خير خلقك محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

نعم يا إخوة الإسلام إننا نذكر مصائبنا ونتذكر كروبنا وخطوبنا يا إخوة الإسلام لا نذكرها لنملأ قلوبنا أسى إنما نذكرها لنعلم الواجب علينا، إنما نذكرها حتى نستشعر الأمانة التي أُنيطت في أعناقنا، إننا نذكرها حتى تمتلئ قلوبنا همة وعزماً وحزماً على نصرة دين الله سبحانه وتعالى وعلى المضي لتمكين شريعته التي اختارها لعباده المؤمنين، وتلك هي إرهاصات النصر قد بدأت تلوح في الأفق على ما في الأرض من ظلمات وظلم تلك هي ملامح النصر وعلامات التمكين قد بدأت تلوح في الأفق في العراق وفي أفغانستان وفي فلسطين وفي الشيشان، نعم إن ضريبة التمكين عظيمة وإن ضريبة النصر كبيرة، إن ضريبتها دماؤنا وإن ضريبتها أشلاؤنا وضريبتها بيوتنا وديارنا وحرثنا وزرعنا ولكن بعد ذلك أيها المسلمون ماذا يكون ؟ يكون العزة لمن أرادها .. يكون التمكين لمن طلبه، تكون الحرية لمن ينشدها، تلك هي علامات النصر يقدمها إخوانكم الأبطال الذين وضعوا الدنيا تحت أقدامهم عندما قبلها الناس، تلك هي تضحياتهم في العراق تلك هي تضحياتهم في أفغانستان وإن النصر قادمٌ لا محالة على رغم أنف الكافرين وعلى رغم أنف المرتدين وعلى رغم أنف المرتدين إنه وعدٌ رباني لا يتخلف (فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ) إنه لحقٌ لأن الله قال (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) إنه لحقٌ لأن الله قال (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ).

أيها المسلمون:

لا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا من رحمة الله فإن الفرج مع الكرب وإن مع اليسر يسرا (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ).

سيُرغم أنف أمريكا في التراب، ستُذل أمريكا كما ذُلت الإمبراطوريات قبلها، إنه دين الله إنه دين الواحد الأحد الذي لو أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون، فلماذا نيأس ولماذا نقنط ولماذا نخاف ؟ إننا بين خيارين إما أن نعيش أعزاء ممكنين في ديننا وعلى أراضينا نفعل ما نشاء نعبد ربنا كما أمرنا وإما أن يكون مصيرنا هو جنات النعيم (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ).

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين.

اللهم مكن لدينك، اللهم أعل شريعتك، اللهم أعز كتابك.

اللهم افتح لعبادك المؤمنين فتحاً مبيناً.

اللهم انصرهم نصراً مؤزراً.

الله انصرهم في أفغانستان، الله انصرهم في العراق، اللهم انصرهم في فلسطين.

الله ارحم حالهم، اللهم ارحم ضعفهم، اللهم ارحم فقرهم.

اللهم يا ذا الجلال والإكرام اللهم دافع عنهم يا من يدافع عن المؤمنين، اللهم أنت وليهم وأنت مولاهم وأنت من يتولى الصالحين.

الله فرج عن إخواننا المأسورين في مشارق الأرض ومغاربها.

اللهم فك أسرهم وعجل بخلاصهم اللهم نجهم يا رب العالمين.

اللهم أخرجهم من ضيقهم اللهم أخرجهم من كربهم.

اللهم املأ قلوبهم نوراً وإيماناً .. اللهم أشعرهم بمعيتك وأشعرهم بقربك.

اللهم أرهم من تسديدك وتأييدك لهم ما ينسيهم ما هم فيه من الهم يا رب العالمين.

اللهم تول عبادك المؤمنين إنك سميعٌ قريبٌ مجيب.

وصلِّ اللهم على خير خلقك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

خطبة عيد الأضحى ١٤٢٨

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾



إنَّ الحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ وَنَستَعينُهُ وَنَستَغفرُهُ ، وَنَعُوذُ بالله من شُرُورِ أَنفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعمَالنَا ، مَن يَهده اللهُ فَلا مُضلَّ لَهُ وَمَنْ يُضللْ فَلا هَاديَ لَهُ ، وَ أَشهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهَ وَحدَهُ لاشَريكَ لَه وَ أَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبدُهُ وَ رَسُولُهُ وَصَفيُّهُ منْ خَلقه وَخَليلُهُ أَرسَلَهُ اللهُ بالهُدَى وَ دينِ الحَقِّ لِيُظهرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه وَلَو كَرِهَ الكَافِرُونَ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَعَلَى آله وَ أَصحَابِهِ أَجْمَعينَ وَعَلَى مَنْ اهتَدَى بهَديِه وَسَارَ عَلَى سُنَّته إِلَى يَومِ الدِّينِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعدُ

اللهُمَّ لَكَ الحَمْدُ رَبَّنا حَمداً كَثيراً طَيِّبَاً مُبارَكَاً فيه كَمَا تُحبُّ وَتَرضَى ، اللهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ وَلَكَ الشُّكرُ كُلُّهُ وَإِلَيكَ يُرجَعُ الأَمرُ كُلُّهُ ، اللهُمَّ لَكَ الحَمدُ رَبَّنَا عَلَى مَا هَدَيتَنَا ، اللهُمَّ لَكَ الحَمدُ رَبَّنَا عَلَى مَاجَعَلتَنَا من أَتبَاعِ سَيِّدِ الأَنَامِ ، اللهُمَّ لَكَ الحَمدُ رَبَّنَا عَلَى مَا شَرَعْتَ لَنَا منْ دينٍ قَويمٍ وَ صرَاطٍ مُستَقيمٍ .

إِخْوَةَ الإِيمَانِ :

هَذَا اليَوْمُ هُوَ يَوْمُ الأَضْحَى ، هُوَ يَومُ النَّحرِ ، هُوَ يَومُ الحَجِّ الأَكْبَرِ ، هَذَا اليَوْمُ هُوَ يَومُ شَعيرَة منْ شَعَائرِ الإِسْلَامِ العَظيمَة الّتي سَنَّ فيهَا النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ سُنَنَاً ، وَشَرَعَ فيهَا شَرَائعَ بَقيَتْ بَعدَهُ لأُمَّته تَأْخُذُ بهَا وَ تَتَمَسَّكُ بهَا ، هَذَا اليَوْمُ هُوَ اليَوْمُ الذَّي نَجَّا فيه رَبُّنَا إِسْمَاعيلَ عَلَيه السَّلامُ من الذَّبحِ ، هَذَا اليَومُ هُوَ اليَومُ الذِّي قُدِّمَ فيه الوَلاءُ لله عَلَى عَاطفَة الأُبُوَّة ، فَالحَمدُ لله الذِّي جَعَلَنَا منْ أَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ نُحْيي سُنَّتَهُ وَنَتَمَسَّكُ بِشَرِيعَته وَنَسيرُ عَلَى هَدْيِهِ وَ نَقْفُوا أَثَرَهُ .

إِخوَةَ الإِسلامِ :

إِنَّني فِي هَذَا اليَومِ أُرِيدُ أَنْ أَقفَ عَلَى حَدِيث عَظيمٍ لنَبيِّنَا صَلَى اللهُ عَلَيه وَسَلَّم ، حَديث يُبَيِّنُ لَنَا حَالَ الأُمَّة وَمَا يَجبُ أَنْ تَكُونَ عَلَيه فِي كُلِّ وَقت وَ حينٍ مُنذُ أَنْ شُرِعَ الجِهَادُ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللهُ الأَرضَ وَمَنْ عَلَيهَا ، فَعَنْ سَلَمَةَ ابنِ نُفَيْلٍ الكِنْديِّ رَضيَ اللهُ تَعَالَى عَنهُ قَالَ : " كُنْتُ جَالساً عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : " يَا رَسُولَ الله أَذَالَ النَّاسُ الخَيْلَ وَ وَضَعُوا السِّلَاحَ وَقَالُوا لَا جِهَادَ قَدْ وَضَعَتْ الحَرْبُ أَوزَارَهَا " ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ بوَجْهِه وَقَالَ : " كَذَبُوا الآنَ الآنَ جَاءَ القِتَالُ ، وَلَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتي أُمَّةٌ يُقَاتلونَ عَلَى الحَقِّ ، وَ يُزِيغُ اللهُ لَهُمْ قُلُوبَ أَقْوَامٍ وَ يَرْزُقُهُمْ مِنْهُمْ ،حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ وَحَتَّى يَأتِيَ وَعْدُ الله ، وَ الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يومِالقِيَامَةِ " .

نَعَمْ ، أَكْثَرْنَا الحَديثَ عَنِ الجِهَاد ، هَكَذَا سَيَقُولُونَ .

نَعَمْ ، مَا وَقَفْنَا مَوقِفاً إِلَّا وَ تَحَدَّثْنَا فِيهِ عَنِ الجِهَادِ وَالقِتَالِ وَالإِعدَادِ وَ الهِجْرَة ، هَكَذَا سَيَتَحَدَّثُونَ .

نَعَمْ ، إِنَّ الجِهَادَ حَيَاةٌ لِأُمَّة الإِسْلَام ، إِنَّ الجِهَادَ شَرِيعَةٌ بَاقِيَةٌ شَرَعَهَا اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَمَرَ بِهَا فِي كِتَابِه وَحَثَّ عَلَيهَا وَمَدَحَ أَهْلَهَا ، وَحَذَّرَ مِنْ تَرْكِهَا .

نَعَمْ ، إِنَّ الجِهَادَ بِه قِوَامُ الدِّينِ وَحِفْظُ الشَّرَائعِ وَ التَّمْكينُ لدِينِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ ، نَبيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ عِنْدَمَا عُرِضَتْ أَمَامَهُ هَذِه القَضِيَّةُ (أَذَالَ النَّاسُ الخَيْلَ) يَعنِي : أَهَانُوهَا ، وَفِي رِوَايَةٍ : سَيَّبُوهَا ، تَرَكُوهَا ، وَضَعُوا عَنْهَا عُدَّةَ السِّلَاحِ .

وَهَذَا مَتَى يَا إِخْوَةُ ؟ مَتَى وَقَعَ هَذَا الأَمْرُ ؟

عِندَمَا كَانَتْ دَولَةُ الإِسلَامِ فِي عِزٍّ تَمْكِينِهَا ، عِنْدَمَا كَانَتْ جُيُوشُ الإِسْلَامِ تَضْرِبُ شَرْقَاً وَغَرْبَاً .

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ هَذَا الحَديثَ جَاءَ بَعْدَ فَتْحٍ فَتَحَ اللهُ بِه عَلَى نَبِيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ فَظَنَّ الصَّحَابَةُ أَنَّ بَعْدَ هَذَا الفَتْحِ وَهَذَا التَّمْكِينِ وَهَذَا النَّصْرِ فَلَا حَاجَةَ إِذاً إِلَى الجِهَاد فَقَالَ الصَّحَابِيُّ : " يَارَسُولَ الله أَذَالَ النَّاسُ الخَيلَ " ، وَمَا أَكثَرَ الخُيولَ الّتِي أَذَالَها النَّاسُ اليَوْمَ ! سَيَّبُوهَا وَتَرَكُوهَا وَأَهَانُوهَا ! بَلْ تَنَكَّرُوا لِشَرِيعَةِ الجِهَادِ كُلِّهَا وَلَيسَ إِلَى الخَيلِ وَحْدَهُ !

" أَذَالَ النَّاسُ الخَيلَ وَ وَضَعُوا السِّلَاحَ " تَرَكُوا السِّلَاحَ ، خَزَّنُوا السِّلَاحَ مَلَؤُوا بِه المخَازِنَ .

" وَقَالُوا لا جِهَادَ " ، لِمَاذَا ؟ قَدْ فَتَحَ اللهُ عَلَينَا وَنَصَرَنَا عَلَى أَعدَائِنَا وَغَنِمنَا مِنهُم وَكَسَرْنَا شَوكَتَهُم .

فَمَا بَالُنَا اليَومَ ؟ إذَا كَانَ هَذَا الكَلامُ يُقالُ فِي ذَلكَ الزَّمَنِ وَ دَوْلَةُ الإسلَامِ في عزٍّ تَمْكينهَا وفي أَوجِ قُوَّتهَا وَقَائدُهَا وَ رَائدُهَا رَسُولُنَا صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّمَ وَيَقُولُ هَذَا الصَّحَابيُّ : " أَذَالَ النَّاسُ الخَيلَ وَوَضَعُوا السِّلَاحَ وَقَالُوا لا جهَادَ " ، وَمَا أَكثَرَ مَا نَسمَعُ منْ هَذه العبَارَة " لا جهَادَ " ! هُنَاكَ مَنْ يَقُولُهَا تَصْريحًا ، وَهُنَاكَ مَنْ يَقُولُهَا تَلْميحًا ، وَهُنَاكَ مَنْ يَقُولُهَا بفعْله ، وَهُنَاكَ مَنْ يَقُولُهَا بتَثْبيطه وَإرْجَافه وَتَخْذيله وَغَيْر ذَلكَ من السُّبُلِ الّتي نَسمَعُهَا وَنَرَاهَا وَ قَدْ تَعَدَّدَتْ طَرَائقُهُم في ذَلكَ .

قَالَهَا الصَّديقُ وَقَالَهَا العَدُوُّ وَقَالَهَا الُمحَايدُ أَيضًا " لا جهَادَ " ، لماذَا تُرهقُونَ أَنْفُسَكُم ؟ لماذَا تُتْعبُونَ أَنفُسَكُم ؟ لماذَا تُدخلُونَ أُمَّةَ الإسلام في دَهَاليزَ لا نهَايَةَ لَهَا ؟ كَمْ منَ الشَّبَاب الذينَ أَدخَلتُمُوهُم إلَى مَحرَقَة العرَاق ؟ وَكَم من الشَّبَاب الذينَ أَقْحَمْتُمُوهُم في مَحْرَقَة أَفْغَانسْتَانَ ؟ وَكَمْ من الأُمَّهَات اللاتي فَقَدْنَ أَبْنَاءَهُنَّ ؟ وَكَم من الزَّوجَات اللاتي فَقَدْنَ أَزوَاجَهُنَّ ؟ فَمَالَكُمْ وَللجهَاد ! مَالَكُم وَللجهَاد ! مَالَكُم وَلهَذه المَشَقَّة وَهَذَا العَنَت وَهَذَا النَّصَب ؟ مَا لَكُم وَلإنفَاق الأَمْوَال ؟ مَالَكُم وَلسَفْك الدِّمَاء ؟ مَا لَكُم وَلمُوَاجَهَة عَدُوٍّ لَا قبَلَ لَكُم به ؟ أَتَعرفُونَ مَنْ هُوَ ؟ إنَّهُ أَمْريكَا ! الذي أَذَلَّ الُملُوكَ ، إنَّهُ أَمريكَا الذي خَضَعَت لَهُ دُوَلُ الشَّرْق وَ الغَرْب .

" لا جهَادَ " أَلَسْنَا نَسمَعُ هَذه العبَارَةَ في اليَوم مَرَّات وَ مَرَّات ؟

نَسْمَعُهَا ممَّنْ ؟ نَسْمَعُهَا منْ عُلَمَاءَ كَانَ عَلَيهم أَنْ يَكُونُوا وَرَثَةَ نَبيِّنَا مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ وَأَن يَقُولُوا لكُلِّ مُرْجف وَمُثَبِّط وَمُخَذِّل : " كَذَبُوا الآنَ الآنَ جَاءَ القتَالُ " ، وَلَكنْ للأَسَف فَعَلَى رَأْس قَائمَة الُمثَبِّطينَ وَعَلَى رَأس قَائمَة الُمرجفينَ هُمْ مَنْ يَنْتَسبُونَ إلَى العلْم وَ لَاحَولَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بالله .

" أَذَالَ النَّاسُ الخَيلَ وَوَضَعُوا السِّلَاحَ وَقَالُوا لَا جهَادَ قَدْ وَضَعَتْ الحَرْبُ أَوزَارَهَا " يَعني انْتَهَت المَعَارِكُ بَينَنَا وَبَيْنَ أَعدَائنَا فَمَالَنَا وَللجهَاد ، فَكَيفَ بنَا اليَوْمَ وَ عَدُوُّنَا في عُقْر دَارنَا انتَهَكَ أَعْرَاضنَا وَسَلَبَ أَمْوَالَنَا وَدَنَّسَ مُقَدَّسَاتنَا وَقَتَّلَ أَبنَاءَنَا وَأَسَرَ شُيُوخَنَا وَنسَاءَنَا وَمَع ذَلكَ نَقُولُ : " لا جهَادَ قَد وَضَعَتْ الحَربُ أَوزَارَهَا " ، أَيُّ حَرْب هَذه التي وَضَعَت أَوزَارَهَا ؟ أَيُّ حَرب هَذه التي تَخَلَّى عَنهَا أَعدَاؤُنَا وَهُم في عُقْر دَارنَا ؟

تلْكَ فلَسْطينُ ، كَم سَنَةً وَأَعدَاءُ الله وَ أَذَلُّ وَ أَحْقَرُ خَلْق الله عَزَّ وَجَلَّ يُدَنِّسُونَهَا .

تلكَ هيَ العرَاقُ ، كَم سَنَةً وَأَعدَاءُ الله عَزَّ وَ جَلَّ قَد نَهَبُوا خَيْرَاتهَا وَقَد دَنَّسُوا مَا فيهَا وَقَد هَتَكُوا أَعرَاضَ الحَرَائر فيها .

تلكَ هيَ أَفغَانستَانُ ، وَمَا أَدرَاكَ مَا أَفغَانستَانُ ! عَدُوٌّ تلْوَ عَدُوٍّ ، وَ احتلَالٌ تلْوَ احتلَال وَمَع ذَلكَ نَقُولُ : " لاجهَادَ قَد وَضَعَت الحَربُ أَوزَارَهَا " ! إذَن مَتَى تَنْشُبُ الحربُ بَينَنَا وَبَينَ أَعدَائنا ؟ مَتَى تَنشُبُ الحربُ بَينَنَا وَبَينَ أَعدَائنَا ؟ إنْ لَم تَثُرْ غَيْرَتُنَا عَلَى أَعرَاضنَا فَلأَجل مَاذَا تَثُورُ ؟ إنْ لَم نَنتَفضْ لأَجل عَقيدَتنَا فَلمَاذَا إذَن نَنسبُ أَنفُسَنَا لدين الله عَزَّ وَجَلَّ ؟ أَلَيسَ دينُ الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الذي يَقُولُ لَنَا : (يَاأَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إذَا

قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِاللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ) ؟ تَشَبَّثْتُم بِهَـــذِهِ الأَرضِ ، تَمَـــسَّكْتُمْ بِزَهرَتِهَـــا وَعَضَـــضْتُمْ بِنَوَاجِذِكُم وَأَسْنَانِكُم وَأَضْرَاسِكُم عَلَى أَموَالِها .

نَعَم ، فَلِذَلِكَ تَعِسَ هَؤُلَاءِ تَعِسَ عَبَدَةُ الدُّنيَا ! كَمَا دَعَا عَلَيهِم رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، عَن أَبِي هُرَيـــرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنهُ قَالَ : " قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : " تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَ عَبدُ الـــدِّرهَمِ وَ عَبـــدُ الخَمِيصَةِ وَعَبدُ القَطِيفَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِن لَم يُعْطَ سَخِطَ ، تَعِسَ وَ انْتَكَسَ وَ إِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ " .

نَعَمْ ! وَ مَنْ يُقَابِلُ هَذَا ؟ مَنْ يُقَابِلُ عَابِدَ الدُّنيَا ؟ مَنْ يُقَابِلُ عَابِدَ الدِّينَارِ وَ الدُّولَارِ وَ الجَاهِ وَ السُّلْطَانِ وَ التَّمَلُّـــقِ لِلظَّلَمَةِ ؟ يُقَابِلُهُ مَنْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم فِي حَقِّهِ : " طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ وَ إِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ " .

نَعَم ، هُوَ لَيسَ صَاحِبَ مَظهَرٍ وَ لَا صَاحِبَ لِبَاسٍ وَ لَا صَاحِبَ جَاهٍ وَلَا صَاحِبَ شُهرَةٍ ، هُوَ مِن الأَخفِياءِ الأَتقِياءِ الذِينَ لَا تَعرِفُهُم وَسَائِلُ الإِعْلَامِ ، وَ لَا تَستَقبِلُهُم الفَضَائِيَاتُ ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَـــلَّى اللهُ عَلَيـــهِ وَسَـــلَّمَ : " إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ ، وَإِنْ شَفَعَ لَم يُشَفَّعْ " رَوَاهُ البُخَارِيُّ .

هَذَا هُوَ حَالُ عَابِدِ الدُّنيَا وَهَذَا هُوَ حَالُ مَنْ طَلَّقَهَا مِمَّنْ نَفَرَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَطُوبَى لَكُـــم يَـــا شَـــبَابَ الإِسلامِ طُوبَى لَكُم هَذِهِ النِّعْمَةَ العَظِيمَةَ التِي وَفَّقَكُم اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَيهَا ، طُوبَى لَكُم هَذَا الفَضْلَ العَظِـــيمَ الذِي يَسَّرَهُ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيكُم .

أَنتُم مِن الفُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ ، يَمُوتُ أَحَدُكُم وَحَاجَتُهُ فِي نَفسِهِ لَا يَجِدُ لَهَا قَضَاءً كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَى اللهُ عَلَيـــهِ وَسَلَّمَ ، فَكَم مِن الشَّبَابِ الأَخفِياءِ الأَتقِياءِ الأَنقِياءِ الذِينَ يَقِفُونَ لَيلاً وَ نَهَاراً ذَبّـــاً عَـــن شَـــرِيعَةِ اللهِ وَحِمَايَـــةً لِأَعْرَاضِ المُسْلِمِينَ ، وَدِفَاعَاً عَن مُقَدَّسَاتِهِم وَ لَا يَعرِفُهُم أَحَدٌ وَلَا يَسْمَعُ بِهِم أَحَدٌ ، يَمُوتُ أَحَدُهُم وَحَاجَتُهُ فِـــي صَدْرِهِ لَا يَجِدُ لَهَا قَضَاءً ، عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنهُ قَالَ : " قَالَ رَسُولُ اللهِ صَـــلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : " أَوَّلُ ثُلَّةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ الفُقَرَاءُ المُهَاجِرُونَ الذِينَ تُتَّقَى بِهِم المَكَـــارِهُ ، وَإِذَا أُمِـــرُوا سَـــمِعُوا وَأَطَاعُوا " ، وَإِذَا أُمِرُوا سَمِعُوا وَأَطَاعُوا ، هَذَا هُوَ شَرْطُهُم ، هَذَا هُوَ حَالُهُم ، تِلكَ هِيَ صِـــفَتُهُم ، نَعَـــم ، وَإِذَا أُمِرُوا سَمِعُوا وَأَطَاعُوا ، " الذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَ أُوذُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِي " ، وَ إِنَّ اللهَ لَيَدعُو الجَنَّةَ فَتَأْتِي بِزُخرُفِهَا وَ زِينَتِهَا ، فَتَأْتِي الجَنَّةُ بِزُخرُفِهَا وَ زِينَتِهَا فَيَقُولُ : "ادْخُلُوهَا " فَيَدْخُلُونَهَا بِغَـــيرِ حِـــسَابٍ فَتَـــأْتِي المَلائِكَةُ فَيَسجُدُونَ ، يَسجُدُونَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولونَ : " يَارَبّ ، نَحنُ نُسَبِّحُ لَكَ اللَيلَ وَ النَّهَارَ وَنُقَدِّسُ لَـــكَ ، مَنْ هَؤُلَاءِ الذِينَ آثَرتَهُم عَلَينَا ؟" ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : " هَؤُلَاءِ عِبَادِيَ الذِينَ قَاتَلُوا فِي سَـــبِيلِي وَ أُوذُوا فِـــي سَبِيلِي " ، فَتَدخُلُ عَلَيهِم المَلائِكَةُ مِنْ كُلِّ بَابٍ (سَلَامٌ عَلَيكُمْ بِمَا صَبَرتُم فَنِعْمَ عُقْبَى الـــدَّارِ) ، أَســـأَلُ اللهَ أَنْ يَجعَلَنَا مِنهُم .

فَيَا شَبَابَ الإِسلامِ شَرقَاً وَغَربَاً ، يَا شَبَابَ الإِسلام شرقاً وغرباً ، يَا مَنْ انتَمَيتُم إِلَى عَقِيدَةٍ قِوَامُهَا (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلائِكَةُ وَ أُولُو العِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ) .

فَيَا شَبَابَ الإسلامِ شَرقَاً وَغَربَاً ، يَا مَنْ تَتلُونَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ .يَا شَبَابَ الإسلامِ شَرقَاً وَغَربَاً يَا مَن تَسْمَعُونَ نِدَاءَ اللهِ لَكُمْ : ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ .

أَمَا آنَ لَكُمْ أَنْ تَنْتَفِضُوا لِلدِّفَاعِ عَنْ شَرِيعَتِكُم ؟ يَا شَبَابَ الإِسلامِ ، يَا شَبَابَ الإِسلامِ، إِنَّ الإِسلَامَ دِينُكُم وَإِنَّ عَقِيدَةَ الإِسلَامِ عَقِيدَتُكُم ، وَ إِنَّ اللهَ هُوَ رَبُّكُم وَهُوَ الذِي يَأمُرُكُم وَهُوَ الذِي يَدعُوكُم إِلَى هَذِهِ الصَّفْقَةِ العَظِيمَةِ التِي لَا بَخسَ فِيهَا وَلَا خَسَارَةَ فِي بَيْعِهَا ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ ، فَشُدُّوا العَزْمَ عَلَى هَؤُلَاءِ الكَفَرَةِ الذِينَ مَلَؤُوا الأَرضَ بِالفَسَادِ وَ الإِفسَادِ ، احصُدُوهُم حَصْدَاً ، لا تُبقُوا مِنهُم بَاقِيةً ، لَا تَسمَعُوا لِمُرجِفٍ وَلَا تُنصِتُوا لِمُخَذِّلٍ وَلَا تَلتَفِتُوا لِجَبَانٍ خَائِرٍ قَدْ أَلهَتْهُ دُنيَاه عَنْ آخِرَتِه .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ : " كَذَبُوا الآنَ الآنَ جَاءَ القِتَالُ " ، قَالَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ مَتَى ؟ قَالَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ مَتَى ؟ كَمَا قُلنَا قَالَهَا وَ دَولَةُ الإِسلَامِ قَائِمَةٌ وَشَرِيعَةُ الإِسلامِ حَاكِمَةٌ وَعَقِيدَةُ الإِسلامِ صَافِيَةٌ وَأَعدَاءُ اللهِ مَكبُوتُونَ مَخْذُولُونَ خَائِفُونَ مَقْمُوعُونَ !

وَ أَمَّا اليَوْمَ ، وَالْمُسلِمُونَ مُستَضعَفُونَ ، وَالْمُجَاهِدُونَ مُشَتتونَ ، وَ أَبنَاءُ الإِسلامِ فِي قَهْرٍ وَ إِذلَالٍ امتَلَأَتْ بِهِم السُّجُونُ وَمَزَّقَت ظُهُورَهُم السِّيَاطُ ، وَنسَاؤُهُم صِرنَ سَبَايَا عِنْدَ أَنذَلِ وَأَخَسِّ خَلقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، تِلكَ هِيَ سُجُونُ فِلَسطِينَ تَمتَلِئُ بِالحَرَائِرِ الطَّاهِرَاتِ اللاتِي وَقَفْنَ دِفَاعَاً عَن دِينِ اللهِ عِندَمَا جَبُنَ الرِّجَالُ ، نَعَم هَذَا هُوَ حَالُنَا اليَوْمَ ، وَمَع ذَلِكَ نَقُولُ "لاجهاد" ! مَاذا نَنتَظِرُ ؟ أَنَنتَظِرُ خَارِقَةً مِن السَّمَاءِ تَقلبُ الأَرضَ رَأسَاً عَلَى عَقِبٍ ثُمَّ نَجِدُ دَولَةَ الإِسلَامِ وَقَد مُكِّنَ لَشَرِيعَتِنَا ، وَقَد أُقِيمَت دَعَائِمُ دِينِنَا ، وَقَد انتَشَرَت عَقِيدَتُنَا ثُمَّ بَعدَ ذَلِكَ نَقُولُ "الآنَ الآنَ جَاءَ القِتَالُ" ؟!

نَعَمْ ، اتَّفَقَ العُلَمَاءُ كُلُّهُم مِنْ أَوَّلِهِم إِلَى آخِرِهِم مِن الفُقَهَاءِ وَالْمُفَسِّرِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ عَلَى أَنَّ العَدُوَّ إِذَا دَاهَمَ أَرضَاً وَبَلَداً مِن بُلدَانِ المسلمينَ صَارَ الجِهَادُ فَرضَ عَينٍ عَلَى أَهلِ تِلكَ البَلدَةِ فَإِن عَجزُوا أَو قَصَّرُوا وَجَبَ عَلَى مَن حَولَهُم وَمَن يَدنُو مِنهُم أَنْ يَنفِرَ لِنُصرَتِهِم ، فَأَينَ نَحنُ مِنْ هَذَا الحُكْمِ ؟ أَينَ نَحنُ مِن هَذَا الحُكمِ ؟ عَارَضنَاهُ بِعُقُولِنَا وَعَارَضنَاهُ بِالحُدُودِ الْمُصطَنَعَةِ التِي لَا وَزنَ لَهَا وَلَا قِيمَةَ فِي دِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، عَارَضنَاهَا بِأَهوَائِنَا عَارَضنَاهَا بِفَلسَفَتِنَا حَتَّى أَقْعَدْنَا الشَّبَابَ وَطَبْطَبْنَا عَلَى أَكْتَافِهِم وَقُلنَا لَهُم اقعُدُوا تَرَيَّثُوا اعقِلُوا فَمَا هَكَذَا يَا سَعْدُ تُورَدُ الإِبلُ !

حَتَّى أَكَلَ عَدُوُّنَا الأَخْضَرَ وَاليَابِسَ وَمَا زِلنَا نَنتَظِرُ حَتَّى يَأتِيَ النَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَ إِنَّ النَّصْرَ لَقَادِمٌ بِإِذنِ اللهِ ، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَستَغفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُم فَاستَغْفِرُوهُ .

إنَّ الحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ وَنَستَعِينُهُ وَنَستَغفِرُهُ وَنَعُوذُ باللهِ من شُرُورِ أَنفُسِنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعمَالنَا ، ، مَن يَهده اللهُ فَلا مُضلَّ لَهُ وَمَنْ يُضللْ فَلا هَاديَ لَهُ ، وَ أَشهَدُ أَلَّا إلَهَ إلَّا اللهَ وَحدَهُ لاشَريكَ لَه وَ أَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبدُهُ وَ رَسُـولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ وَعَلَى مَن اهتَدَى بِهَديهِ وَسَارَ عَلَى سُنَّتِهِ إِلَى يَومِ الدِّينِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ

أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَمَ بَأَنَّ القِتَالَ قَدْ جَاءَ وَأَخبَرَنَا بَخبَرٍ بَاقٍ إلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخرُ هَذه الأُمَّة الدَّجَّالَ ، وَهُوَ بَقَاءُ طَائفَةٍ ظَاهرَةٍ عَلَى الحَقِّ لَا يَضرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا وَلَا مَنْ خَذَلَهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَمَ : " وَ لَا يَزَالُ منْ أُمَّتِي أُمَّةٌ " طَائِفَةٌ لَيسَ فَردَاً وَلَا فَردَان إنَّمَا هِيَ أُمَّةٌ وَفِي رِوَايَةٍ إنَّهَا طَائفَةٌ ، طَائفَةٌ من أُمَّتِـي "يُقَـاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ " .

إنَّ قتَالَهُم لَيسَ عَصَبِيَّةً وَ لَا وَطَنِيَّةً وَ لَا قَومِيَّةً وَ لَا لمَصَالحَ مُشتَرَكَة وَ لَا لحُدُود مُصْطَنَعَة ، إنَّمَا قتَـالُهُمْ عَلَـى الحَقِّ ، وَ أَحَقُّ الحَقِّ هُوَ تَوحِيدُ اللهِ سُبحَانَهُ وَ تَعَالَى ، فَالجِهَادُ لَن يَكُونَ جِهَادَاً إلَّا إذَا كَانَ لإعلَاءِ كَلمَةِ اللهِ عَـزَّ وَجَلَّ ، لَا للانتصَارِ للعَصَبِيَّة وَ لَا للدَّمِ وَ لَا للأَرضِ وَ لَا لغَيرِهَا ، إنَّمَا هُوَ انتصَارٌ لتَكُونَ كَلمَةُ اللهِ هِيَ العُليَا " وَ لَا يَزَالُ منْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتلُونَ عَلَى الحَقِّ " ، فَيَا عبَادَ اللهِ يَا إخوَانَ الجهَادِ في فلَسطينَ وَ فـي العـرَاقِ وَ فـي أَفغَانستَانَ اجعَلُوا جِهَادَكُم للهِ عَزَّ وَجَلَّ ، انتَصرُوا حَمِيَّةً لدينِ اللهِ سُبحَانَهُ وَ تَعَالَى ، انبُذُوا عَـنكُم العَـصَبِيَّات الجَاهليَّة ، انبُذُوا عَنكُم الرَّايَات الجَاهليَّة ، فَلَا الأَرضُ وَ لَا الدَّمُ وَ لَا القَوميَّةُ وَ لَا الوَطَنِيَّةُ هِيَ التي تُحَرِّكُنَا وَ لَـا هِيَ التي تَدفَعُنَا إنَّمَا يَدفَعُنَا {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه} ، وَ يَا إخوَانَ فلَسطِينَ انبُـذُوا عَنكُم العَصَبِيَّةَ الجَاهِلِيَّةَ ، تَبَرَّؤُوا من الكُفْرِ وَ أَهْلِه وَ أَعلنُوهَا رَايَةً صَرِيحَةً وَاضحَةً ، نُريدُ إقَامَةَ دِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، نُرِيدُ التَّمكِينَ لشَرِيعَةِ اللهِ سُبحَانَهُ وَ تَعَالَى ، نُرِيدُ إعزَازَ دِينِ اللهِ سُبحَانَهُ وَ تَعَالَى ، مَا فَائدَةُ أَنْ نَطرُدَ يَهُودِيَّاً وَ أَن يَأتِيَ بَعدَهُ مُرتَدٌّ علمَانِيٌّ فلَسطِينِيٌّ هُوَ أَخبَثُ وَ أَنجَسُ وَ أَحقَرُ من هَذَا اليَهُودِيِّ الذي نُقَاتلُ لطَردِه .

إنَّ الأَرضَ لَا تُقَدِّسُ أَحَدَاً وَ إنَّما يُقَدِّسُ الإنسَانَ عَمَلُهُ ، فَإذَا كَانَ عَمَلُنَا للهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ حَمِيَّتُنَا لدِينِ اللهِ سُبحَانَهُ وَ تَعَالَى فَعندَهَا وَ عندَهَا فَقَط يَتَنَزَّلُ نَصرُ اللهِ سُبحَانَهُ وَ تَعَالَى { إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْـدَامَكُمْ } ، فَنَصْرُ اللهِ لا يَكُونُ بمَعصِيَته وَ لَا بمُبَارَزَته وَ لَا بمُخَالَفَة أَمْرِه ، عَن أَبي مُوسَى الأَشعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنهُ قَالَ : " جَاءَ رَجُلٌ إلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَ سَلَّمَ فَقَالَ : " يَا رَسُولَ اللهِ الرَّجُلُ يُقَاتلُ حَمِيَّةً وَ الرَّجُلُ يُقَاتِـلُ للذكرِ وَ الرَّجُلُ يُقَاتلُ ليُرَى مَكَانُهُ ، أَيُّ ذَلكَ فِي سَبِيلِ اللهِ ؟ " ، قَالَ : " مَنْ قَاتَلَ لتَكُونَ كَلمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَـا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ " .

إنَّ للإنسَانِ رُوحَاً وَاحدَةً فَإذَا خَرَجَتْ فَإمَّا إلَى نَعِيمٍ مُقِيمٍ وَ إمَّا إلَى عَذَابٍ وَ جَحِيمٍ ، فَاجعَلْ رُوحَـكَ وَ هِـيَ أَعَزُّ مَا تَملكُ اجعَلْهَا ثَمَنَاً لإرضَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا إرضَاءً لقيَادَةٍ وَ لَا لحزبٍ وَ لَا لدَولَةٍ وَ لَا لتَنظِيمٍ وَ لَا لفَـردٍ وَ لَا لصَدِيقٍ وَ لَا لقَرِيبٍ وَ لَا لبَعِيدٍ إنَّمَا هِيَ رُوحٌ تُزهقُهَا وَ تُقَدِّمُهَا فِي سَبِيلِ اللهِ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَحدَهُ ، "وَ لَا يَزَالُ منْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتلُونَ عَلَى الحَقِّ " .

إذاً هَذَا إخبَارٌ من نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيه وَ سَلَّمَ أَنَّ الجِهَادَ لَا تَنقَطِعُ رَايَتُهُ وَ لَا تَتوَقَّفُ قَوَافِلُهُ وَ لَا تَتَعَثَّرُ مَوَاكِبُهُ بَل هُوَ مُستَمِرٌّ مُنْذُ أَن بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَ سَلَّمَ وَ شَرَعَ لَهُ هَذه العبَادَةَ إلَى أَن تَقُومَ السَّاعَةُ كَمَا جَاءَ في هَذَا الحَديث ، وَهَذه بشَارَةٌ من النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَليه وَ سَلَّمَ نَأخُذُهَا وَ نَستَبشرُ بهَا وَ نَعلَمُ بهَا أَنَّ اللهَ مَعَنَا وَ أَنَّ العَاقبَةَ للمُتَّقينَ وَ أَنَّ التَّمكينَ بإذن الله لهَذَا الدِّين إمَّا عَلَى أَيدينَا وَ إمَّا أَنْ نَكُونَ وَقُوداً لعَجَلَة الجهَاد وَ سَيَأتي التَّمكينُ بلَا شَكٍّ ، عَن أُبَيَّ بن كَعْب رَضيَ اللهُ عَنهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَ سَلَّمَ : " بَشِّرْ هَذه الأُمَّةَ بالتَّيسير وَ السَّنَاء وَ الرِّفْعَة بالدِّين وَ التَّمكين في البلاد وَ النَّصْر ، فَمَنْ عَملَ منهُم بعَمَلِ الآخرَة للدُّنيَا فَلَيسَ لَهُ في الآخرَة من نَصيب ، إنَّ أَعمَالَنَا لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا نَصرفُهَا لشَيء لَا نُوَجِّهُهَا إلَّا لله سُبحَانَهُ وَ تَعَالَى .

وَلَا يَزَالُ منْ أُمَّتي أُمَّةٌ يُقَاتلُونَ عَلَى الحَقِّ ، حَتَّى يَأتيَ وَعْدُ اللهوَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ، وَ الخَيْلُ مَعْقُودٌ في نَوَاصيهَا الخَيْرُ إلَى يَوم القيَامَة .

نَسأَلُ اللهَ العَظيمَ أَن يُعزَّ دينَهُ وَ أَن يُمَكِّنَ لشَريعَته وَ أَن يَنصُرَ عبادَهُ المُؤمنينَ ، اللهُمَّ انصُر عبَادَكَ المؤمنينَ المجَاهدينَ نَصراً مُؤَزَّراً ، اللهُمَّ افتَح لَهُم من لَدُنْكَ فَتحَاً مُبيناً ، اللهُمَّ انصُرهُم في العراقَ اللهُمَّ انصُرهُم في أفغانستانَ اللهُمَّ انصُرهُم في فلَسطينَ ، اللهُمَّ عَليكَ بأعدائكَ الذينَ يُحاربُونَ دينَكَ وَ يُنكِّلُونَ بأوليائكَ ، اللهُمَّ عَليكَ بطُغاة العَرَب وَ العَجم اللهُمَّ احصهم عَدَداً و اقتُلهُم بدَدَاً و لا تُغادر منهُم أَحَدَاً اللهُمَّ أَرنَا فيهم مَا تُقرُّ به أَعيُنَنَا وَ تَشفي به صُدُورنَا وَ تُذهبَ به غَيظَ قُلوبنا اللهمَّ عَليكَ بهم اللهُمَّ أَرنَا فيهم يَومَاً أَسوَدَاً ، اللهُمَّ عَلَيكَ بالمنافقينَ المُثبطينَ اللهم عَليكَ بالمنافقينَ المُجرمينَ اللهمَّ عَلَيكَ بالمَنافقينَ المُخَذِّلينَ اللهُمَّ انتَقم منهُم لأَوليائكَ ، اللهُمَّ رَبَّنَا إليكَ نَشكُو ضعفَنَا وَ إلَيكَ نَشكُو فقرَنَا وَ إليكَ نَشكُو حَاجَتَنا اللهُم أَنتَ رَبُّنَا وَ لا رَبَّ لَنا سواكَ اللهُمَّ أنتَ إلهُنا وَ لا إلهَ لَنا غيرُك اللهُمَّ لا تكلنَا إلى أَحد سواكَ طرفَةَ عَين ، اللهُمَّ لا تكلنا إلى أنفُسنَا وَلا لأَحد سواكَ طَرفةَ عَينٍ اللهُم اجعَل هَذا اليومَ يومَ فتحٍ و نصرٍ و تمكينٍ لعبادكَ المؤمنينَ اللهُم فرِّج فيه عن المكرُوبينَ اللهُم فرِّج عن إخواننا الأسرَى في سُجون اليهود و النَّصارَى و في سُجون المُرتدِّينَ و المُلحدينَ و في سُجون الرَّوافضِ و البُوذيينَ اللهُمَّ اجعَل لَهُم من كُلِّ ضيقٍ فَرَجَاً و من كُلِّ هَمٍّ مَخرَجَاً و ارزُقهُم من حيثُ لَا يحتسبُونَ اللهُم رُدَّهُم إلى أَهليهم سالمين آمنينَ غَانمينَ اللهم أَعزَّ بهم دينكَ و أَعزَّ بهم كتابَكَ وَ مَكِّن بهم شَريعَتك يا ربَّ العالمينَ اللهمَّ صَلِّ عَلَى خَيرِ خلقكَ مُحَمَّدٍ وَ عَلَى آله وَ أَصحَابه أَجمَعينَ .

وَآخرُ دَعوَانا أَن الحَمدُ لله رَبِّ العَالَمينَ

خطبة عيد الأضحى1429

بسم الله الرحمن الرحيم



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون .

صلى الله عليه وعلى آله و أصحابه أجمعين، وعلى من اهتدى بهدية وسار على سنته إلى يوم الدين، تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

اللهم فاجزه عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته، صلى الله عليه صلاة دائمة باقية إلى يوم يبعثون .

ثم أما بعد ..

فيا من رضيتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون .

اتقوا الله، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، خذوا بوصية الله التي وصى بها الأولين والآخرين (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ).

أيها الإخوة المؤمنون في زمنٍ تكالبت فيه الشدائد، وتوالت فيه المحن، وأطبقت فيه الخطوب، وتبجح فيه الكفر، واستعلى فيه الظلم، وقُهِر فيه أهل الإيمان والصدق واليقين، في هذا الزمن الذي رفعت فيه الأكف إلى الله عز وجل تجأر إليه وتستغيث به وتسأله نصراً وفتحاً وفرجاً .

يأتي مثل هذا اليوم ليربطنا بماضٍ سحيق، يذكرنا أن أمتنا هي أمة التضحية، وأن أمتنا هي أمة الفداء، وهي أمة الصبر على الشدائد، وهي أمة الفرج بعد الضيق، والسعة بعد العسر .

نعم، هذا اليوم هو اليوم الذي نجّا فيه الله سبحانه وتعالى عبده ونبيه إسماعيل من الذبح، ليكون سُنة باقية وشريعة مستمرة، من لدن إمام الحنفاء وأبي الأنبياء وأبي الضيفان.. إبراهيم عليه السلام .

هذا النبي العظيم الذي أُمر نبينا صلى الله عليه وسلم أن يقفو أثره ويسير على سنته ويستمسك بملته، قال الله عز وجل : (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَأَن اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَن اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، إبراهيم عليه السلام الذي آتاه الله رشده في صغره، إبراهيم عليه السلام الأواه المنيب، إبراهيم عليه السلام الذي جعله الله للناس إماما، سيرته هي سيرة التضحية ، سيرته هي سيرة الصبر على البلاء والعناء والضنى حتى لقي الله سبحانه وتعالى .

هذا اليوم الذي جعله الله سبحانه وتعالى وشرع فيه هذه الشرائع، وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أنس رضي الله تعالى عنه، قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما هذان اليومان ؟ " ، قالوا كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله أبدلكم بهما خيراً منهما، يوم الأضحى ويوم الفطر" .

نعم إنه انقطاع عن عالم الجاهلية واستئناف لحياة جديدة، حياة ترتكز على الاستسلام والإذعان والانقياد لله عز وجل في كل صغيرة وكبيرة، حتى في الفرح حتى في الأكل حتى في الحزن، كلها أوامر من عند الله، وكلها أحكام من عند الله سبحانه وتعالى .

نعم، إبراهيم عليه السلام حريٌ بنا أن نقف وقفات على سيرة هذا النبي العظيم الذي نسبت كل أمة نفسها إليه، كل أمة نسبت نفسها إلى إبراهيم عليه السلام، ولذلك قال الله عز وجل : (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

إبراهيم عليه السلام بدأ سيرته بدعوة والده كما قال الله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)، قال الله عز وجل : (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا).

إنها معركة العبادة، معركة الحياة بين الحق والباطل كلها هي معركة العبادة (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا).

حجرٌ تنحته بيديك أو خشب تصنعه بيديك ثم تخر له ساجداً أو راكعاً تستغيث به وتدعوه تطلب منه النفع وأن يدفع عنك الضر وهو لا يسمع ولا يبصر ولا يملك لنفسه شيئاً ؟

(يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا)، أيها الإخوة هذه هي محك المعركة بين أهل الإيمان وأهل الباطل، هي معركة العبودية لله سبحانه وتعالى، وهي معركة الكفر بكل طاغوت سواء كان حجراً أو شجراً أو بشراً أو منظمة أو قانوناً أو دستوراً أو أي أمر من الأمور التي يعظمها ويعبدها ويفخمها أصحابها .

إن العبادة هي العبادة، والطاغوت هو الطاغوت، سواء كان في العصر الحجري أو كان في القرن الحادي والعشرين، هي عبادة لغير الله عز وج ، سواء كانت للأمم المتحدة أو كانت لمجلس الأمن أو كانت للمجلس التشريعي أو كانت لمجلس الشعب أو كانت لبوش أو كانت لأوباما أو لغيرهم، الطاغوت هو الطاغوت، فعلينا أن نسمي الأشياء بأسمائها الشرعية .

(يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا).

إن العلم الذي ينتفع به أهله هو العلم الذي يقود إلى الله سبحانه وتعالى، هو العلم الذي يهدي إلى الصراط المستقيم، هو العلم الذي يوصلك إلى رضوان ربك وينقذك وينجيك من النار، أما علوم الدنيا فهذه كلها مكملات مهما بلغ فيها الإنسان سواء كان دكتوراً أو بروفيسوراً أو غير ذلك من تلك الشهادات فهذه لا قيمة لها ما لم يستعملها الإنسان في طاعة الله عز وجل، تجد الإنسان قد بلغ من علوم الدنيا مبلغاً لا يتصوره الإنسان،عالم في الذرة وعالم في التكنولوجيا وعالم في كذا وتجده يعبد حجراً أو يعبد فأراً أو يعبد نملة، أي عقل هذا وأي علم هذا الذي تتبجح به وأية شهادة هذه التي تفتخر بها ؟!! شهادة لم تنقذك من عبادة فأر، شهادة لم تنقذك من عبادة حجر، شهادة لم تهدك ولم ترشدك ولم تخرجك من عبادة شيء من أصنام الدنيا .

إذاً ، العلم الذي ينتفع به صاحبه والذي عليه أن يحرص عليه وأن يجتهد فيه هو العلم الذي يوصلك إلى الله سبحانه وتعالى، وهذه الآية تبين لنا أن قيمة الإنسان ليست في عمره ولا في نسبه ولا في مكانته في المجتمع وإنما في عبوديته لله عز وجل، قال له يا أبت وإن كنت أبي وأكبر مني وأقدم مني وأخبر مني (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا)، سبحان الله، أوالد إبراهيم سجد للشيطان ؟ ركع للشيطان ؟ استغاث بالشيطان ؟ كلا ، إذاً كيف يقول له لا تعبد الشيطان ؟ كل من عبد شيئاً من دون الله عز وجل فهو عابد للشيطان، ولن يكتشفوا هذه الحقيقة إلا يوم القيامة عندما يقول الله عز وجل لهؤلاء الكفرة كلهم: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ).

هؤلاء كانوا عبدة للشيطان، إذا عبدة الشيطان ليست هي الفرقة التي اشتهرت في هذا العصر، كل من عبد غير الله عز وجل فهو عبدٌ للشيطان ، كل من قاتل في غير سبيل الله عز وجل فهو مقاتل في سبيل الشيطان كما قال الله عز وجل : (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا).

يا عبد الله ، يا من آتاك الله هذا العقل ليميزك عن بقية السوائم والبهائم كيف ترضى لنفسك أن تكون عبـــداً للشيطان ؟ هذا الشيطان الذي سيتبرأ عنك أحوج ما تكون إليه ليزيدك كبتاً على كبته كما قال الله عز وجل : (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ).

انظر كيف يتبرأ من أصحابه وأتباعه، هذه الجيوش الكثيرة التي تتبعه وتقاتل في سبيله وتنافح عن دينـــه كلـــهم يتبرأ منهم في ذلك الموقف العصيب وفي تلك النار الحارقة قال : (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْـــدَ الْحَـــقِّ وَوَعَـــدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي).

أنا قلت لكم اتبعوا الأمم المتحدة فقلتم حي هلا ، قلت لكم اركضوا وراء مجلس الأمن قلتم : حي هلا ، قلت لكم ادخلوا إلى المجلس التشريعي أو البرلمان أو مجلس الأمة أو مجلس الشعب قلت نعم هذه مصالح ومفاسد إلى غير ذلك من الترهات الشيطانية التي لن تغني عن أصحابها شيئاً يوم القيامة .

نعم ، (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) ، إذاً قال إبراهيم عليه السلام: (يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الـــرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا).

ماذا ردّ عليه أبوه كما هي عادة المستكبرين المتجبرين الذين لا حجة لهم إلا قد وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ؟ (قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ) يعني لئن لم تنته عـــن تـــسفيه آلهتنـــا وتقبيحها (لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا) ، قال العلماء: لأرجمنك بالقول يعني : لتسمعن مني سباً وشـــتماً ولعنـــاً وقذعاً وغير ذلك ، هذا المقصود بالرجم هنا ، وهذه هي عادة الكفرة في كل زمان وفي كل مكان عندما تنقطع حجتهم وليس لديهم قدرة على المحاجة ولا على المناظرة ولا على رد الحق لجؤوا إلى ماذا ؟ لجؤوا إلى حجتـــهم التي توارثوها واحداً تلو الآخر وهي التهديد و الوعيد والسب والشتم والسجن (قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) لأجعلنك من المسجونين ، وقال هنا (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا) .

هذا الرجمُ بالقول الذي هو التسفيه والسب والشتم والطعن والتشكيك وغير ذلك هو الذي تمارسه وســـائل الإعلام في هذا العصر التي ما تركت نقيصةً إلا وألصقتها بالإسلام وبالمسلمين وبالصادقين المجاهدين، قالوا عنهم متطرفون، قالوا عنهم إرهابيون، قالوا عنهم متحجرون، قالوا عنهم رجعيون، قالوا عنهم سفاكون للدماء، قالوا عنهم قتلة للأبرياء، وغير ذلك من الألقاب والسب والشتم الذي تبعوا فيه والد إبراهيم عليه السلام .

قال: (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيّاً).

نعم ، إن إبراهيم قد تأدب مع والده في الدعوة، يا أبت، يا أبت، يا أبت.

ولكن، هل ميّع إبراهيم الحق الذي يريد أن يوصله إلى والده ؟ كلا ، إن الحق يُبلغ كما أمر الله سبحانه وتعالى، الحكمة التي يزعمها البعض ليست في تمييع الحق، ولا في التلاعب بأحكامه، ولا في تطويعه للأهواء التي تارة تسمى بالحكمة و تارة تسمى بالعقل وتارة تسمى بالوسطية وتارة بالتوزان إلى غير ذلك، وإنما هي الأهواء كما قال الله عز وجل : (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ، وقال الله عز وجل : (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ) ، إذن إنّ الحكمة في الدعوة لا تعني أن نتلاعب بأحكام الله عز وجل، والحكمة في الدعوة لا تعني أن نطوِّع أحكام الشرع بحسب أهواء بوش وبحسب أهواء غيره من الكفرة، الحكمة تعني أن نبلغ الحق كما هو من غير نقص ومن غير زيادة بالأسلوب الحسن، كما قال الله سبحانه وتعالى : (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) نعم ، ثم عندما أصر والد إبراهيم على كفره واستمسك بضلاله وتمادى في غيه وهدد وتوعد، قال إبراهيم عليه السلام : (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي) وهكذا ينبغي أن يكون حال المؤمن يستمسك بالحق ولا يتنازل عنه، لا يربط نفسه بأرض ولا بقوم ولا بوظيفة ولا بمال ولا بزوجة ولا غير ذلك من أمور الدنيا كلها، و إنما يكون همه إرضاء الله عز وجل، لو أن الأرض كلها عادتك واضطرتك أن تنبذهم وأن تهجرهم وتبتعد عنهم وتقاطعهم في سبيل الله عز وجل فليكن ذلك، فليكن ذلك في سبيل الله سبحانه وتعالى، قال إبراهيم عليه السلام : (سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) ما قال سأعتزل آلهتكم، قال سأعتزلكم، لا بد من اعتزال الكفرة، لا بد من مقاطعتهم، لا بد من البراءة منهم، لا بد أن يعرفوا أننا على سبيل وهم على سبيل، نحن في شق وهم في شق، نحن في طريق وهم في طريق، أما الاختلاط والامتزاج والتلاعب بأحكام الشرع وألفاظه فهذه ستؤدي إلى ضلال كبير وإلى فساد عريض كما قال الله عز وجل : (وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)، وهذه سنة إبراهيم التي أُمرنا باتباعها، قال الله عز وجل : (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ) هي البراءة من الكفرة قبل أن نتبرأ من معبوداتهم، لأن هذه المعبودات لم تكن آلهة ولم تصر معبودة إلا بأفعالهم وتعظيمهم وتفخيمهم ودعوتهم وصبرهم عليها إلى غير ذلك، (إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ) إذن هؤلاء الذين يريدون أن يخلطوا الأحكام ويقولون لك نحن نتبرأ من أحكامهم ونتبرأ من كفرهم ونتبرأ من ضلالهم ولكن هؤلاء هم مسالمون، نعم ، مسالمون أو محاربون أو معاهدون أو مستأمنون، كل كافر يجب البراءة منه، قال الله عز وجل : (لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ)، هؤلاء هم أقرب الأقربين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)، هذه هي سنة إبراهيم التي أُمر نبينا صلى الله عليه وسلم أن يسير عليها وأن يدعو إليها وأن ينسب نفسه إلى ملته عليهم الصلاة والسلام ، (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ) قبل الكفر بآلهتهم (وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ)، هذا هو مدار العلاقات في الدنيا، هو الإيمان بالله عزوجل والاستسلام لأحكامه، وإلا فإن الكافر سيبقى كافراً، وإن الظالم سيبقى ظالماً، والضال سيبقى ضالاً، والمؤمن سيبقى مؤمناً.

نعم أيها الإخوة، هذا هو الموقف الأول في مسيرة أبينا إبراهيم، فكانت أول خطوة من البلاء يخطوها مع أقرب الأقربين وهو والده، وإبراهيم صبر وصابر واستمسك بالحق واعتزل الكفرة واعتزل آلهتهم، فآتاه الله ثواب الدنيا وحُسن ثواب الآخرة قال الله سبحانه وتعالى : (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيّاً) ، قال العلماء: " لما تبرأ إبراهيم من أبيه واعتزل قومه لله سبحانه وتعالى أبدله الله بهم من هو خير منهم وجعل في ذريته النبوة والكتاب فما من نبي مرسل بعد إبراهيم إلا ويرجع نسبه إليه كرامة له عليه الصلاة والسلام " .

وهكذا أيها الإخوة، إن عاقبة الصبر على الحق والخير خير ، الإنسان عندما يصبر على طريق الحق ويثبت عليه ويتحمل في سبيله كل عناء وبلاء فليعلم يقيناً أن عاقبته خير في الدنيا والآخرة كما قال الله عز وجل، انظر إلى بني إسرائيل وما لقوه على يد فرعون من التقتيل إذ كان يستحيي نساءهم ويقتل أبناءهم فلما صبروا واحتسبوا قال الله عز وجل: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ).

فلذلك نقول للإخوة المجاهدين في كل مكان كما قلنا مراراً ونعيدها حتى يترسخ هذا المعنى في قلب كل من أراد أن يسلك طريق الجهاد ليمكن لدين الله عز وجل إن طريق الجهاد هو طريق تكرهه النفوس لما علق به من المحن والابتلاءات، من الجوع والفقر والهجرة والتقتيل والجراحات والأسر وغير ذلك من الأمور التي لا تكاد تنفك عنه، ولكن كلما صبر الإنسان واحتسب وعلم أن الله معه في مسيرته فليعلم أن عاقبة أمره خيراً، أن عاقبة أمره تمكين لدين الله عز وجل سواء كان على يديك أو على يدي من يسير على أثرك ويقفو خطاك.

فيا أيها الإخوة سواء في أفغانستان، أو إخواننا المجاهدون في العراق، أو إخواننا المجاهدون في الصومال، أو في الجزائر أو في فلسطين لا تنظروا إلى ما أنتم فيه من الضعف والقلة والذلة وتسلط الكفرة وتكالب الأمم وإتفاقها عليكم، لا تنظروا إلى هذا ولكن انظروا إلى الطريق الذي تسلكونه هل هو طريقٌ حق يوصلكم إلى رضوان الله عز وجل ؟ هل هو الطريق الذي أمركم الله سبحانه وتعالى ؟ أليس هو الطريق الذي قال الله عز وجل فيه : (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ) ؟ أليس هو الطريق الذي قال الله فيه : (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ؟ أليس هو الطريق الذي قال الله فيه : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ) ؟ وغير ذلك من آيات الجهاد .

فما دام هو طريق الجهاد، هو طريق هذه العبادة التي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم وسلكها صحابته في حياته ومن بعده، هو الطريق الذي كُسرت فيه رباعيته صلى الله عليه وسلم وشُجَّ فيه رأسه و جُرح فيه وجهه وسقط في الحفرة، ولكنه صبر صلى الله عليه وسلم واحتسب وعلم أن الله معه وأن وعد الله متحقق لا محالة. فإذاً إذا صبرنا واحتسبنا وعلمنا أن الله معنا يُمدنا ويوفقنا ويحفظنا ويعيننا سبحانه وتعالى فلنكن مطمئنين تمام الاطمئنان أن العاقبة لدين الله عز وجل على رغم أنف هؤلاء الكفرة الذين يمكرون الليل والنهار ويكيدون سراً وعلانية والله لن تغني عنهم جيوشهم شيئاً ولن يغني عنهم إعلامهم شيئاً ولن يغني عنهم مكرهم شيئاً لأن الله

سبحانه وتعالى هو الذي تكفل برد مكرهم في نحورهم : (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ) فامكر يا بوش ! و امكر يا أوباما !

فلتمكروا كما شئتم فإن الله سبحانه وتعالى هو من يردُّ عنا وهو من يدافع عنا وهو من سيجعل كيدكم في نحوركم، وتخرجوا من أرض الإسلام مرغمين مهزومين مقموعين والحسرة تأكل قلوبكم، ولن تستطيعوا أن تفعلوا شيئاً، إنه دين الله سبحانه وتعالى، تحاربون مَن أيها البُله ؟ تحاربون من أيها الحمقى ؟ تحاربون من أيها المجانين ؟ إنكم تحاربون من تعيشون في ملكه، إنكم تحاربون من يطعمكم ويسقيكم، إنكم تحاربون من يُنعم عليكم بالصحة والعافية، إنكم تحاربون من سخَّر لكم هذه الجيوش.

فلذلك أيها الإخوة نقف الوقفة الثانية مع سيرة إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام عندما وقف أمام طاغية من الطغاة المتجبرين كما هو دأبهم وحالتهم : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ)، انظر إلى هذا الطاغية قال الله عز وجل : (أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) يحاجج في من أعطاه ملكه، يحاجج في من مكّن له في الأرض يريد أن ينكر ألوهية الله عز وجل : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا .

فقال هذا الطاغية المتجبر المستعلي: (قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ) كلمات نسمعها مراراً وما يشاكلها من هؤلاء الطغاة الذين طمس على قلوبهم وهم في غيهم يعمهون (قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ) ، قال العلماء : " فأحضر رجلين قد حُكم عليها بالقتل فقتل أحدهما وعفا عن الآخر، فقال: قتلت هذا وأحييت هذا " ، فإبراهيم عليه السلام علم سفه هذا الطاغية ولكن ما أراد أن يحاججه في هذه الأمور، نقله إلى أمر قطعي لا يمكنه أن يحاجج فيه فقال إبراهيم عليه السلام : (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ) إذا كنت رباً وإلهاً وتدعي أنك المعبود والمتصرف والمحيي والمميت، هذا حسنٌ، فهذه الشمس لها سيرة دائبة مستمرة تخرج من المشرق وتغرب في المغرب فأنت أقلب هذا القانون أخرجها لنا من المغرب (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).

هكذا هي حجج الحق ناصعة واضحة جلية مهما حاول الطغاة طمسها والتمويه عليها والتشويش على أهلها فإنها تقذف في نحورهم (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) ، (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ).

نعم هذه وقفةٌ ثانية من إمام الحنفاء وأبي الأنبياء الذي سنَّ لنا هذه السُّنة .

ويا أيها الإخوة إن سيرته طويلة وهذا اليوم وهو يوم الأضحى ما صار عيداً يفرح الناس به وجُعل يــوم أكــل وذكر وشرب ما وصل إلى هذا إلا بعد مسيرة العناء والبلاء والشدة والهجرة وهجــران الأقــارب والأوطــان والامتحان في العرض من إبراهيم عليه السلام حتى نجا الله ابنه إسماعيل بعد أن بلغت المحنة أقصاها، وقد أُمر بأن يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام والقصة مشهورةٌ ومعروفة وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه ثم قال : (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ) ، إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ .

إذا فنحن نسير على سيرة إبراهيم عليه السلام ، هذا اليوم لا ينبغي أن نجعله يوم أكل وشرب فقط وإنمــا هــو يوم يذكرنا بالسالفين الأولين الخيرين المصطفين من الأنبياء والصالحين، أولئك الذين جعلوا هذا اليوم يوم ذكــر وجعلوه يوم تذكرةٍ لأمة الإسلام حتى يعلموا أن أباهم الأول قد قدم نفسه لله سبحانه وتعالى عندما جاءه الأمر من عند الله سبحانه وتعالى بأن يقدم نفسه للذبح (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَــدَّقْتَ الرُّؤْيَا).

هذه هي سيرة أبوينا عليهم السلام، فلا بد أن نسير على خطاهم، وأن نكون مستعدين لأن نبذل كل ما نملــك من أموالنا وأجسادنا ودمائنا في سبيل تحقيق دين الله سبحانه وتعالى، وطاعة لأوامر الله عــز وجــل، وإلا فــإن انتسابنا إلى إبراهيم سيكون مجرد دعوى لا حقيقة له .

نعم أيها الإخوة، فإذاً ، فإبراهيم عليه السلام ألم يلقَ في النار ؟ إبراهيم عليه السلام عندما وقف والأرض كلها كانت كافرة في زمنه إلا هو وزوجته سارة وابن أخيه لوط عليهم السلام لم يكن على وجه الأرض أحد علــى دين الإسلام غيرهم، فإبراهيم عليه السلام قال الله عز وجل في حقه : (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ)، هي معركة العبادة، معركة التوحيــد، معركة الإخلاص لله عز وجل، معركة الدينونة لرب السماوات والأرض، (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْــلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِوَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ).

وهل وجود آبائكم على ذلك حجة مقنعة أنكم على الحق ؟ إذاً ما كان عليه الأولــون أو مــا يتواطــأ عليــه الأكثرون لا يجعل الحق باطلاً ولا يجعل الباطل حقاً، فإن الحق حقٌ بتنزيل الله عز وجل وإن الباطل باطلٌ بحكــم الله سبحانه وتعالى، فمهما تواطأ الناس وتواطأت الدول وتواطأت الشعوب على أن يقلبوا حقاً واحداً ثبــت في دين الله عزوجل فلن يستطيعوا ذلك، فسيبقى الحق حقاً مهما كثر المنكرون وغيرهم .

(قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِــنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْمِنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيــدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ).

إبراهيم عليه السلام لم ينظر إلى مسألة مصالح ومفاسد، فليس هناك على وجه الأرض مفسدة أعظم ولا أكــبر ولا أقبح من الشرك بالله عز وجل، وإبراهيم كان وحده على وجه الأرض، كان هو الذي يدعو إلى التوحيــد

بين قوم كلهم كفار، فقال: (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ) فخرج قومهم إلى عيدهم وما أكثر أعياد الجاهلية، عندنا العيد الوطني وعندنا عيد الحرس وعندنا عيد الاستقلال وعندنا عيد الأم وعيد الطفل وأعياد لا حصر لها حتى انغمر عيد الأضحى وعيد الفطر في هذه الأعياد، وهي كلها أعياد الجاهلية .

نعم ، فقال إبراهيم عليه السلام بعد أن خرج قومه: (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ)، هكذا ينبغي أن يُعمل بكل صنمٍ يعبد من دون الله عز وجل، لا بد أن يُجعل جذاذاً، يعني لا بد أن ينسف، يعني لا بد أن يُدك، يعني لا بد أن يدمر بمن فيه، أليست هي أصنام تعبد من دون الله عز وجل ؟ فهذه سُنة أبينا إبراهيم، لا أحد ينكر علينا، حينما ننسف برلماناً يُشرع من دون الله عز وجل فنتبع سنة إبراهيم، حينما ندكُّ مبنى الأمم المتحدة فإننا نتبع سنة إبراهيم، حينما ندك مجلس الأمن أو مجلس الخوف أو مجلس الإرهاب فإننا نتبع سنة إبراهيم، (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ)، هذه سُنة إبراهيم عليه السلام التي نسير عليها، أما من يتبع الشرعية الدولية فلكم دينكم ولي دين، أما من يتبع قوانين مجلس الأمن فلكم دينكم ولي دين، أما من يتبع قرارات الأسرة الدولية صارت أسرة فيها الأب والأم والإخوة والأخوات كلهم أسرة دولية فلكم دينكم ولي دين، أما نحن فعلى سنة إبراهيم عليه السلام .

فكل صنم، وحينما نقول صنماً فلا نقصد هذا الحجر أو هذا الشجر أو هذه الشجرة المنحوتة أو هذا القبر الذي بني عليه الضريح ، لا ، كل ما يعبد من دون الله عز وجل، كل ما اتخذ ربّاً من دون الله سبحانه وتعالى فهو صنم يعبد من دون الله، بل كانت أصنام الجاهلية لا تنطق ولا تبصر ولا تسمع، أما أصنام اليوم ففيها المشرعون وفيها المقننون وفيها المحللون وفيها المُحرِّمون، أليست هي هذه أصنام العصر ؟

قال الله عز وجل : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

يا إخوة ، إن الأمر ليس بالسهولة التي يظنها الناس، إنما قضية التوحيد التي خُلق الخلق لأجلها، ما قيمة إنسان يقضي حياته كلها في الضلال والكفر والفسوق والمجون و الخلاعة وغير ذلك ويحارب الله سراً وعلانية ثم يخرج من الدنيا، ماذا استفدت من هذه الحياة ؟ في أي شيء قضيتها ؟ إن الله عز وجل ما خلق هؤلاء الخلق وما فتح عليهم كنوز السماوات والأرض إلا ليكونوا عبيداً له، وإلا ليكفروا بما سواه من الآلهة، ألم يقل الله سبحانه وتعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا)، أليس هذا هو دين الله سبحانه وتعالى ؟ هذه شريعة الله عز وجل التي تعلمناها وقرأناها والتي نجدها في كتاب الله عزوجل من غير تمويه ولا فلسفة ولا تلاعب في الأحكام ولا غير ذلك .

فقال الله سبحانه وتعالى: (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا)
سبحان الله !

آلهة ، يُسأل من فعل هذا بها ؟ (قَمَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ) دائما هذه هي سيرة الطغاة الإعدام على شاشات التلفزيون، قبل كم سنة القذافي عندما أراد أن يقتل عدداً من المسلمين أحضرهم وشنقهم في وقت الإفطار في شهر رمضان على شاشات التلفزيون، هي سيرة الطغاة (فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ) ،(قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى)، فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ، (قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا)، اسألوا هذا الكبير الذي بقي ، إبراهيم عليه السلام حطم كل الآلهة وأخذ الفأس وعلقه في رقبة الصنم الكبير فقال إذا سألوني قال هذا غار من عبادتكم لهذه الآلهة الصغيرة فهشَّمها وكسرها (قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) ، انظر إلى هذه العقول التافهة، وكذلك أيها الإخوة العقل لا يستقل بمعرفة الحق دائماً، العقل لا يستقل بمعرفة الحق دائماً، لا بد من إرسال الرسل مبشرين ومنذرين لتقوم الحجة على الناس، (كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَافَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ).

نعم ، (فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ) يعني تحرك في قلبهم شيء من الفطرة على بعض التفاسير، ثم نُكسوا على رؤوسهم يعني رجعوا إلى ضلالهم وإلى كفرهم وعنادهم ، قالوا: (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ) كيف ترشدنا إلى أن نسأل حجراً لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر ؟ هذا الذي أراد إبراهيم أن يوصل إليه هؤلاء القوم الكفرة

(قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)، انظر، إبراهيم عليه السلام في كل موطن يتبرأ من الكفرة قبل أن يتبرأ من آلهتهم، فقال (أعتزلكم) أنتم وما تعبدون ، (أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) ، (إِنَّا بُرَاءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) ، إذاً البراءة لا بد أن تكون من الكافرين سواء كانوا يهوداً أو نصارى، لأننا نسمع اليوم أن هناك صنف آخر اسمه "الآخر" ! لا أعرف في أي خانة هو الآخر من اليهود أو من النصارى ؟ لا نعرفه ، سواء كان هذا الكافر يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً أو رافضياً مشركاً أو غيرهم من أهل الكفر والشرك والضلال، فهؤلاء كلهم يجب البراءة منهم كما تجب البراءة من آلهتهم التي يعبدونها .

قال: (أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أين عقولكم ؟ ماذا كانت حجتهم بعد ذلك ؟ انقطعت حجتهم، قال لكم إبراهيم أليس هذا هو إلهكم الذي تعبدونه ؟ أليس هو الذي تستجلبون به النفع والضر؟ اسألوه ، فعندما حاروا وعلموا يقيناً أن هذا الحجر لا يمكن أن ينطق بكلمتين ولا كلمة واحدة بل ولا حرف، (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ) ، هذه هي سيرة الطغاة (لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) ، ولكن كما قلنا في كل مرة أيها الإخوة فإن الصبر على الحق والصدع بكلمة الحق والاستمساك بالتوحيد لا بد أن تكون عاقبته خيراً، عندما نقول لا بد أن تكون عاقبة خيراً قد تكون عاقبته تمكيناً لدين الله عز وجل وتحكيماً لشريعته على يديك، وقد تُقتل ولا ترى هذا، فأنت على كل حال على خير .

ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة يأتي النبي وليس معه أحد ؟ هل قصَّر هذا النبي في دعوته ؟ حاشا لله ، أدى دعوته وقام بواجبه ودعا الناس إلى الحق وإلى التوحيد ولكن الهداية بيد الله سبحانه وتعالى (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) .

فهذه الجيوش الجرارة التي داهمت بلاد المسلمين كلها هذا هو شعارها (حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) ، ألم يقل بوش إنما جئنا إلى العراق بعد أن افتضح وظهر كذبه ولا أسلحة نووية ولا بيولوجية ولا شيء ، بعد ذلك قال جئنا لماذا؟ لنقرر الديمقراطية ، وما الديمقراطية ؟ هي واجب علينا لا بد أن نأخذها ؟ يعني جرَّ هذه الجيوش وقاد وراءه هذه الأمم ، وبوش كفرعون ، فرعون قال الله عز وجل فيه يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار، بوش يقدم هذه الجيوش فأوردهم المهالك، ما سار أحد وراء بوش إلا وأرداه إلى مهلكة، الآن الأمم الكافرة كلها تتبرأ منه وتتبرأ من سخافاته، ومع ذلك بوش ما زال مُصرًّا مستمسكاً صابراً يقول نحن حققنا إنجازات في العراق، ولا ندري ما هي هذه الإنجازات التي حققها لعلها ما ملأ به مستشفيات المرضى النفسيين في أمريكا ! ولعلها التوابيت التي لا تنقطع حتى لم يجدوا لها مكاناً للدفن ! ولعلها المشوهين والمعوقين الذين رجعوا إلى آبائهم وإلى أمهاهم وإلى أزواجهم ! هذا إن رجعوا ! وبوش ما زال يقول نحن حققنا انتصارات في العراق ونحقق تقدماً في أفغانستان ! تقدم إلى الخلف ! أيُّ تقدم يحققه بوش ؟ بوش هذا أسلم دولته إلى أوباما ، ونحن لا فرق عندنا بين الحزب الجمهوري ولا الحزب الديمقراطي، هذا نجس وهذا نتن، فبوش ماذا ؟ سلم أمريكا إلى هذا، أوباما، سلمها وهي قاعٌ صفصف ، يعني ما بقى فيها شيء، الاقتصاد منهار، الجيش معنوياته إذا كانت هناك درجات أضعاف أضعاف تحت الصفر فهذه هي حالة الجيش الأمريكي، الدول الأوروبية وغيرها عرفت الآن أن بوش أوردها إلى المهالك وأنها لم تستفد منه شيئاً، ماذا استفاد بوش من حربه منذ سبع سنوات ؟ ما الذي استفاده بوش في هذه الحرب ؟ هل قضى على المجاهدين ؟ كان المجاهدون طائفة شرذمة قليلون محصورون في أفغانستان بين جبالها وقال بوش سنخرجهم من جحورهم ، وقد خرجوا من جحورهم إليك، لا ليفروا .

نعم كانت هي طائفة صغيرة، الآن ساحات الجهاد كالطائر لها جناحان وقلب وذيل ورأس، صحيح ؟ الجزائر في الغرب، أفغانستان في الشرق، العراق في القلب، الصومال لا نريد إخواننا الصوماليين يزعلوا نقول لهم في الذيل لا، وفلسطين في الرأس .

ساحات الجهاد منتشرة، كان الإنسان حتى يصل إلى ساحة الجهاد يكلف نفسه وعثاء السفر، مخاطرات ومغامرات وخوف وجوازات، الآن لا تحتاج أن تقطع كل هذه المسافات، الذي في دمشق بجانبه العراق، الذي في الكويت بجانبه العراق، الذي في ليبيا أو في تونس أو في موريتانا أو في المغرب بجانبه الجزائر، الذي في اليمن أو في الجزيرة، أهل الجزيرة دائماً موسع عليهم عندهم اليمن عندهم الصومال عندهم العراق ويشرفونا في أفغانستان، إذاُ الأمر يا إخوة كما قال الله عز وجل: (ويمكرون ويمكر الله).

فإذاً نقول ما الذي جناه بوش ؟ ما هو التقدم الذي حققه ؟ ما هي الإنجازات التي حققها في حربه في أفغانستان أو في العراق ؟ ما هي ؟ قضى على طالبان ؟ قضى على أمير المؤمنين ؟ اعتقل أسـامة بـن لادن ؟ لا والله ، ثم ليعلم بوش وهو قد عرف هذه الحقيقة ولعله صار مستيقناً بها أكثر منا أن قتل قادة الجهاد واعتقال قادة الجهـاد وتشريد قادة الجهاد لا يمكن أن يوقف عجلته، ولا يمكن أن يؤخر مواكبه، بل كلما قُتل قائدٌ أحيا الله سـبحانه وتعالى قائداً جديداً، وكلما سقط منا سيدٌ قام ساداتٌ من بعده، هذا دين الله عز وجل فلن يستطيع لا بوش ولا من يسير وراء بوش ممن أوردهم المهالك معه أن يقضوا على هذه الشعلة الـتي تعـبرعن الإسـلام حقيقـة، فاستبشروا أيها الإخوة واعلموا يقيناً أن النصر قادمٌ لكم وهذا وعدٌ من الله سبحانه وتعالى لا بد أن يتحقـق، فمن قُتل منا على هذه الطريق فقد أدى واجبه وعذر نفسه أمام الله سبحانه وتعالى وفاز فوزاً عظيمـاً (فَمَـن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) فوالله ما من مجاهد إلا وإنّ أعظم أمنيته أن يتقبله الله سـبحانه وتعـالى شهيداً.

ماذا نريدُ في هذه الدنيا التافهة ؟ ماذا نريدُ في هذه الدنيا الحقيرة التي يتكالب الناس على أموالها وعلى متاعهـا وعلى أراضيها وعلى بترولها ؟ لا قيمة لها، لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى كـافراً منـها شربة ماء .

فمن قُتِل منا في وسط الطريق، فقد أدّى واجبه وأعذر نفسه عند الله سبحانه وتعالى، ومن أبقـاه الله سـبحانه وتعالى سيكون غُصَّةً مرَّةً في حلقِ كل كافر، وسنُورِّث الجهاد لأبنائنا وأبناء أبنائنا حتى يُحِقَّ الله الحـقَّ بإذنـه، ويمكِّن لشريعتِه، ويَنصُر أولياءه سبحانه وتعالى، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

نسأل الله عز وجل أن يفتح لعباده المؤمنين المجاهدين، وأن يُمكِّن لهم تمكيناً يُحبه ويرضاه، وأن يُفرج عنهم كل كرب، ويكشِف عنهم كل غم، وأن يسدد رميهم، و يبارك في خطواتهم، ويولي عليهم خيـارهم ، إنـه سميـع قريب مجيب .

اللهم انصر عبادك المؤمنين المجاهدين، اللهم ألف بين قلوبهم، اللهم ألف بين قلوبهم، اللهم اجعلهم صفاً مُتراصاً كما تُحب وترضى ، اللهم مَكِّن لهم تمكيناً تُحبه وترضاه، اللهم انصرهم حيثما كانوا وأينما نزلوا، اللهم تقبـل شهداءهم ، وداو جرحاهم ، واشفِ مرضاهم ، وعافِ مبتلاهم ، وفك أسراهم، واخلفهم في أهليهم وأبنـائهم خيراً يا رب العالمين .

اللهم كُن معهم ولهم، اللهم دافع عنهم يا من يُدافع عن المؤمنين، اللهم افـتح علـيهم بركـات الـسماوات والأرض، اللهم لا تُحوجهم إلى أحدٍ من خلقك، اللهم لا تُحوجهم إلى أحدٍ من خلقك، اللهم أغنهم بك عمن سواك، إنك سميعٌ قريبٌ مُجيب .

وصل اللهم على خير خلقك محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى من اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

خطبة عيد الفطر 1429

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾



إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهــده الله فــلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وعلى من اهتدى بهديه وسارعلى سنته إلى يوم الدين.

ثم أما بعد..

فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله الذي جعلنا من المسلمين ، الحمــد لله الذي جعلنا ممن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف حق هذه الكلمة ، الحمد لله الذي اصطفانا من بين خلقه لنكون من عباده المهاجرين المجاهدين المرابطين ، فهذه نعم الله ســبحانه وتعــالى علينا ، وهي أجلها وأعظمها وأكبرها ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾.

يا من رضيتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً:

تذكروا نعم الله سبحانه وتعالى عليكم ، وأكثروا من ذكرها لتكثروا من شكرها، فإن الشكر قيد النعم ، وبه يزداد المرء نعماً من الله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

يا أيها الإخوة ، هي هذه رحلة الحياة ، مجيء و إياب ، حضور وغياب. بالأمس كنا ننتظر شهر رمضان ، واليوم نودع محطةً من محطات العمر، قد انقضت وولت وذهبت، طوبى لمن ملأها بطاعة الله عز وجل ، طوبى لمن صامه إيماناً واحتساباً ، ولمن قامه إيماناً واحتساباً ، طوبى لمن ملأ وقته فيه بذكر الله عز وجل وتلاوة كتابه وتسبيحه والتوبة إليه والاستغفار بين يديه ، ويا خيبة من ضيّع هذه الأيام النفيسة التي هي أنفس أيام العمر، يا خيبة من ضيعها في معصية الله سبحانه وتعالى ، ويا خسارة من قضاها عاكفاً أمام شاشات الضياع والفساد ، ويا خيبة من قضاها في أسواق الصخب وفي دنيا المتاعِ وفي دنيا الضياع.

يا أيها الإخوة ، ها نحن قد ودعنا شهر رمضان وقضينا أيامه ولن يعود لنا، لن تعود لنا تلك الأيام ، وإنما هي بما ملأناها من طاعة أو معصية ، من برٍّ وخيرٍ أو شر ومخالفةٍ لأمر الله عز وجل ، ونعوذ بالله من معصيته.

فهذه المحطة التي جعلها الله سبحانه وتعالى أياماً يتزود فيها المؤمن ليكون من أهل التقوى وأهل الصلاح والفلاح، قال الله سبحانه وتعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ).

لعلكم تتقون ، هذه العطية والهبة الجليلة التي أراد الله عز وجل أن يوصل إليها عباده المؤمنين .. هبة التقوى وعطية التقوى من الله سبحانه وتعالى. وهل في الدنيا أجلّ وأعظم وأكبر وأسمى من أن يكون الإنسان متقياً لله سبحانه وتعالى ؟

التقوى هي مفتاح كل خير في الدنيا والآخرة (وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) ، (وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) ، (وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يُكَفّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا).

إذاً هذا الشهر جعله الله سبحانه وتعالى محطةً ليرتقي فيها عباد الله إلى أعلى الدرجات وإلى أسمى الدرجات التي يريدها الله سبحانه وتعالى لهم .

فالمؤمن حينما يتفكر في حاله وينظر في أعماله ويتأمل في كيفية قضائه لهذه الأيام فإن وجد خيراً فليحمد الله، وإن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

نعم إنها محطةٌ يتزود فيها الإنسان لأن رحلة الحياة طويلة ، رحلة الحياة رحلة المشاق والمتاعب والمحن والكد والسراء والضراء والزلزلة ، هذه المحنة يحتاج فيها الإنسان إلى زاد حتى تستقر سفينة الحياة في آخر المطاف إما إلى نعيمٍ مقيم ، وإما إلى جحيمٍ وعذابٍ والعياذ بالله .

إذا أيها الإخوة قد ودعنا شهر رمضان ، وتزودنا بما يسّره الله سبحانه وتعالى علينا، وبما فتح لنا من أبواب الخير والطاعة والبر، فعلينا أن ندخل في الأيام الجدد بهمة أعلى وبإصرار أكبر وبتحد أشد وبإيمان أقوى ، لأننا في معركةٍ دائمة دائبة لا تنقطع ، معركة مع أنفسنا (وَمَا أُبَرّئُ نَفْسِي إِنّ النّفْسَ لَأَمّارَةٌ بِالسّوءِ)، هذه النفس التي تحب الراحةَ وتتشبث بالدعة ، وتميل إلى الركون والكسل والخمول.

ومعركة مع الشيطان الذي أقسم بأنه سيأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ، والذي أوقف نفسه ليصد عباد الله عن صراط الله المستقيم.

ومعركة مع أولياء الشيطان وجنوده الذين قال الله عز وجل في حقهم: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ﴾.

إذاً هي معركة شرسة ومعركة متواصلة ، جبهاتها متعددة وجنودها مختلفون ، فالإنسان يحتاج فيها إلى أن يكون أكثر ثقة بالله عز وجل ، وأكثر توكلاً على الله سبحانه وتعالى ، وأكثر استعاذة بربه عز وجل.

لذلك أيها الإخوة حتى نعرف قدر ربنا الذي نعبده ، ونعرف قدر ربنا الذي نتقرب إليه ، ونعرف قدر ربنا الذي نقاتل من أجل إعلاء كلمته ، رأيت أن أقف عند حديث جليلٍ عظيمٍ عرف أهل العلم قدره وأنزلوه منزلته ، ذلك الحديث الذي يرويه الإمام مسلم رضي الله تعالى عنه ورحمه الله عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه قال : " يقول الله عز وجل"، وتأملوا في هذا الحديث ، وانظروا في كلماته ، وتعمقوا في معانيه لتعرفوا ربكم الذي تتقربون إليه ، والذي تسعون لأن تلاقوه ، والذي تسعون لأن تحظوا برؤيته سبحانه وتعالى :

(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أُطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليلِ والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد فيكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا على صعيد واحد، ثم سألني كل واحد منكم مسألته ما نقص ذلك من ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عِبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه).

كان أبو إدريس الخولاني –رحمه الله– وهو أحد رواة هذا الحديث عندما يرويه يجثو على ركبتيه لعظمة هذا الحديث ، ولقوة معانيه ، فهو يدلنا على قدرة الله النافذة وعلى رحمته الواسعة وعلى حكمته البالغة سبحانه وتعالى.

(يا عبادي) .. انظروا كيف ينادي ربكم عباده ، يتحبب إليهم لعل منهم من يستمع إلى ندائه فيؤوب إليه ويرجع إليه ويستمع إلى كلامه ويستغفره من ذنوبه .. (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي) .. الملك ملك الله، والحكم حكم الله، والأمر كله لله سبحانه و تعالى، ومع ذلك فإن الله عز وجل قد حرم أن يظلم أحداً من

عباده (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) ، (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ، (إِنَّ اللّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا).

هذا هو ربنا ، ربنا العدل ، أحكامه أحكام العدل ، وشريعته شريعة العدل ، هذه الشريعة التي سنها لنا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وأنزلها لنا في كتابه العزيز الذي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)، هذه الشريعة هي شريعة العدل والإنصاف والقسط (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى).

(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي) فلا أحد يخاف من الله بخساً ولا رهقاً، إن جئتَ يوم القيامة مؤمناً متقياً صالحاً موحداً فكن مطمئناً أن الله لن يظلمك، إن الله لا يظلم مثقال ذرة.

(وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) أي وجعلت الظلم محرماً بينكم فلا يظلم بعضكم بعضاً. وكما نعلم أيها الإخوة فإن أعظم الظلم هو الشرك بالله عز وجل، والظلم كما عرفه العلماء هو: "وضع الشيء في غير محله تعدياً"، أن تضع الشيء في غير موضعه الذي ينبغي أن يكون فيه تعدياً وتجاوزاً، وأعظم وضع الأشياء في غير موضعها هو أن تجعل لله نداً وقد خلقك ، هو أن تعبد مع الله إلهاً آخر ، هو أن تتحاكم إلى غير شرع من خلقك ورزقك وأعطاك وعافاك ، هذا هو من أعظم الظلم ، (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) ، (وجعلته بينكم محرما ً) لا يظلم بعضكم بعضاً، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه "، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : " كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه "، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : " اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة"، اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، فماذا سيفعل هؤلاء الذين قد ملؤوا الأرض كلها بظلمات الظلم ، سفكوا دماء الناس بغير حق ، ونهبوا أموالهم بغير حق ، واغتصبوا ديارهم بغير حق ، وانتهكوا أعراضهم بغير حق ، هؤلاء الذين سيأتون يوم القيامة وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون .

إن شريعتنا أيها الإخوة التي علينا أن نتشبث بها وأن نستيقن بصحة طريقها وأنها السبيل الوحيد الذي يوصلنا إلى رضوان الله عز وجل هي طريق العدل وهي طريق الإنصاف وهي طريق القسط وهي سبيل الرحمة ، فمن ابتغى الرحمة والعدل والقسط في غيرها فلن يجد إلا الرهق والضنك والشدة والضيق كما قال الله سبحانه وتعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)، وأما أهل الإيمان وأهل الصلاح والتقوى فسيحيون حياتهم الطيبة (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) في الدنيا (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

نعم ، هذه هي شريعتنا التي ندعو إليها ونقاتل من أجلها ، ونصبر على المحن من أجل تبليغها، هذه هي شريعتنا التي أنزلها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، فما بال أناس قد هداهم الله سبحانه وتعالى إلى هذا الخير العميم والبر الواسع ذهبوا يركضون شرقاً وغرباً ويممون شمالاً وجنوباً يبحثون عن الدعة وعن الراحة والعدل في غير ما أنزل الله سبحانه وتعالى، ما هذا إلا الضلال والخبال والخسارة، (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي

﴿الْقُرْبَى﴾، نعم إن الله سبحانه وتعالى أمرنا بأن ندعو إلى دينه وأن نستقيم على شريعته وأن نعدل مع كل أحد ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ﴾.

هناك سبيلان: هناك سبيل الاستقامة على طريق الحق التي توصلك إلى الله سبحانه وتعالى ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾، هذا هو سبيل الحق، وهناك الأهواء ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ﴾، ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ﴾، ﴿ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾.

(فلا تظالموا) .. لا يظلم بعضكم بعضاً .. ونحن نرى الأرض اليوم وقد امتلأت من أنواع الظلم والطغيان والبطر والكبر والقهر والإذلال لكل مستضعف من المؤمنين وغيرهم مالم يسمع به الأولون ولا الآخرون، أرأيتم ظلماً أعظم وأشد وأفدح وأقبح مما يتعرض له إخوانكم في غزة ؟ مليون ونصف مسلم في سجن واحد مغلق، ما ذنبهم؟ ما جريرتهم؟ أهؤلاء كلهم إرهابيون؟ هؤلاء كلهم حملوا السلاح؟ هؤلاء كلهم قصفوا أو قتلوا أو دمروا ؟ لا والله، إنما هي حرب العقيدة .. حرب الإيمان، هناك حزب الله .. هناك أهل التقوى أهل الصلاح .. وهو كل من انتسب لهذا الدين وتمسك به وعرف قدره، وهناك حزب الشيطان ، حزب الطغيان حزب التكبر حزب الفساد الذين حرقوا الأرض وملؤوها بماذا ؟ ملؤوها بفسادهم و طغيانهم.

ما ذنب هؤلاء؟ ما ذنب الأطفال الرضع والشيوخ الركع؟ ما ذنب هؤلاء النساء الضعفة؟ ولو كان هذا الظلم نلاقيه من بني يهود لهان الأمر فهذا هو دأبهم وطريقتهم وسيرتهم كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً ﴾ .. اليهودي لا ينفك عن الفساد، هذه سيرته وجُبل على ذلك، ولكن من أولئك المجرمين الذين ينتسبون إلى الإسلام ! نحن نقول هذا حتى يعرف أهل الإيمان أعداءهم لأننا لا يمكن أن ننتصر في معركتنا ولا يمكن أن نمكن لشريعة ربنا حتى نعرف أعداءنا على حقيقتهم، هذا الطاغية المتجبر فرعون هذا الزمان صاحب القلب الجاف اليابس المتحجر طاغية مصر.. لماذا ، لماذا يسلط كلابه الذين رباهم السنوات والسنوات على هؤلاء الضعفة؟ ما ذنب هؤلاء ؟ ما ذنب هؤلاء الضعفاء؟ أهناك ظلم أشد وأعظم وأفدح مما نراه يحصل لإخوانكم في فلسطين؟ ولو أردنا أن نعدد صور الظلم وأنواعه يا إخوة فوالله سيطول بنا المقام ولا يمكن أن نحصيها.

إذاً (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)، هذه هي شريعتنا التي ندعو إليها، ولكنه ليس عدل الديمقراطية، ولا عدل الرأسمالية، إنه عدل الإسلام الذي أنزله في كتابه وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فنحن لا نتملق لشرق ولا لغرب ولا نداهن في شريعتنا في صغير ولا كبير وإنما ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، نعم ، (فلا تظالموا) .

(يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم)، إذاً مصدر الهداية واحد، وطريق الهداية واحد، من أراد الهداية فعليه أن يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى، ومن أراد الهداية فعليه أن يسير على طريق الله سبحانه وتعالى، وما وراء ذلك إلا الضلال (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ).

نعم ، (يا عبادي كلكم ضالُ إلا من هديته) .. فلا هداية إلا بالتمسك بشريعة الله سبحانه وتعالى، ولا هداية إلا بما يقذفه الله في قلب عبده من نورالإيمان حتى يكون من أمة التوحيد (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ).

نعم لو أعطيت له الدنيا بحذافيرها، ولو فتحت له كنوزها كلها إلا أنه سيبقى في ضنك وضيق وشدة وهمّ وغمّ لا نهاية له لماذا؟ لأن هذا القلب ، هذه المضغة لا تستقر وتطمئن ولا تتزل عليها السكينة إلا إذا رجعت إلى ما خلقت إليه .. إلى فطرتها فطرة الله التي فطر الناس عليها .. إلى الإيمان بالله عز وجل ، إلى التمسك بشريعته ، إلى توحيده ، إلى محبته إلى تقواه ، أما أن يشتت الإنسان قلبه شرقاً وغرباً فتارة يتبع هذا الفكر وهذا المنهج ، وتارة يتبع هذا الفكر وذاك المنهج ، تارة يعبد حجراً وتارة يعبد شجراً ، وتارة يعبد هوى ، وتارة يعبد قانوناً ضائعاً ، فهذا والله لا يمكن أن يتحصل على ذرة من السعادة ولو زعم ذلك (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى).

فيا أيها المسلمون، يا من خلفتم شريعة ربكم ونور نبيكم وراءكم ظهرياً ، وركضتم وأنتم تبحثون عن المتعة وتبحثون عن السعادة والسعة والراحة والسكينة في زبالات أفكار أحفاد القردة والخنازير، عودوا إلى ربكم ، واستهدوا ربكم ، اطلبوا الهداية منه ، (فاستهدوني أهدكم) ، نعم ، (يا عبادي كلكم ضالٌ إلا من هديته فاستهدوني أهدكم) .

(يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم) .. هذا هو ربنا، الخير كله بيديه، خير الدين والدنيا، خير الدنيا والآخرة، فمن أراد شيئاً من متاع الدنيا صغيراً وكبيراً طعاماً أو كساءً أو صحةً أو عافية فعليه أن يتوجه إلى الله عز وجل ، وإن الله لا يستعظم شيئاً يُسأله من عباده ، ولذلك فإبراهيم –عليه السلام– وهو في شدة المحنة ، وحيد بين قومه ، غريب بين قومه ، يعلنها بينهم إعلاناً عاماً ينبغي أن يأتسي به كل مسلم ، يعلن تمسكه بتوحيده وثقته بالله عز وجل وتوكله عليه سبحانه وتعالى ومعرفته لقدره ، قال إبراهيم لقومه: (مَا تَعْبُدُونَ. قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّون) إلى أن قال في السورة الأخرى: (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِين * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِين * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِين * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِين * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّين * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) .

نعم ، هكذا ينبغي أن تكون ثقة المسلمين بربهم ويقينهم بالله عز وجل توكلاً عليه واعتماداً عليه ولجوءاً إليه وتضرعاً بين يديه وثقة فيما عنده سبحانه وتعالى .

(يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي ..) إذاً خـزائن الـسموات والأرض كلها بيد الله سبحانه وتعالى فلا ينفع مع قدرة الله سبحانه وتعالى تجفيف منابع الإرهاب لأن الرزق كله بيد الله عز وجل ، هذه الدعوة التي تعقد لها المؤتمرات ويجتمع لها شياطين الإنس والجن قد قيلت من قبل ، قالوا (لَـا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا) .. هذه دعوة قديمة ليست جديدة ، تجفيف منـابع الإرهـاب ، ونحن نقول إن بيد الله سبحانه وتعالى خزائن السموات والأرض فاقطعوا ما شئتم وجففوا ما أردتم وامنعوا مـا تريدون فإن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، وإذا قال الله لشيء كن فلـن تـستطيع الأرض والسموات أن تمنعه ، هذه الثقة لابد أن تغرس في قلوبنا أيها الإخوة .

يا معاشر المجاهدين في مشارق الأرض ومغاربها : عليكم بالثقة التامة بربكم في ديـنكم ودنيـاكم ، اسـتنزلوا الرزق من عند الله سبحانه وتعالى ، أكثروا التضرع بين يديه ، هذا ربكم يناديكم ويطلب منكم سؤاله ودعاءه والتضرع له، (كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم)، حتى كان بعـض الـسلف يـسأل الله في سجوده ملح طعامه وعلف دوابه ، هكذا كان السلف ، فإذاً لا نستحي من سؤال الله عز وجل ، وهذا شـيء يرغبنا فيه ويدعونا إليه سبحانه وتعالى (يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم).

(يا عبادي إنكم تخطؤون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جيمعاً فاستغفروني أغفر لكم) ، " كـل بـني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون".

الله سبحانه وتعالى يخبرنا أن ما من أحد من بني آدم إلا وهو يخطئ بالليل والنهار، والله عز وجل يبـسط يـده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، وما من شيء يترل النقمة والعذاب مـن الله سبحانه وتعالى كمثل الذنوب ، سواء في حق الفرد أو في حق المجتمعات والدول (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّـكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) ، (وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ) ، فنحن أيها الإخوة وخاصة أنتم أيها المجاهدون فأنتم أكثر النـاس حاجـة إلى التوبة إلى الله عز وجل والاستغفار لله سبحانه وتعالى، لماذا ؟ لأن الذنوب هي من أعظم ما يحول بيـنكم وبـين النصر، لا يمكن أن ينصر الله سبحانه وتعالى قوماً يجاهرونه بالمعصية ، ولذلك فمن دعاء أهل الإيمـان قبـل أن يدعوا الله عز وجل بأن ينصرهم على القوم الكافرين (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَـا وَارْحَمْنَـا أَنْـتَ مَوْلَانَا) في الأخير (فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) ، إذا فنحن بحاجة إلى أن نكثر من الاستغفار والتوبـة إلى الله سبحانه وتعالى ، التوبة النصوح الصادقة التي يستوي فيها ظاهر الإنسان وباطنه ، علانيته وسـريرته ، لأن الله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ألوانكم وإنما ينظر في قلوبكم وما فيها مـن الإخـلاص والـصدق والإنابة والتوحيد ، وينظر إلى أعمالكم إن كانت موافقة لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم أم لا .

إذاً إن أردنا النصر والفتح فعلينا بالتوبة الصادقة والاستغفار الدائم إلى الله سبحانه وتعالى (وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) ثم : (وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ).

إذاً يا إخوة نحن في حاجة أن نذكر أنفسنا بهذا الأمر العظيم فوالله أنه من أعظم أبواب الفتح والنصر والتمكين ، كلما كانت طائفة المجاهدين أقرب إلى الله عز وجل ، أكثر توبة لله سبحانه وتعالى ، أكثر استغفاراً لربهم ، أكثر إنابةً ، رجوعاً كلما كان النصر أقرب إليهم من الله عز وجل ، (يا عبادي إنكم تخطؤون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم) ، نعم ، (يا عابدي) ، قال الله عز وجل : (يا عبادي إنكم تخطؤون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم).

والله عز وجل هو الغني عنا وعن هدايتنا وطاعتنا وخيرنا وبرنا ، فالله عز وجل له ما في السموات وما في الأرض (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)، ولهذا حتى لا يغتر الإنسان بإيمانه ولا يُعجب بعمله الصالح الذي يوفق إليه فإن الله عز وجل يُبين لنا هذه الحقيقة بياناً واضحاً جلياً لا يخفى على الله أحد (يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني) ، (وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً) إنهم لن يضروا الله شيئاً (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً).

نعم ، ثم قال الله عز وجل: (ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد فيكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً) .. الله عز وجل غني عنا وعن عبادتنا وعن جهادنا وهجرتنا ورباطنا ودعوتنا ، فلذلك يقول في آخر الحديث : (فمن وجد خيراً فليحمد الله) ، فهو من توفيق الله عز وجل لعبده المؤمن ، فلا ينبغي للمسلم أن يغتر بعمله الصالح ولا أن يعجب بما وفقه الله إليه من الطاعات ، وإنما هي نعمة ومنة وفضل يتذكر فيها الله سبحانه وتعالى ، ويفرح بما آتاه من الخير ليزداد في شكرها .

(يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد فيكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً) ، (وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ).

(يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا على صعيد واحد) يعني على أرض واحدة ، من الأولين والآخرين ، من الإنس والجن ، (ثم سألني كل واحد منكم مسألته) .. ليسأل كل واحد ما يأتي في ذهنه وما تتمناه نفسه .. ما نقص ذلك ..... (ثم أعطيت كل واحد منكم مسألته ما نقص ذلك من ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر) ، قال العلماء معنى هذا أنه لا ينقص من ملك الله شيء ، كيف ينقص من ملك الله وعطاء الله كلام ؟ يعني إنما يكون للشيء كن فيكون ، كيف ينقص هذا الملك ؟ والله سبحانه وتعالى يمينه ملأى سحاء الليل والنهار سبحانه وتعالى عنده خزائن كل شيء ، هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ).

هذه المعاني أيها إخوة ، هذه المعاني التي دل عليها هذا الحديث من سعة رحمة الله سبحانه و تعالى: (إنكم تخطؤون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً) ، (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) ، هذه المعاني التي منها ملك الله الواسع التام الكامل كما في هذا (لو أن أولكم وآخركم) إلى أن يقول: (ما نقص ذلك من ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر) .. قدرة الله سبحانه وتعالى النافذة (إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني) .. استغناؤه التام عن عباده ..

فهذه المعاني عندنا تترسخ في قلب المؤمن ، ويتيقن بها ، ويعلم أنه يعبد رباً هذه صفته سبحانه وتعالى ، فهذا يدعوه إلى الازدياد في التمسك بما جاء من عنده ، والتيقن بأن كل حرف جاء في كتاب الله هو حق ، وكل حكم نزل في شريعة الله هو حق من عند الله سبحانه وتعالى ، فهذا يدعوه إلى الزيادة في البذل والعطاء والتضحية من أجل دين الله سبحانه وتعالى ، ويدعوه إلى الازدياد في الصبر والمصابرة على كل ما يلاقيه ، فلابد أن نعلم أيها الإخوة أن طريق التمكين لدين الله عز وجل هي طريق المحن والشدة والبلاء والزلزلة والضراء فبعد ذلك يأتي نصر الله سبحانه وتعالى ، نعم إن الله عز وجل قد وعد عباده إن نصروه أن ينصرهم ، قال الله عز وجل : (إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ).

ولكن هذا النصر لا يأتي في دعة وكسل وخمول وبالأماني ، وإنما يأتي بالجهد والبذل و التضحية والعناء والصبر ، وبعد ذلك يتنزل نصر الله عز وجل كما قال الله عز وجل: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ)، الرسول الذي يتنزل عليه الوحي من عند الله يقول متى نصر الله، يقولها لماذا؟ يقولها من فرط المحنة و شدة الزلزلة وشدة الضراء التي يلاقيها هو وأصحابه (أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ) .

فلذلك أيها المجاهدون سواء في أفغانستان أو في العراق أو في الصومال أو في الجزائر أو في الشيشان عليكم أن توطنوا أنفسكم على هذه الحقيقة : إن التمكين لدين الله عز وجل ليس مهنة سهلة ، ليس أمراً يسيراً ، لا يأتي بالأماني ، ولا يأتي بمجرد الخيالات ، ولا يأتي بالخمول والكسل ، ولا بد أن توطنوا أنفسكم على توالي البلاءات وعلى تواصل المحن ، فبعد ذلك بعدما يتنقى صفكم ويتميز الخبيث من الطيب ويعرف أهل الإيمان الصادق ويُعرف المنافقون الذين يتخللون صفوف المجاهدين وينسبون أنفسهم إليهم ، بعد ذلك عندما يرى الله سبحانه وتعالى منا الأهلية لأن نستلم هذه الأمانة العظيمة التي هي الحكم بشرع الله عز وجل والعدل بين الناس وتبليغ أحكامه عندها سيأتينا نصر الله سبحانه و تعالى ، فلا تيأسوا مما يصيبكم من المحن ، ولا تظنوا أن طريق الجهاد والتمكين والنصرهي طريق سهلة ، ولكنها طريق نقص الأموال والأنفس والثمرات .

اليوم تجد ساحة الجهاد مليئة بالأبطال وبالقادة وبالخبراء ، وفجأة تجد المعركة قد طحنتهم وقد ذهبوا ، هذا من الابتلاء الذي أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنه (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ).

اللهم انصر عبادك المؤمنين المجاهدين أينما كانوا نصراً مؤزراً .. اللهم انصر عبادك المؤمنين المجاهــدين نــصراً مؤزراً وافتح لهم من لدنك فتحاً مبيناً ..اللهم انصر عبادك المجاهدين حيث ما كانوا .. اللــهم افــتح علــيهم بركات السماوات والأرض .. اللهم أفرغ عليهم الصبر من عندك يا رب العالمين .

اللهم انصرهم في أفغانستان .. اللهم مكن لهم تمكيناً تحبه وترضاه .. اللهم أعد لهم ملكهم خيراً وأقوى وأوسع وأسرع مما كان . اللهم انصر عبادك المجاهدين في العراق .. اللهم اكشف محنتهم .. اللهم اكشف ضــيقهم .. اللهم ارفع البلاء عنهم يا رب العالمين .. اللهم أغظ بهم أعداءك يا قوي يا عزيز ..

اللهم انصر عبادك المجاهدين في الصومال .. اللهم مكّن لهم تمكيناً تحبه وترضاه تعز به أولياءك وتذل به أعداءك يا رب العالمين .اللهم انصر عبادك المجاهدين في الجزائر .. اللهم اكشف غربتهم .. اللهم اكــشف غربتــهم .. اللهم افتح لهم من لدنك فتحاً مبيناً .. اللهم دافع عنهم يا من يدافع عن المؤمنين .. اللهم افتح لهــم بركــات السموات والأرض.. اللهم أغنهم بك عن من سواك يا رب العالمين .. اللهم انصر المجاهــدين في الشيــشان .. وانصر المجاهدين في فلسطين .. اللهم افتح لهم من لدنك فتحاً مبيناً .. اللهم اخز أعداءك وأعــداءهم يــا رب العالمين .. اللهم فرج عن إخواننا المأسورين في سجون اليهود والنصارى وفي ســجون الملحــدين والمرتــدين والروافض والبوذيين والهندوس يا رب العالمين .. اللهم اجعل لهم من كل ضيق فرجاً ومن كل هــم مخرجــاً و ارزقهم من حيث لا يحتسبون .

اللهم ردهم إلى أهليهم سالمين آمنين غانمين مأجورين يا رب العالمين .اللهم أخلفهم في أهليهم خيراً ، واخلــف كل شهيد ومهاجر ومجاهد وأسير في أهله خيراً يا رب العالمين إنك سميع قريب مجيب.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين .. اللهم عليك بالذين يحاربون دينك ، اللهم عليك بالذين يحاربون دينــك وينكلون بأوليائك ويتنكرون لشريعتك .اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً.

اللهم عليك بأمريكا وحلفائها .. اللهم عليك بأمريكا وحلفائها .. اللهم صُب عليهم العذاب صــباً ، وافــتح عليهم المصائب من كل جهة يا رب العالمين .. اللهم اخزهم في عقر دارهم وسلطهم على بعضهم وسلط عليهم أولياءهم وسلط عليهم جندك وعبادك المؤمنين يا رب العالمين .

اللهم انتقم منهم لعبادك المستضعفين .. اللهم انتقم منهم لعبادك المقهورين .. اللهم اخز بوش وحزبه يــا رب العالمين .. اللهم أذله وأرغم أنفه .. اللهم أرغم أنفه يا رب العالمين .. اللهم اجعل له يوماً كيوم فرعون وهامان وقارون يكون عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين وشفاء لصدور قوم مؤمنين.

إنك سميع قريب مجيب ، وصل اللهم على خير خلقك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

خطبة عيد الفطر 1430

۩ بسم الله الرحمن الرحيم ۩

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِل له، ومن يُضلِل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأخيار الأطهار الأبرار وعلى من اقتفى أثره وسار على سنته ما تعاقب الليل والنهار.

ثم أما بعد:

أيها الإخوة المؤمنون الأحبة اتقوا الله عز وجل حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا، اتقوا الله فتقوى الله سبحانه وتعالى هي مبدأ الأمر وأوسطه وآخره، بها فاز الفائزون (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) وتزود المتزودون (وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ) وبها أمن الآمنون (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)، فتقوى الله سبحانه وتعالى هي زاد المؤمن في هذه الرحلة الطويلة إلى أن يلقى الله سبحانه وتعالى، تقوى الله سبحانه وتعالى هي باب الفرج والفتح وباب الرزق والعطاء من الله عز وجل (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً) نسأل الله عز وجل أن يجعلنا وإياكم من المتقين الذين يراقبونه في الغيب والشهادة ويخافونه في السر والعلانية.

أيها الإخوة الأحبة :

الله أكبر الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر كلما صام الصائمون، الله أكبر كلما أفطر المفطرون، الله أكبر كلما هلل المهللون وكبر المكبِّرون، الله أكبر كلما تنافس في رضوان الله المتنافسون. انقضى شهر رمضان ذهبت أيامه ولياليه، ذهب صيامه وقيامه، فطوبى لمن وفقه الله سبحانه وتعالى لصيام أيامه حق الصيام وقيام لياليه حق القيام فإن ذلك هو الفوز العظيم (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) طوبى لمن قضى لياليه في القيام سكب هنالك العبرات وناجى ربه في الظلمات لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

أيها الإخوة الأحبة :

اليوم عيد، نعم، إنه عيد وفرح بانقضاء عبادة من أجلّ العبادات، عبادة يمسك فيها الإنسان شهوته وأكله وطعامه إرضاء لله عز وجل، قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: " كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به "، " من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدم من ذنبه ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدم من ذنبه" فيه ليلة هي أعظم الليالي خيرٌ من ألف شهر فطوبى لمن وفق لقيامها ويا حسرة ويا خيبة ويا خسارة من ضيّع شهر رمضان في اللهو واللغو والعبث واللعب يا حسرة من ضيع شهر رمضان أمام الشاشات وأمام الفضائيات في الضحك واللعب والله إن ذلك لهو الخسران العظيم! نفحات من الله سبحانه وتعالى وهبات وعطيات مباركات من رب السموات والأرض عز وجل رحمة بعباده ورأفة بأمة نبيه صلى الله عليه وسلم.

اليوم عيد، ولكن أيها الإخوة عيد من ؟ أهو عيد المضطهدين المشردين الذين تسلط عليه الكفرة المجرمون في مشارق الأرض ومغاربها في أفغانستان وفي باكستان في سوهات وفي وزيرستان وفي الصومال وفي غيرها ؟

عيد من ؟ أهو عيد السجناء المكبلين المكبوتين الذين يجأرون ويشكون إلى الله عز وجل ظلم الطغاة وتجبرهم ؟ عيد من ؟ أهو عيد المستضعفين الذين ضاقت عليهم الأرض بما رحبت والذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلا ؟ عيد من ؟ أهو عيد المحاصرين المخنوقين في فلسطين من الأرامل واليتامى والمساكين والضعفة والعجزة من الرجال والنساء والولدان ؟

نعم، إنه عيد هؤلاء كلهم، وهو عيد أمة الإسلام، جُعِل عيد الفطر فرحة للمسلمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن لكل قومٍ عيداً وهذا عيدنا "، ونحن نحب أن نفرح في عيد الفطر وفي عيد الأضحى ولكن أنّى للفرح أن يأتينا وأنّى للفرح أن يدخل قلوبنا ونحن نرى حال أمتنا البائسة التي تسلط عليها الأراذل الكفرة من أحفاد القردة والخنازير وأذنابهم وأتباعهم من النصارى والمرتدين!

أيها الإخوة:

إن عيد الفِطر قد مُلئ بالعبر والعظات فلنا معه بعض الوقفات:

أول هذه الوقفات :

عيد الفطر شرعه الشارع فرحة من انقضاء شهر رمضان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه "، ولكن عيدنا أيها الإخوة ليس كأعياد الناس، عيدنا عبادة لله عز وجل يُفتتح بالتكبير وتتخلله صدقة الفطر ويُختتم بالصلاة، نعم عيدٌ وسع فيه الشارع على المسلمين لهم أن يفرحوا وأن يلعبوا بما لا يدخل فيما حرم الله سبحانه وتعالى، إلا أن عيدنا هو طاعة وعبودية لله عز وجل ليس كأعياد أهل الدنيا التي تمتلئ بالعبث والمجون والفساد والضلال وزهرة الدنيا وغير ذلك، إنما عيدنا عُبودية لله

عز وجل وهذا هو الفارق بيننا وبين أهل الدنيا في أمورنا كلها، نحن عبيد لله عز وجل، ومعركتنا مع أهل الكفر إنما هي معركة العبودية لله سبحانه وتعالى، نحن نريد أن نكون عبيداً لله ونريد أن يكون الناس كلهم عبيداً لله عز وجل طوعاً أو كرهاً، وأما أعداء الله لا سيما الملأ المتجبرون فهؤلاء شعارهم جميعاً بلسان حالهم أو مقالهم (مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي) هؤلاء كل منهم ينادي للعبودية لنفسه، أُذلت الشعوب حتى تعبد هؤلاء الطواغيت، نعم، فإذن معركتنا أيها الإخوة بيننا وبين هؤلاء الكفرة إنما هي معركة العبودية لله سبحانه وتعالى، العبودية التي ما بُعث نبي من الأنبياء ولا رسولٌ من الرسل إلا ليدعو إليها قال الله سبحانه وتعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ من رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)، (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ)، فهذا الأمر لا بد أن نتفطن إليه أيها الإخوة، نحن عبيدٌ لله في كل حركاتنا وسكناتنا (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) ليس هناك (دع ما لقيصر لقيصر ودع ما لله لله) ! ، الخلق كله لله سبحانه وتعالى (أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) إذن معركتنا أيها الإخوة هي معركة العُبودية، وكل جماعة إسلامية دعوية كانت أو جهادية لا تضع نصب عينيها أن قيامها ودعوتها وحركتها وسكنتها كله من أجل أن يكون الناس عبيداً لله فهي جماعة ضائعة تائهة مهما كبرت وتضخمت واشتهرت فإنها جماعة ضائعة (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ) ، فإذن علينا أيها الإخوة نحن المجاهدين أن يكون لواؤنا وأن تكون رايتنا وأن تكون دعوتنا وأن يكون جهادنا وأن تكون تضحياتنا وأن يكون بذلنا كل هذه الأمور من أجل أن تكون العبودية لله عز وجل، نحن لا نرضى أن يكون بعض الدين لله وبعضه لغير الله، بعض الدين لأوباما وبعضه لله عز وجل، بعض الدين للقذافي وبعضه لله عز وجل، بعض الدين لعبد الله و بعضه لله عز وجل – كم عندنا عبد الله ؟ كثير– وبعضه لله عز وجل، لا ، الدين كله لله عز وجل.

النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث: " بُعثتُ بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبد الله وحده لا شريك له " فإذن نحن لسنا جماعة من أجل أن تُوجد الحلول الاقتصادية للأمم، لسنا جماعة من أجل أن تعمر العمارات الشاهقة، لا ، لسنا جماعة من أجل أن نبحث عن الحلول حلول المشاكل الاجتماعية للمجتمعات هذه كلها عوارض نتجت وخرجت بعدما ابتعد الناس عن دين الله عز وجل بعدما رضي الناس لأنفسهم أن يكونوا عبيداً لغير الله سبحانه وتعالى، إذن عيدنا هو عُبودية لله عز وجل، عبودية لله سبحانه وتعالى. هذه هي وقفتنا الأولى.

الوقفة الثانية :

أن هذا العيد هو إعلان للتمايز بين الإسلام والجاهلية، النبي صلى الله عليه وسلم كما قال أنس رضي الله تعالى عنه قال: " قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وكان لهم يومان يلعبون فيهما فقال ما هذان اليومان قالوا يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر "، إذن الجاهلية والإسلام لا يجتمعان في موطن، هناك بدل وهناك مُبدَل منه، إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما، انبذوا عنكم أعياد الجاهلية وتمسكوا بالعيد الذي هو لأهل الإسلام، لأهل الإسلام عيدان: عيد الفِطر وعيد الأضحى، وأما اليوم فأعياد الجاهلية لا تُحصى ! هناك عيد الأم وهناك عيد الحب وهناك عيد

الزيتون وهناك عيد المرأة وهناك عيد الطفل وهناك العيد الوطني وهناك عيد التحرير وعيد الاستقلال، قائمة لا تنتهي.

فإذن الإسلام جاء ليعلن المفاصلة التامة بينه وبين الجاهلية، ولذلك شُرِعت الهجرة أيها الإخوة، النبي صلى الله عليه وسلم بقي يدعو إلى الله وإلى عبادة الله وحده لا شريك له في مكة ثلاثة عشر عاماً، فلمّا ضاق عليه الأمر وتأذى أصحابه واستأسد أولئك الكفرة أُمِر بالهجرة، أُمِر بمفاصلة قومه، النبي صلى الله عليه وسلم من أجل دين الإسلام ومن أجل عقيدة التوحيد ومن أجل أن تكون العُبودية لله وحده لا شريك له من أجل ذلك كله ترك أحب البِقاع إليه وإلى الله سبحانه وتعالى، ترك قومه وداره وماله وأهله وولده -صلى الله عليه وسلم- وهاجر إلى أرض يكون فيها غريباً بين قوم يكون بينهم غريباً إرضاء لله سبحانه وتعالى، إذن أيها الإخوة لذلك شُرِعت الهجرة، فلذلك إذا كانت هناك بقعة من الأرض توجد فيها قوتان: قوة لأهل الإسلام بشوكتهم وقوة لأهل الكفر بشوكتهم، فليس هناك سبيل للتعايش الذي يدعو إليه بعض المخذولين المنهزمين المعاصرين، أي تعايش تدعون إليه ؟ ليس هناك سبيل للتعايش، لماذا؟ لأن الذين كفروا من سالف الأزمان قد رفعوا لأنفسهم شعاراً يتوارثونه فيما بينهم، ما هو ؟ ، (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا)، ليس هناك خيار، إما أن ترجعوا إلى ملتنا إما أن ترجعوا إلى الكفر إما أن تكون ديمقراطياً إما أن تكون عصرياً إما أن تكون غربياً فعند ذلك سيرضى عنك الناس ويطرونك ويمدحونك ويظهرونك في مظهر المسلم المعتدل المتوسط المتوازن الذي يوازن بين المصالح والمفاسد وما ذلك إلا لأن الجاهلية قد رضيت عنك! إذا لم يفلحوا في هذا الخيار (لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا) أو الخروج من الأرض. فلذلك أنتم تعيشون هذه الغربة، لماذا ؟ لأن الجاهلية لم تستطع أن تتعايش معكم، أنتم أناس مشردون مطاردون قد غضبت عليكم الأرض كلها ولا يضيرنا ذلك والله، لا يضيرنا ذلك إذا كان رب السماوات والأرض يرضى عنا سبحانه وتعالى، إذن لذلك شُرِعت الهجرة، إذا لم يكن هناك هجرة فلا بد من القِتال " بُعِثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبد الله وحده لا شريك له ".

إذن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر الأنصار أن يتركوا ما كانوا عليه من أعياد الجاهلية وهذا في عيد وهو أبسط الأمور في داخل دين الإسلام فكيف بمن يدعو إلى التعايش معهم في العقائد ؟ كيف بمن يدعو إلى التعايش معهم في السياسات ؟ كيف بمن يدعو للتعايش معهم في القوانين والنظم والأحكام ؟ إلى غير ذلك ، أي دعوة هذه ؟ هل نحن ندعو لدين الله عز وجل حقاً أم أننا ندعو لما تهوى أنفسنا ولما يرضي هؤلاء الكفرة ؟ لا بد أن نكون صرحاء مع أنفسنا، ما هذا التعايش الذي عجز النبي صلى الله عليه وسلم أن يقيمه بين قومه وأهله وفي داره ووطنه واكتشفناه نحن في القرن والواحد والعشرين فأصبحنا ندعو إلى التعايش وأصبحنا نحن وهؤلاء كالشيء الواحد ؟ هذه دعوة مخذولة مرذولة مردودة مخيب صاحبها، نعم إذن أيها الإخوة من دعوات الإسلام هو دعوة المفاصلة ولا أعني بذلك أن يفر الناس إلى رؤوس الجبال وإلى بطون الأودية وإلى أدغال الغابات ليس هذا هو المقصود، ولكن أن يعيش الإنسان المسلم بإسلامه الحقيقي، نعم نحن نعلم أن الرجل الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خيرٌ من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم، ولكن هذه المخالطة لا تعني الممازجة، لا

تعني أن يكون الإنسان هو والكافر شيئاً واحداً لا تستطيع أن تفرق في السيما والمظهر بين المسلم وبين الكـــافر ثم يقول لي أنا أدعو إلى الله سبحانه وتعالى، أية دعوة هذه ؟

دين الإسلام أيها الإخوة طريقه واضحٌ جلي لا لبس فيه (قُلْ هَـــذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي)، (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ)، (قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي)، (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَـــا تَتَّبِـــعْ أَهْوَاءهُمْ)، (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)، إذن هناك شريعة مـــن عند الله سبحانه وتعالى أُمرنا بأن نتبعها وأن نسير عليها وأن لا نركض وراء أهواء الذين لا يعلمون، مـــن هـــم الذين لا يعلمون ؟ هو بوش وأوباما وجورج وأنطون وما أعرف من هؤلاء، أي شيء يعرف هؤلاء ؟! مـــا هـــو الدين الذي يعرفه هؤلاء حتى نصبح نبحث عما يرضيهم ؟! هل يمكن للإنسان أن يرضي أوبامـــا ويرضـــي الله سبحانه وتعالى ؟ ولذلك عندما جاء هذا الغراب الأسود عندما جاء وألقى خطبته في مصر صفّق له الناس وكأن الذي يخطب هو عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه، حتى إن بعض السفهاء الذين ينتسبون إلى العلم كتبـــوا في الجرائد والمجلات من الإطراء والمدح والثناء ما لم يكتبه أحد من المقربين من هؤلاء الكفرة! أي دعوة هـــذه وأي دين هذا ؟ ألا يتقي الله سبحانه وتعالى أمثال هؤلاء ؟ ألا يخشون أنهم سيقفون بين يـــدي الله ســـبحانه وتعـــالى وسيُسألون عن كل حرف كتبوه ؟ سبحان الله! أوباما صار صاحب شعار التغيير صاحب شعار الانفتاح، نعـــم الانفتاح الذي يُقتل بسببه كل يوم في أفغانستان العشرات الذين لا يسمع بهم أحد، لو كان هـــؤلاء قُتلـــوا في الرياض أو في الكويت أو في الإمارات لقامت الدنيا وضجت ولكن هؤلاء مساكين ضعفاء فقراء يعيـــشون في الخيام بين الجبال في الأودية تحت الأشجار فلا يسمع بهم أحد فلذلك مع ما يفعله هذا المجـــرم فهـــو يـــستحق الإطراء والمدح والثناء إلى غير ذلك أيها الإخوة.

إننا محتاجون أن تكون دعوتنا لدين الله عز وجل واضحة جلية لا لبس فيها فنحن ندعو الناس لأن يكون الدين كله لله، ونحن ندعو الناس لأن يكونوا عباداً لله سبحانه وتعالى، نحن ندعو لأن تكون الحاكمية لله عز وجـــل لا تخضع لشرقٍ ولا لغرب مللنا من هذه البيوت مرة البيت الأحمر ومرة البيت الأبيض، دعونا مرة واحدة نحكـــم بما يريد الله سبحانه وتعالى، نعم إذن هذا هو الأمر الثاني من الوقفات مع عيد الفطر المبارك.

وأقول قولي هذا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهـــده الله فـــلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورســـوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

ثم أما بعد :

أما الوقفة الثالثة أيها الإخوة:

فإن هذا العيد يدلنا على أن المسلم يجب أن يكون مستسلماً منقاداً مذعناً لأحكام الله سبحانه وتعالى، فإن الله سبحانه وتعالى لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون، فبالأمس كان الفطر محرماً واليوم صار الصيام محرّماً، بالأمس كان الصيام واجباً اليوم صار الصيام محرماً وغداً سيكون مُستحباً، فهذه أحكام الله سبحانه وتعالى يشرّعها كيفما شاء لحكم يعلمها هو عز وجل، فإذن على المسلم أن يكون دائماً موطداً نفسه وقلبه على الانقياد والاتباع لأحكام الله سبحانه وتعالى من غير اعتراض على ذلك بعقل ولا عُرف ولا عادة ولا قانون ولا سياسة ولا غير ذلك (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ، (لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) قال الله سبحانه وتعالى:

(فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً) ذكر بعض أهل التفسير أن هذه الآية نزلت في حق رجلين اختصما ثم تحاكما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحكم لأحدهما على الآخر فلم يرضى المحكوم عليه فقال نتحاكم إلى أبي بكر فذهبا إلى أبي بكر فقصّا عليه القصة فقال أنتما على ما حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض الرجل فقال نذهب إلى عمر رضي الله تعالى عنه فذهبا إلى عمر، فعمر عندما سمع أن هذا الرجل لم يرض بحكم النبي صلى الله عليه وسلم سأل صاحبه أكان ذلك – يعني ما يقوله صاحبك حق ؟ –فقال له نعم فقال انتظرا فسأحكم بينكما فدخل عمر رضي الله تعالى عنه وأخذ سيفه ثم قطع رأس الذي لم يرض بحكم النبي صلى الله عليه وسلم وفر الآخر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت أحسب –أو أظن– أن عمر يقتل مؤمنا، فأنزل الله عز وجل: (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً) انظر أيها الأخ المؤمن في قضية واحدة، في مسألة واحدة تخاصم فيها رجلان ثم انتقلا إلى من ؟ انتقلا إلى أبي بكر وهو خير أهل الأرض بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم إلى عمر وهو خير أهل الأرض بعد أبي بكر رضي الله تعالى عنه ومع ذلك أنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية في حق هاذين الرجلين فكيف بمن ينبذ شريعة الله عز وجل كاملة ؟ كيف بمن يرد أحكام الله عز وجل كلها ؟ كيف بمن يصرّح بلسان حاله ومقاله على رؤوس الأشهاد أن شريعة الله لا يصلح تحكيمها في هذا العصر ؟ ومع ذلك تجد من يدافع عن هؤلاء! ألا يستحق هؤلاء سيف عمر وألف سيف عمر ؟

نعم والله أيها الإخوة، الصحابة رضي الله تعالى عنهم عندما امتنع قوم من أداء الزكاة متأولين، طائفة في زمن أبي بكر بعد أن توفي النبي صلى الله عليه وسلم طائفة قالوا كنا نؤدي زكاتنا لمن كانت صلاته سكناً لنا – يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم – أما وقد توفي فلن نؤدي زكاتنا لأحد واستدلوا على فعلهم بآية من كتاب الله عز وجل (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ) ومع ذلك أبو بكر رضي الله تعالى عنه والذي حفظ الله به الشرع مراراً قال: والله لو منعوني عقالاً –وفي رواية عناقاً– كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليها، فقال عمر فما هو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق، طائفة فقط امتنعت عن أداء الزكاة وبتأويل، نعم لم يكن تأويلهم سائغاً ولكن استدلوا على ما يفعلون بكتاب الله عز وجل، فماذا نقول في هذه الطوائف المجرمة التي تقاتل صراحة بلا

تأويل ولا حجة ولا التفات إلى كتاب ولا إلى سنة ولا إلى فتوى تقاتل كل من يدعو لتحكيم شريعة الله عز وجل، ماذا نقول عن الجيش الباكستاني المجرم الذي دمّر سوهات وقتّل الأطفال والنساء وهدّم الديار على أهلها فقط من أجل ماذا ؟ ما هي دعوة هؤلاء الناس ؟ ما هي دعوة المسلمين في سوهات ؟ ألا يقولون إما الشريعة وإما الشهادة ؟

إذاً لماذا يقاتلهم هؤلاء ؟ ألا يقاتلونهم اعتراضاً على شريعة الله سبحانه وتعالى ؟ ومع ذلك ما زلنا نجد من يدافع عن هؤلاء المجرمين ويعدهم من المسلمين ويرد عنهم ويذب عنهم بكل ما أوتي من حجة و قوة.

أيها الإخوة إن زماننا هذا لا يصلح له إلا هذان السيفان: سيف عمر الذي ضرب به هذا الرجل المعترض على حكم الله عز وجل وسيف أبي بكر رضي الله تعالى عنه الذي قاد به الصحابة في قتال مانعي الزكاة، هذه الطوائف الممتنعة عن أحكام الله سبحانه وتعالى والله لن يجدي معها الاستجداء ولن يجدي معها التذلل ولن يجدي معها الهوان لن يجدي معها إلا القتال والصبر والمصابرة حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، هذا هو الذي علينا أن نخوضه أيها الإخوة.

فلذلك في ختام خطبتي هذه لي وصايا لإخواني المجاهدين فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا :

أولها: عليكم بالإخلاص لله عز وجل فوالله إن الإخلاص هو مفتاح النصر ومفتاح التمكين ومفتاح الظفر والغنيمة، قال الله سبحانه وتعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ) إلى آخر الآيات، فهؤلاء الصحابة الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة فعلم الله مافي قلوبهم من العزم والصدق والإخلاص لله عز وجل أثابهم هذا الفتح القريب، فعليكم أيها المجاهدون أن تكون نيتكم في جهادكم وقتالكم لله عز وجل لا يكون قتالكم عصبية جاهلية ولا وطنية مقيتة ولا حزبية مذمومة ولا انتصاراً لجماعة ولا لفرد ولا لأمير ولا لرأي وإنما انتصاراً لدين الله عز وجل الذي بيده النصر (إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ) وأعظم النصر هو أن نكون مخلصين لله عز وجل، النبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال: يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ويقاتل للذكر ويقاتل ليُرى مكانه أي ذلك في سبيل الله ؟ قال: " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله "، والله إن كان قتالنا لله عز وجل والله لا يضرنا أن نُقتل عن بكرة أبينا، وما ضر أصحاب الأخدود أنهم قتلوا جميعاً ؟ أصحاب الأخدود شعب أبيد عن بكرة أبيه، لماذا ؟ (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)، ولكن الخسارة كل الخسارة والحسرة كل الحسرة أن تكون نيّاتنا لغير الله عز وجل ثم بعد ذلك نُقتل أو نهزم فنجمع بين خسارتي الدنيا والآخرة ونعوذ بالله من ذلك، فعليكم بالإخلاص، أوصوا به أنفسكم وتواصوا به فيما بينكم وليذكر به بعضكم بعضاً و " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى".

الأمر الثاني الذي أوصي به إخواني المجاهدين في مشارق الأرض ومغاربها:

هو عليكم بالجماعة والائتلاف، وعليكم بالاتفاق، كونوا صفّاً واحداً كما يحب ربنا ويرضى قال الله عز وجل: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ) هذا هو القتال وهؤلاء هم المقاتلون الذين يحبهم الله سبحانه وتعالى، فلا نكون شيعاً متفرقين كل حزب بما لديهم فرحون، ألسنا دعاة للتوحيد ؟ ألسنا دعاة لما كان عليه سلفنا الصالح ؟ وهل التوحيد إلا موحد للمؤمنين وليس بمفرق لهم ؟ وهل كان السلف إلا كلمة واحدة مجتمعة مؤتلفة قلوبهم فلم لا نكون على نهجهم في هذا ؟ فإذن أيها الإخوة خذوا بأمر الله ولا أقول بوصية الله : (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ)، هذه نعمة من الله سبحانه وتعالى التأليف بين القلوب، فلذلك فلتحرص كل جماعة أن تكون صفّاً واحداً مع الجماعات الأخرى، وأقول لكم من واقع تجربتنا ومعرفتنا أنه لا يمكن أن يكون هناك اتفاق واجتماع إلا بأن يتنازل بعض الجماعات عن حقوقهم، لا بد إذا تشبّثت كل جماعة بحقها وتشبّثت الجماعة الأخرى بحقّها –أو بما تدّعيه من حقها– فأي اجتماع سيكون بعد ذلك ؟

النبي صلى الله عليه وسلم عندما أرسل معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال: " تطاوعا ولا تختلفا "، لا بد من المطاوعة لا بد من المياسرة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)، لا بد أن يكون هناك الذلة فيما بين المؤمن والمؤمن وبين المجاهد والمجاهد.

وفي هذا الموطن فإنني أدعو إخواني المجاهدين في العراق وأخص منهم دولة العراق الإسلامية سددها الله سبحانه وتعالى وإخواني بجماعة أنصار الإسلام أدعوهم لأن يكونوا جماعة واحدة وصفّاً واحداً، وأن يتنازل بعضهم لبعض وأن يتذلّل بعضهم لبعض، فإن عدوكم قد جمع جمعه وجيّش جيشه وجنّد جنوده ليكون حرباً لكم جميعاً لا ليفرق بين هذه الجماعة وبين تلك الجماعة ونسأل الله سبحانه وتعالى أن نرى اليوم الذي يُسعدنا فيه بسماع خبر اجتماعكم.

كما أنني أدعو إخواني المجاهدين الصادقين من جماعات المجاهدين السلفيين في فلسطين لأن يجمعوا كلمتهم وأن يوحدوا صفهم وأن يوحدوا رايتهم وأن يوحدوا قيادتهم وأن ينبذوا عنهم أسباب الفرقة والاختلاف والتنازع، لا بد أن يكون هناك تنازل حتى تحصل الوحدة والاتفاق، لا بد أن يكون هناك تنازل حتى تأتلف القلوب وإلا سنبقى في تشرذم واختلاف وتنازع وتمزق وعدونا ينظر إلينا من بعيد، نعم هذه هي وصيتي الثانية لإخواني المجاهدين.

أما الوصية الثالثة:

فيا أيها المجاهدون اعلموا أن طريق الجهاد طريق طويل وشاق، وهي ليست كلمة نرددها، هذا واقع يعيشه كل مجاهد وطئت قدماه أرض الجهاد، الجهاد ؟ قال الله سبحانه وتعالى لنا : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ) وما كان مكروهاً للنفوس فإنها محتاجة إلى الصبر عليه، لا بد من الصبر على طول الطريق، ولا بد من الصبر على طول عناء الطريق (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ولذلك فنحن نجد كثيراً اقتران الجهاد بالصبر في كتاب الله عز وجل (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ

اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) ، (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ)، إذن لا ننتظر النصر أن يأتينا بين عشية وضحاها ولا في معركة عابرة وإنما علينا بتوطيد النفس على ماذا ؟ على الصبر، على صبر مشاق الجهاد ومتاعبه حتى نبلغ هدفنا أو نهلك دونه.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما سمعنا، نسأل الله عز وجل أن ينصر عباده المؤمنين المجاهدين في كل مكان، اللهم سدد رمي عبادك المجاهدين وسدد آراءهم وثبت أقدامهم واربط على قلوبهم وألف بينهم واجمع كلمتهم وانصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم ولي عليهم خيارهم وأتقاهم وأعقلهم وأحبهم إليك يا رب العالمين، اللهم إنا نجعلك في نحور أعدائنا ونعوذ بك من شرورهم، الله مزق ملكهم ودمر دولهم وفرق جموعهم ويتم أطفالهم ورمل نساءهم، الله اجعلهم عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين وشفاء لصدور قومٍ مؤمنين، اللهم مكَّن لعبادك المؤمنين تمكيناً تحبه وترضاه تعز فيه أولياءك وتذل فيه أعداءك وتنصر فيه شريعتك وتحكم فيه كتابك يا رب العالمين.

اللهم انصر المجاهدين في أفغانستان، اللهم انصر المجاهدين في باكستان، اللهم انصر المجاهدين في العراق، الله انصر المجاهدين في الصومال، وانصر المجاهدين في الجزائر، وانصر المجاهدين في الشيشان، وفي بيت المقدس وفي كل مكان يا رب العالمين، اللهم فرِّج عن إخواننا المأسورين اللهم اجعل لكم من كل ضيق فرجا ومن كل هم مخرجاً وارزقهم من حيث لا يحتسبون اللهم لا تدع بينهم خائفاً إلا أمّنته ولا حائراً إلا أرشدته ولا مضطرباً إلا سكّنته ولا جائعاً إلا أطعمته ولا عارياً إلا كسوته وسترته ولا مستوحشاً إلا آنسته اللهم اخلفهم في أهليهم وأبنائهم خيراً يا رب العالمين، اللهم واخلف كل شهيد ومهاجرٍ ومجاهدٍ في أهله خيراً يا رب العالمين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد

خطبة عيد الأضحى 1430/ هـ / بعنوان (بشائر النصر... ونسائم التمكين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العزيز النصير، الذي كبت من حاده فأخزاه، وأذل من شاقه وعاداه، فقال سبحانه وقوله الحق: (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)، والذي قال وقوله الحق: (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ * كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)، والذي أعز من نصره وتولاه ووعد بالتمكين لمن اتبع سبيله وهُداه فقال سبحانه وتعالى: (وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)، وقال عز وجل: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ).

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبيه وحبيبه ومصطفاه من رفع ذِكره وأعلاه وشرّف دينه فحفظه وأبقاه وعلى آله وأصحابه وكل من اتبع سبيله واقتفاه.

ثم أما بعد:

ففي بضع سنين غُلِبت الروم في أفغانستان وهم من بعد غلبهم سيُدحرون، فنُكِّست رايتهم، وكُسِر صليبهم، وأعز الله دينه ونصر جُنده وأعز كتابه وأُنوفهم راغمة، فقبل سنوات لا زلنا نتذكر عندما وقف مغرورهم الذي أُلقي في مزبلة التاريخ وهو يتكلم في انتفاشته وتجبره وعلوه وعتوه ليقسم العالم إلى قسمين ويقول كلمته: "من لم يكن معنا فهو ضدنا" فخر له الخانعون واتبعه الخائفون فذل معه من ذل وظل معه من ظل واصطف وراءه من اصطف ووقف أهل الحق والإيمان بصدقهم وإيمانهم الراسخ ليقولوا قولة من كان قبلهم: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً)، في ذلك الوقت عندما تكلم دعاة الحكمة المزعومة ودُعاة المصلحة الموهومة الذين ما دروا أن الله قد هتك أستارهم وفضح سرائرهم فقال في حقهم: (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ*وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَـؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ)، في ذلك الوقت عندما تخلت الأرض عن هذه الطائفة القليلة وقف أمير المؤمنين بإيمانه الراسخ وتوكله على الله سبحانه وتعالى وثِقته بوعده ليقول تلك الكلمة التي دُونت وستبقى مدوية في التاريخ:

"إنني بين وعدين، أما بوش فقد وعدني بالهزيمة، وأما الله عز وجل فقد وعدني بالنصر وسنرى أي الوعدين يتحقق"

وهانحن اليوم نرى أي الوعدين قد تحقق، إنه وعد الله سبحانه وتعالى، إنه وعد من لا يُخلف وعـــده قـــال الله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ).

الله أكبر الله أكبر الله أكبر

الله أكبر ذلت دولت الصُلُبِ *** وعز بالسيف دين المصطفى العربي

هذا الذي كانت الآمال لو طلبت *** رؤياه في النوم لاستحيت من الطلبِ

نعم أيها الإخوة: إن الله سبحانه وتعالى قد رفع كتابه وأعز جنده وأذل أعداءه فاللهم لك الحمد ربنا، اللـــهم لك الحمد على شرٍّ صرفته وأمرٍ صرّفته وخيرٍ أنزلته وعدوٍ قصمته، ولِي نصرته ودينٍ رفعته وشرعٍ مكّنته، نعـــم أيها الإخوة هكذا ينبغي أن تكون ثقتنا في الله، أردت أن أبدأ بما بدأ الله عز وجل به حينما ذكّر صـــحابة نبيـــه بنعمته العظيمة عليهم يوم الأحزاب فقال سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَـــةَ اللَّـــهِ عَلَـــيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً).

نعم أيها الإخوة: لقد وصلنا إلى هذه المرحلة وقد رأينا بشائر النصر تلوح في الأفق ومخايل التمكين قد ظهـــرت لكل مؤمن صادق مُصدِّق بوعد الله سبحانه وتعالى. ولكن هذه النتيجة لم يصل إليها المسلمون والمجاهـــدون في رحلة هنية وإنما كان العناء يصاحبها وكان الضناء هو رفيقها حتى وصلوا إلى ما أوصلهم الله ســـبحانه وتعـــالى إليه.

فيا أيها الإخوة:

كما أننا نذكر هذه النعمة التي وصلنا إليها بفضل الله عز وجل فعلينا أن نتذكر الثمرات التي أنتجتـــها هـــذه المعركة التي لم تستغرق إلا بضع سنين، نعم أيها الإخوة ما استغرقت هذه المعركة إلا بضع سنين، ومع من؟

إنها مع أمريكا التي سجد لها أهل الغرب والشرق والتي كان إذا ذُكِر اسمها ارتعدت فرائصهم وطارت قلـــوبهم وشخصت أبصارهم وكأنها هي الله –تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا–، أما اليوم فأين أمريكا؟ أين قوتهـــا؟ أيـــن جبروتها؟ أين طغيانها؟ أين ترفعها؟ أين هيبتها؟ لقد وقعت تحت أقدام الحفاة الفقراء الضعفاء الذين يعيـــشون في الأودية وعلى رؤوس الجبال وتحت الأشجار وفي البرد وفي الحر والضيق والجـــوع ولكنـــهم اعتـــزوا بدينـــهم وتوكلوا على ربهم ووثقوا بوعد الله سبحانه وتعالى حتى أذل الله سبحانه وتعالى على أيديهم هذه الإمبراطورية.

ولقد قلت يومًا في مثل هذا الموقف: ستُذل أمريكا كما ذُلت الإمبراطوريات قبلها وسيُرغم أنـــف أمريكـــا في التراب، فها نحن نرى اليوم أنفها وقد مُرِّغ في أوحال أفغانستان وفي أوحال العراق وقد ذُلـــت كمـــا ذُلـــت الإمبراطوريات قبلها فهي تبحث اليوم عن مخرج لها من أفغانستان، قالوا: "الاستراتيجية الجديدة" ليس هناك إلا استراتيجية الفِرار والهروب والنجاة بما يمكن أن ينجوا به.

نعم أيها الإخوة: إن الله سبحانه وتعالى قد منّ علينا بهذه النعمة العظيمة الكبيرة الجليلة لنـذكرها ونتـذكرها ونتذاكرها فيما بيننا فإنّ الشكر قيد النعم وهو الذي يزيد الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، ولكن كما قلنا أيها الإخوة فإن هذه النتيجة العظيمة التي وصل إليها المجاهدون اليوم في أفغانستان لم تكن رحلة هنية وإنما كانت رحلة التضحية ورحلة البـذل والـصبر والثبـات واليقين بالله سبحانه وتعالى، فعلينا كما نذكر هذه النعمة علينا أن نتذكر الرجال الأبطال الأفذاذ الذين وقفـوا في تلك المواقف الصعبة ليردوا الأُمور إلى نصابها وليقولوا للعالم كله وهو يتبجح ببطره ويترفع بكبريائه ليقولـوا له: إنّ الله وعدنا وعد الحق وإنّ الله لن يُخلف وعده وإنّا بإذن الله عز وجل علـيكم لمنـصورون ولـدين الله سبحانه وتعالى مُمكنون قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ فلك الحمد ربنا على ما أنعمت علينا من نِعم ظاهرة وباطنة.

هذه المعركة أيها الإخوة إنها معركة خاضتها الأمة كلها، شارك فيها اليتيم بيُتمه والثكلى بثُكلها والفقير بفقره والضعيف بضعفه والغني بماله والشاب بدمائه والأبطال بصبرهم والأولياء بدعائهم، فهذه النتيجة هي أمانـة في أعناق قادة الجهاد عليهم أن يحافظوا عليها وأن يحفظوها وأن يثبتوا على هذا الطريق الذي بدؤوه ولم يكن معهم إلا الله سبحانه وتعالى فليحذروا أن يلتفتوا إلى غير الله عز وجل وقد فتح لهم هذا الفتح ومكّن لهم هذا التمكين فوالله لئن التفتنا إلى سواه ولئن نظرنا إلى غيره لنهونن على الله سبحانه وتعالى وليسلبنّ منا هذه النعمة ويـضعها عند غيرنا لأننا لسنا أهلاً بأن تكون في أيدينا ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على نبيه محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وعلى من اهتدى بهديه وسار على سنته إلى يوم الدين.

ثم أما بعد:

فعلينا أيها الإخوة ونحن في هذا اليوم أن نتذكر إخواننا الذين قدّموا دماءهم فداءً لدين الله عز وجل وتمزقـت أجسادهم حتى تكون لبنات لبناء صرح الخلافة الإسلامية وقافلة الجهاد والتضحية لا تـزال تـسير ولا تـزال تقترب يوماً بعد يوم لينتشر دين الله عز وجل وإنا نقول وثقتنا بالله عز وجل عظيمة وتصديقنا بوعده كبير بـأن دين الله عز وجل لن يقتصر على أرض أفغانستان ولا على أرض العراق ولا علـى الـصومال ولا الـيمن ولا الجزائر وإنما سيعم الأرض كلها كما أخبرنا بذلك الصادق المصدوق فقال صلى الله عليه وسـلم: "إنّ الله زوى لي الأرض مشرقها ومغربها وإنّ مُلك أُمّتي سيبلغ ما زوى لي منها" وقال صلى الله عليه وسلم: " ليـبلغنّ هـذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت وبرٍ ولا مدر إلا أدخله دين الإسلام بعز عزيزٍ أو بذل ذليل عز يعز الله به الإسلام وذل يذل الله به الكُفر"، وقال صلى الله عليه وسلم: "ستكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكـون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعهـا إذا شاء أن يرفعها ثم تكون مُلكاً عاضّاً فيكون فيكم ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله إذا شـاء أن يرفعهـا ثم

يكون ملكاً جبرياً فيكون فيكم ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه ثم تكون خلافة على منهاج النبوة" ثم سكت صلى الله عليه وسلم، فهذا وعد من الله سبحانه وتعالى وإخبار من نبيه صلى الله عليه وسلم بأن دين الإسلام الذي سيظهره على الدين كله سيعم الأرض مشرقها ومغربها ولن يبقى بيت ولن تبقى مدينة ولا قرية صغيرة ولا كبيرة إلا وسيُدخل الله لها دين الإسلام وسيعتنق أصحابها دين الإسلام وسيكونون تحت حكم الإسلام وهذا إخبار لا يتخلف، فما يفعله أعداء الله عز وجل من بذل أموالهم ومكرهم بالليل والنهار لإطفاء نور الله عز وجل فسيذهب هباء ويكون ذلك كله حسرة في قلوبهم، قال الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ).

وها أنتم ترون بأم أعينكم ما أنفقته أمريكا وما رصدته لوزارة دفاعها ها هو اليوم يكون حسرة في قلوبهم وقد غُلبوا بإذن الله عز وجل والله سبحانه وتعالى يقول: (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) فليموتوا بغيظهم وليموتوا بحنقهم وليموتوا كمدًا وليموتوا حسرة فإن دين الله عز وجل لا يزال يرتفع وإنّ شعاعه لا يزال ينتشر وإنّ الناس لا يزالون يدخلون فيه أفواجًا كما قال الله عز وجل ونقولها في هذا الموقف:

(إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً).

الحق يعلو والأباطل تسفلُ *** والله عن أحكامه لا يُسألُ

وإذا استحالت حالةٌ وتبدلت *** فالله عز وجل لا يتبدلُ

واليُسرُ بعد العسر موعود به *** والصبر بالفتح القريب موكلُ

فاللهم لك الحمد ربنا، اللهم لك الحمد على ما مننت ولك الحمد على ما أعطيت ولك الحمد على ما فتحت سبحانك.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين

اللهم انصر عبادك المجاهدين نصرًا مؤزرا وافتح لهم فتحا مبينا

اللهم سدد رميهم وسدد آراءهم وثبت أقدامهم وألف بين قلوبهم ووحد كلمتهم واجعلهم صفًّا متراصًّا كما تحب وترضى

اللهم أعز بهم دينك وأعزهم بدينك

اللهم فرِّج عن إخواننا المأسورين اللهم فك أسرهم وأحسن خلاصهم وعجِّل بنجاتهم

اللهم ردهم إلى أهليهم سالمين آمنين غانمين

اللهم وانصر دينك وكتابك وعبادك المؤمنين

اللهم انصر المجاهدين في أفغانستان اللهم افتح لهم من لدنك فتحاً مبينا

اللهم رد عليهم دولتهم خيرًا وأقوى وأوسع وأسرع مما كانت يا رب العالمين

اللهم انصر المجاهدين في وزيرستان

اللهم انصر المجاهدين في العراق اللهم مكن لهم تمكينًا تحبه وترضاه

اللهم انصر عبادك المجاهدين في الصومال اللهم افتح لهم فتحًا مبينًا من عندك يا رب العالمين

اللهم انصر عبادك المجاهدين في اليمن اللهم سدد ضرباتهم

اللهم زدهم قوة وثباتًا ورُشدًا يا رب العالمين

اللهم انصر المجاهدين في الجزائر الله ثبت أقدامهم وأحكم خططهم وبارك في خطواتهم وامددهم بجندك يا من له جنود السماوات والأرض

اللهم انصر عبادك المؤمنين المجاهدين في فلسطين اللهم وحد كلمتهم واهدِ قلوبهم وثبت أقدامهم وارفع رايتهم، اللهم اخزِ بهم عدوك وعدوهم

اللهم انصر المجاهدين في الشيشان اللهم ثبتهم وقوِّهم يا رب العالمين اللهم أفرغ عليهم صبرًا وثبت أقدامهم وانصرهم على القوم الكافرين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

رسالة صوتية إلى أحد المشايخ

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبيَّ بعده، وبعد:

إلى الشيخ الفاضل العلاّمة الجليل، حفظه الله، ورفع قدرَه وأعلى منزلتَه، وجمعه مع النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فلا يخفى على فضيلتكم ما تمرّ به أمتنا الإسلامية من حوادثَ عِظام تعصفُ بها شرقاً وغرباً، والتي برزَت في الحملة الصليبية العاتية التي تقودها حاميَةُ الكُفر وأمُّ الخبائث وحاضنة دولة اليهود، أمريكا. وأطلقت أيديها لإفساد البلاد والعباد، فدمّرت البيوت على ساكنِيها، ونسفَت المساجد بمصلّيها، وارتكبت من الفظائع والمخازي ما طارَت به وسائل الإعلام حتى خَلُصَ إلى العذارى في خُدورهنّ، وصارَ أمراً معروفاً مكشوفاً مُعلَناً تتبجَّحُ بهِ ولا تُبالي، ولا تزال فضائحها وقبائحُها تتوالى، يُعينها في ذلك أذنابُها من عُملاء البلاد، ممن هُم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ويتسمّون بأسمائنا.

وأمام هذه الجيوش الجرارة التي تمتلك أقوى ترسانة عسكرية وأحدث الأجهزة العصرية، وفي وجه هذا التحالُف الذي ضمَّ الأحزاب من كلِّ مِلَّة ونِحلة، وقفَ شباب الإسلام وأسود التوحيد وصناديدُ العقيدة لا يملكون إلاّ إيمانَهم بربِّهم، وهُم حُفاة عُراة فقراء ضعفاء، شُعثٌ غُبر، مُشتَّتون مُشرَّدون تخطَّفُهُم أيدي الكُفر وتُلاحقهُم أعين العمالة في كلِّ موطنٍ ومنزِل. ولكنهم مضَوا بعزيمة ثابتة ويقينٍ راسخ وإيمانٍ شامخ، يذودون عن حِياض الدين بكلِّ ما يملكون وبأقصى ما يستطيعون، فكانوا سياجاً حصيناً لأمّتهم، وترساً منيعاً لعقيدتهم، تقرُّ بأفعالِهم أعينُ كُلِّ صادقٍ، ويغتاظُ بِها كلُّ مارقٍ مُنافِق، فكانوا دُرَّةً متلألئةً في جبينِ هذا العصر الأسود، وقمراً مُنيراً في سمائه الظلماء:

وفتيةٍ في رياضِ الذِكرِ مرتعهُم *** للهِ ما جمَعوا، للهِ ما وهَبوا

إذا نظرتَ إليهِم خِلْتَ أنَّهُمُ *** جاؤوا منَ الخُلْدِ أو لِلخُلْدِ قد رَكِبوا

هُمُ الذينَ أَقامَ العَدلُ عِندَهُمُ *** فحيثُما حُجِبوا فالعَدلُ يحتَجِبُ

هُمُ الذينَ على سِيمائِهِم ركضَتْ *** أغلَى النجومِ وَشَعَّ المَوسمُ الخَصِبُ

تأبى الأَعِنَّةُ إلاَّ في أَكُفِّهِمُ *** والخَيلُ إلاَّ إذا ما فَوقَهَا رَكِبوا

فبعدَ تَوفيقِ اللهِ عزَّ وَجَلَّ وتَسديده للآراء، وتثبيته للأفئدة والأقدام، بدأت ملامحُ النصرِ تتجلّى لكلِّ مسلم، وأضحت شمس الحقِّ تعلو شيئاً فشيئاً، وجيوشُ الباطلِ تتخبَّطُ في وحلٍ من النكائب والمصائب التي صُبَّتْ عليها صبّاً بفضلِ اللهِ وعِزَّته وقُدرَته. وغدَتْ اعترافاتُهُم بالهزائمِ وإقرارهُم بالانكسار لا يكادُ يخلو منها يومٌ، وهُم هائمون على وجوههم يبحثون لهُم عن مخرجٍ مما هُم فيه من الأزمات المتتاليات. فلله الحمدُ والمِنَّة.

وإنَّ المرءَ لَيستشعِرُ بحَقٍّ قولَ الله الكريمِ المَنّان، والغُمَّةُ لم تنكشف بعد:

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال:٢٦]

فالمجاهدون -بحمد الله تعالى- هُنا في أفغانستان في انتصارات متتالية وفُتوحات متتابعة، وقد أضحى حالُهم خيراً مما كانوا عليه بكثير، وأصبحوا يتقصَّدون الأعداء من النصارى والمرتدّين في عُقرِ مراكزهِم بالعمليات الاستشهادية والهُجومات المباغتة والاقتحامات الواسعة والكمائن المُحكَمة والقصف المُركَّز.

والمُجاهدونَ -بفضلِ الله- في صبرٍ ومُصابرة، واجتهادٍ ومُثابَرة، وهُم عازمون على أن يكون هذا الشتاءُ جحيماً على الكفَرة، لن ينعَموا فيه بهدوءٍ ولا اطمئنانٍ ولا دِفء، وسيُحاولونَ بقُصارى جُهدهم تحمُّلَ شدائد البرد ليستمرّوا في عمليّاتهم، حتى لا يتمكَّنَ الكَفَرَة من ترتيب أوضاعهم وإعادة رصّ صفوفهم المتهالكة المتهاوية.

وعلى العموم فإنَّ أوضاعهم تسيرُ إلى الأحسن، وبشائر الفتح والتمكين قد أضحى الجميعُ يستشعرُها، وهذه بشائر أحببنا أن نُتحفَ بها شيخَنا الكريم، حفظه الله تعالى ورَعاه ورفعَ قَدرَهُ وأَعلاه، وذلك لما عَلمنا من حرصه الشديد على معرفة أخبار المجاهدين والاطّلاع على أوضاعهم والاعتناء بهمومهم، مُمتثلاً بذلك قولَ نبيِّنا صلى الله عليه وسلَّم: (مَثَلُ المؤمنين في توادّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم مَثَلُ الجَسَد إذا اشتكى منه عُضو تداعى له سائر الجسد بالسّهرِ والحُمّى). نسأل الله أن يبارك فيكم وفي علمكُم وعُمُركُم.

ولكن شيخَنا الكريم وفّقكم الله ورَفَعَ قَدرَكُم، لا نُخفي عليكُم أنَّ أعظمَ ما يُعانيه المجاهدون في ساحات الجهاد هو قلَّة -إن لم نَقُل انعدام- العلماء العاملين الصادقين الذين كان ينبغي أن يكونوا جنباً إلى جنبٍ مع أبنائهم، يَنهلونَ من معينهم ويأخذون من عِلمهم، ويغترفون من آدابهم، ويسترشدون بتوجيهاتهم وينضبطون بفتاواهم، فالمجاهدون -بفضل الله وحده- يثقون بلا شكّ في أمثالكم من الصادعين بالحق، وهُم مُحبّون لكُم، مُوَقِّرونَ لجنابكم، وربما لا تعلمون أيَّ تأثيرٍ يقعُ في قلوبهم حينما يبلغهم عنكُم عباراتُ تأييدٍ ودعمٍ ومُناصَحة، فكيفَ إذا كُنتُم بجانبهم يَرونَكُم وترونَهُم، ويستمعون، ومن غير وسيط، لنصائحكم. ووالله لتجدنَّ -شيخنا الكريم- في

ساحات الجهاد بينَ أبنائكَ وأحبابِكَ من التوقيرِ والتبجيلِ والاحترام ما لَم ترَهُ أو تسمَع به. ووالله ثُمَّ والله لتجدنَّ مِنَ الفتحِ الإلهيّ في الفهم والعلم مع ما فتحَ اللهُ بهِ عليكم أضعافاً مضاعفة.

شيخَنا الكريم زادَ اللهُ فضلَه وأعلى مَنزِلَتَهُ في الدارَين، إنَّ ساحة الجهاد مليئةٌ بالنوازِلِ العظام والمسائل الكبيرة التي يكونُ أغلبُها مُستعجَلاً غيرَ قابلٍ للتأخير، وما أحوجَ المُجاهدين إلى عُلماءَ راسخين أمثالكُم يُوكَلُ إليكُم أمرُها، وأنتُم أهلٌ لِذلكَ ولكلٍّ خيرٍ فيما نحسب، وإلاّ فعلى أقلِّ الأحوال لا بُدَّ لنا من مُشاورتكُم والرجوع إليكم والاسترشاد بآرائكم والاستضاءة بفتاواكم فيما نُبتلى بهِ من هذه المسائل، زادَكُم اللهُ رِفعَةً ونَفَعَ بكُم وحَفِظَكُم وأَغاظَ بِكُم أعداءَهُ أعداءَ الدين، إنَّهُ سميعٌ عَليم.

والسلامُ عليكُم ورحمة الله وبركاته

ابنُكُم الضعيف: أبو يحيى الليبي

من سادات الشهداء

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

أمة الإسلام:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

فقديماً قال الشاعر:

كُتِب القتل والقِتال علينا *** وعلى المحصنات جر الذيولِ

واليوم ونحن في عصر انقلاب الحقائق آن للرجال أن يتبرقعوا ببراقع النسوان ويلزموا قعر البيوت وظلمات الديار بعد أن أحجموا عن اقتحام المواطن التي لا يخوض لُجّتها إلا الأبطال ويُفسحوا المجال لضعفة النساء لعلهن يصنعن لأمتهن شيئاً أبوا هم أن يصنعوه، فوا أسفاه على زمنٍ عشّش فيه الخور وفرّخ بين أهله الوهن وغلب عليهم الجُبن حتى اضطرت النساء ذوات الخُدور وربّات الحِجال أن يقفن مواقف الرِجال وأن يترلن إلى الساحات بنداءات التكبير والبحث عن النصير، وصرخات الاستغاثة يحركهن الإيمان الحي والضمير اليقظ والقلوب المتفجرة ببراكين الغيرة على الحق والمُتدفقة بأنهار الحسرة على دينٍ ثُلم وعِرضٍ انتُهك وشريعةٍ امتُهِنت وذلك في بلدٍ عبث فيه الفاسِدون المُفسدون وتسلط عليه المارِقون المرتدون وختّنه عُبّاد الشهوات المُتميعون، فكلنا سمع بجامعة حفصة في مدينة إسلام آباد في باكستان الجريحة والتي وقفت موقفاً استحقت معه بجدارة أن تكون جامعة حفصة بنت عمر رضي الله عنهما ذلك الموقف الذي صرخت فيه العفة والصيانة والحصانة في وجه التهتك والمجون والخلاعة، وعلت فيه أصوات الاعتزاز بالإيمان والاستعلاء بالعقيدة لتنظر باحتقار واستصغار لدعاوى الحضارة العصرية الرديئة والحرية الغربية الماجنة التي يروج لها دعاة الرذيلة في باكستان لتلتحق بركب الجاهلية المُعاصِرة ، فنادى الإيمان بأعلى صوته حتى ارتجّت الأرض بأصدائه ليزلزل هذا الكيان الجاهلي الهش (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ).

نعم هي جامعةٌ ربما لا وزن لشهادتها في عالم شهادات الدنيا التي يتهافت لنيلها الكثيرون ولكن شهادتها هذه المرة وبهذا الموقف نالت بها أوسمة الفخر وتبوّأت معها أعلى مراتب التقدير واعترف بها وأذعن لها المُحب والمُبغض لأنها شهادة حقٍ وصِدقٍ وإيمان، شهادة حق حيث نطقت بالحق ورفعت شعار الهُدى ودوّت بكلمات اليقين وأيدت دعوات العِفة وصرخت في عالم الظلمات المُطبقة (وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

شهادة حق لأنها تحركت ببواعث الغيرة على الدين وثارت بحمية الانتصار للعقيدة ودفعها أنفة الانقياد لدعاة الابتذال وأخرجها اعتزاز النفس ولو مع ضعفها بالانتماء الصادق لدين الإسلام فقذفت في وجه الباطِل المهين (قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّهُ مِنْهَا).

شهادة حق لأنها فضحت الباطل ومزّقت أربية الدجل عن وجوه أهله السوداء الكالحة وأخرجته من ملاذات المخادعات ليقف أمام الجميع عارياً مفضوحاً مقبوحاً لا يواريه شيء وألقته مُحتقراً حيث يستحق (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ) .

شهادة حق لأنها انبثقت عن الفطرة النقية وانبعثت من أعماق القلوب المُوحدة وانتفضت بسجية النفوس الزكية ولم تترقب إذناً من مموه مفترٍ ولا تزكية من مداهنٍ مُتملق ولا تقديراً وتشريفاً من طاغيةٍ عابث عائث فالإذن والتزكية والتشريف كلها في قول الكريم ذو الفضل (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

فهنيئاً لذلك الجمع الذي تفيأ ظِلال الأخلاق السامية ووثب في قِمة الشرف وأجاب داعي الحق بسكينة وثِقة وسط ضجيج وصخب دعوات الانحلال والابتذال.

لبيتِ صوت الحقِ دون تلعثمٍ *** وعصيتِ صوت الفاجرِ الأفاكِ

جانبتِ أخلاق العدو تكرماً *** وتبعتِ خلقاً سنّهُ مولاكِ

وزهدتِ في أزيائهم وعُروضِهم *** وجعلتِ مطلبك الشهي أخراكِ

وُفقتِ يا أختاه في نيل الرِضى *** فتضرعي شُكراً لِذي نعماكِ

واليوم وبعد أن سطّرت جامعة حفصة بإسلام آباد موقفها واعتلت معه عرش المفاخر أبى أساتذتها وعلماؤها أن يكون موقفهم دون موقف تلامذتهم الذين ربوهم على معاني الإيمان وغرسوا في قلوبهم علو الهِمة ونشّؤوهم على طلب المعالي وهونوا أمامهم سُبل التضحيات فتوجوا شُرُفات العز بتاجٍ يبرق فوق ناصية التاريخ وهم يُحيون بقولهم وفِعلهم شعاراً لا يستوعب مضمونه ولا يُدرِك دِقة معناه إلا أئمة الصبر والهدى واليقين.

ولستُ أبالي حين أُقتلُ مسلما *** على أي شِقٍ كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ *** يبارك على أوصال شِلوٍ ممزعِ

هكذا نطق الحق واليقين قديما وأبا أن يعطي الدنية في دينه وهكذا ينطق الحق واليقين اليوم وفي كل يوم ويأنف أن يُرضي الباطل بكلمة تطمح إليها نفسه الذليلة.

بهذا المعنى الإيماني كانت ملحمة (لال مسجد) أو ما يُسمى بالمسجد الأحمر والذي كان أحمراً حقاً لا تزويقاً وتمويها وذلك حينما طلته بل روته دماء الشهداء الأوفياء الأزكياء فيما نحسبهم والله حسيبهم وهم يقفون مواقف نوادر الأبطال وينحتون في صفحات التاريخ قِصة فذة من قِصص النِزال قل ما يُعاد مثلها، فكما كان هذا المسجد الشامخ يتخرج من حلقاته طلبةٌ وعلماء يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر هاهو اليوم يُخرِّج دفعة جديدة من الجهابذة الأفذاذ ليكونوا بعد تقلد أوسمة التخريج في مصاف سادات الشهداء كما نحسبهم والله حسيبهم.

وعلى رأس كتيبة الليوث هذه الإمام المِقدام والعالِم العامِل الشهيد ابن الشهيد وابن الشهيدة أيضا – فيما نحسبهم – عبد الرشيد غازي رحمه الله الذي صدع بالحق في زمن الخُنوع واستعلى بالإيمان في عصر الخُضوع واستهان بالباطِل المغرور الذي ركن إلى قوته واتّكل على جبروته ليقول له بيقين وثقة وطمأنينة لك تبجحك وانتفاشك أما أنا ﴿فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ

وَلاَ تُنظِرُونِ) والذي قال وهو في ضائقة الحصار وفي غمرة توعد العدو وتهديده إنني أفضل الموت على التنازل عن شيء مما أدعو إليه أو الاستسلام للأسر فطابق قوله فعله.

وقد كان فوت الموت سهلاً فرده *** إليه الحِفاظ المر والخلق الوعرُ

فأثبت في مستنقع الموت رجله *** وقال لها من تحت أخمصك الحشرُ

ألم يقل نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد من قال كلمة حقٍ عند سلطانٍ جائرٍ؟

فكيف بكلمة حقٍ يُقذف بها في وجه أحد أركان الكفر والطغيان بل في وجه دولته وجيشه وأجهزة استخباراته وأمنه كلها، فبلغها حاملها صافية صريحة من غير تملق ولا مداهنة ولا مواربة وأعلن بها بين أظهرهم وهو يرى سيوف الظلم والانتقام تبرق أمامه فلم يهبها ولم يعبأ بها فصبر على البلاغ المُبين حتى بلغ مُنيته وأتته منيته فقُتل رحمه الله وقُتلت بجانبه والدته رحمها الله ليُخرِس كل لسانٍ أفّاك ويُفحم كل قلبِ حقود حسود راح يروج الأكاذيب ويبُث الأراجيف ولسان حاله يقول لهؤلاء جميعاً (قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ).

فكان قُدوة لمن يقاتلون بين يديه وصار مدرسة للذين سيسيرون على أثره بإذن الله لتكون هممهم عالية ولِتُصبح غاية تنافسهم هو الصعود إلى مراقي السعود لنيل شرف الشهادة في أعلى درجاها وأنبل حالاها..

إذا غامرت في شرفٍ مرومِ *** فلا تقنع بما دون النجومِ

فطعم الموت في أمرٍ حقيرِ *** كطعم الموت في أمرٍ عظيمِ

عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " سيد الشهداء حمزة ابن عبد المطلب ورجلٌ قام إلى إمامٍ جائرٍ فأمره وهاه فقتله "، فهل تجاوز شهداء المسجد هذا الوصف الذي وصف به نبينا صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء ؟

ألم يقوموا في وجه طاغيةٍ متجبرٍ مستبدٍ علمانيٍ قذرٍ حينما رأوه يجر البلاد والعباد إلى هاوية الانسلاخ من الدين والتحلل من الأخلاق والتبعية التامة لأسياده في الشرق والغرب ليجعل هذا الشعب المسلم نسخة مطابقة لهم في ثقافتهم وأخلاقهم وعقيدهم وعاداهم، فقاموا في وجهه ووجه جيشه العميل الذليل وأجهزة استخباراته التي لا تستأسد إلا على الضعفاء، ليقولوا لهم أوقفوا قِطار الإفساد الذي دمر البلد وحطّم القِيم وهشّم الفضيلة.

وقفوا في وجههم ليقولوا لهم إن باكستان لم تستقل وتتحرر من تسلط عُبّاد البقر ليستعبدها عُبّاد الشهوات وجعلان الخنا والفجور الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا.

وقفوا في وجههم ليقولوا لهم إن باكستان لم تتأسس لتصبح دولة متنكرة للإسلام محاربة لأهله منابذة لأوامره ثم تعكف على زبالات الأفكار التي أنتجتها عُقول من لعنهم الله وغضب عليهم وجعل منهم القِردة والخنازير وعبد الطاغوت فتُعظِّمها وتُكرِّمها وتُقدِّمها فتُحكم بها البِلاد ويُلزم بقبولها العِباد باسم التحضر والتقدم والرقي.

وقفوا في وجههم ليقولوا لهم إن باكستان لم تقم لتكون حليفاً ونصيراً لحامية الصليب أمريكا وأتباعها فتطارد المجاهدين وتعتقلهم وتنكل بالموحدين وتفتح أجواءها وموانيها وأرضها لأولئك الكفرة يروحون ويغدون في أمانٍ وحمايةٍ وأسلحتهم تحصد الآلاف من المسلمين هنا في أفغانستان.

وقفوا في وجههم ليقولوا لهم إن مهمة جيش باكستان الذي يرفع زوراً شعار (إيمان، تقوى، جهاد في سبيل الله) ليست هي الدفاع عن الصليبيين ولا تنفيذ أوامرهم من غير مراجعة ولا معارضة ولا تهديم المساجد ولا محاصرة المدارس وتقتيل الناس في الشوارع، إنما مهمة جيش باكستان هو الالتزام الحقيقي من غير دجلٍ ولا تمييع لشعارهم الذي يزعم أنه يتبناه ويرفعه.

وقفوا في وجههم ليقولوا لهم إن شعبنا المسلم في باكستان شعب الفضيلة والصيانة والعِفة والحياء والغيرة فلا مكان بينه لأهل الدعارة والفجور والمجون والخلاعة ممن يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

وقفوا في وجههم ليقولوا لهم إن باكستان دولةٌ مسلمة وشعبها مسلم فلا بد أن تُحكم بالإسلام وتنعم بظل شريعته العادلة وترفرف فوق سمائها راية التوحيد وتُمرّغ في أوحالها رايات العلمنة والصليب وإلا يكون ذلك فباطن الأرض خيرٌ من ظاهرها.

فلأجل هذا قاموا ولأجل هذا قاوموا ولأجل هذا قُتلوا فكانوا بحقٍ من سادات الشهداء كما نحسبهم والله حسيبهم (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً).

فكأني بهم وهم يجودون بأرواحهم واحداً واحداً ويقتحمون بحر المنايا فرداً فرداً ويُعذِرون أنفسهم أمام ربهم ونسائم الإيمان والشوق إلى الجِنان تتخلل وجدانهم يرددون بصوت المودع الموصي:

أخي إن ذرفت علي الدموع *** وبللت قبري بها في خشوع

فأوقد لهم من رفاتي الشموع *** وسيروا بها نحو مجدٍ تليد

فأكرم به من سخاء وأنعم به من عطاء وأعظِم به من جُود، فبإذن الله ستكون دماؤهم الطاهرة الزكية التي جادوا بها معلماً بارزاً يهتدي به السالكون وينبوعاً متدفقاً ترتوي منه شجرة الإسلام في باكستان وسيستلم الراية التي كانوا أوفياء لها من يسير على دربهم ويقتدي بسيرتهم ويحاكي صنائعهم ليكمل بناء صرحٍ رسّخوا أساسه بأشلائهم وهكذا ستستمر قافلة الحق،

إذا قمرٌ منه تغور أو خبا *** بدا قمرٌ في جانب الأفق يلمعُ

فما كان هذا الموقف الذي يعجز اللسان عن بيان قدره أن يذهب أدراج الرياح ويذوب في بحار الأكاذيب وكذلك هي سنة الله (وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ).

يا شهيداً رفع الله به *** جبهة الحق على طول المدى

سوف تبقى في الحنايا علماً *** قائداً للرمز ركباً للفِدا

ما نسينا أنت قد علمتنا *** بسمة المؤمن في وجه الردى

فيا أهل الجهاد في باكستان ويا ليوث التضحية والإقدام ويا طُلاب الشهادة وخُطّاب الحور:

إن الإنسان إنما يموت مرة واحدة فلتقتحموا رياض الشهادة التي فتحت أبوابها في بلادكم ولتقوموا قومة يرى الله فيها منكم ما يحب ولتنفروا جميعاً لإزاحة هذا الطاغية المرتد المُفسد وإزالة حكمه العلماني الطاغوتي ولتدكوا حصون جيشه الهزيل وأوكار استخباراته القذرة ومعاقل حكمه الجاهلي ولتقتدوا بجاركم شعب أفغانستان الأبي الذي جعل بثباته وعزيمته وقوة صبره وصدق توكله على ربه جعل أرضه مقبرة للإمبراطوريات المتكبرة المتجبرة وأخرجها خائبة خاسرة تجر أذيال الهزيمة وسحق معها كل عميلٍ ذليل، وكذلك فلتفعلوا.

واعلموا أن ضريبة الذُّل التي سيدفعها الشعب الباكستاني باستسلامه وتبعيته وخضوعه لهذه الحكومة المرتدة هي أضعاف أضعاف ضريبة العِز التي سيبذلها بسخاء وجود ورضا لإعزاز الدين وتحكيم الشرع وصيانة العقيدة والتحرر من عبادة العباد والتنعم بعبادة رب العباد، فالحق لا يُقام بالاستجداء والحقوق لا تُسترد بالتذلل والظلم لا يُرفع بالتوسل وإنما بالعزائم الصارمة والهِمم السامية والعمل الجاد والتضحيات المتواصلة واستسهال الصِعاب والاستهانة بالمخاطِر،

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ *** وتأتي على قدر الكِرام المكارِمُ

وتعظم في عين الصغير صِغارها *** وتصغر في عين العظيم العظائمُ

وخيرٌ من ذلك وأنفع لكم قول الله عز وجل: (انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ).

نسأل الله أن يتقبل الشهداء ويرفع درجتهم في عِليين ويفرج عن الأسرى والمكروبين ويُداوي الجرحى ويشفي المرضى ويُلهم أهل الجميع الصبر ويوفيهم الثواب بلا حِساب إنه كريمٌ وهّاب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رفيق الدرب

۩ بسم الله الرحمن الرحيم ۩



أبو الليث الليبي – رحمه الله – :

"أما المجاهدين هم أول ركب الأمة الذي يجب أن يبذل دمه ، ويجب أن يبذل جهدهُ كاملاً غير منقوص ، نعلم أنه على المجاهدين دفع الكثير الكثير وبذل الغالي والنفيس حتى تتتالى وعن بطء وللأسف وتتتابع وعن تخوف كوادر الأمة وطوائف الأمة وأخص منها أولاً وقبل كل شيء زمرة العلماء الذين هم ورثة الأنبياء الذين أخصّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحاديثه بمادح كثيرة وعظيمة فالعلماء هم الذين يُوجّهون ويرُشدون المجاهدين ويقودونهم ويستلمون أثمان دمائهم ليقدّموها في ثمراتٍ حقيقية لتصنع لأمتنا الإسلامية دولةً يحتمي فيها الضعيف"

رفيـــــق الـــــدرب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد .

أمة الإسلام رجال التضحية والفداء والإقدام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هكذا علمتنا مدرسة الجهاد وهكذا اغترفنا ونغترف من معينه الذي لا ينضب دروساً متوالية ، شدة ورخاء ، وفرحٌ وترح ، ونصرٌ وهزيمة ، وعبرٌ وعبرات واستقبال رجال وتوديع أبطال وإنما الفوز في رجاء الثواب بالصبر الجميل والثبات على السبيل والإخلاص في ذلك لله الكريم.

﴿وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، فالأيام بيننا وبين أعدائنا دول ، نصاب ويصابون ونألم ويألمون ونصابر ويصابرون ، ولكن العاقبة في الدنيا والآخرة للمتقين ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

وإن من أعظم ما ذُقنا و رأينا في ساحات الجهاد من الآلام المرّة ، والأحزان الثقيلة فراق الأحبة ووداع الرفقة وغياب الأصحاب وإن حزننا ليس على قتلهم وذهابهم فحسب ، فإنا لنرجو أن يكونوا قد نالوا الشرف الذي سعوا إليه وحرصوا عليه ، وإنما حزننا على أننا خلفنا بعدهم ، وبقينا وراءهم ، فوالذي نفسي بيده لوددت أني غادرت مع أصحابي يوم أن وُدِّعوا وأودِعوا قبورهم الطاهرة .

ثلاثٌ يعزّ الصبر عند حلولها *** ويذهل عنها عقل كل لبيبِ

خروج اضطرار من بلاد تحبها *** وفرقة إخوانٍ وفقد حبيبِ

فما عرفنا حقيقة الصحبة ومعنى الأخوة الإيمانية وتمكن المحبة الصافية إلا في ساحات الجهاد ، حيث تتلاقى الأرواح وهي تحلق في سماء الاشتياق إلى الله ، وتمتزج الدماء وهي تسيل بسخاء فوق ربوع الإباء ، ويتجلى التنافس على الخيرات في أسمى صوره ، وأرقى حالاته فلا دنيا يُتكالب عليها ولا متاعٌ زائفٌ يُتنافس في كسبه ، إنما هو روح الإيمان وطلب الجنان والحرص على الشهادة ، فلا يحرم من جنة الدنيا هذه إلا محروم ونعوذ بالله من ذلك .

أمة الإسلام ، ننعى إليكم اليوم بطلاً مقداماً من أبطال الإسلام ، وقائداً فذاً من قادته العظام ، الذين أرقهم حال أمتهم وما تعيشه من ضعف بعد قوة ، وذلةٍ بعد عزة وهوانٍ بعد رفعة ، فكابد الحياة من أجل انتشالها عن انحطاطها وإخراجها من مآزقها وإعادتها إلى سابقِ مجدها فكان فقده فقداً وغيابه حقاً غيابا .

لــعمركَ مــا الــرزيــةُ فقــد مالٍ *** ولا شــــاةٌ تــمــوتُ ولا بعــيـــــرُ

ولكـــــن الــرزيـــــةَ فــقـــــد حـــــــرّ *** يمــوتُ لــموته خلقٌ كــثــيـــــرُ

ننعى إليك أمتنا الحبيبة رجلاً من الرجال الذين سطروا مواقفهم على صفحات التاريخ بجلد الرجال وهمّة الآساد وصرامة القادة وذلة المؤمن للمؤمن وكان ختامه مسكاً كما نحسبه والله حسيبه ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾ .

ننعى إليك نموذجاً حياً ممن صنعهم الجهاد وصاغتهم العقيدة وصبغهم الاعتزاز بدينهم فأنفوا الذلة وتبرؤوا من المهانة ونبذوا الاستكانة وأخذوا الكتاب بقوة فرفعهم الله به (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) .

ننعى إليكم ليثاً من ليوث الحروب ، وحماة الحقائق ورفقاء السيوف وسقاة الحتوف الشيخ المجاهد والمربّي القائد والهزبر المقدام (أبا الليث القاسمي) رحمه الله تعالى وتقبله في الشهداء ورفع درجته ومترلته في عليين وجعله رفيق النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

ونقول في مصابنا الجلل إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع وما نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا على فراقك يا أبا الليث لمحزونون قال الله تعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) فإنا لله وإنا إليه راجعون .

إلى الله أشكو لا إلى الناس فقده *** ولوعة حزنٍ أوجع القلب داخله

فبعد مسيرة حافلة من البذل والعطاء والعمل الدؤوب والجهاد المستمر يحف ذلك كله همةٌ عالية ، ونظرةٌ ثاقبة وعقلٌ راجح وخبرةٌ واسعة وتجارب متنوعة وخلقٌ سامٍ ودّع شيخنا المقدام وليثنا الهمام ساحات الجهاد والإعداد والرباط ، بل ودّع الدنيا كلها ليسلم الراية لمن بعده ولسان حاله يقول لمثل هذا فليعمل العاملون .

وإنا لنحسب أنه ممن عاهد فوفى وصدق فيه قول الله تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا).

فما حادَ عن درب الهداةِ وإنما *** على العهدِ أمضى عمره لم يغيرِ

أتته المنايا شاخصاتٍ فما انثنى *** فقالَ لها أنتِ المُنى فتشمّري

نعم، ودّع تلك الساحات التي ألفها وألفته ، وأحبها وأحبته وقد سطرَّ بدمائه الزكية ما سطره من قبل بمداده الوفي حيث يقول في حق إخوانه الذين سبقوه بالشهادة: "يا رفاق الدرب قد بلغتنا رسالتكم وأقمتم علينا حجتكم ومهدتم بأزكى ما تملكون لمن بعدكم الدرب ولا نملك إلا أن نقول :

كفى الشهادةَ فيما بيننا نسباً *** إن لم تكن جمعتنا وحدة النسبِ

مهما يكن من هنات بيننا معكم *** يبقى على الدهر عهدُ غير مقتضب

وقد والله مللنا من بعدكم الحياة وصار زلالها مراً ولذيذها غصصاً وما هي إلا جولةٌ من جولات الحق على الباطل حتى ينصر الله الدين ويلحقنا بكم في عليين ، إن شاء الله ، إن شاء الله" .

هكذا تخرج الكلمات من القلوب الصادقة في ودادها والراسخة في عقيدها والمستيقنة بسلامة طريقها والوفيّة لأحبتها ورفقاء دربها ، تخرج بعفوية المحبين وسلاسة المشتاقين لا تكلف فيها ولا تنميق ولا تقعر معها ولا تسجيع فتتسلل إلى القلوب لتستقر في أعماقها وتهيج كوامنها لا يحول دونها حائل ولا يمنع منها حاجب .

تسعةَ عشرَ عاماً ، قضاها شيخنا في ساحات الجهاد المختلفة فصال وجال وقاتل ونازل وصبرَ وتصبّرَ وصابر ، خاضَ المعاركَ ومعامعها واعتاد الخطوب وقوارعها ركبَ المخاطر وازدرى ترهيبها ، واقتحم الغمرات ولم يعبأ بشدائدها ، وقد أخذ بزمام الصعاب ليذللها بعزمه وعزيمته ويدنيها بهمته وحكمته ، فكأني بصدى صوته يتردد بين جبال أفغانستان وصحارى ليبيا وسجون جلادي آل سعود :

لأستسهلنَّ الصعبَ أو أدرك المنى *** فما انقادت الآمال إلى لصابرِ

ليبين لأمته طريق المجد ومسلك التمكين ودروب نيل المعالي فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُون).

ومن طلب العلا بغير كدّ *** سيدركهُ إذا شاب الغرابُ

لم يطق العيش تحت ظل الطغاة وأحكام الجاهلية وهو يسمع قول الله تعالى: (وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا).

فلا منادِيَ الجهاد وطار إلى ساحات العزة والتضحية وروحه تسبق جسده وهو يقول لكل متشبث بأرضه مستمسك بعرَضه مستثقلٍ مفارقة أهله وولده :

ليس ارتحالكَ في كسبِ العلى سفراً *** بل المقامُ على ذلٍ هو السفرُ

نعم ، انتفضَ كما انتفض غيره من أهل الغيرة على الدين والحميّة على العقيدة والشوق إلى الله ليقرع باب الجنان في كل حين ولم يلتفت إلى الذين يموّهون قعودهم بمزاعم الحكمة ويكسون حرصهم على الدنيا بكساء الأناة والتعقل وهو يتلو آيات الله البينات: (إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ، وهو يقرأ قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) .

ويرمي في مسامع كل قائدٍ خامد :

تجهـــلُ في الإقــدامِ رأيـــي معـــاشرٌ *** أراهم إذا فـــروا من المــوتِ أجـــهلا

أيرجو الفــتى عـــند انقضاء حيــاتهِ *** وإن فرَّ عن ورِد المنيةِ أزحــــلا

إذا أنا هبتُ الموت في حَمْوة الوغى *** فلا وجدت نفسي من الموت موئلا

كتب الله له شرف المشاركة في منازلة أعظم إمبراطوريات الظلم والطغيان في هذا العصر ، الاتحاد السوفيتي ، الذي صار أثراً بعد عين ، وأم الخبائث أمريكا التي ستصير حضارتها يباباً وقوتها سرابا بإذن الله ، فتضلّعت نفسه من دروس الجهاد قولاً وعملاً وتمرس بالأحداث حتى سبر غورها وأدرك مداخلها ومخارجها ولسان حاله يقول:

تمرستُ بالآفات حتى تركتها *** تقول أماتَ الموتُ أم ذُعِرَ الذعرُ

هبت عاصفة الصليب في حربها العصرية ، فحشدت قواتها واستنفرت وكلاءها وزحفت إلى معقل الإسلام براً وبحراً وجواً ، وصاح أهل الإرجاف والتخذيل يبثون الخوَر وينشرون اليأس ويستهزئون بالقلة القليلة من أهل الإيمان ، ووقف الرجال القلة ومن بينهم شيخنا –رحمه الله– مع صدق توكلهم على الله واستحقارهم للباطل واعتزازهم بدينهم وقوة عزيمتهم وهم يأتسون بأسلافهم في السرّاء كما يقتدون بهم في الضرّاء يرددون: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) ، وكلما خُوِّفوا من العدو وقوته تردد في أعماق قلوبهم المليئة باليقين قوله تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)، فكانوا ترس أمتهم لصد المكاره ، يقارعون السيف بالسيف ويردون الظلم بالحزم ، ويقابلون الدم بالدم حتى شفوا صدورهم وصدور قومٍ مؤمنين وعلّموا عباد الصليب وأذنابهم كيف يكون الرجال عند النزال فمزقوا أشلاءهم ، وسفكوا دماءهم ويتموا أطفالهم وسقوهم غصصاً من الآلام لا تزال تطاردهم أينما نزلوا وحيثما حلّوا ولقنوهم دروساً ستذكرها أجيالهم جيلاً بعد جيل ، فما ضرهم بعد ذلك أن سقطوا شهداء (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ) .

عرف شيخنا –رحمه الله– طريق الجنة فاستمسك بها وصبر على مكارهها لأنه يعلم أن طريقها قد حفَّت بالمكاره وصدق فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما نحسب والله حسيبه: "كلما سمع هيعةً أو صيحةً طار إليها يبتغي الموت مظانه"، وكلما اشتدت عليه الخطوب وأطبقت حوله الكروب وتوالت الشدائد هونها طلب حسن العاقبة وصرفها عنه ما وعد به الصابرون في قول الله تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) .

فنم أيها الشيخ المبجّل هانئًا فوالله إنا لنرجو أن تكون قد نلت إحدى الحسنيين بل خير الحسنيين إنها الشهادة في سبيل الله ، غاية المطالب وأقصى الأمنيات سعادة أبدية وحياة مرضيّة وفرحٌ وسرور وهناءٌ وحبور ورضوان من الله أكبر .

فإنا لنعلم إنك كنت حريصًا عليها جاداً في طلبها متنقلا بين مظانّها ، متعرضاً لها في مواطنها فطوبى لك أن نلت ما تمنيت وبُلّغت ما رجوت بإذن الله تعالى ونقول لك ولإخوانك الذين تضرجوا بدمائهم معك من أحبتنا ورفقاء دربنا ، إنا على الطريق سائرون وبالعهد مستمسكون ولأعداء الدين مُنازلون مُنابذون حتى ننال ما نلتم

أو يحكم الله بيننا وبين القوم الكافرين ، فإن حزننا على فراقكم لا يعني وهننا عن الاستمساك في دربكم ، فلن نبكي بكاء الضعفاء وإنما هو دمٌ بدم وهدمٌ بهدم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

"لست بالخب ولا الخب يخدعني" .. رداً على وثيقة الترشيد

﷽ بسم الله الرحمن الرحيم ﷽

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعد ..

أمة الإسلام:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فلا تزال عصبة الحق وطائفة الجهاد في صراع مستمر متنوع مع أعداء الإسلام بمختلف مللهم وتعدد نحلهم ، من يهود حاقدين ونصارى مستكبرين ومرتدين خائبين خائنين ، ولا يكاد يمر على أمتنا يومٌ إلا وتزداد المعركة استعاراً وضراوة ، هذا مع تعدد جبهاتها واختلاف أساليبها ووسائلها .

وما أن يكتشف أعداء ديننا أنهم فشلوا في طريقةٍ من طرق محاربتهم للإسلام والمسلمين عموماً والمجاهدين خصوصاً حتى توحي إليهم شياطينهم ولوج بابٍ جديدٍ لعلهم يصلون من خلاله إلى مبتغاهم الذي يريدونه ولا يريدون شيئاً سواه، ألا وهو تخلينا عن ديننا ورجوعنا على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ، كما أخبرنا بذلك العليم بذات صدورهم حيث قال سبحانه: ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾، وقال عز وجل: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء﴾.

فهما طريقان واضحان لا خفاء فيهما ولا التباس بينهما ، طريق الحق ونهج الهدى الذي اختاره الله لنا وهدانا إليه ، وطريق الميل والأهواء والروغان والشهوات ، الذي يسلكه ويدعو إليه هؤلاء الزائغون قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا﴾.

فمساعيهم كلها تصب نحو سلخنا من ديننا وإبعادنا عن شريعتنا لنكون نحن وهم في الكفر سواء ، وما من طريقٍ يسيرون عليه أو يدعون إليه أو يزينونه لنا إلا ومرادهم به إيصالنا إلى هذه الغاية أعاذنا الله منها ومن مكرهم وكيدهم .

إذاً ونحن نواجه أعداءنا في أي جبهة من جبهات الصراع معهم علينا أن نضع هذه الحقيقة القرآنية القاطعة نصب أعيننا ، وأن نعيها تمام الوعي فلا نغتر بتلبيساقم ، ولا ننخدع بزخرف أقوالهم ، ولا ننساق وراء مزاعمهم وتمويهاقم ، وأن نكون يقظين فطنين حذرين تجاه كل الجبهات التي نواجههم فيها ، سواء كانت جبهةً عسكريةً قتالية أم فكريةً منهجية أم إعلامية أم اقتصادية أم سلوكية أخلاقية ، فهؤلاء الكفرة مهما تظاهروا بالوداعة وتكلفوا في دعوى الحرص ، ورفعوا شعارات التسامح والتصافح فالحقيقة التي يخفونها والتي تأصلت في قلوبهم تأصلاً لا يفارقهم ، هي التي أشار الله سبحانه وتعالى بقوله: (لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ) .

فهم قاتلهم الله لا يدخرون جهدا لمحاولة إيصال الخبال –الذي هو الفساد– إلينا ولا يقصرون في حيلةٍ صغيرةٍ أو كبيرة يمكنهم من خلالها إيقاعنا في العنت والمشقة والضيق ، وقد سلكوا في سبيل الله ذلك كل مسلك ، واستخدموا كل وسيلة بأيديهم وألسنتهم وأقلامهم، وبكل ما أوتوا من وسائل وإمكانات ، ومع ذلك فما أخفوه في صدورهم من البغضاء والعداوة والحقد أكبر بكثيرٍ مما نراه أو نسمعه أو نلمسه .

وإن الغفلة عن هذه الحقيقة ونسيانها أو تناسيها ستكون له عواقب وخيمة ، ونتائج قاتلة يقع فيها كل الغافلين أو المغفلين بعدما يغريهم أعداء الدين بنعومة جلودهم وليونة ملمسهم ، ويشغلونهم به عن سمهم القاتل الذي دسوه ليجرعوه لهم في اللحظة المناسبة فيلقوهم صرعى في هوة الكفر السحيقة المظلمة فلا يجدون منها مخرجاً إلا أن يشاء الله وذلك جزاء الظالمين قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ) .

أمة الإسلام: دعاني للحديث في هذا الموضوع ما قذفته لنا أجهزة الأمن المصرية –سيدة المكر في هذا العصر– ، وهو ما أسمته (وثيقة ترشيد العمل الجهادي في مصر والعالم) ، والتي نسبتها للشيخ سيد إمام، وإن المرء وهو يقرأ هذا العنوان ومحتواه مستحضراً كونه أحد مواليد تلك الأجهزة ليتمثل له قول الشاعر :

وماذا بمصر من المضحكات *** ولكنه ضحك كل البكاء

فمنذ متى أصبحت أجهزة التنكيل والتقتيل وأساتذة التعذيب والترهيب وأوكار سب الرب والاستهزاء بآيات الله ومحاربة شرائعه منذ متى أصبحت حريصةً على هداية الناس للدين ، فضلاً عن إرشاد المجاهدين إلى الطريقة الصحيحة لإقامة وحفظ وضبط هذه الشعيرة الغائبة أعني شعيرة الجهاد ولكن كما قيل إذا لم تستح فاصنع ما شئت .

إن مجرد خروج هذه الوثيقة من دهاليز المكر والكيد يعرفك بحقيقتها ويوقفك على دوافعها ويجعلك تقف ألف مرة عند كل كلمة منها ، وبين كل سطرين فيها ومع كل إشارة تضمنتها ولا يغرنك بعدها الترويج لها باسم كاتبها ولا تشغل نفسك وتتعب ذهنك عن سبب تغّيره وانقلابه وتراجعه فما هذا بيت القصيد فالأمر أكبر

وأخطر من ذلك .

فخذ المحكم ودع عنك المتشابه ، فالمحكم في حق هؤلاء الأراذل هو خبث الطوية والاجتهاد في الإفساد والسعي لاستئصال شأفة الدين ، وإنفاق الأموال والأوقات لتعبيد الناس لطواغيتهم طوعاً أو كرهاً ، فسيرة ماضيهم وحاضرهم وأقوالهم وأفعالهم كلها شاهدة على إجرامهم ، فاضحة لمراوغاتهم فهم كفرةٌ فجرةٌ ظلمة فاسدون مفسدون .

وما جاء في وثيقتهم من شبهات وضلالات فهي أوهى من أن تقف أمام نصاعة الحق وتقاوم جلاء الهدى، وما حالهم إلا حال اليهود الذين قال الله في حقهم: (وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

وهذا هو ما يقوم به هؤلاء المجرمون وهو ما يريدونه أيضا فهم اليوم يتظاهرون بما يتظاهرون به من النصح والإشفاق والليونة والتوجيه ، استدراجاً منهم للمجاهدين لإيقاعهم في شرائكهم وشركهم ولتميل نحوهم القلوب وتطمئن نحوهم النفوس وتنغرس الثقة حتى إذا نالوا هذه البغية كشروا عن أنيابهم وصرحوا بكفرهم وكشفوا ما كان مستوراً منهم وانقضوا على الجهاد والمجاهدين وأنصارهم انقضاضاً مباشراً بعد تطويقهم ومحاصرتهم فالحذر الحذر واليقظة اليقظة.
فنحن نعلم جميعاً لو أن هذه الوثيقة تبنتها صراحةً أجهزة الأمن المصرية ووقع عليها أحد ضباطها وأئمة الكفر فيها ، وقدمت إلى المجاهدين على أنها نصيحةٌ من تلك الأجهزة إليهم حرصاً منها على إنجاح الجهاد وإحكام مسيرته وتنقية شوائبه ، لضحك عليهم القريب والبعيد واستهزأ بهم الصغير والكبير ولكانوا بذلك مسخرةَ الدنيا كلها ولنظر إليها كل مسلم على أنها مكيدة من المكائد .

فما الذي يغير طبيعتها ويقلب حقيقتها إذاً ؟ ألكونها خرجت أو أُخرجت باسم فلان أو فلان ؟ ولهذا فما وجدوا طريقاً لترويجها وتسويقها وإعطائها شيئا من المصداقية بين المجاهدين إلا بإخراجها بهذا الثوب المزوّر أعني ربطها باسم الشيخ سيد إمام عبد القادر بن عبد العزيز فرج الله عنه وعن أسرى المسلمين .

وما أجمل قول الشاعر في مثل حال هؤلاء :

وإذا الذئاب استنعجت لك مرةً *** فحذارِ منها أن تعود ذئابا
فالذئبُ أخبث ما يكون إذ اكتسى *** من جلد أولاد النعاجِ ثيابا

أمة الإسلام إخواني المجاهدين : إن العرق الفرعوني الذي نُشِّئت عليه هذه الأجهزة القمعية الإجرامية والذي يقوم على أساس: (سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ)، وعلى قاعدة: (لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ)، وعلى سياسة: (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي)، هذا

العرق الفرعوني هو الذي هداهم إلى السبيل الشيطانية التي سبقهم إليها سلفهم اللعين بقوله: (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ).

ولأن الشياطين هم من أوحى إلى فرعون ويوحي إلى فراعنة العصر فقد توافقت عناوينهم كما تشابهت أعمالهم وتوافق إجرامهم ، فهذا فرعون الطاغية الذي تجرأ على الله أعظم جرأة ونكل بعباده أفظع تنكيل وأفسد في الأرض غاية الإفساد والذي صار مضرب الأمثال في العتو والطغيان والتجبر والاستعلاء يصف دعوته للضلال المفضوح والكفر المركب بقوله {وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ} وأجهزة الأمن المصرية التي لفظت لنا هذه الوثيقة وثيقة التضليل والتخذيل والرضى بالواقع والاستسلام للظلم والظالمين تسميها بوثيقة ترشيد العمل الجهادي!

فذلك اللعين يسمي دعوته رشاداً ، وهؤلاء المجرمون يسمونها ترشيداً {كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} فسبحان الله {أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} إن فرعون الطاغية الذي عوّد شعبه بسياسات الاستعلاء والتكبر والتحقير والتعبيد ، ما تنزل عن ترفعه وهبط من علوه وخاطب قومه وملأه بهذا الخطاب الرفيق الرقيق زعماً منه للحرص عليهم والاعتناء بهدايتهم وللاجتهاد في إرشادهم إلا بعد أن أفحمته حجة نبي الله موسى عليه السلام، وزلزلت ثقة قومه به وخشي من تفلت الأمر من يديه، وخاصة من تسرب الإيمان لقلبوهم مما رأوه من الآيات البينات والمعجزات الباهرات التي أُوتيها نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام فلجأ إلى سبيل التحايل والمكر والمخادعة فلبس ثوب الهادي إلى الرشاد والناصح الشفوق والداعي إلى سبيل الهدى.

وإن قصة وثيقة الترشيد التي ولدت مسخاً في محاضن أجهزة الأمن المصرية لتعيد لنا هذا المشهد بحيثياته ومضامينه لنعلم أن معركة الحق مع الباطل واحدة ، وأن تنوع أساليبها واختلاف أدواتها وتطور آلاتها لا يعني بحال تغير حقيقتها أو اندثراها .

ولهذا فإننا نقول بكل فخرٍ واعتزاز وثقة أن من أعظم مكاسب الاستمساك بطريق الجهاد والثبات عليه هو إرغام هذه الأجهزة المستكبرة المتجبرة المستعلية لأن تخضع وهي كارهةٌ راغمة لتخاطب أهل الجهاد بهذا المنطق الجديد عليها ، منطق الدليل والحجة والمجادلة ولو كذباً وادعاءً وتضليلاً بعد ما كانت لا تعاملهم ولا تخاطبهم إلا بلغة واحدة ، هي لغة سلخ الجلود وتكسير العظام وانتهاك الأعراض والحرق بالنيران والإقبار في الزنازين والتسلط على نسائهم وأبنائهم وأُسَرهم وأقاربهم .

فها هي اليوم وبفضل الله أولاً ثم بما فتح الله به على المجاهدين من الثبات على المنهج الحق والاستمرار في الضربات المتتالية التي أهوت بأسيادهم وأذلت كبراءهم وأخضعت أربابهم ، هاهي اليوم تكتشف أن لغة السياط لا تجدي ، وأن دفن الأحياء في الزنازين لا يوقف المعركة وأن المحاكم العسكرية والمحاكمات الصورية لا تزيد الجهاد والمجاهدين إلا رسوخاً وشموخاً ، وعدلت ولو تحايلاً مؤقتاً إلا المسلك الفرعوني {وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا

سَبِيلَ الرَّشَادِ}.

فأي ترشيدٍ أو رشادٍ هذا الذي تدعو إليه وثيقة الخذلان!
أهو الترشيد الذي يقول للمجاهدين وللمسلمين كفوا أيديكم ودعونا نسفك من الدماء ونمزق من الأشلاء ما شئنا ؟!
أو هو الترشيد الذي يقول لهم تذللوا ولينوا واخفضوا أجنحتكم وذرونا ننهب من ثرواتكم ما طاب لنا!
أو هو الترشيد الذي يقول لهم انشغلوا بأنفسكم وانكبوا على همومكم واتركونا نعيث في الأرض فساداً ؟
أو هو الترشيد الذي يقول تشبثوا بدنياكم واركضوا وراء لقمة عيشكم وانصرفوا لطلب رزقكم ودعونا نسوسكم بأهوائنا ونصليكم بجحيم أحكامنا .
أو هو الترشيد الذي يقول مالكم وللنصارى المحتلين واليهود السفاحين والمرتدين المتسلطين فإن احتلوا أرضكم فاستسلموا وإن استعلوا عليكم فاخضعوا وإن سبوا نساءكم فتصبروا ، وإن سلبوا أموالكم فلا تستنكروا!!

ثم أي حرصٍ هذا الذي تفجرت ينابيعه في قلوب الطغاة العتاة القساة حتى قام أهلها على تهيئة المناخ المناسب وإنفاق الأموال الطائلة ، وتسخير وسائل الإعلام المتعددة وإجراء اللقاءات المتتالية ليوصلوا كلمات النصح وعبارات التوجيه ومعاني الإشفاق إلى المجاهدين!

وما الذي أيقظ هؤلاء الجلادين بعد سلسلة فظائعهم ومسيرة إجرامهم التي لا يمكن أن تنسى أو تمحى من ذاكرة التاريخ ليبينوا لنا نحن المجاهدين ما هي الأحكام الشرعية التي علينا أن نراعيها ونضبط بها ونسير وفقها في جهادنا ضد أعدائنا!

فهل بلغت بنا البلاهة والحمق والسفه أن نصدق أن الحكومة المصرية وأجهزة أمنها قد انقلبت بين عشية وضحاها لتصبح جامعة الأزهر حينما كان زاهرا ، فنتلقف ما تلقيه إلينا ونحن مطمئنون كل الاطمئنان أن من أفتانا من داخلها أو نصحنا أو رشّدنا هم من العلماء المتجردين المشفقين فنأخذ ما قالوا على أنه عسل مصفى أو لبن سائغ ؟!
إنما يزعمه المروجون لوثيقة الخذلان هو أن ما دُوّن فيها قد سجله من نسبت إليه بكامل اختياره وتمام إرادته بعيداً عن الضغط والإكراه والإلجام .

وهنا من حقنا نحن كعقلاء أن نسأل سؤالاً بريئا وهو: إذا كانت تلك الوثيقة تعبِّر عن قناعة صاحبها المنسوبة إليه ، فلماذا تحتفظ به أجهزة الأمن وراء القضبان ولم تدخره في زنازينها وبإمكانه أن يقدم لها خدمةً هي أضعاف أضعاف ما ترجوه وتريده منه ، فلترسله إلى ساحات الجهاد ومواطن الرباط ليناقش هؤلاء المجاهدين مشافهةً ويبين لهم أخطاءهم ويحذرهم من شر مزالقهم التي زعموها ، فلتبادر أجهزة الأمن المصرية إلى هذه الخطوة لتكمل مسيرة نصحها وترشيدها للجهاد والمجاهدين فيحصل لها ما تريد! ألا ساء ما يحكمون .

وكما هو من المعلوم أن هؤلاء الذين نُسبت إليهم وثيقة الترشيد سواء صحت النسبة أو كذبت هم أعرف الناس بحقيقة هذه الأجهزة ، وأكثرهم اطلاعاً على كيفية تعاملها مع من يُشتم منه رائحة المخالفة للنظام المصري الفرعوني سواء كان من الإسلاميين أو من غيرهم فضلاً عن أن يكون من المجاهدين .

وقد كان هؤلاء أيضاً رؤوساً في الجامعات الجهادية ، وكتبهم وتأصيلاتهم وفتاواهم وأبحاثهم لا تزال شاهدة على موقفهم منها ومبينة لحكمهم عليها ومن كان بهذه المترلة فلا أحد يجهل كيفية تعامل أجهزة الاستخبارات المصرية وغيرها معه وأن صنوف العذاب وأنواع النكال التي توصل إليها أبالسة الزمان كلها من نصيبه وفي انتظاره ، فما الذي جعل هذه الأجهزة الحاقدة تعدل عن كل ذلك وتستبدل به سياسة الانفتاح والتسهيل وتوفير سبل الترشيد؟!

أليس هو يقين هذه الأجهزة أن هذه السياسة لم تعد تثمر مع هذا السيل المتدفق من المجاهدين شرقاً وغرباً ، وهذه الصحوة العارمة من شباب الإسلام الذين لم يعودوا يعبؤون بسجونهم ولا يكترثون بسياطهم ولا يلتفتون إلى مؤتمراتهم ومؤامراتهم؟

إذاً وحتى نكمل مسيرة الإرغام لهؤلاء المستكبرين المستعليين ونصل إلى نقطة النهاية التي هي "ويكون الدين كله لله" ، فعلينا شرعاً وعقلاً وواقعاً أن نثبُت على طريق الجهاد ونستمسك به استمساكنا بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، وأن نستمر في منازلتهم ومصاولتهم بكل ما نملك متحملين أعباء المعركة ، ومحتسبين أجر جراحاتها وعنائها وبلائها عند الله ، وأن نضاعف من جهود التحريض لأمة الإسلام ، وتهوين وتحقير شأن أعدائها في أعينها ، وأن نبعث آمال النصر وبشائر الفتح والتمكين في قلوبها .

أما قطع المسيرة من وسطها ، والتراجع إلى عصر الاستسلام للواقع والخضوع لأعداء الأمة كما تدعو إليه هذه الوثيقة المخذولة بدعوى الاستضعاف وقلة النصير وفداحة الضريبة التي تدفعها الأمة فكل هذا ما هو إلا إعطاء نفس لهؤلاء المتسلطين ليعيدوا الاعتبار لعروشهم بعد ما تخلخلت ولدولهم وأجهزتهم التي تضعضعت وتصدعت بفضل الله ثم بضربات المجاهدين .

وكم يتمنى هؤلاء المجرمون وقد ذاقوا ما ذقنا من الجروح والقروح والآلام كم يتمنون التفاتة إنصات من مواكب الجهاد أو قليلاً من الركون أو المداهنة من قادتهم كما قال الله تعالى: { وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} وقال سبحانه وتعالى: {وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً} .

ولهذا فإن تضررهم وثورانهم من ازدراء المجاهدين لهم ولدولهم وأحكامهم وإصرارهم على عدم قبول أي نقطة التقاءٍ بهم لا يقل عن تضررهم وتضجرهم من الضربات العسكرية التي تهزمهم وتقتلع جذور حضاراتهم الزائغة

الزائفة.

فما يجب أن يعلمه هؤلاء الذين يمكرون الليل والنهار وينفثون مكائدهم بالجهر والإسرار أن الجهاد اليوم قد صار جهاد أمة ، وأن روح العزة والإباء والإصرار قد جرت في شرايينها جريان الدم وأن أيام الخداع قد ولت وصفحات الإذلال قد محيت وسياسات التعبيد قد لفظت ، وأن المجاهدين عرفوا طريقهم بعد أن أشعلوا الأرض ناراً تحت أقدام أسيادكم ، فلن يلتفتوا إلى الوراء ولن يعبؤوا بالصخب والهراء، فامكروا بما شئتم وكيدوا كما أردتم فالله مولانا ولا مولى لكم {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}.

ولكن مع ذلك فنحن نتساءل: ترى ما هي دوافع هذه الوثيقة وإلى أي شيء يرمي مدبرو إخراجها في هذا الوقت والظرف ؟

ابتداءً أقول مختصراً: إن معركة الإسلام المعاصرة مع قوى الشر من الصليبيين و أذنابهم في آونتها الأخيرة قد سارت على ثلاثة اتجاهات متوازية ، كلٌ منها يحتاج إلى كلمة مفصلة خاصة بها :

- فالاتجاه الأول: هو تشديد الحملة العسكرية على المجاهدين في ساحات المعارك والاعتماد على الخونة والعملاء في ذلك ، كما هو حاصل في العراق من خلال مشروع ما يسمى بالصحوات الذي دخلت فيه جموع ممن باعوا دينهم بدينا غيرهم .

ومواجهة هذا الاتجاه تكون بثبات المجاهدين ومصابرهم لأعدائهم في ساحات المعارك ، واستئصال تلك الأورام السرطانية الوطنية التي وقفت جنباً إلى جنب في مناصرها للغزاة المحتلين فليس لهؤلاء اللئام إلا خض شوكهم واقتلاع جذورهم ، تماماً كما نعامل أسيادهم الذين بهم يحتمون وعليهم يعتمدون ولمخططاهم ينفذون ، وحينما يرجعون عن غيهم ويقلعون عن خطيئتهم وتُفكك قواهم ويفكوا أيديهم حقاً وصدقاً عندها وعندها فقط يقال لهم " اذهبوا فأنتم الطلقاء " ، ويقال لهم: {لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} فالعفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم .

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته *** وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلى *** مضرٌ كموضع السيف في موضع الندى

- الاتجاه الثاني: هو محاصرة ساحات الجهاد بالفتاوى الزائغة التي تجرم وتحرم النفير إليها ، و تزهد شباب الأمة فيها وتثير الشبهات حولها ، وتعيد الأمر كله لولاة الأمر وهم من هم في الخيانة والعمالة و النذالة ومحاربة الإسلام .

كالفتوى التي أصدرها مفتي آل سعود ، وأتى فيها من العجائب والجهالات ما لم تسمع بمثله الأوائل حتى زعم أن الرايات في تلك الساحات التي حرم النفير إليها ملتبسة ولا أدري لعل راية شوارسكوف الذي قاد جيوش

فتح الكويت كانت هي التي لا لبس فيها لأن حاملها والداعي إليها قاتلوا لتكون كلمة هي العليا!!
فمثل هذه الفتاوى ما جاءت عابرة ، وإن غرر بقائليها أحياناً وإنما كانت ضمن الحملة التي تريد استئصال المجاهدين في الداخل ومحاصرتهم من الخارج ، وقطع مددهم من الرجال والأموال. ومواجهة مثل هذا الاتجاه إنما يكون بتفنيد الشبهات التي يثيرها أصحاب الفتاوى الزائغة ومواجهتها بالحق الصراح المحكم الذي لايستطيعون تأويله ولا دفعه ولا التلاعب فيه وهي مهمة أهل العلم الذين ألقى الله عليهم أمانة تبليغه ليكونوا ورثة نبينا صلى الله عليه وسلم حقاً لا ادعاءً {وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَه} .

– أما الاتجاه الثالث: فهو خلخلة عبادة الجهاد وزعزعتها والتشكيك فيها وبث الشبهات حول أصولها وقواعدها التي يقوم عليها ، كتعيّن الجهاد على المسلمين اليوم ووجوب طرد المحتلين والخروج على الحكام المتردين ، ودفن معاني الولاء والبراء ليستبدل بها الروابط الوطنية والقومية والعصبيات الجاهلية .

وإحدى وسائل تنفيذ هذه المهمة هو ما تفتقت عنه عقول المكر في أوكار أجهزة الأمن المصرية بوثيقة ترشيدها فعليه فإنني أنبه إخواني المجاهدين خصوصاً ، وإلى المسلمين عموماً إلى أهم الأحداث التي تريد هذه الوثيقة أن تصل إليها بطرق ملتوية وزمزمات خفية قد لا يدركها كثيرٌ ممن يقرؤها، ومع ذلك فالرد التفصيلي على شبهاتها سيأتي مدوناً مفصلاً بإذن الله وعونه .

– فأول تلك الأهداف: هو إشغال المجاهدين بين الحين والحين بإثارة قضايا تبلبل صفوفهم وفتح جبهةٍ جديدة عليهم ، واستدراجهم إلى الصراعات الفكرية المجردة والانغماس في معركة الردود بدلاً من المعارك القتالية في ساحات الوغى ، والتي أنهكت العدو عسكرياً واقتصادياً وكشفت إفلاسه فكرياً ومنهجياً وفضحت جرائمه على رؤوس الأشهاد وعرت حضارته التي يتبجح بها ويدعو إليها.
فليحذر المجاهدون من الانزلاق إلى هذا المهوى و الانسياق وراء ما يسوق له أعداء الإسلام من أن المعركة بيننا وبينهم إنما هي فقط معركة فكرية ، فتأخذ هذه الفكرة بألبابنا ونغفل عن أسلحتنا وهم في أوج تيقظهم وتدبيرهم كما قال سبحانه: {وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً} .
ووجود الصراع العقدي أو الفكري كما يسمونه وإن كان قائما بيننا وبين أعدائنا ولكن وفق مفهومنا نحن المسلمين لا بمفهومهم وتصورهم هم إلا أنه لا ينبغي أن يكون بديلاً عن قتال من تنكر عن شريعة الله وحارب أولياءه ووالى أعداءه .

– الهدف الثاني من وراء هذه الوثيقة هو تصوير المجاهدين كأنهم عصابة من النهاب والسرّاق وأصحاب السطو وأتباع الأهواء المنسلخين من كل قيمة أو خلق أو انضباط أو دين أو أنهم شرذمة من الجهلة الأغرار الذين لا يقودهم علم ولا يضبطهم فهم ولا يقيدهم عقل ، وهو معنىً مكرر ومؤكدٌ في وثيقة الخذلان ، ولهذا فقد قدم صاحب الوثيقة هذه المعاني الدنية في ثوب النصح والتوجيه والإرشاد والشفقة وكأن تلك الأوصاف الرذيلة

التي زعمها هي من الأمور المسلمة في حقهم والتي لا يحتاج إلى إثباتها ولا مجال للاعتراض عليها وإنما علينا فقط الانشغال في علاجها .

وهذا المعنى التشويهي للمجاهدين وأعمالهم البطولية تتولى كبره أيضا وسائل الإعلام بمختلف أنواعها ، وتحاول جهدها تأكيد هذا المعنى وتقريره بكل وسيلة وتحت أدنى مناسبة بالكذب و البهتان والإفك حتى يعزل المجاهدون عن أمة الإسلام ، بعدما صوروا لها على أنهم عصابة من المجرمين المارقين الذين لا يحملون قضية ولا هم لهم إلا سفك الدماء ونهب الأموال وتشريد الآمنين: {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا} .
وقد حذرنا الله سبحانه من هذا الصنف من المخذولين المرجفين فقال: {لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} .

– أما ثالث أهداف وثيقة الخذلان وهو نقيض ما أشرت إليه آنفا حيث يريد أصحاب هذه الوثيقة تحسين صورة الغرب الكافر في أعين الناس ، وعلى رأسهم أمريكا وتلميع صورتهم أمامهم وإظهارهم على أنهم هم أصحاب العدل والوداعة والرقة والإنصاف وإيواء المظلوم ، ومن ثم فعلينا أن نجعلهم أسوةً لنا في التعامل معهم مثلاً بمثل فهم قدوتنا في محاسن الأخلاق ونحن تبع لهم في ذلك ، وهذا لتعزيز معنى التبعية وإعادة الافتتان بحضارتهم وتخفي وثيقة الخذلان الجرائم اليومية التي يرتكبها هؤلاء الجزارون وتغض الطرف عن تلك الفظائع التي لا تكاد البشرية مرت على مثلها من القتل الجماعي وإبادة الشعوب والإذلال المتواصل والسرقة المقننة وغيرها فهي وثيقة تعطي صورةً بشعة للمجاهدين وصورةً لطيفة منمقة لهؤلاء الكفرة المردة .

– أما رابع أهداف وثيقة الخذلان فهو تخدير الأمة الإسلامية ، وغرس روح القبول بالواقع وتأصيل معنى الاستسلام في قلوبها ، والتأكيد على أنها حالة متجذرةٌ عميقةٌ متشعبة لا وسيلة لعلاجها ، ولا حيلة معها ، ومن العبث التفكير في تغيير هذا الواقع واقتلاعه ، فالواجب هو الاعتراف به والتعامل معه على أنه حقيقةٌ قائمةٌ لا مجال لإنكارها أو التنكر لها ، ولا فائدة من وراء أي سعي لإقامة غيرها وهذه الفكرة بمجملها خطوةٌ أولى نحو الدعوى للتعايش السلمي العالمي وترسيخ مفهوم المواطنة بدلاً من مفهوم الولاء والبراء ، وما هذا كله إلا التخذيل والإرجاف والتثبيط الذي يجب أن يواجه بكل قوة وأن يرد عليه بكل صرامة ، وأن نرفض أن نرجع خطوة للوراء نحو الاستعباد والانكسار والمهانة بعد أن مشينا خطواتٍ وقطعنا مسافات نحو التمكين لهذا الدين القويم .

وهناك أهدافٌ أخرى كبيرة وخطيرة حوتها وثيقة الخذلان ، لا يسع المقام لذكرها وستأتي بإذن الله تعالى في الرد المفصل على الشبهات التي أثيرت في سطورها .

فيا معشر المجاهدين الصابرين المرابطين في أفغانستان والعراق والجزائر والصومال وفلسطين والشيشان وفي مصر وفي كل بقعة من بقاع عالمنا الإسلامي: انبذوا عنكم دعاوى الوهن والاستكانة والخوَر ، وخذوا بوصية نبيكم

صلى الله عليه وسلم ، واعلموا أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا .

وليس الخبر كالمعاينة فمن ذاق طعم الجهاد ووجد عزته واستشعر قيمته وعاين آثاره لا يمكن أن تؤثر فيه أو تزعزعه شبهات طائشة أو تلبيسات ركيكة مهما زينت ونمقت .

واعلموا إخوة الجهاد أن خروج مثل هذه الوثائق من سجون الإجرام والخسة ونسبتها إلى أناس كانوا أعلاماً في ساحات الجهاد ، لهو مما يؤكد فرضية الجهاد ويثقل الأمانة عليكم حيث اضطر هؤلاء الأسرى تحت وطأة الإجرام المقنن والإذلال المتواصل لأن يدونوا لمثل هذه الأقاويل والأضاليل .

فاستشعروا أمانة فكاكهم بكل ما تستطيعون وابذلوا جهدكم لرفع الظلم والقهر والأسر عنهم بدلا عن الانشغال بالطعن فيهم والحط من قدرهم ، واثبتوا على طريق الجهاد تزدادون عزةً ورفعة ، ويزداد عدوكم انحساراً وانكساراً .

وقولوا لأجهزة الخداع والمراوغة " لست بالخب ولا الخب يخدعني " فلا دواء لكم إلا السيف.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نــــورٌ ونـــــــار

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾



الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومستدرج الكافرين بمكره، الــذي قدر الأيام دولاً بعدله، والصلاة والسلام على من أعلى الله منار الإسلام بسيفه.

وبعد...

أمة الإسلام:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فاليوم قتل أسد من أسود الإسلام، واستشهد بطل من أبطال التوحيد، فمضى بذلك أحد مــسعري الحــروب، فالق هامات الروم، الصارم المسلول على أعداء الدين القائد المجاهد أبو مصعب الزرقــاوي رحمــه الله تعــالى، فطويت بذلك صفحة مشرقة من صفحات التاريخ المعاصر، والتي سجلت أسطرها بمداد الدم وخطت كلماتهــا بنور العزم ودبجت أحرفها بلآلئ الإيمان.

نعم! قتل الشيخ أبو مصعب الزرقاوي، قتل كما يقتل الرجال في ساحات الوغى، ومضى كما يمضي البواســل بين قراع الصوارم، فودع الدنيا مهاجراً مجاهداً ثابتاً مستيقناً، لم تمله عواصف المحن أو تكسره صوارف الــزمن،

فلطالما خاض المعامع غير هياب، وتقحم المخاطر دون تردد أو ارتياب، فكم طارد الموت في كل موطن، وقــرع أبوابه في كل محفل، فلم يزل يطلبه ويسعى له حتى نال شرف الممات كما اكتسى قبله ثياب العزة والشهامة في الحياة...

يُلقي على الساحات من دمه دما *** ليقول يا دنيا أطلي واشهدي

فهنا ميادين الجهاد نمدها *** دفقا بأمواج الدم المتجدد

وهنا رباط المؤمنين وساحة *** لجهادهم أو آية للمهتدي

وإنه لخليق – وحق له أن يكون كذلك – لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من خير معاش الناس لهــم رجــل آخذ بعِنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانة).

وكأني به وهو يجوب ساحات الجهاد، ويخوض غمرات الجلاد، ويترقب في لهف يــوم الاستــشهاد يــصرخ في الآفاق بقوله وفعله؛

سأحمل روحي على راحتي *** وألقي بها في مهاوي الردى

فإما حياة تسر الصديق *** وإما ممات يغيظ العدا

نعم! قتل الشيخ أبو مصعب الزرقاوي ليثبت بالبرهان القاطع أن الكلمات النيرات التي كــان يبعثهــا لأمتــه ويقتطعها صدقاً وإخلاصاً من صميم قلبه لم تكن مجرد دعاوى فارغة أو عبارات مزخرفة أو خطب رنانة، وإنمــا كانت منهجاً وعقيدة ومبدءً تسفك من أجله الدماء وتتطاير لإحيائه الأشلاء وتوهب لإعلائه الحياة، فلم يكتف بأن يكون دليل صدقه جهده وعرقه سهره حتى جعل مسك ختامه روحه ودمه، ليقول للعالم كله؛ إن عقيــدتي وديني ومنهجي أغلى وأعلى من كل شيء حتى ولو كانت نفسي التي بين جنبي، والبينة ما رأيتم وعاينتم لا مــا سمعتم وخُبرتم.

نعم! قتل الشيخ أبو مصعب الزرقاوي، ولكن هل يفقه أعداؤه الذين صفقوا لموته أنهم قد قدموا له أعظم أمنيــة وأشرف هدية وأسمى غاية كان يطلبها؛ إنها الشهادة في سبيل الله، وهل بعد الشهادة مطلــب، {وَلاَ تَحْــسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَــضْلِهِ وَيَسْتَبْــشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}.

ولما رأوا بعض الحياة مذلة *** عليهم وعز الموت غير محرم

أبوا أن يذوقوا العيش والذم واقع *** عليه وماتوا ميتة لم تذمم

ولا عجب للأسد إن ظفرت بها *** كلاب الأعادي من فصيح وأعجم

فحربة وحشي سقت حمزة الردى *** وحتف علي في حسام ابن ملجم

نعم! قتل الشيخ أبو مصعب الزرقاوي، ولكن كلماته لم تمت، وفكره لم ينبتر، كيف؟ وحب الجهاد والاستشهاد والتضحية الذي زرعه في قلوب الشباب لم يزل ينمو ويزهو ويخضر ويثمر، حتى صار الاستشهاديون شباباً وشيوخاً رجالاً ونساءً صفوفاً تترى وشعارهم:

سأثأر لكن لرب ودين *** وأمضي على سنتي في يقين

فإما إلى النصر فوق الأنام *** وإما إلى الله في الخالدين

ومن هنا فإني أقول؛ لقد أحسنت العزاء لأمة الإسلام يا وغد العراق – نوري المالكي – حينما قدمت الخبر، بقولك: (إلى كل الزرقاويين)، فها أنت قد علمت أن وراء الزرقاوي؛ زرقاويين لم يموتوا، فكرهم فكره، وعقيدهم عقيدته، وطريقهم طريقه، لن يغيروا ولن يبدلوا، سبيلهم الجهاد، وزادهم الصبر، ودافعهم الشوق للجنات،

لئن غاب عنا أبو مصعب *** فإن جيوش الهدى لم تغب

ستمضي بعزم على نهجه *** تشق ظلام العدا كالشهب

فليعلم عبدة الصليب، وسلائل الخيانة، ورُضع النذالة، وعملاء اليهود الذين تبجحوا بمشاركتهم في مقتل الشيخ؛ أن انتفاشتهم لن تطول، وأن نقمات المجاهدين ستتوالى عليهم صواعقَ يتبع بعضها بعضاً، وأن الثأر لكل قطرة زكية من دم القائد المجاهد سيكون باهظاً وثقيلاً وعاجلاً، وأن هذه المفاخرة التي قرت بها أعين أسيادكم الكفرة ستكون لعنات مُرة تعضون عليها أصابع الندم فانتظروا إنا منتظرون.

فيا أمة الإسلام...

ها هو أحد أبنائك البررة الأوفياء، الذين صدقوا في الانتماء إليك والغيرة عليك والحرص على عزتك وعلو شأنك، قد قدم حياته ثمناً لرفعة دينك وتمكين شريعتك وتخليصك من ذل العبودية والتبعية للعبيد، فلتكوني وفية له بالمضي على طريقه، والاستمرار في دعم أصحابه وأنصاره بالنفس والمال والدعاء.

ولتعلمي أن الشيخ أبا مصعب رحمه الله؛ ما قتل طالباً عرضاً من الدنيا، ولا حرصاً على متاعها، ولا تكالباً على زهراتها، فنفسه وهمته أسمى من أن تهبط إلى هذا الحضيض الوضيع، وهو الذي تنفس نسائم العز في ساحات الوغى، وعرف بحق عزة المؤمن بدينه وعقيدته فلم يبغ بها بدلاً، فسلك هذا السبيل صابراً مجتهداً يذلل الصعاب ويكسر القيود حتى بوأه الله تلك المنزلة السامية.

ما زال يسعى إلى أن قال حاسده *** له طريق إلى العلياء مختصر

أما أنتم أيها المجاهدون الصادقون الصابرون...

فأحسن الله عزاءكم، ولتعلموا إخوتي الأحبة: أن هذا الدين؛ دين الله، وقد تكفل بحفظه وتولى أمر بقائه، وما استشهاد الشيخ المجاهد إلا حلقة من حلقات الابتلاء التي يختبر الله بها عباده المؤمنين، ليظهر توكلهم عليه، وثقتهم به، وثباتهم على دينه، {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ}.

فالله الله في جهادكم، والله الله في ثباتكم، والله الله في دماء إخوانكم.

ولتعلموا إخوتي الأحبة أن أعظم وفاء لهم – بل لا وفاء إلا به – هو الثبات على طريقهم والاستمساك بمنهجهم الذي قتلوا فيه وضحوا من أجله، وإياكم وبنيات الطريق، فلقد تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نزال لا تنازل

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

ثم أما بعد:

فقد قال الله عز وجل: (وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ).

فأتقدم بالعزاء لنفسي ولإخواني المجاهدين وللأمة الإسلامية جميعاً في فقد بطلٍ من أبطال الإسلام و ترجل فارسٍ من فرسان الجهاد .. إنه (فاروق العراقي) الذي عرفته ساحات الجهاد وهو يصول ويجول ويتنقل بينهـا يبتغي نصرة دين الله عز وجل ويسعى لإعزاز كلمته ويكد ويجد لنصرة المستضعفين المضطهدين من أبنـاء المسلمين شرقاً وغرباً، فقد عرفته البوسنة والهرسك عندما اجتاحها الجيش الصربي المُلحِد فهبّ مع إخوانه المجاهدين هناك فقاتل ونازل وصبر حتى انقضى الأمر وانتهى إلى ما انتهى إليه فلم يرض لنفسه أن يرجع إلى الدنيا يتقلب في ملذاتها بل بحث عن ساحات للجهاد أخرى لأن نفسه قد تشرّبت حب هذه العِبادة وكذلك هو الجهـاد فمـن

ذاق طعم الجهاد لا يمكن أن يتركه ما دام مخلصاً لله عز وجل، ما دام عارفاً لقدر هذه العبادة ولمكانتها وما دام عارفاً عالماً بفضل المجاهدين والمترلة التي بوأهم الله سبحانه وتعالى إياها، فانتقل إلى الفلبين إلى تلك الأدغال والغابات فقضى فيها أشهراً مع إخوانه المجاهدين في فقرهم وضعفهم وتنقلاتهم ثم بعد ذلك انتقل إلى إندونيسيا ولم يذهب سائحاً يبحث عن ملذات الدنيا وإنما ذهب مناصراً للمسلمين المُشردين المضطهدين الذين كانت تمزقهم سكاكين الحقد النصراني في جزر الملوك، فقام بتدريب إخوانه هناك على شتى أنواع الأسلحة التي اكتسب خبرتها من ساحات الجهاد حتى وقع أسيراً في أيدي النصارى في هذه الحملة الصليبية العاتية التي أكلت الأخضر واليابس فقضى في سجونهم ثلاث سنوات ثم بعد ذلك منّ الله سبحانه وتعالى عليه بكرامة النجاة من سجن باجرام إلا أنه لم يرض أن يرجع إلى الدنيا ولم تمل نفسه إلى ملذاتها وزهرتها بل بحث عن ساحات الجهاد، هذه العبادة التي أحبها وعشقها فانتقل إلى العراق وهناك كتب الله له سبحانه وتعالى ما كان يرجو وكتب له الله عز وجل ما يتمناه كل مسلم مجاهد إنها الشهادة في سبيل الله.

فاروق العراقي .. ذلك الرجل الذي كان نحيفاً في جسمه، ضعيفاً في قوته إلا أنه كان ثقيلاً في إيمانه قوياً في عزيمته صارماً في همته، ولهذا فلم يستطع أعداء الله عز وجل أن يتجرؤوا على الاقتراب من البيت الذي يسكن فيه إلى بجيشٍ كامل قد تدرب على أحدث أنواع الأسلحة ذلك الجيش النصراني البريطاني، وأبى هذا الرجل المجاهد أن يستسلم بعد أن ذاق مرارة الأسر والقهر ثلاث سنوات فقاتل حتى قُتِل، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرفع درجته وأن يُسكنه الفردوس الأعلى.

ومن هنا فإنني أقول لإخواني المجاهدين: إنّ مقتل أمثال هؤلاء الأبطال وإن كان يؤثّر على نفوسنا وإن كان يُدخِل الحزن في قلوبنا فهم أحبتنا وإخواننا ورفاق دربنا إلا أنه لا يفت في عضدنا ولا يمكن أن يكون سبباً في التراجع أو ترك ساحات الجهاد، فإن هذه العبادة والله لا تحيا إلا بدماء أمثال هؤلاء الذين قدموا نفوسهم ودماءهم ومُهجهم وأعمارهم كلها فِداء لدين الله عز وجل، ففاروق العراقي قد سبقه أبطالٌ وأبطال في تاريخ الإسلام قُتِلوا على أيدي الكفرة والمجرمين إلا أن شعلة الإسلام لم تنطفئ وجذوة الجهاد لم تخبت وإنما استمرت وازدادت وقويت وترعرعت شجرتها بدمائهم ونجيعهم.

فنقول لإخواننا المجاهدين إياكم واليأس إياكم والقنوط، اثبتوا ورابطوا واعلموا أن الله عز وجل معكم وأن الله مع الصابرين ومع المؤمنين ومع المحسنين، واعلموا أيها الإخوة المجاهدون أن بشائِر النصر قد بدأت تظهر شرقاً وغرباً في أفغانستان وفي العراق وهناك في ذرى الشيشان وفي فلسطين، واعلموا أن هذا العدو الكافر الذي ملأ الأرض بفساده وطغيانه وكِبره قد بدأت شوكته تنكسر وقوته تذهب وريحه تتبدد، فانظروا ما يلاقونه في أفغانستان ووالله إن ما تسمعونه وما يُخرجونه بين الحين والحين لا يساوي عشر معشار ما يلاقونه في الحقيقة فهم في خوفٍ ورعبٍ وتشتت وتشرد لا يجدون لأنفسهم إلا ملاجئهم التي أعدوها لا للقتال والنزال وإنما للحفاظ على أنفسهم في ثكناتهم العسكرية.

فهاهي حركة طالبان بقيادة أمير المؤمنين الملا محمد عمر حفظه الله الذي يقود المعارك بنفسه –إني أقول والله إنه ليقود المعارك بنفسه– هاهي حركة طالبان قد بدأت ترجع إلى الساحة بقوة يعترف بذلك أعداؤها قبل أصحابها، فيا أيها الإخوة المجاهدون في أفغانستان اصبروا وقووا عزائمكم وشدوا على أعدائكم واعلموا أن الله سبحانه وتعالى معكم وأن النصر قاب قوسين أو أدنى ثم ترجع إليكم دولتكم خيراً وأقوى وأوسع مما كانت.

وأنتم يا إخواني المجاهدين في العراق:

عليكم بالصبر والمصابرة وعليكم بوحدة الكلمة فاعلموا أن سنن الله عز وجل لا تُحابي أحداً، واعلموا أن النصر مع الاتفاق والوحدة ومع التآلف والإخاء واعلموا أن الهزيمة والانكسار مع التنازع والاختلاف والتفرق كما قال الله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ * وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) فاجمعوا كلمتكم ووحدوا صفوفكم وقووا عزائمكم وشدوا على أعدائكم.

يا إخواني المجاهدين في العراق:

إنكم كنتم سبباً في إحياء هذه الأمة بعد رقادها وفي إيقاظها بعد سُباتها، فيا أيها الإخوة إياكم أن تضيعوا ثمرة هذا الجهاد الذي قدم فيه المسلمون كل ما يملكون من تضحيات بدمائهم وأموالهم وعرقهم وجُهدهم ودعائهم، فإن جهاد العراق وكل جهاد هو أمانة في أعناق القائمين عليه سيسألون عنه بين يدي الله عز وجل وأنتم أهلٌ كما نظن ونحسب لأن تكونوا قادة لهذه الأمة ولأن تتنازلوا عن سفاسف الأمور ورذائلها فالله سبحانه وتعالى قد أعلاكم إلى قمة العبادة وهي الجهاد في سبيل الله فما كان لكم أن تتنازلوا إلى حضيض دعاوى النفوس وأهوائها.

يا أيها الإخوة يا أيها المجاهدون:

إن الله سبحانه وتعالى يُظهر لكم كرامات نصره فبعد الضيق سعة وبعد العسر يسر وبعد الشدة رخاء فهاهو عدوكم الأول الذي ملأ الأرض بتبجحه وبطره وكبره يقر بكل ذلة بأن دخوله إلى العراق كان قراراً خاطئاً ونحن نقول له كيف اكتشفت ومتى علمت أن دخولك للعراق كان قراراً خاطئاً ؟

أبعد أن كلّت طائراتكم وملّت من نقل آلاف التوابيت من الجثث العفنة التي قُتلت على أيدي الصابرين المُخلصين هناك ؟

أبعد أن أنفقتم المليارات إلا أنكم وجدتم أن كل تلك الأموال تذهب إلى لا شيء ؟

أبعد أن اكتشفتم أن أمة الإسلام هي أمة العقيدة وأمة التضحية وأمة القوة هي الأمة التي لا تتنازل عن مبادئها أبداً ولا ترضى بأن تُسلِم قيادها لغيرها ؟

ونحن نقول لك اعلم أنك ستكتشف أن دخولك لأفغانستان كان قراراً خاطئاً أيضاً، واعلم أنكم ستكتشفون أن مساندتكم لدولة إسرائيل كان قراراً خاطئاً أيضاً، واعلم أنكم ستعلمون عِلم اليقين أن دخـولكم لجزيـرة العرب مهد الرسالة ومهبط الوحي كان قراراً خاطئاً، ولا زلتم تعترفون وتُقرون بأن هذه الأمة أمة ثبات وأمـة تضحية وأمة قوة لا تُقهر أمام أعدائها مهما كانت قوتهم ومهما بلغ جبروتهم وطغيانهم فالتاريخ ينبئكم بأحداثنا وبأحوالنا وبمعاركنا.

ثم إنني في الختام أوجه كلمة إلى علماء الأمة، إلى حَمَلة إرث النبوة، إلى الذين اختارهم الله سبحانه وتعـالى لأن يكونوا ورثة لنبيه صلى الله عليه وسلم، فنقول لكم:

يا علماءنا الأكارم يا علماءنا الأجلاء قد وجه إليكم أخونا الشيخ المجاهد أبو حمزة المهاجر كلمة تُذيب الصخر والله، يستجديكم فيها ويحثكم فيها ويعرّفكم بأحوال المجاهدين وحاجة ساحات الجهاد لأمثالكم، فإننـا نقـول لكم يا علماءنا الأجلاء إن ساحات الجهاد تنتظركم وإن الفرصة لن تفوتكم ولم تفتكم بعد فهبوا إليها وانفـروا إليها وكونوا في طليعة الركب وفي أول القافلة فأنتم قادة الأمة وأنتم أمراؤها وأنتم أولياؤها.

يا علماء الأمة ما الذي زهّدكم في هذه العبادة الجليلة ؟ ما الذي أقعدكم عن أداء هذه الفريضة الكبيرة الـتي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيها: "والذي نفسي بيده لولا أن أشق على أمتي ما تخلفت عن سـرية تغـزو في سبيل الله" ؟

يا علماء الإسلام أأقعدكم عن هذه الفريضة حُب الدنيا ؟ وإنا نتزهكم ونبرئكم عن ذلك فلطالما سمعنـا مـنكم تفسيرات لقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾.

يا علماء الإسلام ما الذي أخركم عن ركب المجاهدين ؟ أهو خوف الموت والقتل فلطالما سمعنا مـنكم تـلاوة وتفسيراً لقول الله عز وجل: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ ولطالما تعلمنا منكم أن المرء إذا حان أجله فلن يتعداه وأن الله عز وجل قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله﴾.

يا علماء الإسلام ما الذي أخركم عن ساحات الجهاد ؟ أهو الخوف من شدة العدو وتنكيله وقوته فلطالما سمعنـا منكم تلاوة وتفسيراً لقول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْـشَوْهُمْ فَـزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، ولطالما سمعنا منكم تلاوة وتفسيراً وبياناً لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُـمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

يا علماء الإسلام إن أمتكم تتقلب في جراحاتها، إن أمتكم تتقلب في جحيمٍ من المآسي والضيق والضنك الـذي ساقه إليها أعداؤها، فها هي أمتكم في أفغانستان وفي العراق وفي الشيشان وفي فلسطين وفي كـشمير بـل وفي البلاد العربية كلها قد مُلئت سجونها بخيار أولياء الله عز وجل وهاهم الزنادقة المرتدون يتبجحون في كـل وادٍ

وناد بأن الغلبة لهم، وهاهم أعداؤها المرتدون الذين تمكنوا منها يمنعون عِباد الله عز وجل من مساجد الله جهاراً نهاراً ولا يأذنون لهم بدخولها إلا ببطاقات تصريح وكأنها ليست بيوتاً لله عز وجل وكأنها بيوت ضيافة لهم، فيا علماء الإسلام من يصدع بكلمة الحق ؟ من يقف في وجه هؤلاء المجرمين ؟ من يعريهم من طغيانهم ومما يتلبسون به من الكفر والزندقة والمُرُوق والحرب لدين الله عز وجل ؟

يا علماء الإسلام إن تأخرتم أنتم فمن يتقدم ؟

يا علماء الإسلام إن تهاونتم أنتم فمن يُقدِم ؟

يا علماء الإسلام إنّ المعركة تنتظركم وإن ساحات الجهاد والإعداد والقوة تنتظركم وتترقبكم فوالله لن تجدوا فيها إلا كل توقيرٍ وعز وفخرٍ من أبنائكم المجاهدين البارين لكم ولن تجدوا فيها إلا رِفعةً في الدين ولذة في الإيمان وقوة في اليقين وغلبة وقهراً وشِفاء لصدور قومٍ مؤمنين.

هذا وأسأل الله عز وجل أن يقوي قلوبنا وقلوبكم وأن يثبِّتنا وإياكم على الحق حتى نلقاه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وسطية الإسلام .. ووسطية الانهزام

﷽

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه،

وبعد :

أمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عندما نتحدث عن أية قضية من قضايا الإسلام، لا بد أن نستشعر من أعماق قلوبنا أن هذا الدين الذي نتكلم عن مسائله هو دين الله تعالى،وهو شعور له تأثيره المباشر في كيفية تقرير المسائل وبحثها والخوض فيها، فالإسلام –كل الإسلام– ليس نظرية أرضية تخوض فيها الأبحاث حرة طليقة بلا زمام ولا خطام، وإنما هو : {كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٣)}[الأعراف/٢، ٣]

فما دام الدين دين الله تعالى، فلا محل إذاً لتلاعب الأهواء، ولا لتخوض الأفكار والآراء، ولا لتخرص العقول والتحاليل، ولا الحرصِ على ترضية النفوس، ولا الخضوع لدعوات مواكبة العصر، ولا الدندنة حول مسايرة رغبات الشعوب، فدين الله يقود ولا يقاد، ويطوِّع النفوس ولا تطوِّعه، ويحكم الشعوب ولا تحكمه، ويقيِّد الأهواء ولا تقيِّده، ويتحكم في قضايا العصر ولا تتحكم فيه، ويهيمن على الحياة كلها ولا تهيمن عليه.

فالذين يريدون أن ينقذوا الأرض من الفساد ويخرجوها من ظلمات الغي بمجرد استحساناتهم وآرائهم وأهوائهم تحت شعارات مغرية ولكنها في حقيقتها خاوية، بعيدة عن منهج الحق وسبيل الهدى هؤلاء لن يَحصدوا من سعيهم إلا الوبال والخبال كما قال تعالى : {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ}[المؤمنون/٧١]

وبما أننا في زمن بلغ فيه (إله الهوى) مبلغاً لم يصله من قبل، وقد سخَّر لنصرته وتعزيزه الجنود المجندة، وفتح على صرح الإسلام الشامخ جبهات متعددة لتقويضه واقتلاع أصوله، فإننا بحاجة حقيقية إلى وقفة صادقة حازمة أمام كل مَن يسعى لأن يكون جندياً من جنود (إله الهوى) الذي برز لنا في صور شتى وألوان متعددة وخر له الكثيرون ركعاً وسجداً يسبحون بحمده وينفخون في إلهيته بعلم وبغير علم، لنسير على بصيرة من أمرنا، وننافح عن أصولنا وعقيدتنا ومفاهيمنا، ونصونها من كل تمييع وتدنيس {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠)} [الجاثية/١٨-٢٠]

أمة الإسلام..

إن هناك شركة تعاونية يقوم عليها شياطين من الإنس والجن، لها رجالها وإمكاناتها، ووسائلها ومؤسساتها، ونفقاتها وجهودها، وخِططها وبرامجها، تقوم على السعي الجاد لتحريف الناس عن دينهم، وتشكيكهم في مسلمات عقائدهم، وتشجيع كل ناعق ليخوض فيها بما شاء باسم الاجتهاد والتفكير والتنظير والتنوير والتحليل ودراسة الواقع والانفتاح والاتزان إلى آخر القائمة المعهودة، وليس له في ذلك حمى يتحاماه، ولا حدود يقف عندها، ولا قواعد وأصول يتحاشاها، بل الكل عنده مرتعٌ مباح، يتنكر – بلا خجل ولا وجل– للحق الصراح، ويحرِّف – وبكل جرأة – الكلم عن مواضعه، وينسب إلى شرع الله ما تعلم عجائز البوادي أنه منه براء، وينقُض ما عَلمه واستسلم له الأولون والآخرون، بل وتراه يسفههم ويسخر منهم، ويزدري أفهامهم، ويَصبَغ على خرافاته من الألقاب والمدائح ما يحاول عبثاً أن يغطي به سخفها وخزيها.

وقد بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة هذه الشركة الشيطانية، وأنها منتصبة في كل حين لتأدية مهمتها، وإغواء من التفت إليها، أو أصغى لدعواتها، لنكون منها على حذر وتيقظ فلا ننخدع بدعاياتها وزخرف أقوالها، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: [خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً، ثم قال: هذا سبيل

الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).]

وقال سبحانه وتعالى : {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢)} [الأنعام/١١٢]

وقال سبحانه: { يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧)} [الأعراف/٢٧]

إذاً هذه هي وصية الله ووصية رسوله صلى الله عليه وسلم لمن أراد أن يكون على الجادة، يسير على الحق ولا يبالي بمن خالفه، ويستمسك بالهدى ولا يعبأ بمن أنكره أو تنكر له، ويعتصم بحبل الله ولا يأبه بمن غمزه أو لمزه، ويحرص على رضا ربه ولو سخطت عليه الدنيا بأسرها، ويعتز بجميع دينه لو سفَّهه مَن سفهه، ويُبلِّغ الحق على نصاعته وجلائه ولو استبشعه أصحاب العقول المنحرفة والقلوب المريضة، وقدوته في ذلك مَن لا ينطق عن الهوى ولا يحابي في تبليغ الهدى كما قال الله تعالى له : {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)} [المائدة/٦٧]، وقال له أيضاً : {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤)}[الحجر/٩٤، ٩٥]

أمتي الحبيبة..

إلى أمدٍ قريب كان الشعار الذي يرفعه زعماء الحملة الصليبية العصرية هو الحربَ على الإرهاب، ومطاردةَ القاعدة وقادتها وأعضائها –كما يزعمون–، ولقد قال العقلاء النبهاء من علماء الأمة وقادة المجاهدين عند أول هبوب ريح هذه الحرب، إنها حرب صليبية سافرة كافرة تستهدف الإسلام والمسلمين، ولن تتوقف مساعي أصحابها وخطواتُهم عند حدٍ، ولن يكتفوا –كما يزعمون – بالاجتهاد في القضاء على طائفة المجاهدين، ولن ينقضي تنازل حتى يطالبوا بغيره، بل لن تُترَك قاعدة من قواعد الإسلام ولا أصلٌ من أصوله، ولا مسلمة من مسلماته، إلا ودهمتها حملتهم، وتقلبت يمينا وشمالاً لاقتلاعها ونسفها، لتنقل الأمةَ –كل الأمة– من البصيرة إلى العمى، ومن اليقين إلى الشك والحيرة، بل من الإيمان إلى الكفر وذلك هو مبتغاهم ومقصدهم مهما تلونوا وتقلبوا فالقرآن كما فضح أسلافهم يفضحهم، وكما عرى أولئك يعري هؤلاء قال الله تعالى : {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ(١٢٠)} [البقرة/١٢٠]

فهي حربٌ تستهدف معاقل الإسلام كلها، وتقتحم الديار كما تغزو العقول والأفكار، وتتجرأ على سفك الدماء تماماً كما تتجرأ على نسف العقائد والعبث بالمقدسات.

ولقد استطاع دهاقنة ودهاة هذه الحملة الصليبية أن يغرسوا لهم غرساً من أبناء هذا الدين وفي وسط بلدان المسلمين يتولون التسويق لكثير من أفكارهم والترويجَ لنظرياتهم، وبثَ مصطلحاتهم، وتكريرَ عباراتهم، ومحاولةَ إقناع المسلمين بها، أو على الأقل إماتة الشعور ببشاعتها وفظاعتها، لتصبح مع الأيام شيئا مستسغاً وفكراً متقبلاً ونظرة معتبرة.

ولأنهم عرفوا أن مفتاح نجاحهم في خطتهم هذه إنما هو في التنفير من الجهاد والمجاهدين، والقضاءِ عليهم عسكرياً بجانب محاربتهم فكرياً، فلا يكاد ينطق رجلٌ مغمورٌ ويتمتم بكلمات يعرِّض فيها بالمجاهدين حتى تستنفر وسائل إعلامهم لإظهاره وإشهاره وإجراء الحوارات المتواصلة واللقاءات المتتالية لإرشاد العباد إلى تلك الفكرة الفذة التي تفتق عنها عقل رجلٍ معتوه لا يكاد يبين.

وللأسف فلقد رأينا الكثيرين ممن ينتسبون إلى قادة الحركات الإسلامية، أو الدعاة، أو المفكرين، مَن شمروا عن ساعد الجد وراوحوا يعقدون المؤتمرات تلو المؤتمرات، واللقاءات تلو اللقاءات، والندوات بعد الندوات، ويشدون الرحال من دولة إلى دولة، ليعززوا كثيراً من المفاهيم الضالة التي تأتي على الإسلام من أصله، ولا يعني الأخذُ بها إلا نقضَ عراه عروة عروة، وهدمَ أسسه أساسا أساساً، وهم ينسبون ضلالاتهم وانحرافاتهم إلى دين الله، فأضافوا على سوئهم سوءاً، فصدق فيهم قول الله تعالى : {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨)} [آل عمران/٧٨].

وإن أعظم ما يسترون به عوجهم، ويسوِّقون به ضلالهم، هو انتسابهم للوسطية والاعتدال والاتزان، وقد صاغوا لهذه الكلمات معانيَ ارتضوها لأنفسهم، ونحتوها من بنات أفكارهم، أساسها التلفيق والتوفيق، ووسيلتها التمييع والتطويع، ولبها وجوهرها إقرار أعين الغرب بما يرضيهم ويُطيِّب نفوسهم ويسكِّن هيجانهم ولو نُسِف مع ذلك دين الله نسفاً.

فما هي الوسطية التي يدعو لها هؤلاء ويدندنون حولها صباح مساء، وما هي الوسطية التي جاء بها دين الله عز وجل وارتضاها لنا ومدح أمة نبيه بها فقال : {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا (١٤٣)} [البقرة/١٤٣]

أمة الإسلام..

إن تحديد المفاهيم الشرعية التي نصوغ لها من الألفاظ ما يحسِّنها ويزينها لا بد أن يكون معتمداً على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، لأن العقول متفاوتة، والأفكار متضاربة، وموازين الأمور مضطربة، والأهواء والرغبات تتسلل إلى هذا المعنى أو ذاك فتعبث به وتلوث بهاءه، فلا بد – إذا– من مرجع ثابت راسخ محكم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إن قال فقوله الحق، وإن حكم فحكمه العدل، وإن أرشد

فإرشاده الهدى، وليس ذلك إلا كتابَ الله تعالى كما قال عز وجل : {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (٧١)}[المؤمنون/٧١]

فالوسطية كلمةٌ ارتضاها الناس، واستحسنوها وربما اتفقوا على مدحها، لما تنبي عنه من معنى العدل والاتزان والاعتدال، إلا أن الكثيرين ممن نصبوا أنفسهم للدعوة إليها ، قد فرغوها من معناها الشرعي السامي، وافرغوا فيها ما تشتهيه أنفسهم وترتضيه ميولهم من المعاني المنحرفة والمفاهيم الزائغة التي ما أنزل الله بها من سلطان، ثم قدموها للناس وقالوا لهم هذه هي الوسطية فاتبعوها وانبذوا من خالفها أو تخلف عنها.

إن المفهوم الصحيح للوسطية هو التمسك الكامل بدين الله تعالى الذي ارتضاه للناس كافة، ولو كره ذلك من كره، والسعي لنشره بينهم من غير تحريف ولا تزييف ولا مخادعة ولا مراوغة، وعرضُه عليهم عرضاً صريحاً بيناً من غير تلاعب بأحكامه، ولا تمييع لأصوله، ولا تغيير لشرائعه، ولا إخفاء لحقائقه، ولا تحرج من تقرير مسائله، ثم ليقبله منهم من قَبِل وليردَّه من يرد: { فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (٢٢)} [الغاشية/٢١، ٢٢]

فنحن ما أمرنا بأن نُهلك أنفسنا ونَبخَعها لأجل صدود الناس وشرودهم عنه، وإنما علينا البلاغ للحق الصريح والتمسك بالهدى الجلي.

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦)} [الكهف/٦]،وقال سبحانه : { لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤)} [الشعراء/٣، ٤]

فبصفة الإيمان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تبوأت هذه الأمة منزلة الخيرية بين الأمم، { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ (١١٠)} [آل عمران/١١٠] ومن ثم استحقت أن تكون أمة وسطاً شاهدة على الناس، كما قال تعالى : {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة/١٤٣]

، فمهمة أمة الإسلام ليست مضاهاةَ الأمم الكافرة، ولا التملق لها، والاجتهادَ في طلب إرضائها، ولا البحثَ عن عوامل التقارب معها، ولا التنقيبَ عن أسس التعايش التي تجمعها بها، ولا بذلَ الجهود وإنفاق الأعمار لمطاوعة الواقع والاستسلام له، فما خُلقنا لهذا، ولا أمرنا بهذا إنما [الله ابتعثنا واللهُ جاء بنا لنُخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نُفضي إلى موعود الله الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي] هكذا لخص ربعي بن عامر رضي الله عنه، مهمة أمة الإسلام، وهذه هي الوسطية الحقة التي فهمها الصحابة رضي الله عنهم ودعوا إليها بعيداً عن التخرصات الباردة، والتعقيدات المضللة، والأفكار الهائمة.

فليس لأحد أن ينتقي من دين الله ما يحب ويهوى، ولا أن يطوع أحكام الله لمن يحب ويهوى، ولا أن يقدم دين الله بالصورة التي يحب ويهوى، وقد قال الله تعالى : {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)} [يوسف/١٠٨]، إذا هي دعوة إلى سبيل الله –والتي تعني الدين كافة– وليست دعوة إلى نتائج الآراء المجردة، ولا مستحسنات الأفكار المستحدثة، وقد قال الله سبحانه وتعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨)} [البقرة/٢٠٨]

فالإسلام كله دين العدل ودين الوسط ودين القيمة، ولن يفلح الناس ولن يجدوا (الوسطية الحقة) إلا بأخذه كما هو، ونشره كما هو، وهو دينٌ رباني غني عن تعديلنا وتوسيطنا وتقويمنا، فأحكامه ليست أحكام جور حتى نعدِّلها، وسبيله ليست سبيل إفراط وتفريط حتى نوسطها، وشرائعه ليست شرائع عوج حتى نقومها : {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)} [النحل/٩٠]،وقال سبحانه وتعالى : {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨)}[النساء/٥٨]

إن الوسطية ليست دليلاً شرعياً قائماً بذاته بحيث نجعلها حاكمة على شرائع الإسلام، ومهيمنة على عقائده ومفاهيمه، ومقيدة لأصوله وفروعه، بل هي صفة ملازمة لدين الله تعالى، وملاصقة لكل حكم من أحكامه، فحيثما وجد حكم الله الذي أنزله في كتابه أو شرعه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم سواء في صغير الأمور أو كبيرها، فهو حكم وسط عدل سمحٌ لا حرج فيه ولا مشقة حتى ولو استثقلته بعض النفوس، ونفرت منه بعض القلوب

فالداء ليس في أحكام الله حتى نسعى لإصلاحها وتعديلها لتوافق تلك النفوسَ والقلوب، ولكن المرض المستحكم هو في هذه النفوس والقلوب التي تحتاج إلى إخراجها من هوسها ووساوسها لتدرك الحق الوسط على ما هو عليه بصفائه وجلائه لا على الصفة التي تريدها هي وتهواها وبهذا فقط تنتفع بالحق وتخرج إلى رحمة العدل وسعة الوسطية وإلا فإنها ستبقى تتقلب في غيها وتتعذب بشقائها وإن حسبت أنها تحسن صنعا : {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤)} [محمد/١٤، ١٥]

وها نحن نرى كثيرا ممن رفع شعار الوسطية وتشبع بها زعماً وادعاءً قد جعلها مطية ينقض بها أسسا هي من مسلمات الإسلام ولا يبالي، وكلما خالفه المخالفون، وأنكر عليه المنكرون، رماهم بالغلو والتطرف وعدم الانفتاح على الواقع، حتى فتحوا الباب لكبار الزنادقة والملاحدة ليدخلوا على الإسلام ومن نفس الباب –باب الوسطية المزعوم– فيعيثوا فيه فساداً، فما تركوا منه شاذة ولا فاذة إلا ولاحقوها بأفكارهم، وطاردوها باستهزائهم وسخريتهم، ونسفوها بمعول وسطيتهم واعتدالهم، ومن حاول الأخذ على أيديهم وكف زندقتهم رموه بالتطرف والشطط والجمود ثم تمادوا واسترسلوا ليأتوا على الإسلام كله.

فبسم الوسطية والاعتدال اقتحمت قِباب المجالس الشركية لا لفتحها وإقامة عَلم التوحيد فيها وإنما للانفتاح عليها وتوطيد دعائمها، والتأكيد على شرعيتها، ومشاركة أربابها في تشريعاتها، فإذا صدع الصادعون بكلمة الحق التي أمروا بها وتلوا آيات الله البينات على هؤلاء اشمئزت قلوبهم ورموهم بالغلو والتطرف وعدم فهم السياسة، ووالله لن تغني عنهم سياستهم ووسطيتهم من الله شيئا، : { يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ} (١٠) [الطارق/٩، ١٠]

فإذا قيل لهؤلاء المتشبعين بالوسطية : {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ(٣٦)} [الأحزاب/٣٦]، قالوا أنتم متشددون.

وإذا قيل لهم ألا يزجركم قوله تعالى : {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)}[التوبة/٣١]، قالوا أنتم حرفيون منغلقون.

وإذا قيل لهم : {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ(٢١)} [الشورى/٢١] قالوا : أنتم جامدون متزمتون.

وإذا قيل لهم : {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦)} [الأنعام/١١٦]، قالوا إننا في زمن الديمقراطية، وسيادة الشعوب.

وباسم الوسطية والاعتدال نسفت عقيدة الولاء والبراء، وقطِّعت عراها والتي هي أوثق عرى الإيمان، واقتحمت حصونه الحصينة تحت الشعارات المنمقة والدعوات الملفقة فصرنا نسمع :الحضارات تتسالم ولا تتصادم، وتتحاور ولا تتناحر، والأديان تتظافر ولا تتنافر، وتتقارب ولا تتحارب، وانتصب بعض المنتسبين إلى الدعوة للترويج لهذه الدعوات الكفرية، وتسهيل أمرها في بلدان المسلمين، وتحريف الكلم عن مواضعه –وهم يعلمون في قرارة أنفسهم– أنهم كاذبون آفكون، ويا ويل من يفتري الكذب على الله، أفعلى الله تستدركون، ولدينه تزيدون وتنقصون، فما لكم كيف تحكمون.

حتى إنني سمعت مرةً أحد مروجي مثل هذه الدعوات يفتخر على شاشات التلفزة بأن عدداً من القساوسة والرهبان يتصلون به ليخبروه، بأنهم راضون عن دعوته وتسامحه، وأنه إن كانت مفاهيم الإسلام الحقيقية هي كما يعرضها وينشرها فليس بينهم وبينه خلاف، فهنيئاً لك هذه البشارة، وهنيئاً لك هذه الشهادة، فقلت في نفسي نعم والله إن كان الإسلام هو ما تدعو أنت إليه فليس بينكم وبينهم خلاف،

أما الإسلام الحق، والعقيدة النقية الصافية، والتوحيد الخالص فهيهات هيهات أن تلتقي أو تقترب من دين يقول : {المسيح ابن الله} ، ويقول {إن الله ثالث ثلاثة}، حتى قال اليهود قاتلهم الله من كثرة مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم لهم في صغير أمورهم وكبيرها : [ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه]

فوسطيتنا التي ندعوا إليها تقول لنا : { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ (٢٢)}[المجادلة ٢٢]، وإن عددتم ذلك غلواً.

ووسطيتنا التي نسير على سبيلها أساسها : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣)} [التوبة/٢٣، ٢٤]، وإن شنعتم علينا واهمتمونا في وطنيتنا.

ووسطيتنا التي نرسي قواعدها تنادي في الآفاق : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧)} [المائدة/٥٧] وإن قابلتم ذلك بالاشمئزاز والتغيظ.

ووسطيتنا التي ننافح عنها ونقاتل دونها رائدها وقائدها من قال الله عنه :{ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآَءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ (٤)} [الممتحنة/٤]وإن قلتم إن ذلك دعوة للكراهية والتعصب، ومحاربة للسلام.

ووسطيتنا التي نستمسك بها ولا نحيد عنها قيد أنملة هي التي نجدها في قول الله تعالى :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)} [المائدة/٥١]وإن اعتبرتم ذلك تطرفاً وجموداً.

وفي هذا الموطن أقول : يا علماء الصدق والصدع بالحق في جزيرة العرب، ها هو حامي حمى التوحيد كما يزعم علماء التملق والتزلف، يرفع راية التآخي بين الأديان، ويَهرِف بما لا يعرِف، ويحسب أنه قد وجد الحكمة التي جَهَدَ الكثيرون في البحث عنها لنزع فتيل الحروب، وقطعِ أسباب العداوة بين الأديان والشعوب، فهذا يومكم وقد حمي وطيس الشبهات، ونَعَقَت غربانُ الباطل، وأسفر الكفر عن وجهه العبوس، وآزر علماءُ المداهنة ظلمات الضلالات، وغاصوا في بطون الكتب لاستخراج أدق المشتبَهات وإقصاء الآيات المحكمات البينات، وأجهدوا أنفسهم لاختلاق الأعذار لهذا الأبله وحزبه مما لم يخطر على باله أو يمر على خاطره، ولم يحلم به في ساعة من ليل أو نهار.

وإنها والله لساعة الفوز لمن أراد أن يكون من سادات الشهداء، فيقومَ في وجه هذا المعتوه المرتد، ويرد هراءَه بالحق الصراح الذي لا لبس فيه ولا التباس، وليكن بعد ذلك دمه وجسده قرباناً ترتوي به شجرة الإسلام الذابلة في جزيرة العرب، كما ارتوت أرض باكستان بدماء أهل الصدق والحق من أمثال الشهيد عبد الرشيد غازي وطائفته رحمهم الله.

ووالله إن لم تقفوا اليوم وقوف الأبطال في وجه هذا الطاغية العابث، وأفسحتم المجال لعلماء الضلالة وخطباء سجع الكهان يبررون له ويسوِّغون شطحاته وحماقاته ليأتين اليوم الذي ترون فيه نواقيس الكنائس تدق في قلب جزيرة العرب، وما أمر دولية قطر منكم ببعيد، ولتعلمن نبأه بعد حين!

فلا وسطية ولا تقارب ولا تعاضد بيننا وبين أهل الملل الكافرة، ومتى اجتمع الضوء والظلمات في موطن :{ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧)} [البقرة/١٣٧]،وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم قد كان فرقاً بين الناس، فعبثا يحاول من أراد أن يجمع بينهم على غير سبيل الهدى.

وباسم الوسطية عاث العائثون في مفهوم الجهاد، فسلطوا عليه أقلامهم وألسنتهم، فدنسوا محياه، ولوثوا رونقه، وراحوا يفرغون أحكامه في قالب هزيمتهم وجبنهم وخورهم، ليخرجوها لنا بصفة ممسوخة لا يعرفها الأولون ولا يرضاها الصادقون ولكن يكفي أن يقتنع بها كفرة الغرب المتحضرون.

فقد كانت الهجمة من قبلُ – على بشاعتها وشناعتها – تقتصر على جهاد الطلب الذي حار المنهزمون في توجيهه، وطأطئوا رؤوسهم حياء عند ذكره، وخجلوا إن واجههم أعدائهم بحقيقته، أما اليوم فها هو جهاد الدفع يلاقي ما لقي سابقه من مساعي التشويه والتنفير وجهود التمييع والتغيير، فصار الجهاد مقاومة، وقسمت المقاومة إلى شريفة وغير شريفة، ثم أثبتت شرعيتها لا بالكتاب المحكم ولا بالسنة الصحيحة ولا الإجماع الثابت، ولكن بإقرار جميع الأديان السماوية والأعراف الدولية على إعطاء هذا الحق.

فحتى هذا الجهاد طمس معلمه الإسلامي، وقامت شعارات الوطنية والقومية ولافتات التحرير مقامه، فذابت معاني الجهاد السامية في مفاهيم السياسة الضائعة، وميعت أحكامه الصارمة باسم الوسطية الهائمة، وضيعت حقيقته النبيلة وسط ضجيج التعقل والاتزان والمصلحة.

حتى وصل التحريف والانهزام ببعضهم أن يقولوا بأن قتالنا لليهود المحتلين والنصارى المجرمين ليس قتالاً عقدياً، وإنما هو فقط صراعٌ على أرض احتلوها وديارٍ اغتصبوها، وهذا جزاء من يعرض عن الحق، وينقاد إلى استحسانات آرائه، وجواذب أهوائه، أن يتنقل من ضلالة إلى ضلالة، ومن عماية إلى عماية، ومن انحراف إلى انحراف : {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)} [النور/٦٣]

فليعلم هؤلاء وغيرهم ممن تقمصوا ثوب الوسطية زوراً وميناً أن الإسلام دين السيف، نقولها ولا نستحيي منها، ولا نتهرب من رفع الصوت بها، فنبينا هو الضحوك القتال، ونبي الرحمة والملحمة، فالسيف والتوحيد لا يفترقان أبداً، فلا إقرار للتوحيد بغير السيف والقوة، ولا معنى للسيف إن لم يكن لأجل التوحيد ، قال الله تعالى : {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩)} [الأنفال/٣٩]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : {بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له}

وقال صلى الله عليه وسلم : [أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله]

وإننا لا ننتظر لإسباغ الشرعية على جهادنا الطلبي والدفاعي، إقراراً من دين سوى الإسلام، ولا قانوناً من منظمة عالمية أو شرعية دولية، ولا نُظماً تواطئت عليها الأعراف الأرضية، فكل هذه أصنام يجب هدمها، وطواغيت يلزم السعي لنسفها، وهي أول ما يجب أن يكفر به ويتبرأ منه، وهي وإن عظمها أهلها وفخموها وأنفقوا عليها نفائس أموالهم، وقضوا لنشرها زهرات أعمارهم فإنها ومَن يروج لها أهون عندنا من جناح البعوضة، وأحقر من الجعلان: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آَلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩)} [الأنبياء/٩٨، ٩٩]

فدين الإسلام لا الأمم المتحدة ولا الأعراف الدولية هو الذي قال لنا : {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩)}[التوبة/٢٩، ٣٠]،

وما قال لنا كفوا عنهم إن لم يحتلوا أرضكم، ويداهموا بلادكم، ويتسلطوا على دياركم، فالأمر ليس بحاجة إلى فلسفات الوسطية الإنهزامية، ولا تخرصات عقول الاتزان الكاذب، ولا التمويه على الأعداء وتضليلهم لنخبرهم بخلاف ما أمرنا، فإما أن يؤمنوا بالله، وإما أن يخضعوا لأحكام الإسلام، فإن أبوا استعنا بالله وقاتلناهم، وهو أمرٌ جليٌ لا يخلو منه كتاب من كتب الفقه ولكن عميت عنه أبصار المنهزمين لما عميت بصائرهم : {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦)} [النحل/١١٦]

وباسم الوسطية والاعتدال تمحل المتمحلون لإلغاء ومحو كثيرٍ من الألفاظ والكلمات الشرعية التي تثير حفيظة الغرب الكافر، وتحول دون التقارب والتفاهم معه، فوضعوا كلمة "الآخر" محل كلمة "الكافر" ، واستبدلوا بكلمة الكافرين " كلمة "غير المسلمين"، ووصفوا دين النصرانية، واليهودية، "بالأديان السماوية" بل بالغ بعضهم في شططه فسمى اليهود والنصارى "بالمؤمنين"، فجرت بمثل هذه الكلمات ألسنتهم، وسالت بتدوينها أقلامهم، وامتلأت منها مواقعهم وحواراتهم، وثقل على أصحابها الوسطيين أن ينطقوا بما نطق به كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، حتى صار حال بعضهم يشبه حال من قال الله فيهم : {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آَيَاتِنَا (٧٢)} [الحج/٧٢]

أما وسطية الإسلام فهي التي قسمت الناس إلى فريقين لا ثالث لهما، : {فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ... (٣٠)} [الأعراف/٣٠]

فإما أن يكون من أهل الإيمان وإما أن يكون من أهل الكفران، قال الله تعالى : {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَـافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢)} [التغابن/٢]

وإن هذه الدعوات المنحرفة التي تتسلل إلى مسائل الدين على مهل واختفـاء، وبتلبـيس ومرواغـة، ويهـون الكثيرون من شأنها، بل يعدها بعضهم ظفراً ما بعده ظفر، وحكمةً ما فوقها حكمة، أقول : إن هذه الـدعوات إن لم تواجه من علماء الأمة الصادقين ودعاتها الغيورين بكل حزم وجرأة وصراحة، ستكون عاقبتـها إحـداث دين جديد – بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان–، وإني لأرى معالمه قد بدأت تتشكل، فهو ديـنٌ جديـدٌ في مصطلحاته، جديدٌ في مفاهيمه، جديدٌ في ضوابطه وأصوله، جديدٌ في عقائده وفروعه، بل جديـدٌ في عباداتـه ومعاملاته، وجديدٌ في مصادر تلقيه ، ثم يقال لنا هذا هو الإسلام المعتدل، والإسلام المتزن، إسلام القرن الحادي والعشرين، إسلام الانفتاح والتآخي والسلام، إسلام الوسطية والتعقل، وما هو إلا إسـلام (مؤسـسة رانـد) وضرائها، الإسلام الذي يسعى أئمة الكفر في حملتهم الصليبية العصرية للوصول إليه، ولن يكون لهم ذلك حـتى يلج الجمل في سم الخياط، فموتوا بغيظكم والعقوا الحسرات، فدين الله محفوظ، ولا يُهلكن امـرؤٌ إلا نفـسه : {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْـضٍ فَيَرْكُمَـهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧)} [الأنفال/٣٦-٣٨].

فهذا هو دين الإسلام بوسطيته الحقة، وعدله الكامل، ودعوته الصريحة، لا ما يموه به أصحاب النفوس المنهزمة، والقلوب المريضة، والعقول المضللة وإن صفق لهم الملايين : {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَـاءَ فَلْيَكْفُرْ (٢٩)}[الكهف/٢٩]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الكلمة الختامية للدورة الشرعية التي أقيمت في أحد مراكز المجاهدين



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} {الحديد:٢٥}

أقيمت هذه الدورة في أحد مراكز المجاهدين، وفي ثغر من ثغور الرباط وقد شملت الدورة الدروس الآتية:

الأول: أحكام التجويد.

الثاني: دراسة فقه الطهارة، والصلاة، والصيام.

الثالث: دراسة كتاب الجامع من بلوغ المرام، مع حفظ أربعين حديثاً منه.

الرابع: دروس متفرقة من السيرة النبوية وتوجيهات تربوية متفرقة.

الخامس: مراجعة المحفوظ من كتاب الله عز وجل.

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

فاليوم هو الثاني عشر من شهر جمادى الثاني لعام ١٤٢٨ لهجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.
وهذا اليوم هو آخر أيام الدورة الشرعية التي نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يدَّخر لنا أيامها ننتفع بها يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وكما قلت لكم في أول الدورة؛ فإن مثل هذه الدورات هي مثالٌ لعمر الإنسان الذي له بداية ونهاية، ونهايته بحسب اجتهاده في عمره؛ فالدورة كما رأينا كانت تحتاج منا إلى اجتهاد ومدارسة ومراجعة حتى ينال منها الإنسان ما يريد من العلم الذي جلس أصلًا لطلبه، ومن فضل الله -عز وجل- علينا أن جمع لنا بين عبادة الجهاد وبين عبادة طلب العلم، وهذا من عزيز نعم الله -عز وجل- وهو الكريم المنَّان الجواد، أن يجمع الله -سبحانه وتعالى- لعبده بين أشرف وأعظم العبادات؛ فالجهاد -كما نعلم- هو أعظم العبادات؛ كما ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بل كما جاء في كتاب الله عز وجل: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ..}{النساء:٩٥} إلى آخر الآية.

فمن انضم إلى جهاده التفرغ لطلب العلم ولو لأيام معدودات فليعلم أن هذا من فضل الله سبحانه وتعالى عليه، لماذا؟
لأننا إنما خلقنا أصلاً لعبادة الله -عز وجل-، قال الله -عز وجل :{وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}{الذاريات:٥٦}، والعبادة هي تكاليف من الله -عز وجل- أي هي أمر ونهي، وما من عبادة من العبادات سواءً كانت صلاة أو صيامًا أو حجًا أو جهادًا إلا ولها أحكام يحتاج المسلم لأن يعرفها، فإذا يسر الله لك باب طلب العلم فاعلم أنما يسر لك عبادته على بصيرة؛ لأن الإنسان لابد أن يعبد الله، فإذا لم يعبد الله على علم وفهم وبصيرة وبينة فسيعبد الله قطعًا على جهل وعلى عماية والعياذ بالله، فهذه من نعم الله -سبحانه وتعالى- التي علينا أن نستشعرها في كل وقت، ثم أن نجتهد في أداء شكرها حتى لا تضيع علينا، ونحن نعلم حديث النبي صلى الله عليه وسلم:" نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس؛ الصحة والفراغ "، أنت بقيت في هذا البيت أو في هذا المركز طوال هذه المدة بعيدًا عن أهلك وبعيدًا عن إخوانك متفرغٌ لشيء واحد وهو طلب العلم؛ فهذه من النعم العظيمة التي يسرها الله عز وجل لك.

إذًا عبادة العلم -وهو عبادة بلا شك- وعبادة الجهاد هي من أعظم ما ييسره الله -سبحانه وتعالى- لعبده المؤمن، هذا هو الأمر الأول.

مما نستخلصه من هذه الدورة؛ هو أن الفصام الذي يحاول بعض الناس أن يختلقه بين عبادة الجهاد وبين طلب العلم هذا لا حقيقة له، يعني أن افتراض وجود جهادٍ بلا علم هذا غير صحيح وأن افتراض أن العالم أو طالب العلم لا يستطيع أن يجاهد هذا غير صحيح، لماذا؟

لأن الله سبحانه وتعالى أخبرنا عن حقيقة كتابه وقال: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} {النساء:٨٢}، هذه هي آيات الله –عز وجل– التي في القرآن، فكما أن كتاب الله –سبحانه وتعالى– المترل من عنده لا تعارض بين آياته ولا اختلاف بين أحكامه، فكذلك العبادات التي أمرنا الله –عز وجل– بها لا تعارض بينها، فهذا الأمر الذي حاول البعض أن يحدثه وأن يصطنعه وأن ينفخ فيه وأن الجهاد والعلم لا يلتقيان هذا غير صحيح، ودليله هو ما نعيشه نحن الآن، هذا بفضل الله –عز وجل– دليل على أن طلب العلم يمكن أن يكون في ساحات الجهاد، وكم من الأحكام الفقهية التي لا تتعلق بالجهاد نزلت في ساحات الجهاد، منها آيات التيمم، أين نزلت آية التيمم؟

نزلت والنبي صلى الله عليه وسلم في طريقه راجع من غزوة من الغزوات.

ثم إن الله عز وجل أخبرنا بهذا وقال: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} {التوبة:١٢٢}.

إذًا تيسير الله لنا أن نجمع بين عبادة الجهاد وبين طلب العلم هذا من أعظم ما أكرمنا الله –سبحانه وتعالى– به هذا هو الأمر الأول الذي لا بد أن تتنبهوا إليه.

الشيء الآخر كما ذكرنا أنه لا تعارض بين طلب العلم وبين الجهاد في سبيل الله، ونحن كمجاهدين مطالبون بأن نتعلم أحكام ديننا كغيرنا من المسلمين، ولا أقصد بأحكام ديننا فقط ما يتعلق بعبادة الجهاد؛ لا، نحن مطالبون بأن نعرف أحكام الصلاة، أحكام الطهارة، أحكام الصيام، كل عبادة أوجبها الله –عز وجل– على المؤمنين وفرضها فلا بد للمجاهد أن يعرف أحكامها، فإن المجاهد ليس شخصًا مستثنى من أحكام الله –عز وجل–، وليس شخصًا خارجًا عن التكاليف الشرعية، وإنما هو كغيره من المسلمين، فكما أننا في ساحات الجهاد نتعلم أحكام الجهاد وآدابه وقواعده وضوابطه، فكذلك نحن أيضًا مطالبون بأن نتعلم أحكام العبادات الأخرى؛ ما فائدة أن يجاهد المجاهد وأن يقاتل في سبيل الله وهو لا يحسن كيف يتوضأ!؟ وهو لا يحسن كيف يصلي!؟ وهو لا يحسن كيف يصوم!؟ ما فائدة هذا!!، يعني يعبد الله في جهاده على بصيرة، ويعبد ربه على عماية وغواية وضلالة في الصلاة وفي غيرها، هذا لا يمكن أن يكون.

فبضل الله –عز وجل– أن وفّقنا لأن نثبت حقيقةً وعملًا أن هذا لا تعارض بينه، كما أن كتاب الله لا اختلاف بين آياته، ولا تصادم بين أحكامه، فكذلك العبادات التي أمر الله –عز وجل– بها لا تعارض ولا اختلاف بينها.. واضح؟ جيد.

الأمر الثالث الذي أريد ان أنبه عليه، وافتحوا معي آذانكم، هو أن الشخص الذي أخذ هذه الدورة وتعلم ما فتح الله –سبحانه وتعالى– عليه فيها، لا يعني أنه تخرَّج منها ليكون فقيهًا ومفتيًا ومتصدِّرًا للمجالس يفتي بيجوز

ولا يجوز وهذا حرام وهذا حلال، لا؛ إنما جلسنا هنا فقط لنتعلم أحكام الله حتى نعبد الله على بصيرة، أما مرتبة الفتوى ومرتبة هذا حلال وهذا حرام فهذه دونها مفاوز حتى يصلها الإنسان، هذه لا يمكن أن تُكتسب في شهرٍ ولا شهرين، ولا في سنة ولا في سنتين، الإمام مالك –وهو من هو– يقول ما جلست في هذا المجلس –يعني حتى أُفتي– حتى شهد لي ثمانون عالمًا أني أهلٌ للفتيا، ثمانون عالمًا شهدوا للإمام مالك قالوا له أنت الآن لك أن تُفتي، أين الآن؟!، من سيشهد لنا بأننا أهلٌ للفتوى، وفي شهرٍ أو شهرين، أو سنةٍ أو سنتين، وأحدنا ربما لا يحسن أن يقرأ سورة الفاتحة، وأن يميز بين الواجب وبين المستحب، وبين المكروه وبين الحرام، فعليكم أن تتقوا الله –سبحانه وتعالى– لا أريد أن أسمع شخصًا منكم خرج من هنا وتصدَّر المجالس، وأصبح يقول هذا حلال وهذا حرام، نعم؛ لك أن تقول الذي درسته هو هذا، أما أن تُفتي في المجالس وفي المسائل العينيَّة، يأتيك شخصٌ ويستفتيك وتقول له هذا جائز وهذا محرمٌ وهذا مكروه، هذا غير مقبولٍ شرعًا وكذلك لا نرتضيه في أخلاقنا وفي تربيتنا، فتنبهوا لهذا الأمر وهذا من أكثر الأمور التي أريدكم أن تحرصوا عليها، فهمتم هذا جيدًا؟ نعم.

إذًا هذه الأمور التي أحببت أن أنبِّه عليها، ثم مما نستفيده في مثل هذه الدورات –وإن كانت مختصرة– أن نعرف قدر العلماء ومنزلتهم ومكانتهم، العلماء هم كالشمس في رابعة النهار إذا وُجدوا استطاع الناس أن يعيشوا عيشةً صالحة، واستطاعوا أن يتصرفوا في حياتهم تصرفًا طبيعيًا، وإذا غابت الشمس ماذا سيحصل؟ ما الذي سيحل بالناس؟، الظلام؛ الظلام هو الجهل والعماية والغواية والبدعة وغير ذلك من الضلالات، فالعلماء نعرف قدرهم بمثل هذه الدورات.

أنت إذا اجتهدت لمدة شهرٍ واحد في الحفظ والتكرار والمراجعة والمدارسة والاستشكال وغير ذلك، وجدت نفسك بذلت جهدًا حتى تحصَّلت على قدرٍ أو جزءٍ بسيطٍ جدًا لا يُذكر من العلم، ومع ذلك تفرح بما آتاك الله –سبحانه وتعالى–، فكيف بعالمٍ قضى عمره كاملًا وهو مجتهدٌ في طلب العلم، وفي تعليم الناس، وفي الصبر على المراجعة، والصبر على الفتوى، والدعوة إلى الله –عز وجل– وغير ذلك، أين أنت من هذا؟!، فلا نريد أن نجعل مجالسنا لمماراة السفهاء ولا لمجاراة العلماء، وإنما نريد أن نعرف قدر هؤلاء العلماء الصالحين، الذين يخشون الله ويبلغون رسالاته ولا يخشون أحدًا سواه. فهمتم؟ هذا لا بد أن تتنبهوا له، إذا رأيت عالمًا صالحًا يخشى الله –عز وجل– فاعرف قدره، وتذكر أنك صبرت شهرًا أو شهرين في طلب العلم ووجدت أن الأمر يحتاج إلى جلدٍ وإلى مصابرة وإلى مراجعة حتى لا يضيع ما عندك من العلم، فكيف بهذا العالم الذي ربما قضى عمره كله في هذا الأمر، هذا يجعلك تعرف قدر الناس وتعرف منازلهم وما يستحقونه من التعظيم والتوقير والتبجيل.
والعلماء –كما قلنا– الله سبحانه وتعالى أشركهم في شهادته على وحدانيته، أعظم شهادة على الإطلاق، على أعظم شيء على الإطلاق، {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ}{عمران:١٨}، شأن العلماء كبيرٌ جدًا ولو زلوا ولو أخطؤوا فالله –سبحانه وتعالى– لم يخلق خلقه البشر معصومين من الخطأ، من قال أن الإنسان لا يخطئ!! من قال أن الإنسان لا يصيبه شيءٌ من الهوى أحيانًا يأخذه يمينًا أو شمالًا!! ولكن نحن قواعدنا في دين الإسلام أن الحسنات يذهبن السيئات وليس أن السيئات يذهبن الحسنات، لا نأتي إلى عالم بذل جهده وعمره في الدعوة إلى الله –عز وجل– وفي تعليم الناس وفي تفقيههم ثم أخطأ أو زل في مسألةٍ أو مسألتين

فنسبه او نشتمه ونمسح كل حسناته هذه، هذا ليس ميزان الشرع هذا ميزان الهوى، ونحن لسنا من أهل الأهواء {اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} {المائدة:٨} هذا هو ميزان الشرع. فهمتم هذه المسألة الثالثة؟

والمسألة الرابعة والأخيرة، أن الله –سبحانه وتعالى– فتح لكم باب طلب العلم، ووجدتم لذة طلب العلم، ولذة الصبر على طلب العلم والتفرغ لطلب العلم، فما دام الله فتح لك هذا الباب فتوكل على الله وواصل هذا الطريق بما تستطيع، بدلًا من أن تقضي جزءاً من يومك أو من عمرك في سماع الأناشيد التي لا تسمن ولا تغني من جوع فاقضها في سماع محاضرةٍ أو درسٍ أو سماع شريط للفتاوى أو مراجعة لدروسك أو مدارسة مع أحد زملائك وإذا تيسرت دورة أخرى بإذن الله حاول أن تجتهد في أن تكون فيها لأن العلم إنما يُؤتى بالدرجات ولا يُؤتى العلم يومًا واحدًا ولا دفعةً واحدة {يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ} {المجادلة:١١}

والأمر الأخير هو أن تجتهد في دعاء الله –عز وجل– أن يبارك لك فيما أعطاك، العلم ليس بكثرة المحفوظات ولا بكثرة المتون، فكم من الذين تجدهم كالموسوعة .. كمبيوتر .. من أين ما تخاطبه يرد عليك ولكن الله لم يبارك في علمه، بينما تجد شخصًا علمه متواضعٌ قليلٌ ولكنه جمع معه الإخلاص والتضرع لله –عز وجل– .. كما أُمر أن يطلب الله أن يزيده من العلم.

نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ونسأل الله –عز وجل– أن يجعلنا ممن ينتفع بعلمه، ونعوذ بالله من فتنة القول والعمل، إنه سميعٌ قريب.

والآن –إن شاء الله– نبدأ في مراجعة الأحاديث، نبدأ من اليمين إن شاء الله، ثم بعد ذلك نستمع إلى قراءة من كتاب الله عز وجل.

ربـــــــح البيع

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهـــده الله فـــلا مُضل له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبـــده ورســـوله أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون صلى الله عليه وعلى آلـــه و أصـــحابه أجمعين وعلى من اهتدى بهديه وسار على سنته إلى يوم الدين.

ثم أما بعد :

فيا من رضيتم بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولا اتقوا الله سبحانه وتعـــالى فـــإن تقوى الله عز وجل هي خير زادٍ كما قال الله سبحانه وتعالى (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَـــا أُولِـــي الْأَلْبَابِ).

كما تعلمون أيها الإخوة الأحبة فإن الله سبحانه وتعالى قد شرع لنا دين الإسلام الذي هو خـــاتم الرســـالات والذي لم يرض الله لعباده ديناً سواه، فقال سبحانه وتعالى (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُـــوَ فـــي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) وأكمل لنا النعمة وأتمها علينا بهذا الدين العظيم، فقال الله سبحانه وتعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) وأخبرنا الله سبحانه وتعالى أن الهداية إلى صراطه المستقيم هي من نعمه التي يتفضل بها على من يشاء من عباده ولذلك فنحن نقول في كل ركعة مـــن صـــلواتنا (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) أولئك الذين قال الله سبحانه وتعالى (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالـــصِّدِّيقِينَ وَالـــشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا).

فالإسلام نعمة من الله سبحانه وتعالى، ورحمة من الله عز وجل لخلقه، والهداية إلى الإسلام نعمة من الله ســـبحانه وتعالى فمن شرح الله صدره له ونوّر قلبه بالهداية إليه فقد تفضل عليه بأعظم نعمة وأجل منة، فإن الهدايـــة إلى الإسلام أيها الإخوة لا يمكن للمرء أن يتحصل عليها إلا بفضل خالص وعطاء من الله سبحانه وتعالى، قـــال الله عز وجل (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) وقال الله سبحانه وتعالى (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ).

فالله عز وجل هو الذي هدانا إلى الصراط المستقيم وهو الذي أكرمنا بأن نكون من أتباع سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وبحسب الانتساب إلى هذا الدين افترق الناس إلى فريقين: إلى فريق الحق والهداية والصراط المستقيم وهم حزب الله المؤمنون، وإلى فريق الضلالة والشقاوة وهم حزب الشيطان اللعين، قال الله عز وجل (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) إلى أن يقول في آخر الآية (أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) والله عز وجل يقول (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) وقال في حق الشيطان، قال: (أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ).

ففريق الهداية هو فريق أهل الحق وهم أتباع الرسل من لدن أن أنزل الله سبحانه وتعالى كتبه عليهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأتباع الشيطان هم الأذلون الأرذلون المكبوتون، قال الله سبحانه وتعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) وقال الله عز وجل (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ) وهذا الانقسام إلى فريقين، إلى فريق الإيمان والهداية وهم حزب الرحمن، وفريق الضلالة والكفر والشقاوة وهم حزب الشيطان، هذا الانقسام أخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه يقود إلى التدافع بين هذين الفريقين والصراع الذي لا ينقطع أبداً قال الله عز وجل في حق الكفرة (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا)، وقال الله عز وجل (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)، وأخبرنا الله عز وجل عمّا يكنونه في صدروهم من الحسد والبغضاء، فقال الله سبحانه وتعالى (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) وقال الله (مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) إذاً هذا الصراع لا ينقطع أبداً.

فأما أهل الإيمان فهمّتهم ومقصدهم هو هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ومن الضنك إلى الرحمة ومن الضيق إلى السعة، قال الله سبحانه وتعالى (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)، وقال الله سبحانه وتعالى لنبيه (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) رحمة، دين الإسلام دين الرحمة والهداية والسعة.

وأما حزب الشيطان فإنما يريدون من أهل الاستقامة والحق أن يميلوا عن الصراط المستقيم وأن يكونوا عُبّاداً لشهواتهم (وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا)، (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)، وهذا الصراع صوره متعددة ومن بين صوره وهو أعلى درجاتها الجهاد في سبيل الله، هذه العبادة التي شرعها الله سبحانه وتعالى لتميز أهل الحق من أهل الضلال، ولتصفي صف المسلمين وتنقيه من شوائب الخبث، قال الله سبحانه وتعالى (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) وقال الله سبحانه وتعالى (لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ).

فالإسلام إذن أو فالجهاد في سبيل الله يميز أهل الهداية والاستقامة عن غيرهم، لماذا ؟

لأن الجهاد في سبيل الله هو أعلى وأوضح مراتب الولاء لحزب الله المؤمنين والبراءة من حزب الشيطان الكافرين، أنت عندما تقول أنا مُحب لله عز وجل ومتّبع للنبي صلى الله عليه وسلم وموالٍ لحزب الله المؤمنين فبرهانك على ذلك ما هو ؟ هو أن تُقدم نفسك التي خلقها الله سبحانه وتعالى نُصرة لدينه الذي شرعه وطاعة لأمره الذي أنزله في كتابه، وعندما تُقاتل حزب الشيطان وأتباعه فإن هذا إعلان للبراءة منهم ومن معبوداتهم ومن دينهم، وأعلى درجات البراءة وإعلان البغضاء والعداوة هو أن تسعى في قتلهم وقتالهم، ولذلك كان الجهاد عنواناً حقيقياً على الموالاة للمؤمنين والبراءة من الكافرين، فالإنسان حينما يكون في ساحة الجهاد وحينما يكون مؤدياً لهذه العبادة الجليلة فهو بهذا يعلن ولاءه لله ولرسوله وللمؤمنين، ويعلن براءته من هؤلاء الكفرة المجرمين على جميع أصنافهم وبشتى نحلهم ومللهم.

فالله سبحانه وتعالى أيها الإخوة أكرمنا بأن نكون من هؤلاء المؤمنين المجاهدين وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولهذا أيها الإخوة فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل الجهاد في سبيل الله عنواناً على الصدق معه، قال الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، وقال الله سبحانه وتعالى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾، فالجهاد هو عنوان الصدق مع الله سبحانه وتعالى، والمجاهدون هم الصادقون، فعلى المسلم أن يكون مع الصادقين كما أمره الله سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصادقين﴾.

لماذا صار الجهاد دليلاً على الصدق مع إخلاص المرء وتجرده لله سبحانه وتعالى ؟

لأن فيه توفية صفقة البيع بين العبد وبين الله سبحانه وتعالى، كل مسلم دخل في دين الله عز وجل وأعلن بأنه رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، فإنه بهذا الإعلان قد وقّع صفقة بيع بينه وبين الله سبحانه وتعالى وهي أعظم صفقة على الإطلاق، قال الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ هذه الآية أيها الإخوة هي آية المبايعة مع الله سبحانه وتعالى وقد تضمّنت أركان البيع كاملة فهذه الصفقة فيها المشتري وهو الله سبحانه وتعالى، وفيها البائع وهو كل مؤمن صادق مع الله عز وجل، وفيها الثمن وهو الجنة، وفيها السلعة وهي النفوس والأموال، وفيها وثيقة العقد وهي القرآن والتوراة والإنجيل، إذاً هي صفقة بيع كاملة بين العبد المؤمن وبين الله سبحانه وتعالى.

قال الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ما قال في الآية إن الله سيشتري، ولا إن الله يشتري، وإنما قال ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى﴾ يعني أن تلك الصفقة قد انعقدت وتمّت ومضت فلا تراجع فيها وقع الاتفاق بين العبد وبين الله سبحانه وتعالى بدخوله في دين الإسلام وعقد قلبه على أن يكون من أهل هذا الدين، فإذن نفسك التي بين جنبيك هذه قد بيعت، أنت لا تملكها، أنت الآن مطالب بأن تُسلمها للمشتري وهو الله سبحانه وتعالى.

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) نفوس المؤمنين هي نفوسٌ زكيةٌ طيبة ولهذا ارتضاها الله سبحانه وتعالى أن تكون سلعة في مقابل الجنة، لماذا ؟ لأنها نفوسٌ زكية بالإخلاص لله عز وجل وبتوحيد الله سبحانه وتعالى ولم تتدنس ولم تتنجس بالشرك كما هو حال المشركين (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) فلذلك هؤلاء لا يستحقون أن يكونوا من أهل الجنة، كيف يدخل الجنة نجسٌ، قال الله سبحانه وتعالى (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) وقال الله سبحانه وتعالى (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) فإذن الجنة لا يدخلها إلا مؤمن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

والمؤمنون درجات بحسب إيمانهم في الدنيا فالإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وهو توحيد الله عز وجل وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والناس في هذا يتفاوتون تفاوتاً لا يعلم قدره إلا الله عز وجل.

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) فالإنسان إذن عندما يعد نفسه من حزب الله المؤمنين فقد صارت نفسه مبيعة إلى الله سبحانه وتعالى، فعليك أن تسعى في البحث عن السوق الذي تُسلِم فيه هذه السلعة، ما هي هذه السلعة ؟

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) وكما نعلم أيها الإخوة فإن كل الآيات التي جاءت في كتاب الله عز وجل وذُكر فيها جهاد المال والنفس قدّم فيها الجهاد بالمال على الجهاد في النفس إلا في هذه الآية، قال الله سبحانه وتعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قدّم الأموال على الأنفس، وقال الله عز وجل (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ)، قال الله سبحانه وتعالى (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ) ، وقال الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ)، يُقدّم ذكر المال على ذكر النفس وذلك لأن الجهاد لا يمكن أن يُقام ولا أن تسير عجلته إلا بوجود المال، ومن هنا فإنّنا رأينا الله سبحانه وتعالى أعذر الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون في الجهاد لا يجدون الراحلة ولا الزّاد ولا المال الذي يجاهدون به، قال الله عز وجل (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) ، ليس عندهم شيء ينفقونه ليجاهدوا في سبيل الله، إلا في هذه الآية فقد قدّم الله سبحانه وتعالى النفس على المال، لماذا؟

لأن الموضع موضع مساومة كما قال، قال ساومهم فأغلاهم الثمن طلب منهم أغلى شيء عندهم وهو نفوسهم، النفس هي أغلى عند المرء من ماله:

الجود بالمال جودٌ فيه مكرمةٌ *** والجود بالنفس أقصى غاية الجودِ

فالإنسان عندما يجود بنفسه في سبيل قضية من القضايا أو عقيدة من العقائد هذا لا شك أنه يدل على أنه يقدم تلك العقيدة أو تلك القضية على نفسه التي بين جنبيه.

قال الله سبحانه وتعالى (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ)، في مقابل ماذا ؟

(بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ)، بأن يكون لهم في مقابل نفوسهم الجنة، وتأملوا يا إخوة هذه الصفقة هذه النفوس التي يشتريها منا الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقها وسيردّها عليك ومعها جنة عرضها السماوات والأرض، يريد منك فقط أن تُثبت صدق محبتك لله عز وجل، يريد منك فقط أن تُثبت صدقك في تسليم السلعة التي طالبك بها، أما السلعة فالله غني عنها سبحانه وتعالى، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)، وهذه النفس ستخرج منك شئت أم أبيت، كل إنسان سيموت (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) ، (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ)، (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ)، إذن هذه النفس ستخرج شئت أم أبيت فما عليك إلا أن تجتهد لتخرجها في الموطن الذي يحبه الله سبحانه وتعالى لتكون صادقاً موفّياً في الصفقة التي بينك وبينه سبحانه وتعالى.

إذن فالله سبحانه وتعالى يشتري منّا شيئا هو أعطاه لنا وسيرده علينا إكراماً منه سبحانه وتعالى ومعه جنة عرضها السماوات والأرض، فقال الله عز وجل (بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ)، انظر ما قال اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة، وإنما قال (بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) أولاً (أَنَّ) حرف التوكيد حتى لا يبقى هناك شك أو تردد عند البائع وهو المؤمن، ثم بعد ذلك قدّم الله سبحانه وتعالى ذُكر في هذه الآية الجار والمجرور (لَهُمُ) قبل (الْجَنَّةَ) لأنه يدل على الاختصاص تقديم الخبر على المبتدأ يدل على الاختصاص في مثل هذه المواطن كأن الله سبحانه وتعالى قال بأن الجنة لهم وليست لغيرهم كأنه يقول بأن الجنة صارت مختصة بهم يعني تأكيد من الله عز وجل باستحقاقهم لهذه الجنة وبأنهم سيستلمونها يقيناً إن هم صدقوا في السعي لتسليم هذه السلعة (بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ).

تأملوا أيها الإخوة أن ثمن نفسك –التي ستفقدها حتماً يوماً من الأيام– جنة عرضها السماوات والأرض، جنة فيها رضوان الله سبحانه وتعالى، جنة فيها رؤية الله عز وجل، جنة فيها رفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، جنة فيها النعيم المقيم الذي لا ينقطع أبداً، جنة لا حزن فيها ولا نصب ولا وصب، نعيم الجنة أيها الإخوة، كل هذا تأخذه، جنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كل هذا تأخذه بمقابل أن تسلم هذه النفس التي ستفقدها يوماً من الأيام شئت أم أبيت.

قال الله سبحانه وتعال (بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ)، ما هو المطلوب منا ؟ ما هو البرهان على أننا جادون في تسليم هذه السلعة ؟ أو أين هي السوق التي نسعى لنسلم السلعة فيها لله عز وجل ؟

كل إنسان قد يدعي أنه يريد تسليم هذه السلعة ويريد أن يوفي بصفقة البيع التي بينه وبين الله سبحانه وتعالى إلا أن الله عز وجل ما ترك للدعاوى مجالاً بل طالب بالبينة والبرهان والحجة الصريحة في ذلك، قال (قَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، من كان صادقاً جاداً في طلب الجنة في مقابل تسليم النفس فعليه بالقتال في سبيل الله، وما قال

يجاهدون في سبيل الله وإنما قال (يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) حتى لا يبقى للتأويلات مجال، حتى لا يأتي أحد ويقول إنّ المقصود بذلك هو جهاد النفس أو هو جهاد الشيطان أو هو جهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو هو جهاد الدعوة إلى الله عز وجل أو غير ذلك، لا إنما قال الله عز وجل (يُقَاتِلُونَ) وكلمة يقاتلون كلمة عربية لها معنى محدد واضح قاتل يقاتل قتالاً فهو مقاتل أو مقتول، كل إنسان يفهم ما هو معنى هذه الكلمة، إذن فالله سبحانه وتعالى يطالب كل مؤمن أن يكون مجاهداً مقاتلاً يعني رجلاً عسكرياً وهذه هي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، النبي صلى الله عليه وسلم كان هو المعلم لأصحابه وكان هو الداعي إلى الخير وكان المصلح بين الناس وكان خطيب الجمعة صلى الله عليه وسلم وكان الزوج في البيت وكان قائد المعارك كان يخوض المعارك بنفسه صلى الله عليه وسلم لا يرسل الجيوش ويبقى في المدينة وإنما يكون في أول الصف حتى قال الصحابة رضي الله تعالى عنهم "كنّا إذا حمي الوطيس نحتمي برسول الله صلى الله عليه وسلم وأشجعنا من يحاذيه"، إذا اشتد البأس وبدأت الرؤوس تتطاير وتقابل الأبطال مع الأبطال كان النبي صلى الله عليه وسلم في أول الصف والصحابة يحتمون به، الشجاع فيهم من يكون بجانبه، هذه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، النبي صلى الله عليه وسلم يعني كان يقبض السيف بيده ويضرب به الأعناق لم يقل أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا جهاد علي ولم يقل إنني سأبقى مشتغلاً بتعليم الناس بل هذا من العلم الذي يجب أن يُعلم للناس بالقول والفعل.

الله عز وجل علّمنا بالجهاد حتى كيف نقاتل ونقتل أعداءنا، قال الله عز وجل (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ) الله سبحانه وتعالى يعلمنا هذا، وقال الله عز وجل (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ).

إذن من أراد أن يكون مؤتسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم سواء كان عالماً أو متعلماً أو تاجراً أو داعية أو خطيباً أو طبيباً أو غير ذلك فعليه أن يجتهد ليأتسي بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل شيء ومن ذلك القتال في سبيل الله، أما أن يعيش الإنسان حياته كلها لا يعرف من السلاح شيئا ولم تغبر قدماه في سبيل الله يوماً واحداً، فهذا كيف يكون مؤتسيا أو متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم ؟

إذن لا بد علينا أيها الإخوة، لابد أن نجتهد لأن نقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل باب من أبواب الطاعة والسنن والخير.

وقال الله عز وجل (يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وأنتم تعرفون فضل الجهاد في سبيل الله والآيات والأحاديث الكثيرة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى أمراً بالجهاد ونهياً عن تركه وتحذيراً من التفريط فيه ومدحاً لأهله وإخباراً بما أعده الله سبحانه وتعالى لهم، قال الله عز وجل (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)، الله سبحانه وتعالى يقول (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ) وقال الله عز وجل (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ) يعني وفي سبيل إنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان إلى آخر الآية.

والله عز وجل يقول (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ) الدنيا عندهم لا قيمة لها لأنهم يطلبون ما عند الله عز وجل (وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (فقاتل في سبيل الله لا تُكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين).

والأحاديث في فضل الجهاد كثيرة وقد ذكرنا منها أحاديث في مواطن متعددة ويكفينا قول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموطن " والذي نفسي بيده لولا رجالٌ من أمتي لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا "، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لما في الخروج في السرايا من الفضل والأجر لولا أن هناك رجالاً من المؤمنين الفقراء والضعفاء الذين لا يتحملون مفارقتي في كل حين فأقعد تطييباً لنفوسهم والله ما قعدت خلف سرية يعني ما أرسلت سرية وقعدت وراءها بل كنت في هذه السرية، فكيف بمن يقضي عمره كله ولا يخرج ولا في سرية واحدة في زمن هو زمن الجهاد والقتال حيث تسلط الكفرة من كل نِحلة على المسلمين وينكلون بهم على رؤوس الأشهاد جهاراً نهاراً كل أحد يرى ما يصيب المسلمين والإنسان جالسٌ إما في مدرسته وإما في مسجده وإما في عيادته وإما في وظيفته أو في دكّانه وكأن هذا لا يعنيه وكأنه ليس جزءا من هذه الأمة لا يصيبه ما يصيب إخوانه المسلمين، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائِر الجسد بالحمى والسهر ".

فإذن كل مسلم ينبغي أن يكون مجاهداً مقاتلاً في سبيل الله وأعداء الله عز وجل من اليهود والنصارى والمرتدين ما تسلطوا على هذه الأمة وما أذلوها وما أذلوا شبابها وشيوخها إلا عندما فقدت هذه الصفة صفة الجهاد وصفة القتال في سبيل الله ولذلك الآن في كل الدول اقتناء السلاح يعتبر تهمة يعاقب عليها القانون، الأصل في المسلم أن يكون صاحب سلاح وأن يكون مقاتلاً مجاهداً، الآن يقول لك هذا حُكِم عليه عشر سنوات ، لماذا ؟ لأنه وجدوا عنده سكين بدون ترخيص! أو وجدوا عنده مسدس، أو وجدوا عنده كلاشن أو غير ذلك من الأسلحة، بهذا أذل أعداء الله أمة الإسلام، أما الصحابة رضي الله تعالى عنهم فكانوا جميعاً مقاتلين، علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عندما خلّفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك خلّفه على المدينة قال له تبقى على المدينة لأن فيها نساء وأطفال لا بد أن يبقى من يقوم عليهم، خرج علي ابن أبي طالب عندما خرج الجيش بدأ المنافقون يتكلمون على علي، إنما قعد خوفاً، وأنتم ؟ هم لم يخرجوا، المنافقون، ويلمزون علي، ولم لا تلمزون أنفسكم ؟ فخرج علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تركتني مع النساء والأطفال، أراد أن يخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي".

إذن أيها الإخوة .. المسلم عزيز بدينه والمسلم رجل مجاهد، الآن تأملوا يا إخوة كيف انقلبت الموازين، الآن من التهم التي توجه للمسلم أنه مجاهد، صحيح أو لا ؟

يقول لك هذا رجل مجاهد، ومتى كان الجهاد تهمة أو جريمة يعاقب عليها الإنسان ؟

هذا هو الأصل، ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم : " ما ترك قومٌ الجهاد في سبيل الله إلا عمّهم الله بعـذاب "، ولا يلتفت لما ينعق به هؤلاء من التسفيه والتحقير وغير ذلك.

وقال الله عز وجل (يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) لا يستطيع أحد أن يحك هذه الآية وأن يمحوها، آيـة محكمـة في كتاب الله عز وجل، وهذا القتال في سبيل الله ليس في سبيل الأهواء، لا يقاتل الإنسان انتصارا لقبيلة ولا لحمية جاهلية ولا يقاتل انتصاراً لجماعته ولا لوطنه ولا لغير ذلك وإنما قتاله في سبيل الله يعني في سبيل إعلاء كلمة الله عز وجل، فلا بد أن نستحضر هذا المعنى أيها الإخوة نحن إنما نقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، إنما نقاتل لتكون شريعة الله فوق كل شريعة، إنما نقاتل ليكون حكم الله فوق كل حكم، لتكـون شـريعة الله فـوق الـشرعية الدولية، ليكون حكم الله فوق أحكام مجلس الأمن بل ليزيل أحكام مجلس الأمن، لا يبقـى، هـذه الأحكـام الجاهلية أُمرنا بإزالتها (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) فإذن (يقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فنيتنـا ومقصدنا إنما هو إرضاء الله سبحانه وتعالى فلذلك لا نلتفت إلى ما يقول هؤلاء إذا رضي الله عنك فماذا يضرك سخط الناس ؟

إذا مدحك الله سبحانه وتعالى فماذا يعنيك أن يذمك الناس ؟

إذا رفعك الله سبحانه وتعالى في الدرجات فهل يضرك أن يسعى أعداؤك إلى أن يترلوك في الدركات ؟

لا، أنت في طريقك إلى الله سبحانه وتعالى فلا تبالي، كما قال الله عز وجل (يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ) تتكلم الإذاعات تتكلم الفضائيات تُعقد الندوات يتكلم المفكرون يتكلم المحللون يأتي السفهاء كـل هذا لا يعنينا لأننا نسلك طريقاً توصلنا إلى الله عز وجل، قال الله سبحانه وتعالى (يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ) إذن السوق التي يقدم فيها الإنسان سلعته ليستلمها منه الله سبحانه وتعالى أين ؟

ساحة الجهاد، ولذلك الله سبحانه وتعالى جعل الجهاد تجارة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِـيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) بيع وشراء (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ) ، (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ الَّـذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ) فإذن الإنسان لا يكفيه أن يدعي أنه صادق مع الله سبحانه وتعالى وتتهيأ له سبل الجهاد ولا يحدث بذلك نفسه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " من لم يغزُ " أنت أيها المسلم سل نفسك قـد يكون الواحد انطبق عليه هذا الحديث فكيف يلاقي الله سبحانه وتعالى ؟

" من لم يغزُ ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق " حديث في صحيح مسلم، ولا يكفـي أن يحـدث الإنسان نفسه بالأماني: والله أتمنى أن أغزو .. والطريق مفتوح والسبيل ميسر والزاد موجـود والمـال عنـدك وساحة الجهاد موجودة وسوق الجهاد قائمة ومع ذلك يقول أنا أتمنى أن أجاهد في سبيل الله، ما الذي يمنعـك ؟ ما الذي يحول بينك وبين الجهاد في سبيل الله ؟

فلا بد أن يحتاط المرء لنفسه.

قال الله سبحانه وتعالى ﴿يقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فيحصل من وراء قتالهم ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ يقتلون أعداء الله عز وجل الذين شاقوا الله ورسوله، يعني كانوا هم في شق والله ورسوله في الشق الآخر، ويحادون الله ورسوله ويفتنون الذين آمنوا عن دينهم ويشركون بالله سبحانه وتعالى، يقاتلون هؤلاء الكفرة لأنهم نجس يطهرون الأرض منها.

قال الله سبحانه وتعالى ﴿فَيَقْتُلُونَ﴾ إذن قتال الكفار وقتلهم بالأحكام الشرعية المعروفة في أبواب الجهاد هذا شيء ممدوح شرعاً يحبه الله سبحانه وتعالى، قال النبي صلى الله عليه وسلم " لا يجتمع كافرٌ وقاتله في النار أبداً " إذا قتل مسلمٌ كافر فلا يجتمع معه في نار جهنم أبداً إذا مات على الإيمان والتوحيد فقال الله عز وجل ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ﴾ أعداء الله عز وجل الكفرة ﴿وَيُقْتَلُونَ﴾ يعني وينالون الشهادة في سبيل الله وليس معنى هذا أن الإنسان لا ينال الجنة التي وعد الله سبحانه وتعالى أن يعطيها لمن أسلم نفسه إلا إذا قُتِل الإنسان مجاهداً في سبيل الله، لا، الذي أراده الله سبحانه وتعالى منا هو أن نسعى للجهاد أن نسعى للقتال أن نسعى لطلب الشهادة ثم إذا قُتِل الإنسان فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وإن مات على فراشه وكان صادقاً في طلب الشهادة في سبيل الله فقد مات وهو شهيد، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء ولو مات على فراشه ".

وفي حديث أخر صححه بعض أهل العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من فصل في سبيل الله – يعني من خرج في سبيل الله – فمات أو قُتِل أو وقصته دابته – يعني سقط من دابته فمات – أو لدغته هامّة – يعني لدغته عقرب أو حية – أو مات على فراشه أو مات بأي حتف مات – بأي شيء مات – فإنه شهيد وإن له الجنة "، والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ والله عز وجل يقول ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾.

إذن أيها الأخ المجاهد أنت في طريق الجنة إلى الله سبحانه وتعالى بل أنت في طريق الشهادة إن كنت صادقاً في طلبها وأنت في ساحة الجهاد تقف عند باب الجنة، قال النبي صلى الله عليه وسلم " إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف " وقال النبي صلى الله عليه وسلم " الجهاد في سبيل الله بابٌ من أبواب الجنة ينجي به الله من الهم والغم " فمالك وللدنيا أنت واقف عند باب الجنة تنتظر أن يُفتح لك في كل لحظة –لا أقول في كل يوم– في كل لحظة تنتظر أن يُفتح لك باب الجنة لتخرج من دار الهم والغم والنصب والتعب وغير ذلك، الشهادة في سبيل الله، النبي صلى الله عليه وسلم يقول " ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا لُيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة " هذا شيء عظيم أيها الإخوة، يعني لا يوجد أحد يدخل الجنة ويرى ما فيها من النعيم المقيم والإكرام من الله سبحانه وتعالى فيُقال له ما رأيك أنت ترجع إلى الدنيا ونعطيك كل ما على الأرض ؟

يقول لا أنا لا أريد أن أرجع إلى الدنيا، إلا الشهيد، الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ليس مرة واحدة عشر مرات ولكن يرجع إلى الدنيا لينال ما عليها من شيء ؟ لا ، فقط يريد أن يرجع ليكرر الشهادة مرة أخرى

حتى يُقتل مرة أخرى عشر مرات يريد تأتيه الطلقة مرة أخرى الشظية مرة خرى القصف المرة الرابعة اللغم وهكذا لما يرى من الكرامة عند الله سبحانه وتعالى، لا يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ليزور والده ولا ليجلس مع أمه ولا ليرى أبناءه ولا زوجته ولا ليجلس مع إخوانه المجاهدين الذين أحبهم وأحبوه، لا لا لا هذا لا يريده إنما يريد أن يرجع إلى الدنيا ليذوق حلاوة الشهادة هذه الحلاوة التي يريدها لا تنقطع عنه أبداً إكراما من الله سبحانه وتعالى.

إذن ليحرص أحدنا لأن يكون من هؤلاء أيها الإخوة، كيف ؟

من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء ولو مات على فراشه.

فقال الله عز وجل (يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ) ويا أيها الإخوة كما أن المجاهدين متفاوتون في الدرجات في الجنة فكذلك الشهداء ليسوا على مرتبة واحدة، النبي صلى الله عليه وسلم يقول " إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض " هذه للمجاهدين يدخل فيهم الشهداء وغيرهم، وقال صلى الله عليه وسلم عن الشهداء قال " القتلى ثلاثة : رجل مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يُقتل " قال النبي صلى الله عليه وسلم " فذلك في خيمة الله " وفي رواية " في جنة الله لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة "، المرتبة الثانية : قال " رجلٌ مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله خلط عملاً صالحاً وآخر سيئا " ارتكب من السيئات، قال النبي صلى الله عليه وسلم في حق هذا " ممصمصةٌ محت ذنوبه وخطاياه " يعني الشهادة غسلت ما عنده من الذنوب والخطايا " فإن السيف محاء الخطايا يدخل من أي أبواب الجنة الثمانية شاء " هذا الثاني، وأما الثالث فقال النبي صلى الله عليه وسلم " رجلٌ منافقٌ يجاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يُقتل " قال " فذلك في النار فإن السيف لا يمحو النفاق" نسأل الله العافية.

وقال الله عز وجل (يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ) حتى لا يبقى هناك أدنى تردد أو شك في قلب المؤمن وهو مقدم على الله سبحانه وتعالى، قال الله عز وجل (وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا) يعني هذا البيع وعد الله سبحانه وتعالى عليه وعداً أوجبه على نفسه فهو محقق لا محالة، وهذا الوعد الحق قد دوّنه الله سبحانه وتعالى وذكره في أشرف كتبه (وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ) التوراة التي أنزلها الله على موسى والإنجيل الذي أنزله الله على عيسى والقرآن الذي أنزله الله على محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وحتى لا يبقى هناك أدنى تردد بعد هذا التأكيد قال الله سبحانه وتعالى (وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ) أيوجد أحد أوفى بالعهد من الله عز وجل ؟ يعني لا أحد فإذن لا ترتابوا ولا تترددوا ولا تشكوا فأنتم في طريقكم إلى الله عز وجل في طريقكم إلى الجنة فما عليكم إلا أن تصدقوا وتخلصوا لله عز وجل حينما تقدمون هذه السلعة لله عز وجل بعدها ينتهي كل شيء من الهموم والغموم والضيق والكدر والمطاردات وغير ذلك انتهى كل شيء في لحظة تخرج من هذه الدنيا تجد نفسك في نعيم لا ينقطع أبداً.

يا إخوة النبي صلى الله عليه وسلم وصف الجنة وصفاً كثيراً ثم قال بعد ذلك " وفيها ما لا عــينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر "، نعيم لا يتصوره أحد ولم تسمع به أذن ولم تره عينٌ، ولذلك النبي صـــلى الله عليه وسلم حينما سُئِل من أفضل الشهداء ؟ قال: " الذين يلقون في الصف الأول " لأنهم مُقبلون على الله وهم على يقين أنهم قادمون على ما وعدهم الله سبحانه وتعالى به، لا يلتفتون إلى الدنيا ولا ينظـــرون وراءهـــم ولا يفكرون في شيء من شهواتها ولا من مصائبها هم مقبلون على الله عز وجل، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " الذين يلقون في الصف الأول لا يلفتون وجوههم أولئك يتلبطون في الغرف العلا من الجنة – يتقلبون في الغرف العالية في الجنة – ويضحك إليهم ربك وإذا ضحك ربك إلى عبدٍ فلا حساب عليه ".

فقال الله سبحانه وتعالى (وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ)، ما زال حـــتى يتأكد هذا المعنى ويصبح في قلب كل مؤمن أمراً قطعياً لا تردد فيه قال الله عز وجل (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ) كونوا مستبشرين بهذا البيع (فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُـــوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من هؤلاء المؤمنين المتقين الصادقين المخلصين الذين يختم لهـــم بشهادة في سبيله سبحانه وتعالى إنه سميعٌ قريب.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

ابـــــن الشيـــــــــخ... القبرُ ولا الحَور

﷽ بسم الله الرحمن الرحيم ﷽

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعد ..

أمة الإسلام : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

فقد عزَّ عليّ أن أرى صفحة من صفحات التاريخ المضيئة المعاصرة تطوى طياً خفياً وتأبن في دهاليز الظلمات لتكون نسياً منسياً وخبراً مزوياً في زمن تحكم فيه الظلم ورتع في أرجائه السفلة واستنسرت البغاة فأُهين الكرام وأُكرم اللئام وقُرِّب الدنيء وأقصي التقي وكبل الناصحون الصادقون وساح الفاسدون المفسدون ، وقُتِّل الأخيار الأبرار واستعلى الأشرار الفجار وما الله بغافل عما يعمل الظالمون ، قال الله تعالى : {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء}.

ففي جريمة شنعاء تُضَّم إلى قائمة الجرائم السوداء قام نظام الردة والعمالة في ليبيا بقتل البطل المجاهد والمرابط المهاجر والأسير الصابر الأخ : (علي عبد العزيز الفاخري) المعروف في هجرته بابن الشيخ الليبي ، رحمه الله ورفع درجته وأحسن مثواه ، قتله ذلك النظام وهو مكبل بقيوده ومُغَل في سلاسله حتى لكأنما أحمد شوقي يعنيه حينما رثى أحد أجداده المجاهدين عمر المختار بقوله :

وأخو أمورٍ عاش في سرائها *** فتغيرت فتوقع الضراءَ

الأُسْدُ تزأر في الحديد، ولن ترى *** في السجن ضرغاماً بكى استخذاءَ

وأتى الأسير يجر ثقل حديده *** أسدٌ يجرجر حيةً رقطاءَ

عضت بساقيه القيود ولم ينؤ *** ومشت بهيكله السنون فناءَ

حرموا الممات على الصوارم والقنا *** من كان يعطي الطعنة النجلاءَ

وقبل ثلاثة عشر عاماً أقدم زبانية الإجرام السفاحون القتلة من جنود مسيلمة العصر القذافي شانئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل أكثر من ألف وثلاثمائة أسير من شباب الإسلام الركع السجود رمياً عشوائياً بالرصاص في ظلمات سجن أبو سليم بطرابلس في مشهد إجرامي يعجز المرء عن وصفه مما لم نسمع مثله في جرائم العصر مع كثرتها ، ففاضت تلك الأرواح الزكية إلى بارئها بعد رحلة عناء في زنازين القهر والظلم

والمشاقة لله ولرسوله . نعم ، فاضت تلك الأرواح وبقيت أجسادهم الطاهرة تكتظ بها الزنازين وقد تضمخت جدرانها البائسة بدماء لم يجرِ معها إلا الولاء لله ولرسوله والمؤمنين ، لتبقى تلك الحادثة المنسية شاهدة على الحقد الدفين الذي يفيض به قلب الطاغية المتجبر القذافي وزبانيته المرتدين ، وليعطي درساً عملياً في العداء الصارخ للإسلام والمسلمين ، وليعلن بفعلته النكراء أن الشعب الليبي المسلم برمته لا يزن عند هذا العميل وجنوده الخاطئين مثقال ذرة ، وأن قتل خيارهم أهون عليه من قتل الذباب ، قال الله عز وجل عن مشهد بشع من مشاهد تجبر الطغاة القساة واحتقارهم لشعوبهم مما يشبه هذه الواقعة : { قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ{٤} النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ{٥} إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ{٦} وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ{٧} وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ{٨} الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ{٩} إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ{١٠} .

طويت تلك الصفحة ولكن لم تطو أحزانها وآلامها ولما يؤخذ بثأرها بعد ، فقد انتصر أولئك الأبطال وإن كانوا مكبلين ، انتصروا بعلو إيمانهم ورسوخ عقيدتهم وقوة ثباتهم ، وما نرجو لهم من الفوز العظيم والمساكن الطيبة أعظم وأكبر في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وانحدر الطاغية وزبانيته بأفكارهم الهزيلة وتبجحهم الموهوم وانتفاشتهم الخاوية ومخازيهم المتوالية ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ، فما كادت تنقضي فصول هذه الجريمة ، وتجف دماء أصحابها الأبرار حتى ألحقها بأختها بقتل أخينا البطل ابن الشيخ رحمه الله تعالى لأن الفطام عن المألوف شديد وعسير ، وقد أَلفَ هذا النظام المرتد اقتراف الجرائم والعبث بالأرواح وإزهاق الأنفس والتنكيل بكل من يشتم منه رائحة الاعتراض ، رافعاً لواء سلفه وسلف أمثاله { قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} .

فلقد عرفت أفغانستان ابن الشيخ –رحمه الله– مهاجراً صابراً مرابطاً مربياً بأخلاقه الرفيعة وحيائه الشديد وتواضعه الجم و شهامته النادرة ومواقفه الفذة وكثرة عبادته ودوام تلاوته لكتاب ربه ورفقه ومحبته لإخوانه ، وقد كتب الله له القبول في قلب من رآه ومن لم يره ممن سمع به وعرف مآثره ، كما منَّ الله عليه بأن يسد ثغرة قل ما يصبر عليها إلا أهل الاحتساب وانتصب لإحياءِ ونشرِ علم غابت معالمه وهانت الأمة عندما فرطت فيه وطمع فيها أعداؤها لما تخلت عنه ، واستعلى عليها الأراذل بعدما تنكرت له ، إنها عبادة الإعداد للجهاد في سبيل الله تعالى الذي فرضه الله عزوجل في كتابه بقوله : { وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ } ، فأمة الإسلام ما تجرعت كؤوس الذل وما حل بها الهون إلا بابتعادها عن صهوات الخيل واتباعها أذناب البقر ونسيانها الرمي واعتنائها باللهو واغتنائها باللغو ، فحق لمعسكرات التدريب التي كان لابن الشيخ فيها صولات وجولات أن تتمثل قول الشاعر :

هوى فهوت أركان عز وأعوزت *** ثغور به كانت أوامن للذعر

ولما بدأ عباد الصليب هجمتهم على إمارة أفغانستان الإسلامية وأجلبوا عليها بخيلهم ورجلهم كان ابن الشيخ –رحمه الله– ممن شمروا عن ساعد الجد وقاموا في وجهها بما في وسعهم وصبروا وصابروا في قتالهم والتصدي لهم ، فبقي مع إخوانه في تورا بورا إلى آخر لحظة فلما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وبدأت رياح الخيانة والردة تهب عليهم من قبل عملاء أمريكا اتجه مع عدد من إخوانه صوب باكستان التي كان طاغيتها المنبوذ قد تعهد بوقوفه جنباً إلى جنب مع حامية الصليب العالمي أمريكا في حربها على الإسلام والمسلمين ، وهناك بدأت رحلته في سجون الحملة الصليبية فتم اعتقاله هو وعدد من رفقائه ، فبقي مدة في سجن كوهات ثم تم تسليمه لحامية الصليب فنقل إلى قندهار وبعدها إلى كابل التي بقي فيها مدة قصيرة مع التعذيب والتنكيل ، فلما لم يفلحوا في أخذ شيء من المعلومات منه هددوه بالتسليم إلى إسرائيل أو الأردن أو مصر، وبالفعل تم نقله في تابوت تماماً كما ينقل الموتى في رحلة طويلة بين كابل والقاهرة ، فبقي في سجون فرعون مصر ، وما أدراك ما سجون مصر ! ، سنة كاملة ، أخذت منه اعترافات كاذبة قهراً وقسراً ثم أعيد إلى سجن الظلام في كابل فبقي فيها عدة أشهر أصبح معها وزنه يتناقص شيئاً فشيئاً حتى حذر أحد دكاترة السجن من أن بقاءه على هذه الحال سيؤدي قطعاً إلى وفاته فتم نقله بعد ذلك إلى سجن يقع في وادي بانشير في شمال أفغانستان في يونيو عام ٢٠٠٣ فهناك كان أول لقائي به داخل السجن فرأيته ضعيفاً نحيفاً مع نحافته أصلاً قد انحنى ظهره ولكنه والله كان غايةً في الصبر وقمة في الثبات وحسن الظن بالله ودوام التلاوة لكتابه بصوته الندي مع التصبير لإخوانه بل وحثهم على اغتنام الوقت لحفظ القرآن الكريم الذي ملك حبه شغاف قلبه بمعنوياته العالية ونفسه الراقية ، وما أكثر ما كنت أقول له وهو على تلك الحال : "كيف المعنويات يا ابن الشيخ ؟" ، فكان يجيبني : "عشرة على عشرة" !

وقد قال لي مرة : "إن الله إذا أراد أمراً هيأ له أسبابه ، وإن أمريكا قد تورطت بالدخول إلى بلدين ما أفلح من دخلهما أبداً : أفغانستان والعراق ، وستكون نهايتها فيهما بإذن الله " .

نعم ، يقول هذا الكلام وهو في تلك السجون المغيبة في أودية بانشير في غرف مظلمة طولها متران وعرضها متر واحد ، وليس هناك من علامات فرج ولا مخرج ولا بصيص أمل إلا في قلوب الواثقين بوعد الله ، المستيقنين بلطف تدبيره سبحانه التالين لقوله تعالى : { وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً } ، فبقي في هذا السجن مدة خمسة أشهر تحسن فيها حاله واستعاد شيئاً من صحته وقوته ، ثم أعيد مرة أخرى إلى سجن الظلام وذلك بعد أن تراجع عن كل الاعترافات التي أخذت منه في سجون مصر ، وقال للأمريكان بصريح العبارة : "إن كل ما أخذ مني قد كان تحت الضغط و الإكراه والتعذيب بما في ذلك العلاقة المزعومة بين نظام صدام البعثي الكافر وتنظيم القاعدة" ، فسقط في أيدي الأمريكان حينها حيث كانت الحرب في العراق على أشدها وكان أبطالها قد سعروا نارها ونكلوا بجنودها بقيادة الشيخ أبي مصعب الزرقاوي –رحمه الله– ، مع العلم أن القرار النهائي لدخول الأمريكان للعراق كان بناء على المعلومات التي انتزعت قسراً وقهراً من ابن الشيخ –رحمه الله– ، فعندها هدده الأمريكان بأنهم سيرجعونه إلى سجن الظلام فقال : "افعلوا ما شئتم ولكن هذه هي الحقيقة" ، وبالفعل تمت إعادته إلى سجن التعذيب في كابل في أكتوبر عام ٢٠٠٣ وكان هذا آخر عهدي به في السجن ،

فبقي في سجن التعذيب أو سجن الظلام عدة أشهر وهو مع ذلك صابر ثابت شامخ مستعلٍ بإيمانه مزدرٍ للطغاة الذين لم يستطيعوا أن ينالوا من رسوخه وعقيدته شيئاً .

وبعدها نقل إلى سجون طاغية ليبيا ليدفن فيها وينسى وراء جدرالها مع المنسيين هناك بعد أن افتضح أمر الأمريكان في قرار الحرب على العراق ، فابن الشيخ رحمه الله لم ينقل إلى باجرام ولا إلى جوانتنامو أبداً وإنما كانت كل تنقلاته عبر السجون السرية للنصارى والمرتدين ، فوقف هذا الجبل الأشم في وجههم جميعاً متحدياً لهم بإيمانه وصامداً أمامهم بيقينه مردداً قول نبي الله موسى عليه السلام الذي وقف في وجه إمام الطغاة : { إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ } ، وقائلاً للذين عذبوه ونكلوا به وهددوه وتوعدوه ما قاله سحرة فرعون بعد إيمانهم ويقينهم : { قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا }.

وهكذا يفعل الإيمان بأهله الذي يأخذون الكتاب بقوة ، وتتصل قلوبهم بربهم وتتعلق أفئدتهم بحبه وابتغاء مرضاته ، ولا يرون الدنيا إلا كطيف خيال يوشك أن يتلاشى .

فلله أنت يا ابن الشيخ يا فخر ليبيا وشامة شرقها ودرة مدينة جدابيا مخرجة الأبطال ومنجبة الرجال ، حيث أبيت أن تعطي الدنية في دينك وتحطمت على جسمك النحيل معاول مؤامرات الطغيان اليائسة ، وتبددت أمام عزمك وحزمك إغراءاته البائسة التي عجزت أن تأخذ منك كلمة واحدة تقر بها حكم طاغوت واخترت الموت على ذلك قائلاً لهم في إزراء وازدراء : { إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }، فإننا لنعلم يقيناً أن دماءك الزكية سيحيي بها الله رجالاً ، وإن مواقفك الفذة ستكون قدوة يأتسي بها السالكون لدربك الخريجون من مدرستك ، وسيرى مسيلمة العصر عما قريب بإذن الله كيف توقظ رفاتك التي ركزوها في رمال جدابيا شباباً أفذاذاً وفرساناً أنجاباً يتقاطرون على ساحات الوغى ومواطن الردى تقاطر الغيث المملوء نقاء وصفاء وعذوبة وحياة .

ركزوا رفاتك في الرمال لواءَ *** يستنهض الوادي صباحَ مساءَ
يا ويحهم نصبوا مناراً من دمٍ *** يوحي إلى جيل الغد البغضاءَ

فمتى يعقل الطغاة أصحاب القلوب الغلف أن تلك الدماء الفوارة هي الوقود الذي تتقوى به قافلة الجهاد وتدفع الحياة في أوصاله وصدق الله : { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ }.

من مواقفه النادرة –رحمه الله– حينما قُبض عليه في باكستان وأُودع سجن كوهات وحيث كان هو أمير تلك المجموعة التي أُسرت معه استحوذ الجشعون من الشرطة والاستخبارات الباكستانية على مبلغ من المال كان معه فقالوا له : "نحن مستعدون لإطلاق سراحك بشرط واحد أن تتنازل لنا عن المبلغ الذي معك كاملاً" ، فأجابهم قائلاً : " لا أقبل هذا إلا إذا وافقتم على إطلاق جميع الأسرى الذين معي "، فأبوا ذلك ، مع علمه أن المبلغ سيأخذونه شاء أم أبى ولكن رفض أن تنكت في صفحته البيضاء الناصعة اللامعة نكتة سوداء فينجو بنفسه ويتخلى عن إخوانه الذين لا يتأخرون في أن يفدوه بأرواحهم ودمائهم .

ومن مواقفه أيضاً –رحمه الله– أن الأمريكان سألوه وهو في السجن إن كان عضواً في تنظيم القاعدة أم لا ، فأجابهم بكل صراحة : "نعم أنا عضو في تنظيم القاعدة" ، ولم يكن آنذاك كذلك ، فسأله بعض الإخوة السجناء : " لِمَ تقول هذا وأنت تعرف ماذا تعني هذه الكلمة وما هي تبعاها " ، فأجابه ببساطته وسجيته المعهودة : "إن هذا شرفٌ لي" ، وصدق الشاعر : إنما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه .

فحينما كان الناس يتبرؤون من المجاهدين عامة ومن تنظيم القاعدة خاصة ، وعندما كان مجرد الميل إلى هذا الاسم يؤخذ عليه بالنواصي والأقدام ، وحينما كان الأمريكان في غاية غليانهم وقمة هيجانهم أبى هذا الليث الصابر أن يفوته هذا الشرف –وإنه والله لشرف– فأعلنها في وجه جلاديه : "نعم أنا من تنظيم القاعدة" !

فرحمك الله أيها البطل الأشم ، فنم هنيئاً بعد طول عناء، و طب نفساً وقد حكم القضاء ، فعند الصباح يحمد القوم السرى ، فقد كانت غمرات ثم انجلت ورحلة قد انقضت بإذن الله { الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ{٢٠} يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ{٢١} خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ{٢٢}.

أما أنت أيها الأفاك الأثيم العتل الزنيم طاغية ليبيا فقد بقيت حيناً من الدهر وأنت تلعن أمريكا وتتبجح بالتصدي لها ، وقد خدرت الشعب وأسكرته بدعاوى عداوتها ، ولطالما قتلت الأخيار بتهمة العمالة لها والارتباط بها ، واليوم وقد أسفر الصبح عن وجهه ظهرتَ على حقيقتك في غير حياء وأبنت عن عمالتك ونذالتك من دون خجل فقتلت وسجنت ونكلت بشباب الإسلام وشيوخه طاعة لأمريكا ومناصرة لرايتها النصرانية ودعماً لحملتها الصليبية وأصبحت أعلامها ترفرف في سماء طرابلس التي دفنت أهل الإيمان والتوحيد والاستقامة في ظلمات سجونها الظالمة ، فاخسأ عدو الله فلن تعدو قدرك فقد طال تجبرك واستفحل شرك وانفضح لؤمك واقترب يومك بإذن الله ، فوالله إن جرائمك لن تُنسى وإن آساد الإسلام وراءك بالمرصاد وأجناد الجهاد قد دنوا منك بعد أن اجتمعت كلمتهم واحتشدت جموعهم وتآلفت قلوبهم وارتفعت في المغرب الإسلامي رايتهم واستنصرت للثأر منك ومن أمثالك أبطال الاستشهاد فلم يقعدهم اليأس ولم تكبلهم الأماني ولم يرهقهم طول الطريق إذ رأوا آثار رحمة الله بهم ومعيته لهم ، وقد رسم لهم سبيل العز والتمكين والرفعة

أمثال البطل الشهيد ابن الشيخ –رحمه الله– وغيره من قادة هذه القافلة التي لم ولن تستطيع أنت وأسيادك وأولياء نعمتك أن توقفوها أو تقطعوا مددها ولو كان بعضكم لبعض ظهيراً وقديما قلت فيك وهي اليوم إليك :

يا أيها الوغدُ اللئيمُ مُعمَّرُ *** للحق نورٌ ساطعٌ لا يُحجبُ

مهما سعيتَ لحربه فبريقه *** يُجلي العمى وطريقه لا يقضبُ

يا ذا الخنا أتريد أن نحيا على ** أقذار فكرٍ للهدى متنكبُ

فاخسأ ، ستعلم أن وقع سيوفنا *** نارٌ بها هاماتكم تتكبكبُ

ولتشربن من المهانة أكأساً *** قد خاب مَن كأسَ المهانة يشربُ

لا تحسب ابن الشيخ فرداً قد مضى *** كلا ، فإن جنوده لم يذهبوا

يتسابقون إلى الوغى ووقودهم *** غيظٌ على أعدائهم يتصببُ

فانتظروا إنا منتظرون

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الجزائر بين تضحية الآباء، ووفاء الأبناء

۩ بسم الله الرحمن الرحيم ۩



الحمدُ لله، والصلاةُ والسلام على رسولِ الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد ..

أمةَ الإسلام : السلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاته ..

فلسنا نشكُّ طرفة عين أنّ الجهادَ في سبيل الله هو طريقُ حياةِ الأُمّة، كما قال الله عزّ وجل : ﴿يا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، وهذا الطريقُ –أعني طريقَ الجهاد– رغم ما حفّه وتضمنه من المكاره والمشاق والنصب والتعب واللأواء وصور البلاء إلا أنه الطريقُ الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى ليكون المُوصل إلى مرضاته، والمحقق لعبوديته، والدليلَ على صدق محبته، والمميز لأهل الصدق والإيمان عن أهل الدجل والنفاق، والمُمحص لصفوف المسلمين، والسبيلَ لإقامة عَلَم التوحيد واستئصال شأفة الشرك و التنديد، قال الله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انْتَهَوْاْ فَإِنّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، وقال عزّ وجل : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنّةَ وَلَمّا يَعْلَمِ اللّهُ الّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصّابِرِينَ﴾.

وقال عزّ من قائل : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾.

فالجهادُ في سبيلِ الله هو مأوى المستضعفين، وملجأ المشردين، وسكينة العُبّاد الناسكين، ومأمن الخائفين المضطربين، وطريق رفع الذلّة والمسكنة عن المكبوتين والمقهورين، ولن يُقطع دابر الفساد في الأرض إلا بالجهاد والجِلاد.

فكيف لا يكون حياةً إذن ؟!

قال تعالى : (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا)، وقال عزّ وجل : (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) .

مؤسسة السحاب :

قال العلاّمة ابن قاسم –رحمه الله– عن الجهاد :

" وهو سنامُ العبادة وذورةُ الإسلام، وهو المحك والدليل المُفرِّق بين المُحب والمُدعي، فمن صدق المُحبِّ بذلُ مهجته وماله لربه، حتى يَوَدَّ لو أن له بكل شعرة نَفْسًا بذلها في مرضاته، ويودَّ لو أن قتل ثم أحيي ثم قتل ثم أحيي، قد سَلَّم نفسه لمشتريها، وعلم أن لا سبيلٍ إلى أخذ تلك السلعة الغالية إلا ببذل ثمنها (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ)، ففيه خير الدنيا والآخرة، وفي تركه خسارة الدنيا والآخرة، وفيه إحدى الحسنيين : إما النصر والظفر، وإما الشهادة والجنة، وفضله عظيم، كيف وحاصلُه بذلُ أعز المحبوبات وإدخال أعظم المشقات على النفس ابتغاء مرضاة الله وتقرباً إليه، ونفعه يعم المسلمين كلهم، وغيره لا يساويه في نفعه وخطره فلا يساويه في فضله ". اهـــــ

الشيخ أبو يحيى الليبي :

وكما تكفل الله عز وجل بحفظ كتابه ودينه فقد تضمَّن بأن يُبقي طائفةً من أهل الحق والعزم والعلم قائمين بأمرهِ داعين إلى شرعه مقاتلين عليه لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، يجاهدون في سبيله ولا يخافون لومة لائم، همُّهم مرضاته ومقصدهم إقامة شريعته وغايتهم الفوزُ بجنته فيقاتلون أعداءه ويُغلظون عليهم ويُوالون المؤمنين ويرحمونهم وينافحون عنهم، رسخت أقدامهم على طريق الحق واقتحموا مستبشرين مواطنَ الصدق مستشعرين فضل الله عليهم وهم يتلون قوله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) .

مؤسسة السحاب :

قال العلامة الشوكاني –رحمه الله– في هذه الآية :

"وهذا شروعٌ في بيان أحكام المرتدين بعد بيان أن موالاة الكافرين من المسلم كُفر، وذلك نوعٌ من أنواع الردة، والمراد بالقوم الذين وعد الله سبحانه بالإتيان بهم هم أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– وجيشه من الصحابة والتابعين الذين قاتل بهم أهل الردة، ثمَ كل من جاء بعدهم من المقاتلين للمرتدين في جميع الزمن، ثمّ وصف سبحانه هؤلاء القوم بهذه الأوصاف العظيمة المشتملة على غاية المدح ونهاية الثناء من كونهم يحبون الله وهو يحبهم، ومن كونهم أذلةٍ على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، أي يُظهرون العطف والحنو والتواضع للمؤمنين، ويظهرون الشدّة والغلظة والترفع على الكافرين، ويجمعون بين المجاهدة في سبيل الله وعدم خوف الملامة في الدين، بل هم متصلبون لا يبالون بما يفعله أعداء الحق وحزب الشيطان من الازدراء بأهل الدين وقلب محاسنهم مساوئ ومناقبهم مثالب، حسداً وبغضاً وكراهة للحق وأهله ".اهـــ

الشيخ أبو يحيى الليبي :

وقال نبينا صلى الله عليه وسلم : " لا تزال عصابةٌ من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعةُ وهم على ذلك " ، وقال صلى الله عليه وسلم : " لا يزالُ أهل المغربِ ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة".
ولطالما عصفت بأمة الإسلام موجات محن وفتن، فقيّض الله لها من جنده الصادقين وعباده المخلصين من رسخوا أمامها رسوخَ الجبال الراسيات، وردّوا عواصفها بقوة الصبر والثبات، وبدد الله بهم كيدَ المجرمين، وأبطل بإيمانهم سحرَ المخذولين وجعلهم آية للعالمين، بِهِم يقتدون وبفعالهم يتشبهون وبذكر سِيَرهم وبطولاتهم يحيون، فلله در السابق واللاحق وأنعم بهم من قائد ومقتدي !

وفي هذا العصر الذي جيّش فيه الطغاة جيوشهم شرقاً وغرباً، واستكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراَ، وتآزروا وتناصروا وتحالفوا على حربِ الإسلام وأهله وتنادوا فيما بينهم عبرَ إعلامهم ومؤسساتهم وخطبائهم : (أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ).

في هذا العصر حيث ذلّ لهم من ذل، وضلّ معهم من ضل، وخضع لهم من خضع، وخنع أمامهم من خنع، انتفض أهل الإسلام وجنود الإيمان في وجه هذا الباطل المنتفش ليبددوا أحلامه بعزيمة الحق، ويمزقوا جيوشه بسيوف الصدق، ويكسروا شوكته بمعول التحدي والإصرار، وقد استرخصوا في سبيل دينهم كل شيء، وقالوا لأهل الباطل المغرورين وحزبهم المخذولين إنا مستيقنون بوعدِ ربنا الذي قال : (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)، وقال سبحانه : (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ).

فيسَّر الله للمؤمنين منازلة أولئك الكفرة المستكبرين، وأعانهم على مصاولة أجنادهم المتآزرين من اليهود والنصارى والملحدين وأعوانهم المرتدين، فصارت ساحات الجهاد مفتوحةً يتنافس فيها المتنافسون ويتسابق نحوها المتسابقون حتى عمّ الخير بفضل الله ومنته مغرب الأرض ومشرقها وشمالها وجنوبها، فكان من بين تلك الساحات الأبية العصية على الطغاة وأوليائهم أرضٌ ذاقت حلاوة التضحيات عقوداً وعقودا، وامتزج بتربتها دماءٌ زكية روَّت جبالها وهضابها ومدنها وقراها وسهولها وصحاريها، وتُوجت باسمٍ تباهت به بين الدول وأبت أن يُنسى أو يُدنس فأعادت صقله وترصيعه وكررت تجديده وتلميعه، إنها بلد (المليون شهيد) ، جــزائـــــرُ الخير والعطاء، جــزائـــــرُ البذل والفداء، جــزائـــــرُ الصبر والإباء، فلله درها ودر شعبها المسلم الذي خاضَ معركةً هي من أشرس وأطول معارك التاريخ (فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) .

نعم، لقد أرادت فرنسا النصرانية الحاقدة أن تمسخَ هذا الشعب المسلم عقيدةً وخلقاً، وانتماءً وهوية ليسير في ركب الأنعام كحال شعوبهم البائسة ممن قال الله فيهم : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) ، وأطلقت وحوشها المتحضرة -وعجباً لوحوشٍ متحضرة ! – لتمزق أجساد الضعفاء بكل شناعةٍ وبشاعة، وتسفك الدماء من غير تفريق بين طفل رضيع أو امرأة ضعيفة أو شيخ فانٍ أو عالمٍ موقر، وأحرقت بنيران صليبيتها الحاقدة كل ما كان في طريقها وما سلمَ منها حجرٌ ولا شجرٌ ولا بشر، فنطقَ أهل النفاق ومن في قلوبهم مرض وقال : (مَا وَعَدَنَا اللّهُ وَرَسُولُهُ إِلاّ غُرُوراً)، وازدادَ أهل الإيمان رسوخاً ويقيناً وقالوا : (هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا).

وتخرَّجَ من أتون هذه المحنة وبرزَ من وسط هذا الإعصار رجالٌ أفذاذ وقادةٌ أبطال وعلماءُ صابرون وبالحق صادعون، عرفتهم الجزائر المجاهدة، بل وعرفتهم الأرضُ كلها ممن رفعوا راية الجهاد والاستشهاد صافيةً نقية وبذلوا كلّ غالٍ ورخيص لحفظ هوية الجزائر لتكون إسلامية عقيدةً ومنهاجاً وشريعةً وحكماً وسلوكاً وخلقاً ولغة وانتماءً، وقطع كل أوصال الفَرْنَسَة التي صال العدو وجال ليسبغها عليها ويجريها في عروقها.

نعم، يا شعب الجزائر المسلم، إنّ عهدكَ بالتضحيةِ قريب، وإن كثيراً من جراحات تلك الحقبة لا تزال تنزف، وهل يمكن لجرحٍ غائر استمرت الدماء تتدفق من أعماقه أكثر من مئة وثلاثين عاماً أن يُنسى أو يُمحى ؟ لا والله ، إنه جرحٌ تقرحت فيه عيون اليتامى، وتفتت في وسطه أكباد الأرامل، واشتكت من لظاه أوساط الأرض وأطرافها، وزفرَ لشدة وقعه وآلامه الإسلام، ولكن كل ذلك يهون ما دام لله، وفي الله، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

إلا أن المصيبةَ العظمى التي تفوق تلك المصائب والداهيةَ الكبرى التي تهونُ معها كل النوائب أن لا نصل إلى مقصودنا بعدَ كلّ ما بذلناه، وأن نرى ثمرة تضحياتنا تقطفها نفس الأيدي التي طالما تحملنا كل عناء لاستئصالها،

والأمرُّ من ذلك والأدهى أن نرضى بثمارٍ خبيثة تتدلى فوقنا كأنها رؤوس الشياطين ونعيش معها في أوهام الحريةِ والتحرير والاستقلال أكثر من أربعين عاماً.

نعم، لقد ضحّى الشعبُ الجزائري المسلم بخِيرة أبنائه ونسائه وشيوخه وعلمائه، ليقيمَ دولةً إسلاميةً خالصة، لا لِيُرسِّخ بتلك التضحيات دعائمَ دولةٍ علمانيةٍ مارقة، فهل تحقق له ما يريد ؟

وضحى الشعب الجزائري المسلم لِيُحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، لا ليهيمن عليه دستورٌ وضعي وأنظمةٌ جُمعت والتُقطت من زبالات الأفكار البشرية الكافرة الرديَّة، فهل نال هذه الأمنية ؟

وضحى الشعب الجزائري المسلم لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله، لا ليجزأ دينُ الله وتُقطع أحكامه وتبعض شرائعه، فهل حقاً صار الدين كله لله في الجزائر؟

لقد ضحى شعبُ الجزائر المسلم لينشأ أبناؤه وتتربى أجياله على عقيدة الإسلامِ الصافية، وأخلاق الإسلام السامية، وعفة الإسلام المصونة، لا ليكون تبعاً للغرب الممسوخ يتهتك بتهتكه ويتميع بتميعه.

لقد ضحى شعبُ الجزائر المسلم ليتولى أمرَه أمراءُ أمناء مؤمنون صالحون يعتزون بإسلامهم عادلون في أحكامهم مستمسكون بشريعة ربهم، لا ليقوم عليهم كفرةٌ مرتدون خائنون ماجنون علمانيون مارقون.

وضحّى الشعبُ الجزائري المسلم لينعمَ بخيرات بلاده التي وهبها له ربه عز وجل لا ليراها تجري من تحت أقدامه وتشقُّ أعماق بحاره ليقام بها صرح الجاهلية الغربية ويتمتع بها كفرتهم.

نعم، هذه الحقيقة التي أدركها أبناءُ هذا الشعب المسلم الأبيّ بعد أن حاولَ عبيد فرنسا وأبناؤها الذين رضعوا من لبناها أن يخفوها ويطمسوها، فقامَ العلماء الصادعون والمجاهدون الصابرون في وجه هذا الباطل ليفضحوه بالبيان والسنان، ويمزقوا أرديته الردية باللسان والطعان، وأماطوا اللثام عن الوجه الفرنسي القذر الذي ما فتئ يتستر بالحُكام الخونة وجنرالات الطغيان والفساد، فارتفعت رايةُ الجهاد في الجزائر ضدهم كما ارتفعت من قبل ضد أسيادهم وأوليائهم، وتوافدت قوافلُ الأبطال وتوالت مواكب الشهداء، ليمتزج دمُ اليوم بدمِ الأمس، ويبقى حبلُ التضحية مشدوداً ممدوداً يشنق كل دخيل وعميل.

فتحيةُ محبةٍ ومودة وتوقيرٍ وتبجيل وإخاءٍ وولاء ومناصرةٍ ومؤازرة إلى شعب الجزائرِ المسلم وكوكبةِ أبنائه الأخيار الأطهار في تنظيمِ القاعدة ببلادِ المغربِ الإسلامي، وعلى رأسهم الشيخُ المجاهد القائد المُسدد بإذن الله أخونا أبو مصعب عبد الودود –حفظه الله–.

فلله درُّ تلك الوجوه الوضيئة والأيدي المتوضئة والقلوب الحانية والأعين الباكية من خشية الله الذين جاؤوا على قَدَرٍ ليكونوا عزاً لأُمتهم في زمن الذل، وأملاً في عصر اليأس، ونوراً يتلألأ في سماءِ الظلمات، وعزماً صارماً في مواطنِ الانكسار، ومواساةً بعد توالي الآهات والزفرات.

فقُلْ للمضلينَ باسمِ الهُــدى *** تــــوارَوا فقــــدْ آنَ أن نهتَــــــدي

وهيهاتَ يبقى الشبـــــابُ بها *** جريحَ الإبــا أو حبيــــسَ اليــــدِ

سَيحيى الشبـــابُ ويحيَى الحِمَى *** ويُفنــــي عُداةَ الــغــدِ الأسعـــــدِ

فشقَّ الدُجى يا أخي واندَفِــــعْ *** إلــــى مُلتَــقى الــنورِ والسُــــؤددِ

ولاقِي الرَدى طالباً للرَدى *** ومُتْ في العُلا موتَ مُستَشــهِــدِ

فمَنْ لم يُمت في الجهادِ النَبيلِ *** يمُت راغمَ الأنفِ في المَرقــدِ

أخي يا شَبابَ الفِدَا طَالَمَا *** خَضعنَا لَكَـيــدِ الشقَـــا الأَســـــــوَدِ

وَمرَّت عَلينَا سيــــاطُ العــَذاب *** مُرورَ الذُبابِ على الجَلمــــــَدِ

فَلَنْ نَخضَعَ اليَــومَ للظَالِمِيــن *** وَلم نَستكــنْ للعَنـــَا الأنكـــــَدِ

فــقــــدْ آنَ للــجــــوَرِ أن يــَنــتــــَهِي *** وقـــَد آنَ للـــعـــــَدلِ أن يَبتَــــدِي

فيا أسودَ الشرى وفرسان الوغى وأبطالَ الميدان : امضوا على بركةِ الله وفي رعايةِ الله، واشكروه على أن اصطفاكم لتكونوا حملةَ رايةِ شريعته ونشرِ كلمته، بتوحيدٍ خالص وإيمانٍ راسخ وسبيلٍ بيّن.

فأنتم اليومَ بفضلِ الله ومنتّه جزءٌ من الطائفةِ المنصورة الظاهرةِ على الحق لا يضُرها من خَالفها ولا من خذلها، ولتستيقنوا أنكم على الحق المبين الذي لا شبهةَ فيه ولا دَخَل، فاثبتوا حتى تلقوا ربكم وأنتم على ذلك، ولتعلموا أنّ الهدايةَ تجلبُ الهداية والسدادَ يقودُ إلى الرشاد، كما قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وقال عزّ من قائل : ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾.

ولقد رأينا بفضلِ الله سبحانه توفيقَه للمجاهدين عبرَ السنين والأعوام في تجاوزِ المحن والصبر على صور الابتلاء، والانتقال من مرحلةٍ إلى مرحلة حتى وصلوا بمنة الله وحده إلى ما هُم عليه من اجتماع الكلمة وتراص الصفوف وصفاءِ الراية واتحادِ الهدف، فصاروا بفضلِ الله مع تباعد أقطارهم وترامي ديارهم يستشعرون من أعماق قلوبهم صدقَ الولاءِ لبعضهم، فهم اليوم من مشرقِ الأرضِ إلى مغربها في خندقٍ واحد وفي صف واحد وأمام عدوٍ واحد لتحقيق هدفٍ واحد.

وإنّا والله لنرجو أن نكونَ جميعاً ممن قال الله فيهم : ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾، وما أجمل ما قاله الأستاذ الشهيد سيد قطب –رحمه الله– في هذه الآية :

مؤسسة السحاب :

"ونقف ثالثاً أمامَ الحالةِ التي يُحب الله للمجاهدين أن يقاتلوا وهم عليها : صفاً كأنهم بنيان مرصوص. فهو تكليف فردي في ذاته ولكنه فردي في صورةٍ جماعية، في جماعة ذات نظام، ذلك أن الذين يواجهون الإسلام يواجهونه بقوىً جماعية ويألبون عليه تجمعاتٍ ضخمة، فلا بد لجنودِ الإسلام أن يواجهوا أعداءه صفاً، صفاً سوياً منتظماً، وصفاً متيناً راسخاً، ذلك أن طبيعةَ هذا الدين حين يغلبُ ويهيمن أن يهيمن على جماعة وأن يُنشئ مجتمعاً متماسكاً متناسقاً، فصورة الفرد المنعزل الذي يعبدُ وحده ويجاهدُ وحده ويعيشُ وحده صورةٌ بعيدة عن طبيعة هذا الدين وعن مقتضياته في حالة الجهاد وفي حالة الهيمنةِ بعد ذلك على الحياة".

الشيخ أبو يحيى الليبي :

فوالله إنكم على ثغرٍ من ثغور الإسلام عظيم، فاحذروا أن يؤتى الإسلامُ من قِبلكم وقد ذقتم حلاوة الجهاد وتنسمتم بركات الاجتماع، ورأيتم هوانَ عدوكم واندحاره أمامكم.

ولا تلتفتوا إلى سخافات الإعلام الساقط الذي نشأ وشبّ وشاب على الكذب والدجل، فما ضجيجهم وصخبهم إلا كصرخةٍ في فلاة لا يسمعها إلا صاحبها، ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، ولا تعبؤوا بشبهات من رقَّ دينهم وجعلوا الكتاب قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً، فمحنة الجهاد والمجاهدين بأمثال هؤلاء قديمة لم ينفكَّ عنها يوماً، ومع ذلك فقافلة الحق ماضية مضاءَ السيف الصارم تشقُّ طريقها في ثباتٍ ورسوخ ويقينٍ وشموخ، كيف وقد تكفلَ الله سبحانه بردِّ شبهاتهم في كتابه العزيز ونقضها واحدةً واحدة كما قال عزّ وجل : ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ .

فشدُّوا حملتكم على أعداءِ الله تعالى من خُلُوفِ فرنسا وعبيدها، واقصدوهم في ثكناتهم فدكّوها عليهم دكاً، وتقصدوهم في معسكراتهم وحصونهم لا سيما أجهزة استخباراتهم التي تتولى التنكيلَ بالمسلمين وتجاهرُ بمحادَّةِ الله ورسوله وسبِّ الشرعِ والدين، ودافعوا عن آبائكم وأمهاتكم وإخوانكم وأخواتكم وسائر المسلمين المستضعفين استجابةً لاستنفار ربكم عزّ وجل: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾.

كلّ ذلكَ حفظاً لدينهم وصوناً لدمائهم ودفاعاً عن أعراضهم ورفعاً للذلِ والكبت عنهم، وكونوا أرحمَ الناسِ بهم وأشفقهم عليهم، ومواساةً لضعفائهم اقتداءً بخلقِ نبيكم صلى الله عليه وسلم الذي قال الله عنه: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ).

مؤسسة السحاب :

قال شيخ الإسلام –رحمه الله– :

"واعلموا –أصلحكم الله– أن النصرةَ للمؤمنين، والعاقبة للمتقين، وأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وهؤلاء القوم مقهورون مقموعون والله سبحانه وتعالى ناصرنا عليهم ومنتقم لنا منهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فابشروا بنصرِ الله تعالى وبحسنِ عاقبته (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)، وهذا أمرٌ قد تيقناه وتحققناه والحمد لله رب العالمين.

واعلموا –أصلحكم الله– أنّ من أعظم النعمِ على من أرادَ الله به خيراً أن أحياهُ إلى هذا الوقت الذي يجددُ الله فيه الدين ويُحيي فيه شعار المسلمين وأحوال المؤمنين والمجاهدين حتى يكون شبيهاً بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فمن قامَ في هذا الوقت بذلك كان من التابعين لهم بإحسان، الذين (رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)، فينبغي للمؤمنين أن يشكروا الله تعالى على هذه المحنة التي حقيقتها منحةٌ كريمةٌ من الله، وهذه الفتنة التي في باطنها نعمةٌ جسيمة، حتى والله لو كان السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم حاضرين في هذا الزمان لكان من أفضل أعمالهم جهادُ هؤلاء القوم المجرمين ". اهـــــ

الشيخ أبو يحيى الليبي :

وفي هذا الموطن أحُثّ إخواني المسلمين في المغرب الإسلاميّ كله أن يقفوا وقفةً صادقةً مع إخوانهم المجاهدين في جزائرِ التضحية، ولينبذوا عنهم حدودَ التفرقة وسدودَ التمزيق التي فرقَت الأمةَ الواحدة شيعاً ومزقتها إرباً حتى حلَّ بها من الهوان ما حَلّ، ونزلَ بها من البلاءِ ما نزل، وتسلطَ عليها الأراذل من الحكامِ المرتدين وصارَ كل حزبٍ بما لديهم فرحين، قال الله تعالى : (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ).

إن الجهادَ في الجزائرِ اليوم هو أملكم بإذن الله تعالى في الخلاصِ من جحيمِ الأنظمة الحاكمة الظالمة، التي غصّت سجونها بشبابكم وأبنائكم بل وبنسائكم، وسلطت جيوشها وشُرطها واستخباراتها عليكم وفتحت لهم أبواب التنكيل بكم، وما الجزائر إلا حلقةٌ من حلقاتِ تلك الحكوماتِ الطاغية العاتية، التي قيدَ الله لها إخوانكم في تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي فوحّدوا معهم جهودكم وضمّوا إليهم طاقاتكم وجمّعوا تحت راياتهم وقيادتهم وإمارتهم صفوفكم، ولتعلموا أن انتصارهم هو انتصاركم وتمكنهم هو تمكنكم وخلاصهم هو خلاصكم، قال الله تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً

فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).

فيا معاشرَ العلماءِ والخطباء والأدباء والشعراء في موريتانيا العلم، هذا موعدكم في نصرةِ إخوانكم وجيرانكم، وإن للجارِ حقاً على جاره، فهُم اليوم أحوجُ ما يكونون إليكم، فهبّوا للذبِّ عنهم والتحريض لنصرتهم ونشرِ فضائلهم وشد أزرهم وتوهين عزائم أعدائهم، وتذكروا قول النبي صلى الله عليه وسلم : " إن المؤمنَ يجاهدُ بسيفِهِ ولسانِه، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضحُ النبل" .

حماةَ الدين إن الدين صارَ *** أسيــراً للصــوص وللـــنــصـــارى

فإن بادرتمـــوه تداركـــــوه *** وإلا يســبــــــقِ الســيـــفُ البــــــدارا

بأن تستنصروا مولىً نصيراً *** لمن والى ومن طلب انتصارا

وأن تستنهضوا جمعاً لُهاما *** تغصُّ بهِ السباسِبُ والصحـــارى

ويا شباب التضحية في المغرب الأقصى في طنجة والرباط ومراكش ووجده والدار البيضاء ومكناس وفي كل مدينة من مدنه وقرية من قراه :

ها قد تسلطَ عليكم طاغيةٌ مُخنث، يسومكم سوء العذاب، يسجن ويقتل أبناءكم ويستحيي نساءكم ويهين علماءكم ويمسخ دينكم وعقيدتكم، فوالله لن تذوقوا حلاوة الإيمان ورحمة الإسلام إلا بزلزلةِ عرشه وإزالة حكمه، فكونوا لإخوانكم في الجزائر سنداً وعضداً وعوناً، فمصيبتكم مصيبتهم، فشدوا من عزمهم واصطفوا خلفهم فهم بوابةُ الفتح والتمكين لكم ولهم بإذن الله تعالى.

أما أنتم يا شبابَ التضحية في ليبيا، في درنه وبنغازي وطرابلس وسبها وهون وغات وغدامس:

أربعون عاماً وأنتم تحت حكمٍ أذاقكم من العذابِ ألواناً، ومن النكالِ أصنافاً، فقتّلَ أبناءكم، وشرّدَ شبابكم، وذبَّحَ خياركم، واستهزأ بدينكم، وسخرَ بنبيكم.

ولقد عرفتكم العراق وأفغانستان بتضحياتكم وإقدامكم والأقربون أولى بمعروفكم وأنتم أهل الجودِ والسخاء، فجودوا عليهم بأموالكم طاعةً لله، وبرجالكم ابتغاءَ مرضاةِ الله، ولترصُّوا صفكم إلى صف إخوانكم، وجهدكم إلى جهدهم، ورأيكم إلى رأيهم فإن يدَ الله مع الجماعة.

ويا ليوثَ الإسلامِ في تونس القيروان :

لقد طالت محنتكم واشتدت كربتكم وعظُمَ مصابكم بأحدِ فراعنةِ العصر وجبابرةِ الزمان، فمسخَ وجه بلادكم المُشرق، وحاربَ دينكم محاربةً لم يبلغها حتى أسياده الذين نصبوه ! فأين زيتونةُ العلم وقيروانُ الجهاد وتونس التضحية ؟ فها قد لاحَ لكم بصيصُ الأمل يشعُّ من مغربكم القريب برايةِ الجهاد الخالصة التي رفعتها أيدٍ طاهرة لم يدنسها ولاءٌ لغرب ولا خضوعٌ لشرق، فانفروا إلى ساحاتهم وكونوا لبنةً من لبنات تشييد صرحِ الإسلام الذي سيأوي إليه المستضعفون ويأمن فيه الخائفون ويُرحم في كنفهِ المظلومون (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا).

فيا أبطال المغربِ الإسلامي في الجزائرِ وموريتانا ومالي والنيجر وليبيا وتونس والمغرب :
هذا أوانُ انتفاضكم وساعةُ انتهاضكم، فإنَّ عدوكم على هوانه قد حزمَ أمره فاحزموا أمركم، وحشدَ جنده فاحشدوا جنودكم، ورصّوا صفوفكم ووحدوا قيادتكم، وأرسلوا بصبركم وثباتكم واتفاقكم رسالةً لكفرة الغرب والشرق مفادها: (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) .

فالصبرَ الصبر، والثباتَ الثبات، والهمةَ الهمة، وما النصرُ إلا صبرُ ساعة

(وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) .

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين .

إلى جيش العسرة في الصومال

ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم ﷺ

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فإلى إخواني المجاهدين المرابطين جيش العسرة في الصومال الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فلن أجعل كلمتي نوحاً على الماضي المنقضي ولا تأسفاً على ملك ذهب ولو كان من ذهب، ولا تحسراً على فائتٍ لا يسترد بالحسرات والجزع (لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).

لا تجزعنّ على ما فات مطلبه *** هاقد جزعت فماذا ينفع الجزعُ

فليس للبكاء والنحيب موطنٌ في معركة حشد فيها الكفر طاقاته كلها وجند جنوده جميعها وتنادوا بينهم يوصي بعضهم بعضاً وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشيء يُراد.

واغتاظوا وهم يرون غرسة حياة بدأت تنمو وتخضر وتزهر في تلك الصحراء القاحلة اللاحبة فحينها تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنّا لصادقون!

وخرجوا بجيوشهم الجرارة بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط، فانتفخت أوداجهم بالكبر وفاضت صدورهم بالغيظ وشمخت أنوفهم بالغرور وطاشت عقولهم بالوساوس (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ)، فبإذن الله لن يلبثوا أن يكتشفوا كما اكتشف أسلافهم وأحلافهم أن خططهم أوهام عابرة وأن قواهم حشودٌ خاوية خائرة (فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ).

فما كان لأهل البغي والظلم والطغيان أن يثبتوا أمام صناديد العقيدة واليقين والإيمان، فمكرهم سينقلب وبالاً عليهم (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) وبغيهم سيكون مرتع هلاكهم (ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ).

قضى الله أن البغي يصرع أهله *** وأن على الباغي تدور الدوائرُ

فآية واحدة من كتاب الله العزيز تكفي لمواساتنا في مُصابنا وتضميد جراحاتنا وشحذ هممنا وتثبيت قلوبنا (وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)، وأخرى تحثنا على مواصلة المسير وتُفيض على قلوبنا معاني التصبير وتدفعنا لأن نجعل من أنفسنا رغم الجراحات والخطوب طالبين لا مطلوبين وتنفض عنا غبار الوهن والخور والضعف (وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا).

فيا ليوث الصومال وأبطال الصحارى والأدغال يا جموع جيش العسرة الثبات الثبات والصبر الصبر فوالله إنها لغمّة ستنجلي وظلمة ستنكشف ولن يكون وراءها إلا النصر الأكيد والتمكين الصافي والعاقبة الحسنة، فأقول لكم ما قال نبي الله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لقومه وقد زلزلتهم المحن وأذاقهم فرعون وملؤه سوء العذاب وأنواع النكال يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم قال موسى لقومه: (اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) فماذا كانت عاقبة صبرهم بعد شدة محنتهم (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) وجاءهم مّنة الله عز وجل من حيث لا يحتسبون وتداركهم برحمته وأيدهم بنصرته بعد أن قالوا إنّا لُمدركون وجعلهم أئمة هم الوارثين وأهلك عدوهم في طرفة عين (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ) فما بعد الشدة إلا الرخاء وما مع العسر إلا اليسر وليس وراء الضيق إلا السعة (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا).

إذا اشتد عُسرٌ فأرجو يُسراً فإنه *** قضى الله أن العسر يتبعه اليسرُ

عسى فرجٌ يأتي به الله إنه *** له كل يومٍ في خليقته أمرُ

عسى ما ترى ألا يدوم وأن ترى *** له فرجاً مما ألح به الدهرُ

فكن عندما يأتي به الدهرُ حازماً *** صبوراً فإن الحزم مفتاحه الصبرُ

فكم من همومٍ بعد طولٍ تكشّفت *** وآخر معسور الأمورِ له يُسرُ

فهما فريقان لا ثالث لهما: فريق الحق الذي يُقاتل تحت رايته ولأجله، وفريق الكفر الذي ينصر ظلماته وينشر ضلالاته، وشتّان شتّان بين السراب والماء! (الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً).

فأبشروا يا حُماة التوحيد وأمِّلوا وألقوا عنكم دخائل اليأس وبدِّدوا سُحب القنوط وادفعوا أمراض الوهن واعلموا أن الله معكم يحوطكم بحفظه ويدفع عنكم بقوته ويؤيدكم بنصرته، أما أحباش الأوباش فحسبهم أن يكون وليهم الشيطان وقد انطمست أبصارهم فلم يعتبروا بما يذوقه إخوانهم بل أسيادهم في أفغانستان والعراق والشيشان والجزائر وغيرها، (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ).

أوليس الله مالك الملك ورب الأرباب الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يُجير ولا يُجار عليه هو من يدافع عنكم فما عسى هؤلاء الأرذال الأنذال أن يفعلوا إذاً ؟ (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ)، واقبلوا بشارة نبيكم صلى الله عليه وسلم واستيقنوا بها حيث قال: "بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض"، إذاً فبلوغ هذه الغاية الشريفة –أعني التمكين في الأرض والنصر على المحتلين والرفعة والسناء بالدين– أمرٌ محقق ولكن لِمن ؟

لمن سلك الطريق القويم واتكل على العزيز الرحيم واستمسك بالعروة الوثقى مهما طال المسير وضاق الحال، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ).

وحتى تضمنوا سلامة العاقبة بإذن الله وتحافظوا على سير قافلة الحق وتصونوا عصابة المسلمين من تضييع جهودها وتحريف مسارها، فعليكم بالاستمساك بعبادة الجهاد والعض عليها بالنواجذ، وأنبه إلى كلمة "عبادة" فوالله إن الجهاد ليس خياراً كما ابتذله البعض حينما أضافوا له هذه الكلمة الشوهاء فقالوا وبئس ما قالوا (خيار الجهاد) و (خيار المقاومة) فدنّسوا بها مُحياه وعبثوا بمعناه، فالجهاد عبادة مكتوبة مفروضة متحتمة أوجبها رب الأرباب ومُنزل الكتاب من فوق السبع الطباق (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ).

ولن نكون كالذين جعلوا القرآن عضين فيصبح حالنا كمن (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ)، ولا كمن قال الله فيهم: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً).

فليس هناك خيار الصلاة ولا خيار الحج ولا خيار الصيام ولا خيار الجهاد أيضاً! فما ثَمَّ إلا: سمعنا وأطعنا آمنا به كل من عند ربنا، وليكن شعاركم شعار المهاجرين والأنصار الذين علموا أن المؤمن لا حياة له ولا قيام لدينه ولا تمكين لشريعة ربه إلا بالجهاد فأعلنوها بيعة لا تنقض ولا تُقال على أي حال:

نحن الذين بايعوا محمدا *** على الجهاد ما بقينا أبدا

فاجتهدوا في القيام بهذه العبادة العظيمة إخلاصاً لربكم وصبراً على لأوائكم واتفاقاً واجتماعاً فيما بينكم واستمراراً على صفاء دربكم وثباتاً أمام زحوف أعدائكم وغلظة على المرتدين وأعوانهم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ).

فأوباش الأحباش لم يدخلوا أرضكم ويحتلوا دياركم بمؤتمرات ولا مفاوضات ولا اتفاقات ولا محادثات وإنما أعلنوها عليكم حرباً سافرة جيشوا لها الجيوش و حشدوا لخوضها الجموع واستنصروا فيها بالشركاء فلا يكوننّ أعداؤكم أفقه بسنن الله منكم حيث علموا أن الحق المسلح لا يقابله إلا الباطل المسلح وما كان لهم وقد بذلوا لأجل ما هم فيه اليوم مُهج جنودهم وكنوز خزائنهم أن يتنازلوا عن ذلك برضى واستسلام فيسلموا لكم القياد بمجرد حوارات أو لقاءات أو مفاوضات فالدم الدم والهدم الهدم، واعلموا أن العيش في هذا العالم للأقوياء فالزموا القوة والنزال والتنكيل بأهل الكفر والضلال، وعليكم بحرب العصابات فهي أطول المعارك نفساً وأقلها خسائر وأكثرها نكاية وأنسبها للقلة الضعفاء، فشنوا عليهم الغارات تلو الغارات وانصبوا لهم الكمائن وزلزلوا أرضهم بالحشوات والألغام ودكوا قواعدهم وحصونهم بالعمليات الاستشهادية والسيارات المفخخة واقطعوا عليهم طرق إمداداتهم وشردوا بهم من خلفهم ونغصوا عليهم أمنهم ونكدوا عيشهم وحياتهم فإنما دم أحدهم دم كلب فأشعلوها ناراً وفجروها بركاناً تحت أقدام الغزاة المحتلين من أي نحلة وتحت أي غطاء سواء من داهم بلادكم على ظهور الدبابات وبقوة الحديد والنار كما فعلت أثيوبيا النصرانية أو جاءتكم بعباءة الشرعية الدولية وقرارات مجلس الأمن أو قوات حفظ السلام أو الاتحاد الأفريقي فما ثم إلا كفرٌ واحتلال مغلف مقنن يُميتون به الغيرة ويأمنون من الانتفاض فلا تخدعنّكم شعاراتهم ولا يوقعنّكم الشيطان في حبائلهم، واعتصموا بالله هو مولاكم نعم المولى ونعم النصير.

إخواني المجاهدين في الصومال:

احذروا المتسلقين على أشلاء أهل التضحية، احذروا قُطّاع الطرق وسارقي الجهود المتشبعين بما لم يعطوا المعوقين أصحاب الألسنة الحداد الذين يقفون وسط الميزان فكلما رجحت كفة ركضوا نحوها وأقسموا لأهلها أنهم معهم مُذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، (الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ)، الذين كلما افتُضح حالهم وتجلى أمرهم تمحلوا في اختلاق الأعذار وحججهم دائماً: (يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً)! فهم أخطر صنف على الجهاد والمجاهدين، وبهم محنته في كل ساحات الجهاد المعاصر! فكم من راية نكسوها وثمرة سرقوها ومنهج حرفوه وجهاد ضيعوه، فهم المثبطون للعزائم المُبطِّؤون عند النفير المتسارعون يوم الغنيمة المميعون للقضايا الدخلاء على الجهاد وليسوا من أهله، فوالله إنّ أمثال هؤلاء مهما موهوا بالرزانة وزيفوا بالحرص على المصلحة العامة (لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)، فخذوا وصية ربكم فيهم وفي أمثالهم (فَإِن رَّجَعَكَ اللّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ

فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ)، وآيتهم وعلامتهم التلون والتقلب فتارة يأتون بثوب الحكمة وحيناً يتقمصون أردية التعقل وطوراً يمتطون متن حنكة السياسة وأحياناً وما أكثر هذا يتظاهرون بالاعتدال والوسطية والاتزان وما هو إلا الجُبن والخور وحُب الدنيا:

يرى الجُبناء أن الجُبن عقلٌ *** وتلك خديعة الطبع اللئيمِ

فإياكم وإياهم.

إخواني المجاهدين الصابرين في الصومال:

حافظوا على صفاء رايتكم ونقاء مسيرتكم وأفصحوا في كل موطن عن حقيقة أهدافكم لتكون سكينة لكم ولأنصاركم وأعلنوها صريحة مدوية أن غاية قتالكم ومقصود جهادكم دحر المحتل وأعوانه وإقامة دولة إسلامية على ربوع الصومال تحكم بالشرع وتكفر بالطاغوت ولا تُذعن إلا لرب الأرباب فهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر أعني طرد المحتل وإقامة دولة الإسلام فبهذا يتنزل نصر الله ويأتيكم مدده وتطمئن قلوب أنصاركم وتقطعوا الطريق أمام المتسلقين على تضحياتكم.

يا أبطال جيش العسرة في الصومال:

عليكم بالاعتماد التام على الله سبحانه وتعالى فهو الذي عنده خزائن كل شيء وله العزة ولرسوله وللمؤمنين وإياكم وترقب النصرة من شرق أو غرب والاستبشار بمساندة هذه الدولة أو تلك والانخداع بأكاذيب أئمة الكفر الذين يُخفون في أنفسهم ما لا يُبدون لكم، وحذار من الثقة المفرطة في من ألجأهم المصلحة لادّعاء الوقوف بجانبكم وتبني قضيتكم فوالله ما يكنونه لكم من العداوة ويُضمرونه من البغضاء لا يكاد يقل عن الأحباش المعتدين ولن يلبث ما دفعهم لمساعدتكم أن يزول أو يتبدل حتى يقلبوا لكم ظهر المجنّ ويكشروا عن أنيابهم ويظهروا على حقيقتهم فتغدون حينها لتبحثوا عن سواهم وهكذا دواليك فيضيع الجهد ويتمزق الجمع وتفشو العداوات فيكون حالكم كالمستجير من الرمضاء بالنار، (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)، فلا تتخذوا منهم بطانة تستشيرونهم في شؤونكم وتُطلعونهم على أسراركم وتربطونهم بقضيتكم فيسوسونكم كما يريدون ويقودونكم حيث يشتهون ويُملون عليكم ما يحبون وأنتم في كل ذلك وراءهم بالتأويلات ودعاوى الموازنات فتضيعوا جهادكم وثمرة جهودكم في هذه الدهاليز، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ).

إخواني المرابطين المصابرين في الصومال:

عليكم بالصبر والمصابرة ولا يفت في عضدكم كثرة التضحيات ولا توالي الخطوب ولا قلة أو انعدام النصير ولا طول الطريق فإن النصر مع الصبر وأكثروا من الدعاء والتضرع والإلحاح على ربكم وأوصوا الضعفاء الفقراء بذلك فهم من أعظم أسباب النصر كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: "إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوهم وصلاهم وإخلاصهم".

ثم أُوصي إخواني المسلمين بالوقوف مع إخوانهم والنفير للقتال بجانبهم فقد اجتمعت أسباب تعيُّن الجهاد كلها في معركتهم ضد الأحباش المحتلين وأذنابهم المرتدين من التقاء للصفوف والتحامٍ للزحوف واستنفارٍ من القادة الذين استصرخوا المسلمين واستنهضوا المقاتلين واستنجدوا بالمجاهدين وقد دهم أرضهم عدوٌ كافرٌ ماكرٌ تغلب عليها وحكم أهلها، فالنفير النفير والبدار البدار خفافاً وثقالاً زرافات ووحداناً بالنفس والمال والدعاء والكساء والتحريض (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ * إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

فمن نأت عنه أفغانستان أو سُدّت عليه منافذ العراق أو أُوصِدت أمامه أبواب الجزائر أو عجز عن بلوغ ذرى الشيشان أو أُغلقت في وجهه السبيل إلى فلسطين فهاهي الصومال حديثة عهدٍ بعدوٍ محتل فليُرِ الله منه ما يحب وليُظهر صدق ولائه لله ولرسوله وللمؤمنين فيهب في خفة الطير من غير تعلل ولا تباطؤ.

وأخيراً:

دعوة خاصة إلى مجاهدي ثغر الإعلام الذين يقومون بعبادة هي من أشرف العبادات وأجل الطاعات ألا وهي التحريض على القتال حيث أوكل الله هذه العبادة لنبيه صلى الله عليه وسلم وأمره بها لجلالة قدرها وعظم أمرها فقال له : (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ)، وقال له أيضاً: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ)، دعوة لهم ليتبنوا قضية إخوانهم المجاهدين في الصومال بل قضيتهم هم فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً بأن ينشروا أخبارهم ويُشهروا تضحياهم ويُتابعوا مستجداهم ويُوصلوها إلى المسلمين بكل وسيلة شرعية مقروءة أو مرئية أو مسموعة، ويحضّوهم على الوقوف بجانبهم وتقديم كل دعمٍ لهم حتى تبقى قضية الجهاد في الصومال حية نشيطة ولا يطوي عليها طول الزمان أكسية النسيان فتُهمل كما أُهمل غيرها من قضايا الإسلام المعاصرة، فكم أيقظت إصداراتكم من هِممٍ وبعثت من آمال وجدّدت من عزائم واستنفرت من رِجال وخذّلت من عدو فلله دركم من ليوث ثغر فوالله إنّ نتاج جهودكم جميعها سمعية أو مرئية أو مكتوبة لهي أشد على العلوج وأذنابهم من سقوط القذائف والصواريخ فوق رؤوسهم فأخلصوا في ذلك النوايا وطهروا الطوايا وأتقنوا العمل وواصلوا المسير فلا تكلوا ولا تملوا فيؤتى الإسلام من قبلكم أعاذكم الله من ذلك. عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم".

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الديمقراطية .. الصنم العصري

بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد ..

فكل مسلم رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، وعقل معاني هذه الكلمات ، وفهمها فهماً صحيحاً لا تذبذب فيه ولا التباس يدرك تمام الإدراك أن دين الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم دينٌ كامل في نفسه فلا نقص فيه يحتاج معه إلى تكميل ، ودينٌ شامل لجميع نواحي الحياة وأطرافها فلا يفتقر إلى تلفيق وتوفيق مع غيره حتى تستقيم حياة البشر ، فهو دينٌ كاملٌ في عقائده وكاملٌ في شرائعه وكاملٌ في عباداته وكاملٌ في معاملاته وكاملٌ في سياساته وكاملٌ في عدله وكاملٌ في أخلاقه وكاملٌ في قيمه وكاملٌ في مصالحه وكاملٌ في طرق تحقيقها وبلوغها ، فلا يحتاج إلى أدنى رافد خارجي لتكميل شيء من هذه الأمور العظيمة ولا غيرها مما هي من دين الله تعالى ، قال الله عزوجل : {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً } ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنة نبيه " . ولكمال طريق الهدى وسبيل الصلاح والإصلاح وللاستغناء التام بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فإننا أُمرنا بالرجوع إليهما عند الاختلاف والتنازع ، والتمسك بهما ليحصل الاتفاق والائتلاف ، ولو كانت في غيرهما غُنية أو منفعة أو هدى ليست فيهما لما انحصر أمر الدين وفض الخلاف بالرجوع إليهما ، قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً } ، وكما قال العلماء فإن الرد إلى الله هو الرد لكتابه ، والرد إلى رسوله صلى

الله عليه وسلم هو الرد لسنته ، وقال الله تعالى : { وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ } .

وليس وراء اتباع الشرع سوى اتباع الأهواء مهما أسبغ عليها من الأسماء وأضيف إليها من المحسنات والمرغبات ، كما قال تعالى : { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ }، وكما قال عزوجل : { فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ }، وقال سبحانه : { وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ } . فسبيل الحق واحدٌ واضحٌ ثابتٌ محققٌ وهو الإسلام ، الذي لا يرضى الله لعباده ديناً سواه ، وما أكثر سبل الضلالات وطرق الأهواء التي لم تزل تتولد وتتجدد وتتكاثر وتتوافر وتتنوع يوماً بعد يوم بأشكال مختلفة وأسماء متعددة ، قال الله تعالى : { وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} ، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (خطّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ثم قال : "هذا سبيل الله" ، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال : "هذه سُبُل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه" ، ثم قرأ : وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه .. الآية) رواه أحمد.

وكلما كانت أمةُ الإسلام محيطة بهذه المسألة العظيمة آخذةً بها أخذاً تاماً ومستمسكة بها استمساكاً حقيقياً عملياً كانت أقرب إلى النصر وأسرع إلى التمكين وأهيب في أعين أعدائها ، كما يحكي لنا هذه الحقيقة الشرعُ والتاريخُ والواقعُ أيضاً والعكس بالعكس .

ومن هنا فإن أدنى اضطراب أو تململ في استيعاب هذه القضية فهماً أو عملاً مآله زيغ يولد زيغاً وضلال ينتج ضلالاً وانحراف يُحدث انحرافاً وفتنة تُوجد فتنة وهلم جراً ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم جامعاً بين الأمر بالاستمساك بطريق الهدى وسنة الهداة والتحذير من البدع والمحدثات التي تقود إلى الضلالات كما في الحديث : " فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة " .

إذن فكل مسلم عليه أن يعقد قلبه على قوله تعالى : {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} ، فإليه يدعو وبه يعتز ومن أجله يضحي ولنشره يتحمل كل عناء ، وليحذر من أدنى التفاتة إلى ما سواه ، وتحت أية حجة كانت ، فليس وراء الحق إلا الضلال ولا يفتننه زخارف أقوال دعاة الباطل ، ولا كثرة المتهالكين فيه والمنكبين عليه ، ولا قيام الدول والمؤسسات والمنظمات بالترويج له ، فالباطل باطل اتبعه من اتبعه ودعا إليه من دعا ، والحق حق آمن به من آمن وتخلى عنه من تخلى ، فقد قال الله تعالى : { فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } ، وقال سبحانه : { وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ } ، ومَن أدرك هذه الحقيقة وتجرد لفهمها وسلم من مزالق الأهواء سهل عليه وضع كل وافد ووارد من أفكار وسياسات و نظم في موضعها

الصحيح ، وحكم عليها بما تستحقه في دين الله تعالى من غير تردد ولا تحير ومن غير مجاملات ولا مسايرات ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة .

ومن دواهي العصر ومحن الدين الكبرى وأوابده العظمى تسلل بعض تلك النظم التي ولدت غربية كافرة ونشأت غربية سافرة وترعرعت غربية فاجرة ما يسمى بـــ "الديمقراطية" التي دبت في أمة الإسلام على حين غفلة من أهله وضعف من شعوبه وردة من حكوماته وجهل من أبنائه وتقصير من كثير من علمائه إلا من رحم الله ، فرفعت أعلامها في بلدانهم وبثت سمومها في أوصالهم ونشرت عقائدها بينهم وألقت بظلالها وضلالها على أوطانهم فتلقفها من تلقفها منهم بين مخدوع أبله وخادع مفسد ، فأحلوا قومهم دار البوار وساقوا أمتهم إلى كربات الاحتضار ،
فراج الكفر الأكبر المستبين باسم الشورى !
وشاعت الفاحشة الفاضحة تحت شعار الحرية !
ونبغت الزندقة وأطل الإلحاد باسم حرية الاعتقاد !
وتجرأ الجهلة السفلة طاعنين في الدين باسم حرية الفكر ! وتفرقت الأمة شيعاً وأحزاباً باسم التعددية وتنوع الآراء ! ومع ذلك فما زلنا نسمع الدعوات لهذا الدين الجديد تهتز به المنابر وتشحذ للتحريض عليه الأقلام والمحابر وتسخر لحث الناس على خوضه وسائل الإعلام مقروؤها ومسموعها ومرئيها ، وتحشد لنشره وفرضه وتحكيمه الجيوش بأعدادها وأعتادها ، وإنها لعمر الله فتنة العصر وداهية الزمان التي لفحت بجحيمها وجه الإسلام المشرق ولطخت طلعته البهية النقية ودنست صفاءه ونقاءه ، ولولا أولو بقية من أهل العلم والإيمان ينهون عن الفساد في الأرض لأتت على الدين من جذوره واقتلعته وبأيدي من ينتسبون إليه ! وهدمت صرحه وبمعاول تدعي السعي لتشييده ! ولكن يأبى الله إلا أن يحفظ دينه ويصون شريعته ويقيم من عباده من يذب عنه بلسانه وسنانه وبنانه مصداقاً لما أخبر به نبينا صلى الله عليه وسلم : " لا تزال طائفةٌ من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس " . متفق عليه .

فما هي هذه الديمقراطية التي يريد ساسة الغرب فرضها علينا ؟ والتي يروج لها بعض العلمانيين ويركض وراء دعواتهم عدد من جهلة المسلمين ؟ بل راح الكثير منهم يسبغون الشرعية على هذا النظام الغريب العطيب العفن ويؤصلون له ، فصرنا نسمع : "الإسلام الديمقراطي" ! و "الإسلاميين الديمقراطيين" ! و "ديمقراطية الإسلام" ! و "الإسلام والديمقراطية وجهان لعملة واحدة" ! ونحو هذه العبارات الممجوجة المخدوجة المنبوذة التي لا تصدر إلا عن جهل مطبق وإن ادعى قائله الكياسة وفهم السياسة والبصيرة بالواقع .

إننا حينما ننظر إلى الديمقراطية على أنها دين مستقل تماماً كأي دين آخر له مفاهيمه وقواعده وأصوله وقيمه ندرك عندها قبح مثل هذه العبارات وشدة استهجانها وما مَثَل هذه العبارات إلا كما يقول القائل : الإسلام اليهودي ! والإسلام النصراني ! والإسلاميين اليهوديين ! ويهودية الإسلام ! ونصرانية الإسلام ! أو مجوسية الإسلام ! ، وقس على هذا النسق وألقِ على هذا الطبق وانظم في سلك الإضافات والأوصاف ما شئت ، فهل

هناك مسلم على وجه الأرض مهما بلغ به الجهل والانحراف يقبل مثل هذه الإطلاقات والتسميات ؟ إن عجوزاً في أقاصي بوادي الأرض لم تدنس فطرتها لوثات الحضارة والانفتاح ودعاوى الثقافة وفلسفات الحوار لتُبادِر عند سماعها لهذه الأوصاف بالاستعاذة بربها من شرها ونبذها لقائلها ولكان الحرث في البحر أو حتى في الهواء أيسر من إقناعها بصحة هذه التركيبات وسلامة تلك العبارات والتجربة محك لكل منازع . إذن فلماذا استسغنا إلصاق الإسلام بالديمقراطية وإلحاقه بها على جهة المدح والإطراء واستبشعنا أشد الاستبشاع ربط الإسلام باليهودية أو النصرانية أو المجوسية أو غيرها من الأديان التي ينفر كل مسلم منها أشد النفرة ؟

إن معرفة حقيقة الديمقراطية وإدراك مصادمتها لدين الإسلام مصادمة تامة من كل وجه ومضاهاتها لكل الأديان الأخرى التي يريد الإسلام إزالتها أو إخضاعها هو الكفيل بتبصير كل من ابتلي بالتورط في شراك هذا الدين الجديد عن الجناية الكبرى التي سيقت إلى دين الإسلام يوم أن مُزج صفاؤه بدنسها وعدله بجورها وقيمه بسخافاتها ونوره بظلماتها وتوحيده بشركها حتى خرج لنا سِقطٌ غاية في المسخ والبشاعة و التشوه والخدج فنال ذلك الاسم القبيح "الإسلام الديمقراطي" ، فوافق شن طبقة !

فابتداء نقول لدعاة الديمقراطية أو للإسلاميين الديمقراطيين الذين أشربوا حبها وافتتنوا بكثرة المتهالكين عليها : غوصوا في بطون المعاجم ونقبوا بين الأسطر في صفحات قواميس اللغة ، واسبروا أشعار العرب بيتاً بيتاً ، واسألوا من شئتم من أهل الفصاحة والبلاغة والبيان ، بل ارجعوا إلى عجائز البوادي وأعراب الفيافي هل تظفرون لهذه الكلمة –أعني الديمقراطية– على وجود أو ذكر في لسان العرب الأصيل الفصيح ، لا بل حتى في لسانهم اللاحن الألكن ؟ ولن تجدوا ذلك حتى يلج الجمل في سم الخياط !

إذن فهذه الكلمة غريبة في لساننا ودخيلة على لغتنا وفدت إلينا وقد أطلقها أصحابها على مسمى محدد عندهم واختاروها لمعنى معروف لديهم ، ارتبط فيها اللفظ بالمعنى ارتباطاً وثيقاً ، فهي كما يقولون مركبة من جزئين ومعناها في كلامنا : حكم الشعب أو سيادة الشعب أو سلطة الشعب ، فهذا هو لب الديمقراطية وجوهرها الذي لا معنى لها بدونه ولا وجود لحقيقتها إلا به ، ألا وهو سيادة الشعب وسلطة الشعب ، فالنظم الديمقراطية وإن سلكت طرقاً متعددة في بلوغ هذه الحقيقة إلا أنها جميعاً تقوم عليها وتدعو إليها وتفتخر بتطبيقها وتقررها بكل وسيلة وتستنقص من خدشها ، فليس لأحد إسلامياً كان أو غيره أن يسلب هذا المعنى عن الديمقراطية أو أن يدعي أنه يدعو إلى ديمقراطية لا تقر بسيادة الشعب وسلطته العليا ، فما حاله إلا كمن يقول أنا أدعو إلى يهودية مفرغة عن مضمونها الذي تقوم عليه ، فهل يصدقه أحد في دعواه ؟ أم هل يقبل أحد هذه الدعوة ويستسيغها ؟

إذن فدين الديمقراطية هو ذلك النظام الذي يجعل الشعب حاكماً ولا حاكم سواه ، وسيداً ولا سيد فوقه ، فسلطته هي الحاكمة ، وحكمه هو النافذ ، وإرادته هي الماضية وتشريعاته هي الملزمة ، وقوانينه هي المحترمة ، وسيادته هي العليا ، فالشعب وفق النظام الديمقراطي لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ، والشعب في النظام

الديمقراطي لا يُسأل عما يفعل ، ولست أشك أن كل مستمع لهذه الكلمات قد استبشعها واستشنعها واستعظمها وإنها والله لخليقة بذلك ولكن لا تلوموني وإنما أنا مبلغ وحاكٍ ولوموا الإسلاميين الديمقراطيين الذين لم يفصحوا عن هذه الحقيقة ولم يميطوا اللثام عن هذا الوجه العبوس بل راحوا يحسنونه ويسترون قبائحه ويخفون مهالكه بالفلسفات الرخيصة والتحايل الردي والتمويه المضلل والتأويلات الباردة ويقولون للناس بأفعالهم وأقوالهم هلموا إلى "ديمقراطية الإسلام" ! ولا حول لا قوة إلا بالله .

ولأن جمع الشعوب في صعيد واحد لتعبر عن سيادتها وتنفذ سلطاتها وتسن قوانينها أمر عسير فقد اخترعوا لأنفسهم طريقاً يحصل به المقصود الديمقراطي وتقضي به الإرادة الشعبية ، فكوّنوا ما يسمى بالبرلمان وهو الهيئة التي يكون أصحابها نواباً عن الشعب ، فمهمة الشعب اختيار من يرتضيهم ليقوموا مقامه ، ووظيفة البرلمان هو التعبير عن إرادة الشعب الذي اختارهم وأنابهم ، فالبرلمانيون بجميع أصنافهم وانتماءاتهم إنما هم صورة مصغرة لشعوبهم ، فكأن كل برلماني يقوم مقام مجموعة من الشعب ارتضته وكيلاً عنها وحالاً محلها فرأيه هو رأيها ورؤيته هي رؤيتها وإرادته هي إرادتها ، فالبرلمان في النظام الديمقراطي هو سلطة تشريعية عليا له الحرية المطلقة في طرح ما شاء من القوانين والتشريعات بشرط واحد وهو أن لا تخرج عن إطار دستور البلاد ، وأن لا يصطدم في تشريعاته معه ، فإن التزم بهذا الشرط فلا تثريب عليه في اقتراح ما شاء من التشريعات وإقرار ما أراد منها وافقت حقاً أم خالفته ، لأن من شرعها وأقرها وألزم بها هو البرلمان الذي يعبر عن إرادة الشعب ، والنظام الديمقراطي يقول : إنْ الحكم إلا للشعب ، فلا مجال للاعتراض ولا للتمعر! ألا ساء ما يحكمون .

فهذه هي مهمة البرلمان بأسمائه المختلفة سواء سمي مجلس الشعب أو مجلس الأمة أو المجلس التشريعي أومجلس النواب أو غير ذلك ، فما هي إلا أسماء لمسمى واحد وصدق الله : { مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }.

ومن لا مس قلبه شيء من نور الإيمان يعلم علم اليقين أن هذا الدين لا يمكن أن يجتمع مع دين الإسلام طرفة عين لا في القلوب والصدور ولا في الواقع والحياة ، ولا يعتنق المرء أحدهما إلا بعد أن يهدم الآخر علم ذلك من علم وجهله من جهل ، وبئس الجهل الذي يورد صاحبه هذه الدركات المظلمة وهو لا يدري .

ومع وضوح هذه الحقيقة وتجليها لمن لم يعاند أو يكابر إلا أننا سنذكر بعض الأمور العظيمة التي تصادم فيها الديمقراطية دينَ الإسلام مصادمة تامة وتضاده مضادة كاملة لنعلم بعدها أية جناية جرها الإسلاميون الديمقراطيون على الإسلام وأهله ، وأي نفق أدخلوهم فيه حتى أصبح الناس في حيرة واضطراب ونكد وعذاب ودعوهم إلى عبادة الأرباب وحالوا بينهم وبين عبادة رب الأرباب .

فأولاً :

إن الأصل المكين والأساس المتين الذي يقوم عليه دين الإسلام هو الاستسلام التام والإذعان الكامل والخضوع الشامل لجميع أحكامه ، بل إن اسم الإسلام قد أُخذ من هذا المعنى فسمي الإسلام إسلاماً لأن معناه :
الاستسلام لأمر الله والقبول لأحكامه وعدم معارضتها لا بعقل ولا عادة ولا رأي ولا عُرف ولا تجربة ، أياً كان مصدر هذه الأمور سواء كان فرداً أو حزباً أو برلماناً أو شعباً أو قبيلة أو منظمة ، وإنما على الجميع أن يكونوا خاضعين لأحكامه مستسلمين لأمره منقادين لأوامره مذعنين لشريعته ، ولن يكون المسلم مسلماً مهما ادعى وزعم ما لم يكن

هذا الأمر قائماً في نفسه حقيقة لا ادعاء قال الله تعالى : {وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً }، فإذا قضى الله ورسوله أمراً فليس لأحد الخيَرة من أمره وإنما عليه الاستسلام والانقياد كما قال الله عزوجل : {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً }، فهذا هو الذي يقوله ويؤكده دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه ، أما دين الديمقراطية فهو دين الخيَرة من الأمر وهو بذلك هادم لقاعدة الاستسلام والانقياد التي يقوم عليها دين الإسلام ، ففي النظام الديمقراطي أو بالأصح في الدين الديمقراطي ليس هناك قداسة ولا حرمة ولا هيبة لأي تشريع إلا بعد أن يخرج مصدقاً عليه ومعترفاً به من قبل هيئة البرلمان ، فأحكام الله المحكمة وشرائعه القطعية الملزمة التي أنزلت من فوق سبع سماوات والتي يجب أن يقول كل مسلم –إن كان مسلماً– في حقها سمعنا وأطعنا ، كلها عرضة للتعقب والنظر والزيادة والنقص والنقض والإقرار والحذف والإدناء والإقصاء والقبول والرد حسب ما يرى ويهوى أعضاء البرلمان الذين أعطوا هذا الحق كاملاً غير منقوص في الدين الديمقراطي فإن شاؤوا قبلوا وإن شاؤوا ردوا ، إن الله قد حرم الخمر مثلاً فلو أن أمم الأرض كلها إنسها وجنها من مشرقها إلى مغربها اجتمعوا لينظروا أيقرون بتحريم الخمر أم لا لكانوا بذلك كفاراً معاندين سواء حرموه أم أحلوه ، فكيف والديمقراطية تفتح أبواب التعقب لأحكام الله على مصارعها ، حتى أصبح قبول دين الله كاملاً خاضعاً لاختيار الشعب وإرادته ومشيئته ، فإن قبله كان ديناً محترماً وشرعاً مقدساً وإن رفضه ورده وزهد فيه كان منبوذاً مردوداً لا وزن له ولا قيمة ، حتى صرح بعض الإسلاميين الديمقراطيين أن الشعب لو اختار الحكم بالشيوعية الملحدة فإنه سيحترم اختياره ! ولو رفض لشعب الدولة الإسلامية فإنه سيقدس رغبته واختياره! فإذا كان القرآن يقول لنا : { وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ } ، فإن الديمقراطية تقول : لا وألف لا ، لا لهذه الآية و مثيلاتها ، بل والشعب يحكم لا معقب لحكمه !

وإذا كان القرآن يقول : {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } ، فإن الديمقراطية تقول بل الخيرة كل الخيرة للشعب ، فالحق ما قبله ورضيه والباطل ما رده ورفضه ! فمن حقه أن يتخير من الأحكام والشرائع ما شاء!

وإذا كان القرآن يقول : {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا

وَأَطَعْنَا } ، فإن الديمقراطية تقول : بل إنما قولهم إذا دعوا إلى الشعب ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا !

وإذا كان القرآن يقول : {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ } ، فإن الديمقراطية تقول –وتعالى الله عما تقول– : أما السماء فهي لك ، وأما الأرض فهي للشعب ، فحكمه فيها هو الجاري وشريعته هي الحاكمة ورؤيته هي المعقبة ! وصدق الله : {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ } ، فوالله ما جاوزت الديمقراطية غرز قريش والعرب إذ كانت تلبي وتقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك .

إن القرآن قد أعلنها حقيقة جلية ومسألة محسومة : {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً } ، ذكر بعض العلماء في سبب نزول هذه الآية أن رجلين اختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقضى للمحق على المبطل فقال المقضي عليه : لا أرضى ، فقال صاحبه : فما تريد ؟ قال : أن نذهب إلى أبي بكر الصديق ، فذهبا إليه ، فقال الذي قُضي له : قد اختصمنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لي ، فقال أبو بكر : فأنتما على ما قضى به النبي صلى الله عليه وسلم ، فأبى صاحبه أن يرضى ، قال : نأتي عمر ابن الخطاب ، فأتياه ، فقال المقضي له : قد اختصمنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لي عليه فأبى أن يرضى ، ثم أتينا أبا بكر فقال أنتما على ما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يرضى ، فسأله عمر فقال : كذلك ؟ فدخل عمر منزله وخرج والسيف في يده قد سلّه فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى فقتله فأنزل الله : { فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ } ، ذكر هذا الإمام ابن كثير في تفسيره.

فإذا كان هذا الحكم الإلهي الصارم في حق رجل واحد أراد أن يتعقب حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قضية واحدة ورجع فيها إلى خيار الأرض بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف بمن يدعو إلى الدين الديمقراطي الذي يقوم على أساس التعقب لدين الإسلام كله ليرى أيرضاه الشعب أم لا ؟!

وكيف بمن يرضى الانقياد لأحكام الله القطعية كتحريم الخمر، والزنا والربا والفواحش إلا بعد أن يعرضها على هيئة التعقب –أعني البرلمان– لينظر أتوافق على تحريمه أم لا ؟

ومَن هؤلاء البرلمانيون المتعقبون لأحكام الله ؟ أهم أبو بكر وعمر والأخيار الصلحاء ؟ حاشا لله أن يرد هؤلاء الهداة التقاة هذا المورد الرديء وإنما هم أرذل الخلق وأجهلهم وأفجرهم وأفسقهم ، وأمثلهم طريقة مَن انتمى إلى جماعة إسلامية ، و قالوا :{ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ } .

ألا فلتسمعوا يا دعاة الديمقراطية أو ديمقراطية الإسلام :

إن الله لا يريد منا الامتناع عن الخمر فحسب ، ولا الانكفاف عن الفواحش فقط ، ولا الابتعاد عن الربا المهلك للاقتصاد فحسب ، وإنما يريد منا مع الامتناع عنها أن نذعن لأحكامها التحريمية لأنها أحكام الله تعالى التي لا تقبل التغيير ولا التحوير وأن نخضع لها خضوع المستسلمين المنقادين المذعنين الراضين ، وإلا فوالله لو أن

أحكام الإسلام الظاهرة قد طُبقت بحذافيرها في بلد من البلدان لأن البرلمان هو الذي أقرها وأصبغ عليها صبغة القانون المحترم لا لأنها من عند الله وإنما لخروجها باعترافه وإقراره وتأييده لما كانت تلك هي شريعة الإسلام التي يريدها الله تعالى ولكانت كأي قانون أرضي ساقط تواطأ عليه الناس وتراضوه فيما بينهم ، لأنها ما كانت شريعة استسلام وانقياد ورضا وإذعان ، فالذي أمر بها وقدّسها وألزمها للناس ليس الله وإنما هو صنم ناطق ووثن معبود اسمه البرلمان ، فتباً له ولشريعته !

ألا فلينتبه الإسلاميون الديمقراطيون إلى هذا المزلق العظيم الذي يوردونه أنفسهم ويسوقون إليه مسلمي بلدانهم زرافات ووحداناً مضللين لهم وعابثين بحماستهم ، وليعلموا أنه مفرق طريق لا مجال معه للتلفيق والتوفيق ، ولا سبيل فيه للتمييع والتطويع ، فإما إسلام نقي تستسلم فيه القلوب وترضى به الأفئدة تماماً كما تنقاد له الجوارح وإما ديمقراطية التعقب ودين الخيرة من الأمر وشريعة سيادة الشعب وسبيل عبادة الشيطان ، فليعدوا لأنفسهم جواباً يوم أن يُسألوا: { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}.

ثانياً :

من المعلوم لدى كل مسلم أن أول أركان الإيمان وأعظمها الإيمان بالله عز وجل ، الذي يعني الإيمان بوجوده وبألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، ومما يؤمن به المسلم إيماناً قاطعاً غير قابل للمناقشة ولا النظر أن حق التحليل والتحريم خاص بالله عز وجل وهو ما يسمى بالتشريع ، فليس لأحد أن يحلل شيئاً صغيراً كان أو كبيراً ولا أن يحرم شيئاً صغيراً كان أو كبيراً إلا بإذن الله ، قال الله تعالى :
{ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ } ، وقال سبحانه: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلالا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ } .

إن مجرد إعطاء هذا الحق – الذي هو التشريع – لغير الله تعالى هو كفرٌ أكبر مخرج من الملة ، ومن تابع هذا المشرع في تحليله وتحريمه فاعتقد تحليل ما حلله وتحريم ما حرمه فهو مشرك لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يتوب ويرجع إلى التوحيد الخالص ، ولا فرق بين أن تكون تلك الجهة التي أُعطيت حق التشريع فرداً أو حزباً أو قبيلة أو برلماناً أو شعباً أو الأرض كلها.
هكذا يقرر الإسلام هذه الحقيقة بحيث لا تقبل التشكيك ولا ترضى بالمساومة ولا التردد ، فهذا الكون كله خلق وملك لله تعالى ، وهو رب العالمين فليس لأحد أن يحلل شيئاً فيه ولا أن يحرم شيئاً فيه إلا ربه وخالقه ومالكه { أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } .

فإذا كان هذا أمراً مسلّماً في دين الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً سواه ، فإن الديمقراطية تقوم على أساس

مناقض لهذا الأصل مناقضة تامة ، فهي باختصار تسلب هذا الحق من الله تعالى وتقدمه بكل تقديس وتبجيل واحترام للشعب ومن ثم لمن ينوبون عنه وهم أعضاء البرلمان ، فحق التحليل والتحريم في النظام الديمقراطي ليس لله أو هو ليس لله وحده وإنما للشعب الذي يقوم بتقديم هذا الحق لنوابه في البرلمان ، فتكون النتيجة إذاً أن الحلال ما أحلوه والحرام ما حرّموه والحسن ما استحسنوه والقبيح ما استقبحوه والقانون ما ارتضوه والشرع ما قرروه ! فلا عبرة بدين ولا شرع ولا قانون إلا أن يكون صادراً من البرلمان ، وهذه ردة سافرة ، والأمة متفقة على أن الإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه أو حرّم الحلال المجمع عليه أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافراً مرتداً ،

ولهذا فإني أرى أن أصدق وصف يمكن أن يطلق على البرلمان هو مجلس الأرباب وليس مجلس النواب ، فهذا هو استعمال القرآن كما جاء في الصورة المطابقة لمجالس البرلمانات ، قال الله تعالى : { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } .

ويا عجباً كيف يفعل الضلال بأهله ! فإذا كان الأحبار الذين هم علماؤهم ، والرهبان الذين هم عُبّادهم أرباباً لمن يتبعهم في تحليلهم الحرام وتحريمهم الحلال مع أنهم يتكلمون باسم الله ويصدرون أحكامهم التشريعية تحت لافتة الدين ، ويزعمون أن هذا هو ما يحبه الله ويرضاه ، فكيف بمجالس أرباب العصر البرلمانات التي يغلب عليها العلمانيون والشيوعيون والملاحدة والزنادقة والفسقة والفجرة الذين يصرحون بعداوة الدين ويجاهرون ببراءتهم من شريعة الإسلام فضلاً عن أن يتكلموا باسمه كما يفعل أحبار ورهبان بني إسرائيل .

إن ما يقوم به هؤلاء الأحبار والرهبان هو عين المهمة التي يمارسها البرلمانيون اليوم وهي التحليل والتحريم لمن انتخبهم وأنابهم لتكون تشريعاتهم بذلك سارية عليه ملزمة له معاقباً على مخالفتها ومحترماً باحترامها والتزامها وهو بذلك قد اتخذهم أرباباً .

والفرق بين برلمان الأحبار والرهبان وبين برلمان أرباب العصر أن أولئك كانوا يحللون ويحرمون باسم الله والدين تبعاً لمهمتهم كعلماء وعُبّاد ، وأما أرباب العصر فإنهم يحللون ويحرمون من غير تقديس لشرع ، ولا احترام لدين ، ولا اعتبار لحكم ، وإنما هو النظر المجرّد والهوى الأخرق والجهل المطبق والمخالفة المتعمدة لشرع الله والمصادمة المقصودة لدينه ، فأي الفريقين أحق بالذم والجرم إن كنتم تعقلون ؟

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ سورة براءة حتى أتى على هذه الآية : { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللّه } ، قال: قلت يا رسول الله إنا لم نتخذهم أرباباً ، قال : "بلى ، أليس يحلون لكم ما حُرِّم عليكم فتُحلونه و يحرِّمون ما أحل الله لكم فتُحرِّمونه ؟" ، فقلت : بلى ، فقال : " تلك عبادتهم" .

إن أولئك الأحبار والرهبان ربما لم يعطوا أنفسهم حق التشريع كصفة دائمة محترمة في حقهم وإنما مارسوه عملياً في بعض مسائلهم ، أما برلمانات اليوم فهي تنص صراحة وبكل جرأة ووقاحة على أن حق التشريع راجع إليها ومختص بأصحابها وداخلاً دخولاً أولياً في مهامهم ، بمعنى أن المرء بمجرد دخوله قبة البرلمان فقد تلبّس بهذه

الصفة وأُعطي هذا الحق وصار في عرف الديمقراطية رباً مقدس الرأي محترم الفكر محمي الجناب فيما يقدمه من تشريعات ونظم فليقترح ما شاء وليقدم ما يرى ويهوى ، فما دام تحت قبة البرلمان فإنه لا يُسأل عما يفعل ، وهذا هو الكفر البواح والشرك الصراح سواء شرّع أم لم يشرِّع ، فممارسة التشريع شرك ، وإعطاء هذا الحق لأي أحد سوى الله سبحانه يُعد شركاً آخر حتى ولو لم يمارسه عملياً وهو شرك في الربوبية وكل امرئ حسيب نفسه ، قال الله تعالى : { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ } ، وقال سبحانه : { وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } .

فأجيبوا يا دعاة ديمقراطية الإسلام مَن الذي أعطاكم هذا الحق ؟ وكيف يجتمع ما تدعون إليه مع دين التوحيد الذي يقول الحلال ما أحله الله لا ما أحله البرلمان ، والحرام ما حرّمه الله لا ما حرّمه البرلمان ، والدين ما شرعه الله لا ما شرعه البرلمان ، والعقوبة على ما خالف أمر الله لا على ما خالف أمر البرلمان ، إنكم حقاً تخادعون الناس حينما تقولون لهم إن دعوتكم هي دعوة الإسلام وطريقكم هي طريق سيد الأنام ، ثم لا تلبثون أن تنقضوا ذلك كله بدعوتهم لأن ييمموا شطر البرلمان الذي شاركتم في غرس قدسيته وحصانته في قلوبهم فكنتم كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، كيف تدعون إلى التوحيد وأنتم تهدمونه ؟

أم كيف تسعون لتحكيم شريعة الرحمن وأنتم تشاركون في تسويغ وتعزيز شريعة الشيطان ؟

وكيف تأمرون الناس بعبادة الله وحده وأنتم من أول من يحترم ويلتزم شرائع البرلمان وقوانين البرلمان ؟

وكيف تسعون لهدم الأصنام والآلهة وجماعاتكم تشاطر الأنظمة في تشييد أعظم صنم عصري يحل ويحرم ويقضي ويحكم ويعطي ويمنع ألا وهو البرلمان ؟

أم كيف تزعمون أنكم تدعون بدعوة القرآن الذي أمر باجتناب الطاغوت في نفس الوقت الذي تحثونهم على الإيمان به وتعظيم الناطقين باسمه ؟

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ } ، وقال تعالى: { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ } ، وقال سبحانه : { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ* وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }.

إن المسألة لا تحتمل اللجلجة ، ولا سبيل فيها إلى التلبيس والمراوغات ، وإلا فلو كان الدين يقام بهذه الترّهات ويمكّن بطرق الالتواء والمخادعات فما كان أيسر مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وقد قال الله تعالى: { وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ }.

إن كتاب ربنا يقول لنا : { وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } .

وأما الديمقراطية فإنها تقول عليكم بطاعة البرلمان فيما أحل وحرم وحكم وألزم فلا تثريب عليكم ولا مؤاخذة بل ذلك عين المصلحة ، وإن أطعتموه (أي البرلمان) إنكم لموحدون !

ذكر المفسرون أن سبب نزول هذه الآية أن بعضاً من الكفار جاؤوا يجادلون المسلمين ويبثون بينهم الشبه ، فقالوا في شأن الميتة التي حرمها الله تعالى : كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله وما ذبح الله فلا تأكلونه وما ذبحتم أنتم أكلتموه ؟ فقال الله : {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ } فأكلتم الميتة {إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } .

نعم إنها مجرد شبهة ألقاها هؤلاء المشركون وأوحاها إليهم شياطينهم ، وفي مسألة واحدة ألا وهي تحليل الميتة ، ومع ذلك يقول الله تعالى للصحابة رضي الله عنهم في هذه القضية الجزئية التي ربما عدها من العصريين من القشور وإن أطعتم هؤلاء المشركين واتبعتموهم فيما قالوا من تحليل الميتة إنكم إذن لمشركون .

فكيف بمن يتبع هذه المجالس التي ما قامت أصلاً إلا على أساس التحليل والتحريم ، والتي أعطت لنفسها حق التشريع المطلق إلا فيما يخالف دساتيرهم ، والتي أملتها أهواؤهم وأنتجتها أفكارهم وصاغتها شهواتهم ، إن هؤلاء البرلمانيين لا يحتاجون فيما يحللونه ويحرمونه مما يصادم الشرع ويناقض أحكامه إلى شبهة شرعية يتعلقون بها ليذروها في أعين السُذج الجهلة ، فهم لا يلقون للشرع بالاً ولا يقيمون له وزناً وإنما يشرعون ويقترحون ويرتؤون بمجرد نظرهم وبحسب ما تمليه أهواؤهم التي يسمونها مصالح ! فأُحِل الربا باسم المصلحة الاقتصادية ، واستُحِل الزنا والخنا باسم الحريات الشخصية ، وأُبيحت الخمور والخمّارات تحت شعار السياحة والترفيه ، فإننا نعلم مثلاً أن الخمر محرّم في دين الله تعالى تحريماً قطعياً معلوماً من دين الإسلام بالضرورة ، فلو أن برلمانياً أحمق أراد أن يقترح رفع الحظر عن بيع وتجارة الخمر لرفع اقتصاد البلاد المنهار لمدة سنة أو سنتين أو أبد الآباد أو لأجل الترويح عن السياح الوافدين فليس عليه في ذلك مؤاخذة ولا يبقى إلا إقرار الأغلبية لهذا المشروع الاقتصادي الكبير ! فمتى أقرته الأغلبية البرلمانية صار بيع الخمر والإتجار فيه مباحاً ليس لأحد أن ينكره ، ومن خالف التشريع البرلماني عرّض نفسه للملاحقة والعقوبة ، فصاحب الفاحشة الكبرى فعلة قوم لوط يريد تشريعاً ينتفع به إخوانه ومشاكلوه ، والزناة المُجّان يقترحون أنظمة تحفظ لهم فحشهم ومجونهم وخلاعتهم ، والمرابون يقدمون تشريعات تضاعف لهم أموالهم وتصون رباهم ، والخمّارون السِّكِّيرون يعرضون ما يبقي لهم خمورهم وخمّاراتهم ويحصِّن كل عربيد سِكّير مثلهم ، والمخنثون يشرعون ما يضمن لهم تخنثهم وتميعهم ، وهلم جراً.

فكل هذه الموبقات والانحطاطات والفواحش والمنكرات من حق البرلماني أن يعرضها على إخوانه البرلمانيين لتُقرّ كقانون ما لم تخالف الدستور وليس الشرع ! ويجب على الجميع التزامها واحترامها وتقديسها وعدم التعرض لها إن خرجت من تحت قبة مجلس الأرباب ، ونعوذ بالله من الحور بعد الكور ، وهكذا كل قانون يراد تمريره وتقريره وتشريعه بشرط واحد وهو ألا يصطدم مع دستور البلاد الذي يُقسم كل برلماني على احترامه ، أما لو صادم كل نصوص الشرع بل لو صادم الشرع كله فالربوبية البرلمانية أولى وأعلى وأغلى وبالتالي فهي تكفل له الاعتماد وقوة الإلزام لأنها في النظام الديمقراطي فوق كل ربوبية وسيادتها تعلو كل سيادة.

ثالثاً:

إن الحكم على أي شيء بأنه حق أو باطل أو جائز أو محرم أو ممنوع أو مرخص فيه إنما مرجعه في دين الإسلام

إلى الدليل الشرعي الخالص : كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، أو ما كان تابعاً لهما ومستنبطاً منهما كالإجماع والقياس ، ومثل هذه الأوصاف والأحكام لا تثبت لا بمجرد العقل ولا الذوق ولا الرغبة ولا تقررها خبرة مجردة ولا تجربة عميقة ، وهو حق رباني خاص خالص لا تكتسبه أية طائفة تحت أي وصف من الأوصاف ككونها سياسية أو أغلبية أو عربية أو أعجمية أو غير ذلك ، فما كان حقاً فبالشرع ثبت له هذا الوصف وليس لأي جهة أن تنزعه عنه ، وما كان باطلاً فبالشرع استحق هذا الوصف وليس لأي جهة أن تسلبه إياه ، ولو اجتمع أهل السموات والأرض لأن يحقوا ما أبطله الشرع أو يبطلوا ما أباحه الشرع أو يذموا ما مدحه الشرع أو يمدحوا ما ذمه الشرع فإنهم لن يستطيعوا ذلك تحت أية دعوى فيبقى الحق حقاً والباطل باطلاً والهدى هدى والضلال ضلالاً ، وترجع مقترحاتهم وآراؤهم خائبة خاسرة.

هذا ما يقرره الإسلام وما يجب أن يعتقده كل مسلم ، أما في دين الديمقراطية فإن الحكم على الشيء بكونه صحيحاً أو باطلاً ، حسناً أو قبيحاً ، تقدماً أو رجعية ، ممدوحاً أو مذموماً ، إنما هو للأغلبية البرلمانية التي نابت عن الشعب ، وليست هذه المسألة هي عين ما ذكرته من قبل من إعطاء حق التشريع للبرلمان وفق النظام الديمقراطي وإن شابهتها ، فحق التشريع ثابت لكل البرلمانيين فلكل واحد أن يقدم من المشاريع والقوانين والمقترحات ما يحب ويهوى ما لم يخالف دستورهم، إلا أن تلك القوانين إنما تأخذ شرعيتها وتصحيحها وتحسينها ومدحها من تصويت الأغلبية عليها ، والمصيبة الأعظم والموبقة الأطم أن هذا القانون حينما يخرج من تحت قبة البرلمان فإنه يخرج باسم الجميع ، فكل عضو من أعضاء البرلمان يعد مقراً وموافقاً ومعترفاً بشرعية القانون ، وعلى هذا فإن تشريع القوانين أياً كانت في مجالس الأرباب يمر في الجملة بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

هي تقديم المقترح من قبل العضو البرلماني ، وكل يعمل على شاكلته ، والإطار الوحيد الذي يسير عليه الجميع ويلتزمون سكّته هو عدم خروجهم عن حدود دستورهم الذي ارتضوه وتواطؤوا عليه ، لا اتباعاً للشرع وإنما تقديماً وتقديساً للأهواء.

المرحلة الثانية:

وهي التي نتحدث عنها هنا وهي التصويت على هذا القانون وتقليب الآراء وإبداء المقترحات والتعديلات ، فبعدما يُقدَّم القانون من قبل مقترحه إلى إخوانه البرلمانيين فيدلي كل واحد منهم بدلوه إن شاء اعترض وإن شاء وافق وإن شاء عدّل وإن شاء سكت ، فإن صوّت على هذا القانون أكثر البرلمانيين فعندها يأخذ هذا القانون طريقه إلى الشرعية.

المرحلة الثالثة:

وهي خروج هذا القانون من تحت قبة البرلمان ، إما مباشرة وإما بتصديق الرؤساء والملوك عليه بحسب دستور كل دولة وأهواء ساستها ، فحينما يخرج هذا القانون من قبة البرلمان فلا يخرج باسم الأغلبية فحسب بل يكون كل عضو من أعضاء البرلمان مشاركاً في إضفاء الشرعية عليه واعتباره أحد القوانين المقدسة الملزمة التي يجب على الجميع أن يلتزموه ويتقيدوا به ، وأضرب لذلك مثلاً يتضح به الوجه العبوس الذميم لدين الديمقراطية الأثيم الذي يحاول الكثيرون جاهدين تحسينه وتزيينه وإخفاء قبائحه عن الناس ،

فلو أن رجلاً برلمانياً ساقطاً اقترح أن تنشأ صالات أفراح علنية لتزاوج الرجال فيما بينهم ، ولم يخرج في مقترحه عن حدود الدستور ، فعندها يشرع البرلمانيون في مناقشة هذا المقترح ، ويبدي كل منهم رأيه سواء كان معارضة أم موافقة أم تعديلاً أم سكوتاً ، فما أن تنتهي المناقشات والاقتراحات والخيرة من أمرهم حتى يشرع في التصويت والذي يعني معرفة إن كان الموافقون على القانون هم الأكثرية أم لا ، فإذا صوّت على هذا القانون أكثرية البرلمانيين واعترض أو سكت الأقلون فعندها يصبح إنشاء صالات أفراح لزواج الرجل بالرجل قانوناً شرعياً معتمداً من قبل البرلمان ، وليس من قبل الأكثرية فحسب ، فالاعتراض الرسمي إنما يكون فقط على المقترح قبل إقراره واعتماده أما بعد إقراره من البرلمان وتصويت الأكثرية عليه فلا وجه للاعتراض لأنه صار قانوناً مصبوغاً بالصبغة الشرعية وهي خروجه من قِبَل البرلمان ، وإذ ذاك كذلك فعليهم جميعاً أقلية كانوا أم أكثرية أن يقولوا آمنا به كل من عند برلماننا !! وهذه أكبر طامة يقع فيها البرلمانيون الإسلاميون ، وكثير من الناس لا يدركون هذه الحقيقة ويحسبون أن الأمر لا يعدوا أن يكون تقليلاً للمفاسد أو كبحاً للتمادي في التشريعات المخالفة للشرع أو تحصيلاً

لبعض المصالح من خلال القنوات الرسمية كما يسموها ، ولهذا قلت ولا زلت أقول لو أن برلماناً من البرلمانات قدّم أحكام الشرع كمقترحات تُقبل أو لا تُقبل ونظر فيها نظر الباحث المتفحص الذي يسعه القبول أو الرد لا نظر المستسلم المنقاد المذعن الخاضع ، ثم أقر البرلمان بالإجماع تطبيق أحكام الشرع فإن هذا لا يخرجه عن كونه برلماناً كفرياً شركياً طاغوتياً ، ولا يخرج تلك الأحكام التي أقرها ووافق عليها عن كونها قانوناً وضعياً تواطأ على قبوله مجموعة من البشر بحجج وافقت أهواءهم يوشك أن ينقضوها أو ينقضها غيرهم أول ما تتبدل الآراء والأهواء ، هذا سوى أن الشرع لم يجعل للأكثرية عصمة ولا قدسية ولا ميزة بل لا تكاد تراها في الكتاب العزيز إلا مذمومة كما قال تعالى : { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } ، وقال عز وجل : { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ } ، وقال سبحانه : { وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} ، وقال سبحانه : { وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ } ، وقال عز وجل : { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا } ، وقال عز من قائل : { وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ } .

والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة ، فما الذي جعل ميزان الأكثرية في عصر الديمقراطية ميزاناً صحيحاً ومرجحاً منضبطاً ومشرعاً مسدداً وحكماً مقسطاً ؟ { أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ } .

هذا وقد كتب عن هذا الدين الجديد أعني دين الديمقراطية الكثيرون من العلماء والدعاة وبينوا قبحها وأظهروا

حقيقتها حتى يكون الناس على بينة من أمرها وإنما أردت هنا الإشارة فقط إلى بعض أهم تلك الطوام والدعائم التي تقوم عليها الديمقراطية ، وإلا فلو ذهبنا نتتبع السبل الشيطانية التي اشتملت عليها لطال بنا المقام ، وقد طال والله المستعان.

بقي أخيراً أن أنبه أن ما قلته هنا إنما قصدت به بيان شيء من النواقض الجلية التي يتضمنها دين الديمقراطية ليتصورها المسلم تصوراً صحيحاً ويحذر من الانزلاق فيها والتلبس بها فيفرِّط في دينه وهو أعز ما يملكه ، والخسارة فيه خسارة كل شيء ، وعليه فليس المقصود هنا هو البحث عن حكم أعيان الأشخاص الذين ابتُلوا بالدخول في هذا الدين الجديد ، وما ذكرته من الحكم على الديمقراطية لا يستلزم الحكم على من مارسها جاهلاً أو مُتأولاً ، فبيان الحقائق العلمية الشرعية مجردة شيء وتتريلها على الأعيان شيء آخر.

نسأل الله أن يهدينا ويثبتنا ويربط على قلوبنا حتى نلقاه على سبيل الحق والهدى غير مبدلين ولا مغيرين والحمد لله رب العالمين .

الصومال .. إن النصر مع الصبر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد ..

أمة الإسلام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

ابتداءً نهنئ أمتنا الإسلامية والشعب الصومالي المسلم وقبائله العريقة الأبيّة وأبطال الجهاد الأمجاد على النصر المظفَّر الذي تحقق بفضل الله وعونه على أرض الصومال الحبيب، وذلك باندحار القوات الصليبية المحتلة وهي مهينة ذليلة تجرّ أذيال الهزيمة وتتجرعُ غصص الانكسار بتوفيق الواحد القهّار .

وقعَ هذا الاندحار بعد عامين من الجهاد المستمر والعناء والصبر والجلد والثبات وصور البطولات والتضحيات بغير كلل ولا ملل ولا تخاذلٍ ولا تكاسل حتى جاءَ نصر الله واقتربَ الفتح ولاحت تباشير التمكين .

ولكنْ أمتنا الحبيبة ، لم يأتِ هذا النصر ولم تخرج القوات الصليبية التي أجلبَت على البلاد والعباد بخيلها ورجلها بالتطواف في المحافل الدولية، ولا بالتسول لمنظماته العالمية، ولا بالتنقل بين العواصم الغربية والعربية، ولا

باستجداء مجلس أمنهم وأممهم المتحدة، وإنما خرجت بعدَ توفيق الله سبحانه وعونه بجهادِ رجال هم صـــبرٌ عنـــد الحرب صدقٌ عند اللقاء، فرسانٌ على متون الخيل و رهبانٌ إذا جنَّ الليل .

وبعزيمة أبطال ركبوا الأهوال، وخاضوا غمارَ المخاطر وتحملوا تضحياتِ المعركة ودفعوا ضريبةَ هذا النصر مـــن أشلائهم ودمائهم وعرقهم و أموالهم، وصاحبوا معها المعاناة وألفوا أصناف الكروب واعتادوا ألوان الخطـــوب، ومن كان أسعَى كان بالمجدِ أجدرَ ، ولسانُ حالهم:

ونَحـــنُ أُنـــاسٌ لا تَوَسُّـــطَ عِنـــدَنَـــا لَنَا *** الصَـــدرُ دُونَ العَـــالِميـــنَ أَو القَبـــــرُ

تَهُونُ عَلينَا فِي المَعَالي نُفُوسُنَـــا *** ومَنْ خَطَبَ الحَسْنَاءَ لَمْ يُـــغلِهَا المَهرُ

فكفَّ الله بهم بأس الذين كفروا حتى أُرغمت أنوفهم، وأُخزيَت جمُوعهم، وصـــدقَ الله إذ قـــال : (قَـــاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْوَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍمُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّـــهُ عَلَى مَن يَشَاء وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

فما كان لأولئك الرجال أن يفروا من حومة الوغى وهم يرون قوات الأحبـــاش تـــدهم ديـــارهم وتغتـــصب حرائرهم وتبطش بشيوخهم وتنكل بشبابهم وتتبجح فوق أرضهم، كيف وهم يقرؤون قول ربهم عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَالَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًـــا لِقِتَـــالٍ أَوْمُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِوَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) .

فـــهُمْ نَصَـــرُوا والديـــنُ عزَّ نَصيـــرهُ *** وآووا وقَدْ كادَت يـــدُ الديـــنُ تغضبُ

وخاضُوا غمارَ الموتِ في حومةِ الوغى*** فعادَ نهـــــاراً بالهُـــــدى وهو غيهـــبُ

أولـــئك قـــومـــي حســـبـــيَ الله مُثنـــيـــاً**** عليهِـــم وآيُ الله تُـــتلَى وتُـــكـــتَـــبُ

وإننا إذ نهنئ إخواننا المجاهدين الأبطال في الصومال على هذا النصر بعد ملحمة من ملاحم العصر، فليعلموا أن المعركة لم تنته بعد، بل لا يزال أمامهم الكثير والكثير، ولن نكون مبالغين إن قلنا أن المرحلة القادمة هي أخطـــرُ وأعسرُ وأدق مراحل الجهاد في تلك الأرض العصيّةِ على الطغاة.

فأعداء الله تعالى لن يكفُّوا أيديهم ولن يقطعوا تدخلهم وشَغَبهم بصورٍ مختلفة ومنافذ متعددة وقد قال الله تعالى معرفاً حالهم لنا : (وَلَايَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِاسْتَطَاعُوا) ، وقال عز وجل : (وَلَن تَرْضَـــى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَالنَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) ، وقال سبحانه وتعالى : (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِإِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَاتَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقّ).

إذاً فلتتأهبوا لخوضِ معركةِ المؤامرات التي ظهرت ملامحها من خلال مهزلة الانتخابات الرئاسية التي أُجريت أخيراً في جيبوتي، وكان أول المرحبين بنتائجها رأس الكفر العالمي أمريكا، وكفى بذلك شهادةً على طبيعتها ودوافعها، فكيف برئاسة يُرحب بها ويثني على أصحابها جزارو الأمس من قادة أثيوبيا النصرانية ! وهل هذا إلا نسخةٌ جديدة من نُسخ كرازايات العصر التي بدأت تُطبع وتُقسم على هذه البلاد أو تلك !

قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّنبَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْوَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَانَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُإِسْرَارَهُمْ) .

وأمامَ معركة المؤامرات الجديدة لنا وقفاتٌ ووصايا لا بدَّ منها لإخواننا المجاهدين الصادقين الذين تكالبت عليهم قوى الشر من كل جهة وتألبت لحربهم واستئصالهم عصابات الداخل والخارج (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِبِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ).

فأولاً : عليكم إخواننا الأحبة بتقوى الله تعالى، فهي خير الزاد، وأفضل عتاد، واصبروا على ذلك صبر المستيقنين بالنصر، القابضين على دينهم كالقابض على الجمر، الواثقين بما وعد الله به عباده المؤمنين، وهذا هو أعظم سلاح تواجهون به عدوكم في مؤامراته، وتردون به على مكائده وتبطلون به مكره ودسائسه فقد قال الله تعالى : (إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْوَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُواوَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَايَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) .

فقد تكفل الله سبحانه وهو القوي المتين اللطيف الخبير بأن يبدد مكرهم ويُبطل كيدهم، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، قال الله تعالى : (وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْرًاوَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) ، وقال عز وجل : (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُوَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) ، وقال سبحانه : (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَكَيْداً * وَأَكِيدُ كَيْداً * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْرُوَيْداً) ، وقال عزّ وجل أيضاً : (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُخَيْرُ الْمَاكِرِينَ) .

فلتطمئنوا إخوتي الأحبة إلى وعد الله، ولتستيقنوا أنه معكم يحوطكم بحفظه ويتولاكم برعايته ويكلؤكم بعنايته، وما عليكم إلا أن توفوا بالشرط ، وأن تأخذوا بعزم الأمور: الصبر والتقوى، قال الله تعالى : (لَتُبْلَوُنَّ فيأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواالْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًاوَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ).

ثانياً : إنكم حينما رفعتم راية الجهاد، وخضتم غمار هذه الحرب الضروس، كان لكم هدفٌ واضح، ومقصدٌ محدد قاتلتم من أجله وضحيتم في سبيل تحقيقه ألا وهو إقامة دولة إسلامية تحكمُ بالشرع، وتنقاد لأحكامه، تكتسب شرعيتها من انتمائها الإسلامي الحقيقي الأصيل، لا من الشرعية الدولية الكافرة، ولا من الشعارات الخادعة الكاذبة، ولا ترضى بأن يكون بعض الدين لله وبعضه لغير الله، فما لم يتحقق هذا الهدف واقعاً وحقيقةً فواصلوا جهادكم واستمروا في قتالكم، وقووا على ذلك عزائمكم واحملوا على أعدائكم، و (اسْتَعِينُوابِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْعِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ).

ثالثاً : عليكم بالاتفاق والائتلاف، واحذروا الفرقة والاختلاف ، وكونوا صفاً واحداً متراصاً كما يحبُ ربنا ويرضى (إِنّ اللّهَ يُحبِّ الّذينيُقَاتلُونَ في سَبِيله صَفًّا كَأَنّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) ، و قال عز وجل : (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " يدُ اللهِ مع الجماعة " .

فلا شيء أضرَّ على الجهاد من التمزق والتنازع (وَلاَ تَكُونُواْ كَالّذينَ تَفَرّقُواْوَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيّنَاتُ)، وخذوا بوصية سلفنا رضي الله عنهم حينما قالوا: " الخلاف شر" ، وقالوا أيضاً: " إن ما تكرهون في الجماعة خيرٌ لكم مما تحبون في الفرقة" .

واعلموا أن توحد صفوفكم واجتماع كلمتكم وتماسك جماعتكم لهو أشدّ على أعداء الله تعالى من عشرات العمليات التي تشنّ عليهم، ومن هنا فما فتئ أعداء دين الله يبثون الأراجيف وينشرون الخبال قديماً وحديثاً حتى يتشتت الجمع وتتمزق الصفوف وتختلف الكلمة وتتنافر القلوب، قال الله تعالى : (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلّاخَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْسَمّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بالظّالِمينَ) ، فاحرصوا إخواننا الأحبة على التعاطف والتراحم والتوادد والتذلل لبعضكم، ولتكونوا بحق أشداء على الكفار رحماء بينكم، ولعل الله يجعلكم ممن قال فيهم : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهفَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِيسَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُاللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) .

إخواننا المجاهدين في الصومال:

إن أعداء الإسلام أرادوا بمؤامرتهم هذه أن يضعوكم بين خيارين لا يهمهم بأيهما ظفروا :

أولهما : أن ترضوا بإقامة دولةٍ علمانيةٍ عرجاء، زينوها بترئيس أحد الخونة العملاء ممن استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير لتدور تلك الدولة في فلكهم وتخضع لإرادتهم وتؤمن بشرعيتهم وتنقاد لقرارات منظماتهم، وتتلاشى معها جهودكم، وتدفن في مقابرها تضحياتكم، وتنهب من خلالها خيرات بلادكم، وما على هذا قاتلتم.

ثانيهما : أن يعيدوا الصومال بعد أن تعافى من محنته إلى ما كان عليه من الاقتتال القبلي الجاهلي، وإلى حياة السلب والنهب والسطو والاغتصاب وعصابات قطاع الطرق وفرق الإجرام .

و والله لن يرضى هؤلاء الكفرة إلا بأحد هذين الخيارين، ففوتوا عليهم مؤامراتهم، وابطلوا حيلهم ودسائسهم بصبركم على الحق واستقامتكم على الهدى واستمساككم بحبل الله المتين، واجتماعكم على كلمة سواء لا زيغ فيها ولا مراوغة.

واحذروا من أن تستدرجوا إلى معارك جانبية تأكل قواكم وتبدد جهودكم وتنهك جماعتكم وتشغلكم عن ما هو أعظم وأطم، وتجعل أعداءكم يسرحون ويمرحون ويكيدون ويدبرون وهم آمنون مطمئنون، فصوبوا سهامكم في نحورهم، ووجهوا معارككم نحوهم، وشدوا حملتكم عليهم وشردوا بهم من خلفهم (وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)، فهؤلاء هم محلُّ الغلظة وموطن الشدة كما قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ).

رابعاً : لتعلموا إخوتي الأحبة أنه لا فرق في ديننا بين الاحتلال السافر والاحتلال المقنع، الذي بدأ الغرب الكافر ينتهجه طريقاً جديداً للتغلب على بلاد المسلمين تحت شعارات براقة كقوات حفظ السلام وغيرها، سواء كانت تابعة للأمم المتحدة أو للاتحاد الأفريقي أو لغيرها من المنظمات الإقليمية والدولية .

إذاً، فلتواصلوا شنَّ حملاتكم على القواتِ الأوغندية التي تحتل أرضكم لتذيقوها ما أذقتم القوات الأثيوبية الصليبية سواء بسواء، واقتلوهم حيث وجدتموهم (وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ).

ولتعلنوها بأقوالكم وأفعالكم: إن أرض الصومال أرض إسلامية، فلن يحكمها إلا الإسلام، و لن يحميها إلا المسلمون، والسلام هو ما نأخذه بقوتنا ونفرضه بتضحياتنا لا ما تفرضونه علينا .

كذبتم ! ورب البيت لا تأخذونها *** مراغمةً ما دام للسيفِ قائمُ

فلا صُلحَ حتى تعثُرَ الخَيلُ بالقنا *** وتُضربَ بالبيضِ الرقاقِ الجَمَاجم

خامساً : أنزلوا الناس منازلهم، واعرفوا لهم أقدارهم، وأكرموا كرماءهم، واحفظوا لأهل السابقة منازلهم، وارفعوا مكانة أشرافهم وسادةَ وقادة قبائل العز والإباء، وقربوا أهل الفضل منكم وخاصة أولي العلم والنهى، وارحموا الضعفاء من الأرامل واليتامى وأهل البلاء، وأحسنوا إلى المساكين والفقراء، وواسوا المصابين والمنكوبين، فبهم يتنزل النصر وتفتح أبواب الرزق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " هل تُنصَرون وتُرزقون إلا بضعفائكم " ، وقال عليه الصلاة والسلام : " إنما تنصر هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم ".

ووفوا بشرط الله ليتزل لكم نصره ويتحقق تمكينه حيث قال: (الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الصومال .. وانقشعت سحابة الصيف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه
وبــعـــــــد..

أمة الإسلام : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

فكل شيءٍ يمكن للمرء أن يتلاعب به وأن يُظهر معه حنكته ودهاءه وخداعه، إلا دين الله عز وجل، فما أن يسلك المرء معه هذا المسلك، ويدخل هذا النفق حتى يكتشف ومن حيث لا يحتسب أنه قد جنى على نفسه وأوبقها بيده { وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ }، وقد مرَدَ أهل النفاق على هذا الأسلوب قديماً وحديثاً ، أولئك الذين وصفهم الله بقوله : { وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ }، فهؤلاء بمناظرهم الحسنة وأجسامهم المعتدلة وألبستهم الأنيقة ومنطقهم الفصيح وبلاغتهم الباهرة أصحاب عقول تائهة وقلوبٍ خاوية تمكَّن فيها الجبن وعشش داخلها الخور واستمكن منها الحذر ، قلَّ خيرهم وتطاير شرهم ، ومع ذلك كله لم يزالوا مفتونين بذكائهم ، متلاعبين بدينهم ، متكلين على كياستهم ، غافلين عن مراقبة ربهم لهم ، قال الله تعالى : { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا } ، فما كادوا كيداً إلا حاق بهم وما مكروا مكراً إلا ورجعَ عليهم وما بيّتوا شراً إلا وخابَ سعيهم ، ذلك أن الله سبحانه مطلعٌ على سرائرهم وضمائرهم وعليمٌ بسرهم

وعلانيتهم ، فهم يخوضون حرباً مع الله ولكن لا يشعرون، قال الله تعالى : {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا }، ومع ذلك قلّ ما يرعوون عن مخادعاتهم أو يكفون عن تماديهم في غيهم وهذا من تمام خذلان الله لهم وهم لا يعلمون ، فتراهم يبرمون أمراً وينقضونه ، ويمدحونه اليوم ويلعنونه غداً ، ويقاتلون من أجله بالأمس ويقاتلونه اليوم ، وما ذلك إلا لأن أعمالهم كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ، ولقد قضى الله عز وجل بأن تكون عبادة الجهاد أكبر عدو لهؤلاء وأعظم ممحصٍ لهم وفاضحٍ لمخازيهم ومراوغاتهم ، ومن هنا كان عباد الله المجاهدين أشدَّ الناس عداوة لهم تبعاً لذلك، فهذه العبادة الجليلة هي التي تكشفُ سرهم وتفضح أمرهم وتبين حقيقتهم ، ولا يمكنهم بحالٍ أن يسايروها بتلاعبهم إلى نهاية الطريق ، فتراهم يتفننون في اختلاق الأعذار للتنصل منها والتخلي عنها والبراءة من أهلها في الوقت الذي يحاولون جهدهم أن يسترضوهم ويقنعوهم بأنهم منهم وعلى طريقهم كما قال الله عز وجل : { وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ }،

فهذا يقول: لا تنفروا في الحر !

والآخر يصيح: ائذن لي ولا تفتني !

وغيره يحتج: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم !

وآخرون يقولون: إن بيوتنا عورة !

وهم يسرون ويتمتمون: ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً !

فإذا تعيَّن القتال وأصبح سبيله لا مناص منه وخوضه لا محيد عنه تلاشت أعذارهم واستسلموا لحقيقتهم الكامنة في قلوبهم وارتسمت علامات النفاق والشقاق على صفحات وجوهم كما أخبرنا الله عن حالهم وقال : { فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ } ولهذا قال قتادة رحمه الله : (كل سورة ذُكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين) ، وقال الله تعالى : { قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا }، فهذا الصنف من الناس وما أكثره في هذا العصر لا يرجى خيره لدينٍ ولا لدنيا إلا من تاب وأناب ورجع صادقاً مخلصاً لله لا للخديعة ، ولولاه لكان المسلمون ينعمون بدولةٍ للإسلام ممكنة منذ أمدٍ بعيد .

هؤلاء المعوقون المذبذبون المبطئون هم من أعظم محن الأمة الذين لا يرجون لله وقاراً ، همهم في مناظرهم ومناصبهم وذهابهم وإيابهم واستقبالهم وتوديعهم ! فهل يرجو ذو عقلٍ لبيب من هؤلاء أن يقيموا لله ديناً تحكم فيه شريعته ويعز فيه أولياؤه ويذل فيه أعداؤه وهم أول من والاهم وانسل من دينه وعقيدته ارضاءً لهم وتطميناً لقلوبهم وتسكيناً لنفوسهم كما قال الله تعالى : { وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ } ، فهذا الصنف المخذول من الناس يجب أن يُتخذ معه قرار حاسم حازم لا تذبذب فيه ولا تردد يقطع دابر مؤامراتهم و يكف عن الأمة والمجاهدين شرهم وتلاعبهم ، ذلك المبدأ الذي بينه القرآن أتم البيان في محنة من المحن المشابهة مع أمثال هؤلاء كما قال الله عز وجل : { فَإِن رَّجَعَكَ اللّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ }، هذا الصنف الذي كشفت ولا زالت تكشف الأحداث وساحات الجهاد وما ينتابها من المحن والممحصات أن همهم لا يعدو تلبية رغباتهم وعبادة أهوائهم واتخاذ آيات الله هزواً ولإن انقطع نزول الوحي الذي كان يتنزَّلُ ببيان صفاتهم وأحوالهم وربما تعيين بعض أشخاصهم فإن الجهاد الذي جعله الله عز وجل ممحصاً ومميزاً لم ينقطع ولن ينقطع رغم أنوف المبغضين .

وبفضل الله عز وجل لما استمسك أهل الجهاد بوضوح رايتهم وتجلية أهدافهم والاستماتة دون مقاصدهم ولم يداهنوا في دينهم أو يتلاعبوا بمصطلحات شريعتهم انكبتَ هؤلاء وصاروا بين خيارين : إما أن يكونوا في صف المجاهدين ليتحملوا معهم الأعباء والعناء حقيقة وفعلاً لا تشبعاً وادعاء ، وإما أن ينحازوا إلى أعداء الإسلام ويجاهروا بكفرهم ويصرحوا ويفصحوا عن حقيقة ولائهم. ولم يكن لأصحاب قلوبٍ خاوية ونفوسٍ هلعة وأهواءٍ معبودة أن يصبروا ويصابروا على مشاق الجهاد واستنشاق غباره في مسيرة لا يرون لها نهاية فاختاروا الذي هو أدنى على الذي هو خير، قال الله عز وجل :{ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ } .

ومن أبرز أمثلة العصر – وما أكثرها ! – انتكاس "شيخ شريف" الذي اتبع ما أسخط الله وكره رضوانه فانسل من "تشيخه" وتبرأ من "شرفه" ، وارتمى في أحضان الصليب ذليلاً مهيناً مسارعاً فيهم خشية الدوائر مبتغياً عندهم العزة وألقاها وراء ظهره يوم أن خلع ربقة الإسلام من عنقه، واليوم وهو في انحطاطه وهوانه يهدد ويتوعد أسود الشرى الذين فضحوه بثباتهم وانكشفت خبيئته أمام رسوخهم وإيمانهم، فأصبح يردد قول سلفه في النفاق والذبذبة : { يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ } ، ولكن هيهات هيهات أن تُنال العزة ممن أذلهم الله { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ }، وقال الله عز وجل : { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا } .

فابتداءً : أهنئ إخواني المجاهدين الأحبة في الصومال على ثباتهم ورسوخهم وتصديهم لهذه المؤامرة التي خيطت حبالها بمكر شيطاني التقت فيه رؤوس الكيد ودبرته عقول المكر فرجعت خائبة هزيلة واهنة مكشوفة مفضوحة ، وذلك من فضل الله عليكم ورحمته فاشكروه على أن كفَّ شرهم وهتك سترهم وميز صفهم وجعلكم سبباً

في ذلك كله ، وقد قال الله سبحانه : { ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ }، وقال الله عز وجل : { وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ } .

وعلينا أن نقف عند هذا الدرس طويلاً تدبراً وتأملاً واستخلاصاً للعبر واستحضاراً للعظات الجمة التي حواها لنجتهد في شكر الله عز وجل وليترسخ في أعماق قلوبنا قوله سبحانه : { إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ } ، ونسأل الله سبحانه أن ييسر لنا وقتاً نقول أو نكتب فيه ما يفتح علينا سبحانه في ذلك.

فأقول لإخواني المجاهدين الأحبة في الصومال :

والله إن ثباتكم أمام هذه المؤامرة المخزية التي علق عليها الكفر آمالاً لا نظير لها وحشد لها حشوداً تدعمها وتقويها وتباركها وتنفخ فيها بأقلامها المأجورة وأفكارها الزائغة وتصوراتها المنحرفة واستدلالاتها المتلاعبة حتى لكأنما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز ! أقول : إن ثباتكم أمام ذلك كله لم يُبطل مؤامرة عبّاد الصليب في الصومال فحسب بل أبطل مشروعاً متكاملاً كانت أولى خطواته في أرضكم ، ووضعت أصوله بعناية تامة ودقة متناهية يراد تطبيقه على كثير من الدول الإسلامية بعد أن بليت ثياب العلمانية المفضوحة ليأتونا بالعلمانية في ثوبها الجديد ، ومن يدري فلعلنا نسمع عما قريب " العلمانية الإسلامية " ! خاصة مع كثرة المذبذبين الذين سال لعابهم وهم يرون بريق الكراسي يُلوح به في أيدي الأمريكان يعدوهم ويمنوهم ، أولئك { الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ } ! فخاب مسعاهم بقرار استمرار القتال الذي اتخذتموه ، وتبدد حلمهم مع أول قذيفة هوت على قصر العمالة في مقديشو استقبالاً لعميلهم وعبدهم الوفي ، ولولا ذلك لرأينا صفاً من الشيوخ "الشرفاء – العملاء" قد اصطفوا أمام السيد الأمريكي وهم يعدون شعوبهم بتطبيق الشريعة الإسلامية كاملة وبإجماع أعضاء البرلمانات ويا للمهزلة ! فنسأل الله سبحانه أن يجزل لكم المثوبة ويبارك في جهدكم وجهادكم ، فاليوم ها هو شيخ شريف يستنجد استنجاداً صارخاً بشياطين الإنس كلهم ليعينوه ويداهموا بلده ويحتلوا أرضه ليكفوا ضربات المجاهدين عنه ، ولا أدري إن كانت استغاثاته بالجامعة العربية ومجلس الأمن والاتحاد الأفريقي وغيرها إن كان ذلك من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية كاملة كما أقر برلمانه ، ونحن نقرأ في كتاب الله الذي يجب أن يُطبق كاملاً قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } ، فهل ألغى شيخ شريف الذي أسهبت الأقلام في مدحه وإطرائه آيات الولاء والبراء من شريعة الإسلام الكاملة التي ما زال بعض السُذَّج يترقب تطبيقها على يديه الآثمتين، أم أن هناك شريعة إسلامية أخرى تنزلت عليه وعلى اتباعه لا يفهمها المتعصبون والمتشددون ؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله !

فأين أصحاب الأقلام المتلاعبة بالشرع الذي عُرفوا في لحن أقوالهم ممن اسموا أنفسهم (اتحاد علماء المسلمين) حين سعوا جاهدين لإقناع المجاهدين بوضع أسلحتهم والتسليم للأمير الجديد وسوّدوا الصفحات بزخارف الأقوال ، ما لنا لا نسمع اليوم لهم همساً ولا ركزاً ؟ أم أن اتحادهم لا تظهر نصائحه ولا يتجلى حرصه إلا إذا كان خنجراً مسموماً يطعن به في الجهاد والمجاهدين .

فالآن وقد كشر شريفكم الذي زكيتموه عن أنيابه وأبرز استغاثته الصريحة بأمم الكفر لاحتلال الصومال حتى أثيوبيا النصرانية التي طالما تغنى بمعارضتها ومخالفتها ، وجاهر بانحيازه لمعسكر الكفر ومنابذته لمعسكر الإيمان ، فأبرزوا لنا ما كنتم تدعونه من النصح للإسلام والمسلمين وأرونا غيرتكم على ديارهم ودمائهم التي تغنيتم بالحرص على حقنها ، أم أن خطر المجاهدين الذين يرفعون راية لا إله إلا الله أشد عندكم على الصومال والصوماليين من راية رفعها من يقول إن الله ثالث ثلاثة ومن لف في لفهم ونعوذ بالله من الخذلان ، قال الله تعالى : { وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا }.

مؤسسة السحاب:

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

(وأيّ دين وأيّ خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك ، وسنّة رسول الله يُرغب عنها وهو بارد القلب ساكت اللّسان شيطان أخرس كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق ؟ وهل بلية الدين إلاّ من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدّين ؟ وخيارهم المتحزن المتلمظ ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل وجد واجتهد ، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه، وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم قد بُلوا في الدّنيا بأعظم بليّة تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب، فإنّ القلب كلّما كانت حياته أتمّ كان غضبه لله ورسوله أقوى وانتصاره للدين أكمل) .

الشيخ أبو يحيى حفظه الله :

فأول ما أُوصي به إخواني المجاهدين أبطال الصومال الذين تحطمت على قوة ثباتهم سلاسل المؤامرات واحدة واحدة ، أوصيهم بتقوى الله تعالى والإخلاص له في القول والعمل في السر والعلانية واللجوء إليه في الرخاء والشدة { إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } ، ولتعلموا علم اليقين أن النصر من عند الله تعالى فاحذروا أن تطلبوه من غيره فيخذلكم أو تلتفتوا إلى سواه فيتخلى عنكم ، ووالله لتكفينا آية واحدة تتنزل بها السكينة في قلوبنا وتطيب بتلاوتها وتدبرها نفوسنا ونرى من خلالها هوان أعدائنا قال الله سبحانه : { إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } ، فكيف وقد تواطأت الآيات على هذا المعنى الذي لا ينبغي للمجاهد أن يغفل عنه وهو يتصدى لأعداء الإسلام ويحصد رؤوسهم ، فلئن لجأ شريف إلى سادته وابتغى العزة عند أوليائه فقولوا له : الله مولانا ولا مولى لكم ،

وأنى لأولياء نصرهم أوهى من خيوط العنكبوت أن تنازع أو تدافع قوةَ من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ؟! قال الله تعالى : { مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } .

فالله الله في التقوى والصبر والإخلاص والصدق ، وليس مثلي من يوصي مثلكم ، ولكن قد يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر.

ثانياً : قال الصحابي الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه : " إنما تقاتلون بأعمالكم ". فلتضعوا هذه النصيحة الصادقة من هذا الصحابي الجليل نصب أعينكم ، فإنما تقاتلون هؤلاء الكفرة الفجرة الذين حادوا الله ورسوله بأعمالكم الصالحة من الصدق والتقوى والصبر واليقين والتوكل والإخلاص والدعاء والاتفاق على الحق ، وهذه الحقيقة التي لم ولن يدركها عبّاد الدنيا الذين لا يرون النصر إلا من خلال دبابة مصفحة أو صواريخ ذكية أو أسلحة متطورة أو ذخائر مكدسة.

ولسنا ضدَّ الأخذ بما يُمكن ويستطاع من الأسباب ، ولكن لسنا ممن يلتفت إليها أو يعتمد عليها ، بل نقول كما قال الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه : " ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به "، فاحذروا من المعاصي حذركم من عدوكم ، فوالله لهي أشدّ فتكاً بالجيوش من الآلاف المؤلفة من الجنود، فقد نصر الله تعالى المؤمنين يوم بدر وهم أذلة كما قال الله سبحانه : { وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ } ، وانكسر جيشهم يوم أحد بعد النصر والظفر بسبب معصية اقترفها بعض الجند مع وجود من نهاهم عنها وحذرهم منها وكان أمر الله قدراً مقدوراً قال الله تعالى : { أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} .

ولتعلموا إخوتي الأحبة أن زهو النصر قد يكون أشد وأنكى على الجهاد والمجاهدين من غم الهزيمة ، فكلما فتح الله عليكم فتحاً أو هيأ لكم نصراً تذكروا ما كنتم عليه من تشتت أمركم وقلة ذات يدكم وشدة تخطف عدوكم لكم فأنقذكم الله من كل ذلك ومنّ عليكم بما منّ ، وتفضل بما تفضل ، وما بكم من نعمة فمن الله ، قال الله عز وجل : { وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } .

ثالثاً : عليكم بالثبات على طريق الجهاد ، فلا تحيدوا عنه قيد أنملة، ولا تتزحزحوا حدّ شعرة ، ففيه والله عزكم وحياتكم وتمكينكم وبقاؤكم ونصركم وفتحكم، وفي ساحاته مصدر رزقكم سواء في البر أو البحر ، فاستمسكوا به وعضوا عليه بالنواجذ ولو تخلى عنه من تخلى وتنكب لسبيله من تنكب وتنكر له من تنكر ، فقد رأيتم آلاء الله عليكم بصبركم على طريقه وتحملكم لمشاقه ومصاعبه وعاينتم ما فعل الله بمن أراد أن يتلاعب به ويجعله حظاً لنفسه لا عبادة لربه ويتخذه سفراً قاصداً لا تعب فيه ولا نصب ولينال مغنمه دون أن يتجرع مغرمه حتى إذا حلّ النصر وتنزّل الفتح قالوا إنا كنا معكم ! ففضحهم الله في منتصف الطريق وأخرج دسائس نفوسهم وهتك أستارهم وجعلهم عبرة لكل معتبر وآية يوعظ بها من وعظ ، فلن يخوض غمار الجهاد

إلى نهايته من بدأه بالتذبذب والتلاعب والتحايل والتمايل والمداهنات والمراوغات ، القائلين كلما انكشف سرهم وانفضح أمرهم إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً ! فاحملوا على عدوكم حملة رجل واحد ولا تأخذكم بهم رأفة في دين الله حتى تنكسر شوكتهم وتذهب ريحهم ، ووطدوا أنفسكم على جهادٍ لا ينقطع إلا بمفارقة الدنيا اقتداءً ببيعة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا *** على الجهاد ما بقينا أبدا

ومن الاستمساك بعبادة الجهاد الاستمساك بمصطلحاته الشرعية الجلية، والتأكيد عليها وجعلها شعاراً مرفوعاً لا نستحيي من إعلانه وإشهاره فلا خير فينا حين نخجل من ذلك ونبحث عن المخارج والمدخلات التي نحاول أن نداهن بها أعداءنا، ولتعلموا إخواني الأحبة أن الاستمساك بمصطلحات الجهاد ومفرداته لا تقلُّ اليوم أهمية عن الاستمساك بأحكامه وضوابطه، فكم وكم كانت فارقة بين أهل الرايات المتميعة وبين غيرهم ، فمثلاً نحن لسنا ممن يسمي الجهاد مقاومةً ويكتفي بذلك فالله هو الذي اختار لنا هذا الاسم الشريف وجعله عنواناً على محبته وعبوديته والصدق معه ، ومهما ضربنا في بطون القواميس ونقبنا بين أسطرها واستشرنا القريب والبعيد فلن نجد خيراً مما اختاره الله لنا ولا أشرف مما شرّفنا به ، فلن نخلع قميصاً كسانا الله به، وكم من الكلمات التي بدأها أصحابها مجرد عبارات فإذا بها اليوم مناهج ترسم أفكاراً وترسخ مبادئ هي أبعد ما تكون عن الهدى والحق.

فنحن وأنتم مجاهدون في سبيل الله مقاتلون لأعداء الله ولسنا مجرد مقاومين دافعين لأعداء حلوا بديارنا ، وما هذا إلا ضرب من المداهنة التي يحاول البعض امتصاص ثورة الأعداء بها وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : { وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ } .

مؤسسة السحاب:

قال الأستاذ سيد قطب – طيب الله ثراه :

(هي المساومة إذن، والالتقاء في منتصف الطريق، كما يفعلون في التجارة، وفرق بين الاعتقاد والتجارة كبير ، فصاحب العقيدة لا يتخلى عن شيء منها، لأن الصغير منها كالكبير، بل ليس في العقيدة صغير وكبير، إنها حقيقة واحدة متكاملة الأجزاء لا يطيع فيها صاحبها أحداً، ولا يتخلى عن شيء منها أبداً.

وما كان يمكن أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق، ولا أن يلتقيا في أي طريق ، وذلك حال الإسلام مع الجاهلية في كل زمان ومكان ، جاهلية الأمس وجاهلية اليوم وجاهلية الغد كلها سواء.

إن الهوة بينها وبين الإسلام لا تعبر، ولا تقام عليها قنطرة، ولا تقبل قسمة ولا صلة، وإنما هو النضال الكامل الذي يستحيل فيه التوفيق) .   في ظلال القرآن ٧/٢٩٢

الشيخ أبو يحيى الليبي :

إذن علينا أن نختصر الطريق على أنفسنا ونقرر حقيقة متمكنةً واضحة لا لبس فيها ولا غبش وهي أن حكومات العالم كلها سواءٌ العربية المرتدة أو الغربية النصرانية أو الشرقية الملحدة أو غيرها لا يمكن أن ترضى أو تقبل بتطبيق الشريعة الإسلامية الصافية، ولن يتحقق هذا الهدف الإسلامي السامي إلا بأن يمكن لأهله بالقوة والقتال والشوكة والمنعة ، وأيما جماعة إسلامية أو تنظيم إسلامي رسم لنفسه طريقاً لم يجعل مدارها على الإعداد والجهاد والسلاح والقتال فلن يبلغ هذا الهدف أبد الدهر ولن يحقق هذا المقصود حتى يلج الجمل في سم الخياط، فليس له أن يزيد أمته رهقاً وإرباكاً وحيرةً واضطراباً، فشريعة الله التي نسعى لتطبيقها والتمكين لها لا نستجديها من أحد وإنما نفرضها بقوة السلاح ولسنا في حاجة لاعتراف أية دولة بنا إذا كان الله قد رضي عنا ، وما المطالبة بذلك إلا بداية الانزلاق الذي لن يتوقف حتى نصطف خلف الشرعية الدولية ونقر بالحدود والسدود التي رسموها وخطوها لأنفسهم ، وحتى نعتبر المواطنة والانتماء الأرضي المجرد هو معيار المفاضلة وتحصيل الحقوق وفرض الواجبات ، وتلك والله هزيمة نكراء شنعاء لا تعدلها ولا تدانيها عشرات الهزائم التي تحصل في ساحات القتال ، قال الله تعالى : { وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ }.

رابعاً : إن من أعظم ما يكشف أهل الحق من أهل الباطل في ساحات الجهاد هو التصريح بإعلان الأهداف والوضوح في ذلك بحيث لا يبقى هناك أدنى لبسٍ أو ميوعةٍ فيها ، وهو محك طالما زلت فيه أقدام جماعات رفعت رايات الجهاد وخاضت غمار الحروب ولكن بقيت أهدافها ضبابية فضفاضة خائضة في أمر مريج ، وقد وضح القرآن هذا الأمر وضوحاً لا اضطراب فيه وحدد غاية الجهاد تحديداً لا تداخل معه فقال الله تعالى : { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّه فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }، فقتالنا إذن حتى لا تبقى فتنة ولا شركٌ ولا مسلمٌ يفتن عن دينه، وحتى تكون الطاعة كلها لله تعالى ، فلا تجعلوا مدار قتالكم ومحور جهادكم على مجرد وجود قوات الاتحاد الأفريقي ، فالأمر أكبر من ذلك ، كيف وقد يكون بنو جلدتكم ممن يتكلمون بلسانكم ويتسمون بأسمائكم هم أشدَّ على الإسلام وأنكى في أهله منهم.

فما إخراج قوات الاتحاد الأفريقي إلا جزءٌ من المقصد الجهادي الكبير، وهو خطوةٌ من خطوات تحقيقه، إننا نقاتل لنخرج المحتل الأجنبي من أرضنا ، ولنستأصل شأفة أعوانهم المرتدين من بني جلدتنا ، ولنزيل كل نظامٍ أو قانونٍ أو شريعةٍ تناقض ديننا، وليحكم دين الإسلام –ودين الإسلام وحده– ربوع بلادنا، وليكون الناس كلهم عبيداً لله وحده وفي حياتهم كلها فلا يجعلون بعض الدين لله وبعضه لغير الله، كما قال الله عز وجل : { قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ }، فارفعوا بهذه الأهداف السامية النبيلة أصواتكم ورسخوها في إعلامكم وبياناتكم، وربوا عليها جنودكم واسعوا لتحقيقها في واقعكم وأرضكم.

خامساً : من فضل الله تعالى على المجاهدين في هذه الحقبة وفي سائر ساحات النزال والقتال أن نجّاهم الله تعالى من دعوات الجاهلية وعُبيتها ونخوتها ورفعوا لواء الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ليكونوا من حزب الله المفلحين الذين قال الله فيهم : { وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } ، فكان جهادهم واجتماعهم لدين الله تعالى ونصرته ومن أجل إعلاء كلمته وتحكيم شريعته دون أن يخلطوا سبيله بدنس القومية

أو يحرِّفوه بنداءات الوطنية، انسياقاً مع دين الله تعالى الذي قال لهم :{ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ } واتباعاً لنبيهم صلى الله عليه وسلم الذي قرر هذا المبدأ بقوله وفعله حيث قال عليه الصلاة والسلام : " إن الله قد أذهب عنكم عُبيّة الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي وفاجر شقي أنتم بنو آدم وآدم من تراب ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن" .

وما ذلّت الأمة الإسلامية لأعدائها إلا بعد أن استسلمت لهذه الدعوات التي مزقتها إرباً، وتعاظم كل شعبٍ من الشعوب الإسلامية في نفسه وترفعت تلك الشعوب بعضها على بعض وابتعدت عن مصدر عزها وقوتها ووحدتها ولم تصغ لما قاله أمير المؤمنين المُجرِّب عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " إنا كنا أذلّ قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله " .

فمما تفتخر به أمة الإسلام بعامة وطائفة الجهاد بخاصة أنَّها خرجت من بحر الجاهلية الدنس إلى رحاب العقيدة الطاهر، ليجتمع رجالها من أهل الشرق والغرب والعرب والعجم على كلمةٍ واحدة لإحياء الأمة الواحدة، فما يحاول عميل أمريكا في الصومال أن يجعله وصمة عارٍ في حق المجاهدين الصادقين بقوله إن صفوفهم تضم أجانب هو عين ما نفتخر به، وندعو إليه ونحرض عليه فهؤلاء العملاء هم الذين استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فنبذوا الإسلام وراءهم ظهرياً وتعزوا بعزاء الجاهلية المنتن واتخذوا ذلك مجنّةً يستترون خلفه لحرب الإسلام عموماً والمجاهدين خصوصاً فرفعوا أصواتهم مستنجدين بالدول الكافرة ومؤسساتها العالمية لأنهم اكتشفوا أن في الصومال "أجانب" حسب تعبيرهم يقاتلون بجانب إخوانهم المجاهدين، وياخيبة كل من منسلخ عن الدين كيف تجرجره الأهواء في كل واد كما يجرجر الكلب صاحبه، فإذا كان إخوان العقيدة الذين جمعتهم كلمة واحدة وانتسبوا إلى أمة واحدة قد جعلتموهم أجانب فقط لأنهم لم يولدوا أو يكبروا في الصومال، فماذا تقولون يا أصحاب الحكمة والحنكة والسياسة في الدول الكافرة التي تستنجدون بها ليلاً ونهاراً لإنقاذ حكمكم البالي والحفاظ على قصركم المتهاوي!! وصدق الله :

{ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ . }

فيا أيها الإخوة المجاهدون الزموا دعوة الإسلام، وانبذوا دعوات الجاهلية وأهلها واحذروا أن تعودوا لدثارها بعد إذ نجاكم الله منها { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ } وقال صلى الله عليه وسلم : (" من دعا بدعوة الجاهلية فإنه من جثاء جهنم"، قال رجل : يا رسول الله وإن صام وصلى ؟ قال : " نعم ").
فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين والمؤمنين عباد الله.

وأخيراً.. عليكم بالاتفاق واجتماع الكلمة، واحذروا الاختلاف والتفرق ، وأكثروا من الدعاء والتضرع ،

واجتهدوا في تعليم الناس أمر دينهم ورسخوا في قلوبهم معاني الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين، وكونوا قدوتهم في التواضع والزهد والعدل والانتصار والشجاعة والتضحية، واكسبوهم بلين القلوب من غير تفريطٍ في الحق ولا تضييع للحقوق اقتداءً بنبيكم صلى الله عليه وسلم الذي قال الله له :

{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الصومال.. لا سلام بلا إسلام

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد

أمة الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحببت أن تكون كلمتي هذه عن جبهة من الجبهات المهمة الكبيرة التي تتصدى فيها طليعة صادقة من الأمة الإسلامية للحملة الصليبية العالمية ألا وهي الصومال، وذلك بعد الاتفاق الأخير الذي وقع بين ما يعرف بفصائل المعارضة والحكومة العميلة المرتدة في مقديشيو.

والمجاهدون وإن كانوا غير معنيين بمثل هذه الاتفاقات، ولا عابئين ببنودها، بل هي عندهم لا تساوي الأوراق التي كتبت عليها، فإننا جميعاً محتاجون إلى أن نؤكد على مواقفنا في كل مناسبة، وأن نوضح سبيلنا بأصوله وضوابطه حتى لا يلتبس بسبيل المجرمين فيختلط الحق بالباطل والهدى بالضلال.

فأقول مستعينا بالله ومختصراً أيضاً:

إن مثل هذه الاتفاقات مهما أبرزها الإعلام في صورة خادعة خلابة، وصورها على أنها المخرج للبلاد مما يسمونه الأزمات والحروبَ الأهلية، فإن إطارها الصحيح الذي يجب أن توضع فيه، والذي ينبغي لكل مجاهد واعٍ أن يحيط بعلمه، هي أنها جزء لا يتجزأ من المؤامرة الكبرى والكيد الخفي الذي يتقنه أعداء الإسلام لزيادة تمكينهم في الأرض، وامتصاص غضب المقهورين والمظلومين من الشعوب المسلمة، واتخاذه وسيلة لاستئصال

شأفة الجهاد والمجاهدين، في كل المناطق الساخنة والتي منها الصومال الحبيب، وذلك من خلال إظهارهم عبر وسائل إعلامهم الضخمة على أنهم العقبة التي تعترض طريق السلام والاستقرار والمصالحة، وأنهم سبب استمرار الحروب وبقاء الاضطراب في هذه البلاد أو تلك، وهي خديعة إبليسية طالما وقع في شراكها الكثير والكثير ممن ليس لهم إدراك بمؤامرات أعداء الله، فترى أمثلَهم طريقة يتعامل مع القضايا المصيرية الكبرى بكل سطحية وسذاجة، وينجر وراء الشعارات البراقة، والدعاوى المزيفة، أما المؤمن المستبصر فهو كيس فطن، ولا يلدغ من جحر مرتين.

وإلا فمن حق كل أحد أن يسأل هؤلاء المتباكين على الصومال والمتظاهرين بالحرص على مصلحة شعبه المنكوب، والذين يتنقلون عبر عواصم العالم بزعم البحث عن مخرج مما هو فيه ذلك السؤال هو :

من الذي أوصل الصومال بعد استقراره واستتباب الوضع فيه إلى ما هو عليه اليوم؟

فقد استمر القتال بجميع أنواعه القبلي والسياسي بل حتى الإجرامي أكثر من خمسة عشر عاماً وهؤلاء المتباكون على مصير شعب الصومال لم يلتفتوا له التفاتة صادقة واحدة يوماً من الأيام، وإنما كان همهم تحقيقَ مكاسبهم ونيلَ مطامعهم وعلى حساب شلالات من الدماء التي تتدفق من أجساد الفقراء الأبرياء، فما بال هذا الضمير العالمي الكاذب يستيقظ اليوم ليقول لنا إننا حريصون كل الحرص على استقرار البلاد وأمن العباد؟

ألم يستقبل الشعب الصومالي المسلم المجاهدين حينما جاؤوه منقذين له من ويلات الحروب وجحيم التمزق استقبال الغريق لمنقذه، ففتحوا لهم صدورهم وقلوبهم قبل بيوتهم؟ فمن الذي قلب الأمور رأسا على عقب، فصير الأمن خوفاً، والاستقرار اضطرابا، والاتفاق تمزقاً، والشعب شتاتاً؟

أليست هي الأيدي نفسها والتي تمتد اليوم لهؤلاء لتصافحهم وتقول لهم إننا معكم من أجل مصلحة وتخليص البلاد مما هي فيه من الضنك؟ فكيف نصدق أن الجزار مشفق على ذبيحته ونحن نراه يمزقها بسكينه إربا إربا؟

ومن هنا فإنني أقول منبها إخواني المجاهدين الصادقين في تلك البقعة الحبيبة على عدة أمور:

أولها: أن دين الإسلام لا يفرق بين عدو خارجي وعدو داخلي، فهذه فرية لا يرتضيها في أحكامه، ولوثة لا يدنس بها وجهه المشرق، بل إنه يحثنا على قتال الأقربين قبل الأبعدين كلما وجدنا إلى ذلك سبيلا، كما قال الله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}، أسمعتم ؟ [وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً]، ولم يقل نقبوا معهم على أرضية مشتركة تجمعكم، ولا قاعدة موحدة تضمكم، ولا جبهة نضالية متوائمة تُظلكم.

وعليه فلا فرق في قتالكم وغلظتكم وبراءتكم من أعدائكم بين أن يكون ذلك العدو أثيوبياً حبشياً، أو أمريكيا صليبيا، أو أفريقياً وثنياً، أو صومالياً مرتداً، فكل منهم سند للآخر،{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [الأنفال/٧٣]

بل إن دروس الأحداث تعلمنا أنه لا عبور للأعداء الخارجيين المحتلين إلا عبر قنطرة يصنعها بيديه من أوليائه المحليين كما هي الصورة المتكررة في الحرب الصليبية العصرية، في أفغانستان، والعراق، والشيشان، وحكومة عباس في فلسطين.

فهذا الأمر إن لم يكن في غاية الوضوح والصرامة من قبل المجاهدين بحيث لا يقبلون فيه أدنى تنازل، فإن عاقبة جهادهم وجهودهم ستكون تيهاً، وضياعاً، وحيرة، وربما خيانة صريحة.

فيا إخواننا المجاهدين في الصومال، اقتدوا بنبيكم صلى الله عليه وسلم الذي قاتل قومه وبني عشيرته قبل أن يقاتل غيرهم، ولم يمنعه من ذلك قرابة، ولا دمٌ، ولا رحم، ولا أرض، فلا تقبلوا في هذا المبدأ مساومة، ولا خلخلة، ولا تشكيكاً،وقولوها بكل صراحة ووضوح إننا سنستمر في مقاتلة أعدائنا من الأحباش الأوباش وأعوانهم المرتدين وإن كانوا أقرب الأقربين حتى لا يبقى لهم في بلادنا أثر ولا ذكر ويكون الدين كله لله.

ثانيها: سينطق الرويبضة، وربما يتحدث بعض المتعالمين، فيما لو خرجت القوات الأثيوبية ، ليقولوا لكم بعدها، ما لكم وللحرب وقد خرج المحتل، فإن قتالكم للحكومة الصومالية ومن وقف في صفها إنما هو حربٌ أهلية لا شرعية لها، وما ينبغي للصومالي أن يقتل أخاه الصومالي، وإننا في حاجة إلى حقن الدم الصومالي.

فقولوا لهم لو كان قتال القريب لقريبه في كل حين يعد حرباً أهلية مذمومة، لكان قتال النبي صلى الله عليه وسلم لكفار قريش من هذا القبيل –وحاشا لله–، وهو الذي مدحه ربه وزكاه فقال {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح/٢٩]

ثم ماذا يقصد هؤلاء بالحرب الأهلية، فأخوتنا الإيمانية وولاؤنا ليست مبنية على أرض، ولا وطن، ولا دم، ولا مال، ولا قرابة، وإنما على التوحيد الخالص الذي يقرب البعيد ويباعد القريب وقد قال الله تعالى {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} [المائدة/٥٥]وقال الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [التوبة/٢٣]

فلا تبنوا ولاءكم وقتالكم إلا على هذا الأصل الأصيل، فمن آمن فهو أخ قريب وإن كان أبعد البعداء، ومن كفر فهو عدوٌ بغيض وإن كان أقرب الأقرباء، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم [أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله]، فلا تتحرجوا في إبداء هذا الأصل والتأكيد عليه، والتصريح به، ولتعلموا أن أي غبش في هذا المفهوم ستكون عاقبته خسرا في الدنيا والآخرة.

ثالثها : إياكم أن تجعلوا مصير جهادكم، في أيدي اناس لم يخوضوا غماره، ولم يعيشوا في ساحاته، ولم يتحملوا شيئاً من أعبائه، ولم يأخذوه كعبادة شرعية راسخة دائمة لا تتقلب مع الأحداث ولا تتغير مع الظروف، مهما ذاع صيتهم، وطارت شهرتهم، ومهما أوتوا من الفصاحة والبيان، ومزاعم الحكمة والفهم والسياسة، فهؤلاء

سيتعثرون عند أول عقبة، ويساومون عليه عند أول إغراء، وقد يتخلون عنه عند أول محنة، لأنهم لم يذوقوا شيئا من مرارة إقامته، ومكابدة ألوان معاناته، وبالتالي لم يشعروا بأية مسؤولية حقيقية تجاهه، بل هو عندهم كما يقولون (ورقة ضغط) تستخدم عند الحاجة، وتلقى مع أول مغنم يتوهمونه، فما أيسر أن يتخلوا عنه.

وعليه فلا بد أن يكون شأن إدارة الجهاد، وقراراته المصيرية الكبيرة، بأيدي رجال صادقين حنكتهم تجاربه، وصقلتهم ساحاته، وعرفوا بين إخوانهم بثابتهم وحسن بلائهم، ورسوخ مفاهيمه في قلوبهم، الذين يعيشون أحداثه لحظة لحظة، لا عبر المؤتمرات والندوات واللقاءات وإنما بعرقهم ودمائهم وجهودهم وعيشهم بين إخوانهم.

ولسنا نعني بهذا الكلام إهمال أصحاب الخبرات، ولا النكول عن استشارة أهل العلم والرأي، ولا إقصاء أصحاب التجارب والقِدَم، مهما أمكن الإفادة منهم، من داخل الصومال أو خارجها، ولكن لا ينبغي بأي حال من الأحوال أن يكون مصير الجهاد، إلا بأيدي أصحابه الذين يباشرونه قولاً وعملاً، ممن يقدرون تضحيات أهله لأنهم من أصحابها، ولا يرضون عليها أدنى مساومة ولا تنازل تحت أي غطاء كان وفي أي ظرف من الظروف.

رابعها : إن خروج القوات الأثيوبية المحتلة، وإحلال أية قوة بدلها، سواء كانت تابعة للاتحاد الأفريقي، أو الأمم المتحدة، أو غيرها من المنظمات الإقليمية والدولية، وتحت أي اسم كان، كقوات إحلال السلام، لا يغير من حقيقة الأمر ولا حكمه شيئاً، فهو لا يخرج عن التوصيف الشرعي الذي يذكره الفقهاء بقولهم [إذا داهم العدو أرضا من أراضي المسلمين صار الجهاد فرضا على أهلها]، فلا تنظروا إلى أية قوة كانت إلا بهذا المنظار الشرعي الدقيق.

فكل هذه المؤامرات والأسماء والشعارات ما هي في حقيقتها إلا إحلال احتلال محل احتلال، وإنما وضع تحت مظلِة تلك المنظمات المعروفة لتمريره وتسويغه، فهو انتقال من مرحلة الاحتلال السافر إلى الاحتلال المقنن، وما أكثره في بلاد المسلمين اليوم.

ونحن كمسلين أولاً وكمجاهدين ثانياً لا نعترف بشرعية هذه المنظمات مهما عُظِّمت عند أهلها، ومهما أسبغ عليها من الألقاب، وأغدق لإشهارها وتقويتها من الأموال، فإنها لا تخرج عن كونها منظمات كافرةً محاربة لله ولرسوله وللمؤمنين، فدينها غير ديننا، وشرعيتها من غير شريعتنا، وأهدافها التي أنشأت لأجلها تنسف أهدافنا، ورؤساؤها أئمة في الكفر، وعلى رأس هذه المنظمات الأمم المتحدة.

فكيف نصدق أن هؤلاء يحرصون على مصلحتنا، ويبحثون عن أمننا، ويجتهدون لأجل سلامنا وسلامتنا؟

أفنصدقهم ونصدق إعلامهم ومزاعمهم ونكذب كتاب ربنا الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إذ يقول لنا : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} [آل عمران/١١٨]

وعليه فإنني أقول لإخواننا المجاهدين في الصومال: هيئوا أنفسكم لقتال أية قوة تطأ أرضكم كائنة ما كانت، وتحت أي غطاء جاءت، ومهما كانت الدعاوى والمسوغات التي يُمَهد بها لدخولها، تماماً كما تقاتلون قوات الأحباش الصليبية ومن وقف بجانبها وأيد احتلالها بلا فرق.

فأنتم أيها المجاهدون ومن معكم من القبائل المؤمنة الصادقة الغيورة على الدين والعقيدة أهل الأمر في تلك البلاد، فما لم يكن الأمر بقرار صادر من قبلكم، وبنظرة مستقلة منكم، فلا عبرة له ولا وزن، ولا قيمة له ولا احترام، فاضربوا به عرض الحائط ولا تبالوا، ولو صفق له من صفق.

فهذا هو الطريق الذي عليكم أن تتمسكوا به، وتستميتوا في التضحية للحفاظ عليه، كما ضحى من أجله قادتكم وعلى رأسهم البطل الشهيد فيما نحسب (آدم عيرو) رحمه الله، والذي أغتنمُ هذه الفرصة لتقديم العزاء للأمة الإسلامية ولمجاهدي جيش العسرة في استشهاده، ونقول هكذا يُقتل الأبطال، وهكذا يواجه الرجال، سنة لا تزال جارية في عصرنا فكانت غرة في جبين ساحات الجهاد تتباهى بها وتحيي الأمةَ بإشراقها، فلإن قتل البطل آدم عيرو، فلن يغير ذلك من مسيرة الجهاد وطريق الفداء شيئا، فمن قبله قتل القائد أبو مصعب الزرقاوي في العراق، والقائد أبو إبراهيم في الجزائر، والقائد داد الله وأبو الليث في أفغانستان، وشامل وخطاب في الشيشان، فلم تخبُ جذوة الجهاد بل ازداد بدمائهم نضرة وحيوية، لأنه سبيل الحياة حقاً {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال/٢٤] فاستمسكوا بهذا النهج وستجدون في سلوكه بركةً ظاهرة، وفتحاً مبينا، ودفاعاً من الله عنكم.

ولا تقبلوا بأقل من دولة إسلامية مستقلة لا تعترف بشرعية دولية، ولا تقر بقوانين وضعية، ولا تيمم وجهها شرقاً ولا غرباً، وإنما قاعدتها التي تقوم عليها ولا تتنازل عنها {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام/١٦٢]، ولا للأمم المتحدة، ولا للشرعية الدولية، ولا لأي نظام من النظم الجاهلية.

ثم لتعلموا أن أي تفريط في هذه الثوابت، فإنه تضييع مباشر وبغير مقابل لجهودكم وإهدار لدماء إخوانكم، وخيانة لتضحياتهم، وما حال من يريد إنقاذ البلاد وتحرير العباد بغير طريق الجهاد –الذي هو القتال– إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه، أو كاللاهث وراء السراب ليذهب ظمأه وهيهات.

وليس هناك طريق أخصر ولا أقصر من طريق الجهاد يمكن أن تبلغوا به غايتكم، وتنالوا به بغيتكم، وتنقذوا به بلدكم، وتمكنوا به لدينكم، ولو بدا لبعض المفتونين غير ذلك، فلا تلتفتوا إلى سواه، ولا تتطلعوا إلى غيره، ولا تحيدوا عنه طرفة عين، فبه التمكين لا بسواه {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الأنفال/٣٩]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جمادى الآخر ١٤٢٩

تُرْكِسْتَانُ الشَّرْقِيَّةُ .. الجُرْحُ المَنْسِيُّ

۩ بسم الله الرحمن الرحيم ۩



(وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

إخواني المسلمين:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إذا اشتكى مسلمٌ في الهندِ أرّقني *** وإنْ بكى مسلمٌ في الصين أبكاني

وأينما ذُكِر اســـــمُ الله في بلدٍ *** عددتُ ذاك الحِمى من صُلب أوطاني

شريعـــة الله لّمت شملنــا وبَنَتْ *** لنا معـــالم إحســـانٍ وإيمـــانِ

جرحٌ عميقٌ ينزفُ في أمتنا الإسلامية، ولكنه ليس بجديد وإن كان كثيرٌ من المسلمين لم يعلموا أو يشعروا به مع طول عناء أهله وشدة محنتهم وعظيم كربتهم ودوام استنجادهم بإخوانهم، وما ذلك إلا نتيجة التمزق والتفرق والاختلاف والتنافر الذي تعيشه أمتنا الإسلامية ومنذ أمد بعيد مما لم تعد معه كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالحمى والسهر، وغارت في أوحال الأعراق والقوميات والنزعات والنِّزاعات معاني الأمة الواحدة فصارت شِيَعاً كل حزبٍ بما لديهم فرحون، فتداعى عليها أعداؤها من كل حدب وصوب كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. ولم يكن ذلك عن قلة فنحن نزعم أننا أُمة المليار ونصف المليار مسلم، ولكنه الغثاء والجفاء الذي أصابنا، والوهن الذي تمكن منا، وحبنا للدنيا وكراهيتنا للموت والقتال حتى سرى الجبن والعجز والكسل في سائر أوصالنا وأغرى بنا الأراذل من كفرة الشرق والغرب جزاءً وِفاقاً.

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

فمجزرةُ اليوم لم تقع بأيدي عُبّاد الصليب المجرمين ولا اليهود الحاقدين الذين اعتادت الأمة جرائمهم وفظائعهم، ولم تُرفع أو تُنزع خناجرهم من جسدها لحظة واحدة، وإنما كانت المذبحة الجديدة والتي ما زالت متواصلة بأيدي الوثنيين البوذيين والمُلحِدين الشيوعيين للشعب المسلم المضطهد في تركستان الشرقية والذي بقي يتجرع غصص الظلم وأنواع القهر وصور الإذلال عقوداً طويلة مما يؤكد لنا الحقيقة الناصعة التي قررها القرآنُ الكريم مِراراً وهي العداوةُ والضغينة والأحقاد التي تمتلئ بها قلوبُ الكفرة من أي جنس كانوا وعلى أي نِحلة كانوا، فلا ينخدع بهم إلا غرٌّ أحمق أو سفيهٌ أخرق لا يكادُ يعرف دينه وعقيدته.

قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

تلكم هي تركستان ومأساتها وجِراحاتها وآهاتها، تركستانُ وما أدراكم ما تركستان .. جسدٌ مُثخن .. وعيونٌ مُتقرحة .. ولوعاتٌ مريرة لسان حالها:

صُبّت علي مصائبٌ لو أنها *** صُبّت على الأيام عدن لياليا

دخل الإسلامُ أرضَ تركستان الشرقية والتي يسميها الصينيون اليوم (شينج يونج) –أي المستعمرة الجديدة– دخلها الإسلامُ على يد القائد المسلم المظفّر الفاتح قتيبة ابن مسلم الباهلي –رحمه الله– سنة ٩٦ هـ حينما فتح مدينة (كاشغر) ومنذ ذلك الوقت عمّ نور الإسلام تلك الأرض النائية، فاستمسك أهلها به مع شدة المعاناة ولم يرضوا به بديلاً على كثرة الإغراءات، فتركستان الشرقية جزء لا يتجزأ من الأراضي الإسلامية التي هبّت عليها نسائم الفتوحات ووطأتها سنابكُ خيل أبطال الإسلام وتزينت بدماء الشهداء قديماً وحديثاً وتخرّج منها

جمّ غفيرٌ من العلماء، وشعبها المسلم لم تنقطع وشائج صلاته الإيمانية مع أمة الإسلام مع الجهود المنظمة والمتواصلة التي يحاول الملحدون من خلالها سلخه من دينه وطمس هويته وتصيينه وتغييبه، ولإن كانت جرائمُ كفرة الغرب التي تُرتكب ضد المسلمين بين الحين والحين غالباً ما تبرز وتشتهر في وسائل الإعلام فيسمعها العالم ويراها فينتفض المسلمون معها لنصرة إخوانهم بكل وسيلة وحيلة فإن ما يقترفه مجرمو الإلحاد الصيني ضد المسلمين في تركستان ومنذ أمدٍ بعيد يتم في غاية التكتم والإسرار وبأخس الوسائل وأحقرها وبأقصى ما يتصوره الإنسان من الوحشية والهمجية والفتك والاستئصال والقسوة والتنكيل وبسمومٍ من الأحقاد لا يكاد المرء يجد لها نظيراً حتى قُتِل عشرات الآلاف من المسلمين دون أن يشعر بهم أحد فضلاً عن الانتفاض لنصرتهم وإغاثتهم ولا حول ولا قوة إلا بالله !

نعم، لقد حاولت الحكوماتُ الصينيةُ المتعاقبةُ جاهدةً أن تقطع كل صلة بين الشعب التركستاني المسلم المكلوم وبين الأمة الإسلامية وتُعمِل فيه عوامل الإفناء وتُسلط عليه معاول الهدم لتتقلص أعداده يوماً فيوم وتذوب شخصيته الإسلامية شيئاً فشيئاً فاتخذت في سبيل تحقيق ذلك عدة طرق شيطانية ابتكرها الحقد وأبدعها الجشع والطمع ونفذها التوحش والانسلاخ من القيم، وما زالت تطورها وتضيف إليها حيناً بعد حين حتى وصل الحال بهذا الشعب المُنهك المُثخن إلى حافة هاوية الاندثار وذوبان كيانه المسلم وتلاشي خصائصه ومميزاته.

ومن أهم تلك الإجراءات التي سلكتها ولا زالت تسلكها حكومات الإلحاد والتي لا يعرفها كثير من المسلمين:

أولها:

إطلاق اسم (شينج يونج) أي المستعمرة الجديدة على تركستان الشرقية، ليصبح هذا الاسم التاريخي العريق نسياً منسياً كما هو الحال اليوم في منارة الغرب المفقودة الأندلس، وكما يحاول اليهود تغيير اسم فلسطين إلى إسرائيل، وبعد أن كانت أرض تركستان الشرقية جزءاً من الدولة الإسلامية أصبحت بعد الاحتلال الصيني لا تعدو أن تكون مقاطعةً من مقاطعات الصين تُمتص خيراتها وتُنهب ثرواتها حتى إنّ كثيراً من المسلمين في العالم لا يكادون يعرفون شيئاً عن هذه البقعة الإسلامية، فمن أهم مقاصد سياسة تغيير الأسماء هو قطع الصلة بين السكان وتاريخهم الذي يمثله هذا الاسم ومن ثم إشعارهم بالتبعية للأمة الصينية وأنهم جزء لا يتجزأ منها.

الثاني:

إغراق الأرض التركستانية بالمهاجرين الصينيين والتوطين المنظم لهم تماماً كما يفعل اليهود في فلسطين، وتشجيعهم على ذلك حيث تسعى الحكومة الصينية إلى إسكان ما يزيد على مائتي مليون صيني في تركستان ليكون سكانها الذين يزيد عددهم على ثلاثين مليون أقلية ذائبة في هذا البحر المتلاطم من المهاجرين الجشعين.

وقد بذلت الحكوماتُ الإلحادية جهوداً ضخمةً لتحقيق هذا الهدف، فقدمت إغراءات كبيرة لكل المواطنين الصينيين الذين يرغبون في السكن بمستعمرتهم الجديدة فوفرت لهم الوظائف والمنازل والمزارع والأراضي التي

انتزعتها قهراً وجبراً من أيدي أصحابها المسلمين التركستانيين حتى ذكرت بعض الإحصاءات أن نسبة الصينيين أصبحت في تركستان تزيد على ستين بالمائة.

الثالث:

وفي مقابل هذا السيل الصيني المتدفق على تركستان المسلمة قامت الحكومات الصينية بإجراءات صارمة ترغيباً وترهيباً لتحديد النسل بين المسلمين فلا يُسمح للأسرة المسلمة بإنجاب أكثر من طفلين، والمخالف في ذلك يعرض نفسه وأسرته إلى أقسى أنواع الإرهاب وتُفرض عليه الضرائب الباهظة، وبناء على قانون الوأد العصري المتحضر أصبحت عمليات الإجهاض القسري والإجبار على حقن منع الإنجاب أمراً لا غضاضة فيه ولا اعتراض عليه في دولة الإلحاد المتحضرة !

الرابع:

إغلاق جميع المدارس والمعاهد والجامعات الإسلامية ومنع التدريس الديني منعاً باتاً بما في ذلك حلقات القرآن والمُدارسة في المنازل والمساجد خاصة لمن لم يبلغ الثامنة عشرة من عمره، وما يُسمح به من الدراسات الدينية فيكون تحت الإشراف المباشر للسلطات الشيوعية، هذا بجانب الإجبار على التعليم القائم على غرس عقائد الإلحاد وتعظيم القادة الملحدين ليكونوا لهؤلاء النشء قدوة ينهجون نهجهم ويأتسون بفكرهم، ومع ذلك اجتهدت هذه الحكومات في قتل وأسر وتغييب كل العلماء وطلبة العلم والتنكيل بهم في ظلمات سجونهم حتى أقفرت منهم أرض تركستان بين مهاجرٍ فار بدينه ومعتقلٍ مدفون في زنازينهم أو مختفٍ متقٍ لشرهم.

الخامس:

السلب والنهب الدائم والمستمر لكل الخيرات والثروات التي منّ الله بها على أهل تلك الأرض الإسلامية كالنفط والذهب والحديد والنحاس والبلاتين وغيرها، وتم تسخير الشعب التركستاني المسلم لاستخراجها وحملها وليس له من وراء ذلك إلا النصب والشقاء واللغوب والعناء لتكون تلك الثروات مغنماً سهلاً وعطاء زلالاً لتشييد صرح الحضارة الإلحادية.

السادس:

التجارب النووية الضخمة والمتكررة التي تقوم بها الصين في إحدى صحاري تركستان الشرقية حيث يوجد أكبر موقع لإجراء تجارب الصواريخ والقنابل النووية في العالم مما أدى إلى موت مئات الآلاف من التركستانيين وإصابة أمثالهم بأمراض غريبة وهجرة الكثيرين من تلك المناطق اضطراراً لا اختياراً، وصدق الله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾.

السابع:

وهو أحدثها وأخبثها وأشنعها وأبشعها أعني التهجير الإجباري والترحيل القسري للفتيات المسلمات ونقلهن إلى داخل الصين ومدنها الكبرى وقطع صِلتهن عن أسرهن سنوات عديدة وربما إلى غير أمد تحت شعار التدريب المهني حتى يتسنى لهن العمل في الوظائف والمصانع وغيرها كما يزعم هؤلاء الملاحدة، وقد تم بالفعل تهجير مئات الآلاف منهن ليغرقن في بحر الفساد والإلحاد والغربة والسبي المنظم والتسخير المهين مما اضطر الكثير من المسلمات إلى قتل أنفسهن فراراً من قانونهم اللعين الذي لا يجدن عنه ملجأ ولا وزراً ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أمورٌ لو تأملهنّ طفلٌ *** لطفّل في عوارضه المشيبُ

أتُسبى المسلمات بكل ثغرٍ *** وعيش المسلمين إذاً يطيبُ

أما لله والإسلام حقٌ *** يدافع عن شُبانٌ وشِيبُ

فقل لذوي الكرامة حيث كانوا *** أجيبوا الله ويحكمُ أجيبوا

فإلى الله المشتكى وإليه الملتجأ،،

كيف القرارُ وكيف يهدأ مسلمٌ *** والمسلمات مع العدو المعتدي

القائلاتُ إذا خشين فضيحة *** جهد المقالةِ ليتنا لم نولدِ

ما تستطيع وما لها من حيلةٍ *** إلا التستر من أخيها باليدِ

إذاً فما رأيناه وسمعناه في الأحداث الأخيرة في تركستان لم يكن وليد حدث عارضٍ مهما كانت ضخامته وجسامته وإنما هو انتفاضة واستجابة تلقائية لعقود طويلة من الظلم المظلم والتطهير المنظم والكبت المحكم والتسخير المذل والامتهان المخزي حتى بلغ السيل الزبى وتجاوز الأمر قدره، كما أنها لم تكن هذه هي أول انتفاضة يقوم بها ذلك الشعب المسلم المكلوم الذي يكافح وينافح من أجل الحفاظ على هويته وصيانة شخصيته والذب عن أعراضه وكف يد الإلحاد العادية المعتدية عن العبث بعقيدته.

فحق على المسلمين اليوم أن يقفوا بجانب إخوانهم المكلومين المظلومين في تركستان الشرقية وقفة الأخوة الإيمانية ويؤازِروهم ويناصروهم بما هو في وسعهم وطاقتهم، ولتكن أولى الخطوات في ذلك حملة إعلامية واسعة مركزة ومستمرة لتعريف الأمة الإسلامية بحقيقة ما يجري هناك وتعرية وفضح المستعمر الصيني الملحد الذي يتظاهر بالوداعة ويتستر بالتسامح أمام الشعوب الإسلامية مراعاة لمصالحه، يسايره في ذلك الحكومات المرتدة بينما

يُنشب مخالبه ويغرز أظافره وأنيابه ليمزق في صمت وخفية ذلك الجزء النائي من أمتنا ويُـنزل بأهلـه صـنوفَ العذاب وألوان النكال ويهلك بهمجيته وتجبره الحرث والنسل.

وليعلم إخواننا المسلمون في تركستان أنه لا سبيل للخلاص ولا طريق لرفع القهر والظلم إلا بالرجوع الصادق إلى دينهم والتمسك به قدر استطاعتهم والإعداد الجاد للجهاد في سبيل الله تعالى وحمل السلاح في وجه هـؤلاء الغزاة العتاة القساة، والصبر والمصابرة على ذلك مع حسن التوكل على الله تعالى ودوام الاستعانة والاستغاثة به وهو سبحانه القائل: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِـيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ) .

ولتستبشروا أيها المسلمون في تركستان بفرج الله الآتي والقريب، فوالله ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، وليعمن مشارق الأرض ومغاربها وإن رغمت أنوف الملحدين والمعاندين، وليظهرن الله أمـره وهـم كـارهون، فالعسر بعده اليسر، والشدة يتلوها الفرج، والضيق تعقبه السعة (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّه بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَـأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّـهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ).

أما دولة الإلحاد والعِناد فإلى زوال، فسيحل بها ما حل بالدُّب الروسي من التفكك والتشرذم، وسـيطالها مـا طالهم من الهزيمة والهوان حتى أصبحت دولتهم تُقاتَل في عُقر دارها على أيدي القِلة الضعيفة من المسلمين بعـد أن كانت دولة عظمى ترهبها نظيراتها من دول الطغيان.

(وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ)

(إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ)

(وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كلمة للشيخ في إصدار ريح الجنة (٢)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾



كل إنسانٍ يخرج من هذه الدنيا يموت، إلا الشهيد فإن الله عز وجل أخبرنا بأنه ينتقل من حياة إلى حياة أفضل حياة أوسع حياة لا موت بعدها ولا كدر بعدها ولا ضيق ولا خوف، الإنسان فيها فرِح مُستبشر بلقاء الله عز وجل، ولهذا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو الذي غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر تمنى أن يخرج من الدنيا من هذا الباب –من باب الشهادة في سبيل الله– ونبينا هو صاحب المرتبة العليا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لوددت أن أُقتل في سبيل الله ثم أُحيا، ثم أُقتل ثم أحيا، ثم أُقتل ثم أُحيا، ثم أُقتل" هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمنى الخروج من هذه الدنيا من باب الشهادة.

بل قال النبي صلى الله عليه وسلم –وهو حديث صحيح– "لأن أُقتل في سبيل الله أحب إلي من أهل الوبر والمدر –يعني أحب إلي من أهل البدو وأهل الحضر لو قُتِل صلى الله عليه وسلم في سبيل الله–" فالإنسان الله سبحانه وتعالى أرشده إلى بابٍ يخرج منه من الدنيا إلى الآخرة يخرج إلى معية الله عز وجل يخرج إلى رزقٍ دائم لا ينقطع من الله سبحانه وتعالى، يخرج إلى سعادة أبدية لا كدر فيها ولا خوف ولا حُزن، يخرج إلى استبشارٍ وفرحٍ وسرور وحُبور من الله سبحانه وتعالى.

كلمة للشيخ في إصدار ريح الجنة (٣)



الشيخ أبو يحيى الليبي في جلسة مع الإخوة حول جثمان الشيخ أبي الليث رحمه الله بعد استشهاده :

إننا إذ نعزي أنفسنا، ونعزي إخواننا، ونعزي الأمة الإسلامية كلها، ونعزي المجاهـدين في سـاحات الجهـاد والرباط والإعداد، نقول لهم : هؤلاء هم قادتكم، هؤلاء هم الذين حملوا همكم حقيقـةً ووقَّعـوا صـدقهم لا بالأقلام والأحبار ولا بالكلام والخطب الرنّانة ولا بالندوات واللقاءات إنما وقعوها بدماءٍ يراها كل أحد، إنمـا وقعوها بصدقٍ لا يُمكن لأحدٍ أن يُزايد عليه أو أن يشككك فيه.

إننا إذ نعزي أنفسنا ونعزي إخواننا المجاهدين في ميادين الرباط والجهاد في أفغانستان التي عرفت شيخنا وعرفها شيخنا أيضاً، ونعزي إخواننا في العراق الذين اعتادوا مثل هذه المشاهد، ونعزي إخواننا المـرابطين في مغـرب الإسلام الذين أحبَّهم وأحبوه، ونعزي إخواننا المجاهدين في بلاد العسرة في الصومال الحبيب، ونعـزي إخوانـنا المجاهدين في كل مكان .

نقول لهم :

أيها المجاهدون إن طريقكم لم تختاروه بأنفسكم إنما اختاره الله سبحانه وتعالى لكم، وإن نهايتكم ليست بأيـديكم إنما نهايتكم بيد الله عز وجل، فيا شباب الإسلام ويا أبطال العقيدة ويا رجال التوحيد هذه هي طريق الجنة لمـن

أرادها، وهذا هو طريق النصر لمن كان صادقاً في طلبه وابتغائه، فأعداء الله عز وجل لم يدخروا جهداً لينالوا منا ومن إخواننا ومن قادتنا ومن ديننا وعقيدتنا قبل ذلك.

فالأحمق السفيه هو الذي يظن بأعدائه خيراً، والأحمق السفيه هو الذي يتملق لأعدائه يطلب منهم وداً ويطلب منهم رفقاً ويطلب منهم إحساناً، ولكن الله عز وجل علمنا وأخبرنا كيف نتعامل مع هؤلاء المجرمين الغدرة الذين لا يصطادون الرجال في ساحات الوغى وإنما يصلون إليهم بخبثهم ويصلون إليهم بجواسيسهم، علمنا كيف نتعامل مع هؤلاء فقال الله سبحانه وتعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ).

وقال الله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ المتقين).

إننا إذ نحتسب شيخنا وقائدنا عند الله سبحانه تعالى ونسأله عز وجل أن يرفع درجته في عليين وأن يجمعنا به عاجلاً غير آجل مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

إننا إذ نودعه نقول له يا شيخنا إن طريقنا قد عرفناه، وإن نهجنا قد خبرناه، والحمد لله، فنقسم بالله العظيم الذي رفع السموات بغير عمد إننا لن نخذلكم، وإننا لن نخون دماءكم، وإننا لن نتخلى عن الطريق الذي سلكناه معاً سنوات عديدة، فما كان لنا أن نخون دماءً سُفكت من أجل إعلاء لا إله إلا الله، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يثبتنا على طريق الحق وأن يثبتنا على طريق الجهاد وأن يجعل نهايتنا كنهاية شيخنا وقائدنا وأن يرفع درجاتنا في عليين إنه سميع قريب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة للشيخ في إصدار (عيد الشهداء)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمّة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

ثم أما بعد:

فإن الموطن أيها الإخوة ليس موطن كلام، فالعبارات تعجز عن أن تُسطر شيئاً مما سطره هؤلاء الرجال الأبطال الجبال بدمائهم، فأنّا للكلمات أو العبارات أن تؤدي ما في نفسي وما أجده في قلبي وأنا أجلس بين جبلين عظيمين من جبال الإسلام الذين ما وجدوا شيئاً أغلى من نفوسهم ليقدموه فداء لدين الله عز وجل، إننا نجلس في هذه الجلسة مع من أيها الإخوة ؟ نجلس مع شهداء، هذه الصفة هو ذا الاسم العظيم الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لمن تكون نهايته كنهاية هؤلاء، الله عز وجل هو الذي سمّاهم شهداء والله عز وجل هو الذي أخبرنا خبراً يقينياً لا ريب فيه أنهم أحياء ولو تكلموا أمامنا والله لقالوا: إنا قد لقينا ربنا فرضي الله عنا ورضينا عنه.

فيا أيها الإخوة:

لا شك أن قلوبنا مليئة بالحزن وبالأسى فهؤلاء هم إخواننا وأحبابنا ورفقاؤنا الواحد منا يتمنى أن يفديهم بدمه والله، وبفضل الله وبمنة الله عز وجل لا يجمعنا معهم رابطة قومية مقيتة ولا وطنية خبيثة مُنتنة إنما ربطنا بهم شيء واحد، هو الذي قدموا دماءهم من أجله، ما هو ؟

"لا إله إلا الله محمد رسول الله"

فيا أيها الإخوة:

هؤلاء هم أحياء كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى (وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ) الله عز وجل لم يرض لهؤلاء أن يُوصفوا بصفة الموت أن يقال لهم أموات، بل هم أحياء عند الله عز وجل يُرزقون وفرحين بما آتاهم الله سبحانه وتعالى من فضله.

عن مسروق رضي الله تعالى عنه قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية: (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً) والحديث في صحيح مسلم، قال: إنا قد سألنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إن أرواحهم في أجواف طيرٍ خضرٍ تسرح من الجنة حيث شاءت، فاطلع عليهم رهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا: وأي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ فكرر الله سبحانه وتعالى عليهم ذلك ثلاثاً، فلما رأوا أنهم لن يُتركوا من أن يسألوا أو من أن يُسألوا قالوا –ماذا تمنوا ما الذي تمنوه أيها الإخوة– قالوا يا رب نتمنى أن تردنا إلى الدنيا فنُقتل فيك مرة أخرى، فلما رأى أن لا حاجة لهم تُرِكوا".

هؤلاء تركوا ديارهم وتركوا أوطانهم وتركوا أهليهم وتركوا آباءهم وأُمهاتهم وإخوانهم وجاؤوا إلى هذه الأرض البعيدة النائية ما الذي يريدونه من مجيئهم ؟

هل جاؤوا يركضون وراء دنيا فانية كما يركض وراءها الآلاف من الناس من المسلمين وغيرهم؟

هل جاؤوا يطلبون شهرة أو سمعة أو جاهاً ؟

هل جاؤوا لِيُفسِدوا في الأرض كما يصفهم المجرمون ؟

يا أيها الإخوة إنما جاؤوا لأمرٍ واحد، جاؤوا لأجل هذا الأمر الذي نراه أمامنا، من أجل أن يُقتلوا في سبيل الله ولِأن تحيا عقيدتهم ويحيا دينهم وتحيا شريعة رهم بهذه الدماء التي تفوح الآن بهذا المسك الذي يشمه كل هؤلاء الإخوة، هذه الدماء أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم قال بأنها ستأتي يوم القيامة وهي تفوح بالمسك فها نحن نشمها في الدنيا آية من آيات الله عز وجل وكرامة لهؤلاء وتثبيتاً لمن وراءهم من المجاهدين حتى يعلم الجميع أن هؤلاء الذين يُوصفون بأنهم مُتطرفون! متشددون! مُفسدون! متهورون! هؤلاء هم أطهر الناس وأزكى الناس وأصدق الناس وأحب الناس إلى الله عز وجل نحسبهم كذلك ولا نزكيهم على الله عز وجل.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من مكلومٍ –يعني ما من مجروح– ما من مكلومٍ يُكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دماً –يعني ينزف دماً– اللون لون الدم والريح ريح المسك" هذا حديث في الصحيحين، فها نحن أيها الإخوة نشم المسك والذي نتحدى جميع مصانع العطور أن تستخرج لنا مثل هذه الرائحة التي نشمها الآن، هذا مسك أهداه الله سبحانه وتعالى لهم.

فيا أيها الإخوة:

هؤلاء إخوانكم كانوا يعيشون بينكم ولعل أحدهم كان ينام في هذا المكان الذي هو فيه الآن وأخوه بجانبه، هؤلاء إخوانكم قدموا وأدوا ما عليهم فما عليكم إلا أن تستلموا الراية وأن تأخذوا الأمانة بقوة وأن لا تُفرطوا فيها وأن تقولوا بقُلوبكم ومنهجكم وألسنتكم إننا لن نستسلم ولن نتراجع ولن نتهاون حتى نأخذ بثأر هؤلاء أو أن يكون مصيرنا كمصيرهم.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء﴾ هم أحياء لماذا؟ لأهم قدموا كل ما يملكون وأغلى ما يملكون من أجل أن يحيا دينهم، هم أحياء لماذا ؟ لأهم استجابوا لله وللرسول لما دعاهم لما يحييهم، لما دعاهم للجهاد وللتضحية وللبذل ولإقامة دين الله سبحانه وتعالى قدموا نفوسهم.

أين قُتِل هؤلاء ؟

هل قُتِلوا بجانب بيوقم ؟

هل قُتِلوا وهم يدافعون عن شيء من لُعاع الدنيا ؟

قُتِلوا على قمة جبل لأهم جبال لا يرضون أن يموتوا في الحضيض وفي الدركات، لأن هممهم عالية شامخة شاهقة كالجبال التي قُتِلوا عليها، ولأن عقيدقم راسخة كالجبال التي قاتلوا عليها.

فيا أيها الإخوة ما عليكم إلا أن تثبتوا على هذا الطريق وها هو الله سبحانه وتعالى يُريكم معيته لكم ويُريكم آياته ومعجزاته وكراماته حتى تعلموا أنكم على الحق وأنكم على الهدى والصراط المستقيم ثم لا تعبؤون بعد ذلك بما يقول مرجف أو مُثبّط أو مُخذِّل ألهته دنياه وألهاه هواه وطمس الله على قلبه وعلى بصيرته.

نسأل الله العلي العظيم الكبير الجليل أن يرفع درجاقم في جنات النعيم.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلهم من سكان الفردوس الأعلى.

نسأل الله عز وجل أن يكونوا في هذه اللحظة يتقلبون في النعيم.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكونوا ممن قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً﴾.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يُثبِّتنا على الحق والهدى الذي قُتِلوا من أجله.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يُثبِّتنا حتى ننتقم من هؤلاء المجرمين النصارى وأعوالهم المُفسدين الذين وصفهم الله عز وجل بأهم أنعام، وإننا نقول لهؤلاء المجرمين والله، الله أعلى وأجل الله مولانا ولا مولى لكم، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، إننا لا نبكي على إخواننا دموعاً إننا لن نبكي عنهم إلا دماء كما قدموا هم دماءهم تضحية من أجل إخوالهم الذين قُتِلوا من قبلهم.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن لا يحرمنا أجرهم وأن لا يفتننا بعدهم وأن يُثيبهم خير ثواب وإننا نُشهد الله وملائكته وحملة عرشه وخلائقه أجمعين أهم كانوا من خيرة المسلمين ومن خيرة المُضحين ومن خيرة الباذلين لنفوسهم المؤثرين لكل ما يملكون، الذين يُقدمون ما يحب إخوالهم على ما يحبون هم.

نسأل الله عز وجل أن يرفع قدرهم، ونسأل الله العلي العظيم أن يُسكنهم الفردوس الأعلى، وجزاكم الله خيراً وبارك الله فيكم.

هذا من ليبيا الزبير الليبي (أحمد العوكلي) من ليبيا، وهذا من باكستان ما الذي جمعهما على جبلٍ واحد ؟

ما الذي جمعهما في هذا المكان ؟

ما الذي جمعهما بهذه الهيئة وبهذه الصورة ؟

ما الذي جعل طائرة واحدة تواجه هؤلاء الأبطال، هذا من ليبيا وهذا من باكستان حتى يعلم هؤلاء المجرمون أننا لسنا حلف الناتو حتى نتحالف من أجل مصالح دنيوية تافهة ولا هذه الأحلاف الأرضية الساقطة الوضيعة، إننا تحالفنا وتعاقدنا واجتمعنا على أمرٍ واحد هو:

"لا إله إلا الله محمد رسول الله"

الذي يستوي فيه العربي والعجمي والأحمر والأسود والأمريكي والسعودي والليبي وغيرهم ما دام الجميع يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، هذا هو ديننا وهذه هي عقيدتنا وهذا هو الذي يجمعنا بإخواننا عليها نوالي ومن أجلها نعادي أحب ذلك من أحب وكره ذلك من كره.

وجزاكم الله خيراً وبارك الله فيكم.

الشيخ في عملية اقتحام لأحد مراكز المرتدين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾



وإن النصر قادم لا محالة على رغم أنف الكافرين وعلى رغم أنف المرتدين وعلى رغم أنف المنافقين، إنّه وعدٌ ربّاني لا يتخلف ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ إنه لحقٌّ لأن الله قال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ إنه لحقٌّ لأن الله قال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

أيها المسلمون: لا تيأسوا من روَح الله ولا تقنطوا من رحمة الله فإنّ الفرج مع الكرب وإنّ مع العُسر يسرا، ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

سيُرغم أنف أمريكا في التراب، ستُذل أمريكا كما ذُلت الإمبراطوريات قبلها، إنه دين الله إنه دين الواحد الأحد الذي لو أراد شيئًا إنما يقول له كُن فيكون، فلماذا نيأس ولماذا نقنط ولماذا نخاف؟

إننا بين خيارين: إما أن نعيش أعِزاء ممكنين في ديننا وعلى أراضينا نفعل ما نشاء نعبد ربنا كما أمرنا، وإما أن يكون مصيرنا هو جنات النعيم.

(قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ)

إن الله سبحانه وتعالى قذف في قلوبهم الرعب وثبّت قلوب المؤمنين إننا لم ننتصر عليهم بقوتنا ولا بعتادنا إنما انتصرنا عليهم بفضلٍ من الله ومددٍ من الله وسيكون مصير كل مرتد ناصر المرتدين وناصر اليهود والنصارى مصير هؤلاء الذين ماتوا ميتة الكِلاب فلم ينفعهم كرزاي.

سـواء نصرٌ أو شـهادة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تمر أمتنا الإسلامية هذه الأيام بأحداث متوالية ومتسارعة تزداد معها معسكرات الكفر كل يوم افتضاحا ومعسكر أهل الإيمان اتضاحاً ليتميز أهل الحق الطيبون تميزاً لا خفاء فيه، ويظهر معه أهل الكفر الخبيثون ظهوراً لا غبش معه مصداقاً لقول الله تعالى:{ مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ } (آل عمران : ١٧٩)

ولن تجد شيئاً يصفي الصفوف، وينفي الخبث، ويكشف الحقائق أكثر من الجهاد في سبيل الله تعالى، وذلك أن قافلة الجهاد الماضية كلما شقت طريقها في ثبات وإصرار، وواصلت مواجهتها السافرة للكفرة في إعلان وجهار، وخاضت في طريقها لجج المكاره والمشاق وصبرت على ذلك واستمسكت بسبيلها –كلما حصل ذلك، اشتاط أعداؤها من الكفرة المتكبرين وتمادوا في عتوهم وتجبرهم، وقادهم بطرهم واستعلاؤهم إلى مزيدٍ من الكفر الصراح وإبداء ما كانوا يخفون من قبل، وتغلب غيظهم وحقدهم على محاولات مجاملاتهم وتصنعهم، وتلاشت الهوامش التي كانوا يلبسون بها ويتسترون وراءها، وظهر أمرهم المكتوم للعيان، واستبان حالهم لكل طالب حقٍّ أشد البيان، بحيث لا ينفعهم تدليس، ولا يسترهم تدليس، ولا يواريهم زيف الدعاوى، لأن معركتهم التي يخوضونها ضد أهل الحق الصراح لا يمكنهم أن يواكبوها إلا بإعلان حقيقة أهدافهم ومقاصدهم وهو ما يعني بالضرورة مجاهرتهم بمحادة الحق ورفض الانقياد إليه ورده رداً صريحاً فيتجلى آنذاك خبثهم وينكشف رجسهم، قال الله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۞ لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }(الأنفال : ٣٦ –٣٧)

إن تميز سبيل المجرمين حتى تستبين تمام الاستبيان مقصدٌ شرعيٌّ طالما حرَص عليه الإسلام أشد الحرص، ليظهر الحق بوجهه المشرق، وآياته البينات، وبراهينه القاطعات، ومعسكره المتميز، وحزبه الصادقين، وينكشف الباطل بوجهه الأسود، وإجرامه المتأصل، وشهواته الحيوانية، وأهوائه الشيطانية، ورجسه العفن، وحزبه المكبوت، فيهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

هذا التمايز الذي لا يقع إلا بالعلم الصريح البين الذي لا يداهن الكفرة ولا يحابيهم ولا يطوّع آيات الله لإرضائهم ويحرفها مخاطبةً لودهم، ومجاراة لأهوائهم، وتكيفاً مع حضاراتهم، وبالعمل الجاد، وأخذ الكتاب بقوة، وبذل أقصى الجهد لمواجهة أباطيل الكفرة، ورفع سيوف الحق لقتالهم وملاحقتهم وتقصدهم وعدم الاستسلام لآلام القروح، ولا نزف الجروح، قال الله تعالى : { وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ } (الأنعام : ٥٥)

قالَ الأستاذُ سيد قُطب رحمهُ اللهُ تعالى بما فتحَ اللهُ عليه في هذه الآية : [كما أن قوةَ الاندفاعِ بالحقِ لا تَنشأُ فقط من شعورِ صاحبِ الحقِ أنهُ على الحق؛ ولكنْ كذلك من شعورِهِ بأَنَّ الذي يُحادُّهُ ويُحَارِبُهُ إنما هو على الباطل . . وأنهُ يسلُكُ سبيلَ المجرمين؛ الذين يَذكُرُ اللهُ في آية أخرى، أنه جعل لكلِّ نبيٍّ عدواً منهُم {وَكذلكَ جَعَلْنَا لكُلِّ نبيٍّ عدوا مِنَ الْمُجْرِمين} . لِيستَقِرَّ في نَفسِ النبيِّ ونُفُوسِ المؤمنين، أنَّ الذين يُعادُونَهُم إنما هُمُ المجرمون؛ عن ثِقَةٍ ، وفي وُضُوحٍ ، وعن يَقِين.

إنَّ سُفُورَ الكُفرِ والشَّرِّ والإجرامِ ضروريٌّ لوُضُوحِ الإيمانِ والخيرِ والصلاح . واستبانةَ سبيلِ الْمجرمين هَدَفٌ من أهدافِ التفصيلِ الربانيِّ للآيات . ذلك أَنَّ أَيَّ غَبَشٍ أو شُبهةٍ في موقفِ المجرمينَ وفي سبيلِهِم تَرْتَدُّ غَبَشاً وشُبْهَةً

في موقف المؤمنينَ وفي سَبيلِهم . فَهُمَا صَفحَتَان ، مُتَقَابِلَتَانِ وطَرِيقَانِ مُفتَرِقَتَانِ . وَلا بُدَّ مِن وُضُوحِ الأَلوانِ والخُطُوط](في ظلال القرآن ٣ /٥١).

علينا –أيها المسلمون– أن نعلم : أن الله عز وجل حينما أمرنا بعبادة الجهاد، وحثنا على تقصد الكفار في ديارهم، وطلبهم داخل حصونهم، قد قدر أن هذا الجهد تكتنفه الجروح والقروح، وتحفه الكلوم والآلام، ويواكب مسيرته الظمأ والمخمصة والنصب، ومع ذلك أمرنا أن نصبر ونصابر ونجتهد لأن نكون طالبين لا مطلوبين، وغازين قاصدين، لا مدافعين مغزيين، حاملين أعباءنا، ومتحملين لآلامنا، وصابرين على جروحنا، راجين ما عند ربنا سبحانه وتعالى، فقد قال عز وجل : { وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } (آل عمران : ١٣٩ – ١٤٠)

ومن بين هذه الأحداث الجسام التي أراد الله لها أن تكون محكّاً للفصل بين الحق والباطل، واختباراً لتمييز الهدى من الضلال، ومحنة لفضح أهل الدعاوى الزائفة، ما يجري اليوم على أرض باكستان، وخاصة الحرب الشرسة التي تدور رحاها على أرض سوات المجاهدة الصامدة، وفي منطقة وزيرستان الأبية.

إن على علماء باكستان وطلبة علمها أمانةً عظيمة في اغتنام هذه الأحداث لتوضيح الحق للناس، وإنارة السبيل التي عليهم أن يسلكوها، وتعرية هذه الحكومات المتعاقبة على هذا البلد، وفضح زيف الشعارات التي يتستر وراءها جيشها المجرم، والتي طالما خدَّر بها المسلمين في باكستان عقوداً عديدة، حتى جاءت هذه الأحداث لتكمل الكشف عن إجرامه المتأصل، وعداوته الكامنة للإسلام، وحقده الدفين لأهله المسلمين، وموالاته المطلقة لأعتى دول الكفر وأشدها محاربة لدين الإسلام ..أمريكا، وإن الأمر – وقد بلغ هذا المبلغ – لا يحتمل المداهنات، ولا يقبل التمحل والتحيل في التخريجات والتأويلات، ولا يغني معه تكلف وتعسف في الاعتذار لأولئك الأشرار، ومهما حاول المرء المسلم أن يسايرهم أو يتغاضى عنهم فإنهم لن يرضوا بأقل من أن ينضم إلى معسكرهم الخبيث الذي عقدوا لواءه ويقاتلون تحت رايته.

وإنني أقول لكم يا علماء باكستان الفضلاء، ويا طلبة العلم النبلاء، ويا قادة الجماعات الإسلامية، إن الأحداث لن تقف عند هذا الحد الذي يحاول الكثيرون النأي بأنفسهم عنه وكأنه لا يعنيهم، بل إنها ستتوالى وتتسارع حتى توجب وتحتم على كل شخصٍ أن يتخذ منها موقفاً صريحاً واضحاً لا ذبذبة فيه، ولا تردد معه، فإما مع أهل الإيمان الصادقين، وحزب الله المؤمنين المجاهدين، وإما مع حزب الشيطان المجرمين، وأوليائه المتجبرين المستكبرين، فلينظر كلُ امرئ لنفسه، وليحتط لدينه، فالأمر جدٌّ وليس بالهزل.

ومن هنا فإن هذه الأحداث الساخنة لا سيما في سوات توجب علينا أن نتأمل فيها، ونتدبر في حقائقها، ليعرف كلُّ مسلم أين يقف، وما الذي يجب عليه أن يقوم به.

وعليه فهناك أسئلة لا بد منها : لماذا يهاجم الجيش الباكستاني مناطق سوات؟، ما هي مقاصده؟، ما هي دوافعه؟، ما الذي يريد أن يصل إليه؟

فمن الخطأ حقاً أن نرى ملحمة عظمية على أرضٍ من أراضي الإسلام، من غير أن ننظر في دوافعها ونتفكَّر في أهدافها وأغراضها على الأقل لنعرف المحقَّ من المبطل، والأمر في هذه المعركة لا يحتاج إلى تعقيد ولا التواء، ولكن لما يترتب عليه من الأعباء والتكاليف والتبعات فإن الكثيرين يتهربون من مواجهة الحقيقة، ويحاولون بقصارى جهدهم الحيدة عنها، أو سترَها وتضليلَ الناس عنها.

فالكل يعلم أن إخواننا المجاهدين في سوات قد أعلنوا مقصدهم وهدفهم وصرَّحوا مراراً بمطلبهم الذي يسعون لبلوغه ألا وهو [تطبيق الشريعة الإسلامية في سوات وغيرها]، وبمعنى آخر أنهم يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله، وما من مسلم على وجه الأرض إلا وهو مطالبٌ بأن يسعى لبلوغ هذا المقصد بقدر جهده وطاقته.

فالمسلم لا يرضى بأن تَحكم أرضه شريعة غير شريعة الإسلام.

والمسلم لا يقبل أبداً أن تعلو أي كلمة فوق كلمة الإسلام.

والمسلم لا يرضى بأن يكون بعض الدين لله وبعضه لغير الله.

والمسلم لا يرضى بأن يكون ولاؤه لغير الله ورسوله والمؤمنين.

والمسلم لا يرضى أن يكون حكامه كفرةً فجرةً قد حادّوا الله ورسوله.

وكل هذه المقاصد والأهداف قد جاءت في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم صريحة بينة، واضحة معلنة، وهي ما يدركها عوام المسلمين فضلاً عن علمائهم، فقد قال الله تعالى : { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ }(الجاثية : ١٨) وقال سبحانه وتعالى : {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (الأنفال : ٣٩) {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (المائدة : ٥٠).

وعن أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه– : قال : سُئِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الرَّجُلِ : يُقاتِلُ شَجاعَة ، ويُقاتِلُ حَمِيَّة، ويقاتِلُ رياء : أيُّ ذلك في سَبيلِ الله ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : من قَاتلَ لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العُلْيَّا فهو في سبيل الله .، وفي صحيح مسلم أن رَسُول اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قال: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ أَعْلَى فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

إذاً فما يسعى إليه المجاهدون في سوات أمرٌ واضحٌ ومحددٌ شرعاً وواقعاً، فمن جهة الشرع فإن الله سبحانه وتعالى قد أمر بإقامة دينه، وتحكيم شريعته، والحذر من التفريط في شيء منه، كما قال تعالى : { وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ } (المائدة : ٤٩) ، ومن جهة الواقع فإن إخواننا هناك قد بذلوا ما في وسعهم، واستفرغوا طاقتهم للقيام بهذا الأمر الرباني واجتهدوا اجتهاداً حقيقياً في تطبيقه اتباعاً لأمر الله وانقياداً لحكمه الذي لا يسع مسلماً كائناً من كان أن يحيد عنه أو يتفلت منه.

فالأمر وبكل بساطة وبعيداً عن التعقيد والتلاعب : هو أن الجيش الباكستاني بحده وحديده وقضه وقضيضه قد استنفر استنفاراً تاماً لقتال المسلمين في سوات حتى يمنعهم من تطبيق الشريعة الإسلامية، وبمعنى أوضح وأصرح فإن الجيش الباكستاني وحكومته التي تقوده يرفضون رفضاً باتاً تحكيم الشريعة الإسلامية، وأنهم الآن يبيدون القرى والمدن بسكانها للحيلولة دون تحقيق هذا الهدف، وهم لا يقررون هذه القضية بمجرد أفعالهم وما تقوم به مدافعهم وطائراتهم، بل تصريحاتهم ولقاءاتهم لا تخفي هذا الأمر ولا تستحي من إعلانه والمجاهرة به على رؤوس الأشهاد.

إذاً نحن اليوم في هذه المعركة بين طائفتين، طائفة تقاتل في سبيل الله ولإعلاء كلمته وتحكيم شريعته،و هم اهل الحق والجهاد وطائفة تقاتل لتمنع إقامة حكم الله، وتستميت لتحول دون تحكيم شريعته، وقد صدق الله إذ وصف حال الطائفتين فقال سبحانه : { الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً } (النساء : ٧٦).

وبهذا قد كشف الجيش الباكستاني وحكومته التي تقوده وتسوسه عن حقيقتهم التي طالما اجتهدوا لتمويهها وإخفائها، وتبين لكل من أراد الحق، وتجرد من الهوى، أنهم أعداء لله ولرسوله وللمؤمنين، وهم أولياء للشيطان وحزبه المجرمين، وأنهم لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، وأن الشعارات التي يرفعونها (إيمان..تقوى...جهاد في سبيل الله) ما هي إلا ستار يختفون وراءه لتمرير كفرهم وزندقتهم وإفسادهم للبلاد والعباد.فقل لي بربي!

فهل من التقوى والجهاد في سبيل الله تشريد أكثر من مليون مسلم لأنهم يريدون حكم الله ويرفضون حكم الجاهلية؟

وهل من التقوى والجهاد في سبيل الله تعمد تدمير المساجد ودكّها بالمدافع والطائرات لأن أصحابها من الذين يقولون إن الحكم إلا لله؟

وهل من التقوى والجهاد في سبيل الله أن تصب الحمم على المستضعفين من الرجال والنساء والولدان {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} (البروج : ٨).

وهل من التقوى والجهاد في سبيل الله أن تحرق المدن والقرى والديار والأشجار والأحجار لأن سكانها قالوا ربنا الله ثم استقاموا؟

وهل من التقوى والجهاد في سبيل الله أن تحشد كل تلك الحشود بأعدادها وأعتادها تلبية لرغبة أمريكا النصرانية الحاقدة التي عبر قادتها وساستها عن رضاهم عن الإجرام الذي يقوم به الجيش الباكستاني العميل ضد المسلمين في سوات؟ وصدق الله : { وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} (البقرة : ١٢٠).

فيا علماء باكستان الأجلاء : قولوا لنا بربكم –وبكل وضوح وبيان– ما هو حكم من اعترض على حكم واحدٍ من أحكام الشريعة الإسلامية، وأبى الالتزام به والانقياد إليه؟ وما هو حكم من يحشد الحشود ويجند الجنود ويبيد القرى ويدمر المساجد ويقتل ويهجِّر الآلاف من المسلمين وينتهك حرماتهم كل ذلك حتى لا تطبق أحكام الله ولا تقام شريعته؟

إن إبليس –عليه لعائن الله– قد استحق الطرد من رحمة الله، وكان من الخالدين المخلدين في نار جهنم، فقط لأنه أبى أن يسجد سجدة واحدة أمره بها ربه، واستكبر وكان من العالين، فكيف بمن أبى الانقياد لشريعة الله كاملة، ولم يكتف بذلك حتى مزق أجساد من يسعون لتطبيقها، وخرَّب ديارهم، وحرق أرضهم، وطاردهم في السهول والجبال، أوَ ليس هذا هو ما يقوم به جيش باكستان المجرم، فأين الامتناع عن سجدة من الامتناع عن الشرع ؟

وإن الصحابة رضوان الله عليهم، قد قاتلوا مانعي الزكاة، فقط لأنهم امتنعوا من أدائها، مع أنهم كانوا يصلون ويصومون ويحجون وينطقون بالشهادتين، ويقرون بخلافة أبي بكر، فأيهم أولى وأحق بالقتال والحكم بالكفر، أهؤلاء – أعني مانعي الزكاة– أم هذا الجيش المجرم وحكومته المرتدة الذين رفضوا شرع الله رفضاً باتاً وقاتلوا أهل الإيمان وأطاعوا أولياء الشيطان كل ذلك حتى لا يقام حكم الرحيم الرحمن، قال الله تعالى : {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (النساء:٦٥)

قالَ العلامةُ أَبُو بَكْرٍ الجَصَّاصِ الحنفي –رَحِمَهُ اللهُ تعالى– : [وَقَد كان أَبُو بَكرٍ رَضيَ اللهُ عَنهُ قَاتَلَ مَانعي الزَّكَاة لِمُوافَقَةِ منَ الصحابة إيّاهُ على شَيْئَيْنِ أَحَدُهُما الكُفرُ والآخرُ مَنْعُ الزكاة، وذلك لأَنَّهُمْ امْتَنَعُوا من قُبُولِ فَرضِ الزكاةِ ومن أدائها فَانتَظَمُوا به مَعنَيَيْن:

أَحَدُهُما: الامتناعُ من قُبُولِ أَمرِ اللهِ تعالى وذلك كُفُر، والآخرُ: الامتناعُ من أداءِ الصدقات المفروضة في أموالِهِم إلى الإمَام، فكانَ قتَالُهُ إيَّاهُم للأَمرَين جميعاً؛ ولذلكَ قَالَ لَوْ مَنَعُوني عقَالًا وفي بعضِ الأخبارِ عَنَاقًا ممَّا كانوا يُؤَدُّونَهُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم – لَقَاتَلْتُهُم عليه فإنَّما قُلنَا إنَّهُم كانوا كُفَّارًا مُمْتَنعينَ من قَبُولِ فرضِ الزكاة لأَنَّ الصحابةَ سَمَّوْهُم أَهلَ الرِّدَّة وهذهِ السِّمَةُ لاَزِمَةٌ لَهم إلى يومنا هذا] (أحكام القرآن للجصاص : ٢ /١٩٣).

إن ما حصل ويحصل في سوات ووزيرستان وغيرها لهو درسٌ كاف وعبرة تامة لأولئك الذين أفنوا أعمارهم وأسسوا جماعاتهم على ما يسمونه (المطالبة السلمية لتطبيق الدستور الباكستاني) الذي يزعمون إسلاميته، حيث كشفت هذه الأحداث أن هذا الجيش العميل ما أسس أصلاً إلا ليحول بين المسلمين وبين تطبيق شريعة ربهم، وما تدرب وتجهز إلا ليكون وفياً لأوليائه وسادته الذين كونوه وقاموا عليه من الإنجليز وغيرهم، وأن إبادة جميع المسلمين في باكستان أهون عنده وعند قادته من تطبيق حكمٍ واحد من أحكام الله تعالى، والواقع والوقائع المتجددة والمتكررة لهي خير شاهد على ذلك، فإذاً لا بد من مواجهة الشر المسلح بالخير المسلح . ولا بد من لقاء الباطل المتترس بالعدد بالحق المتوشح بالعدة . . وإلا كان الأمر انتحاراً . أو كان هزلاً لا يليق بالمؤمنين!

إن تلك المطالبة السلمية المزعومة ما هي إلا خديعة لبس بها الشيطان على كثير من الناس، فقضوا أعمارهم، وهم يركضون وراء أوهامٍ وخيالات لا حقيقة لها، ولم ولن يستطيعوا أن يطبقوا حكماً شرعياً واحداً من أحكام دين الله تعالى، ولو أنهم أخذوا للحرب عدها، وللمعركة أهبتها، ووفقوا للوقوف على الحقائق دون الأوهام، وعرفوا طبيعة الدين وطبيعة أعدائه أيضاً لما سلكوا طريقاً أول من يستفيد منه هم أعداؤهم الذين جعلوهم مطية لتخدير الشعوب، وقتل الحماسة الحقة في قلوب الغيورين على حرمات الشرع المنتهكة، واستغلوا مشاركاتهم في مجالسهم الشركية لإسباغ الشرعية على هذه الدولة المارقة ونظامها الطاغوتي وحكمها الجاهلي: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۞ وَإِذًا لَآَتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۞ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} (النساء:٦٦– ٦٨)

بل إننا نرى هذه الدولة تزداد يوماً بعد يوم بعدا عن الإسلام وتمرداً على الله عز وجل بسياساتها وقوانينها وإعلامها وموالاتها للكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم، ولم يستطع أولئك السلميون أن يكفوها عن شرٍ وكفرٍ اتجهت إليه وسارت نحوه، بعد أن وضعوا أنفسهم في طرقٍ أسموها طرقاً شرعية رسمها لهم أعداؤهم مكراً وكيداً فزلت أقدامهم فيها وانحدروا معها إلى هاوية لا ينجيهم منها إلا الرجوع إلى الحق المبين المتمثل في قتال هذه الدولة واستئصال شأفة أحكامها الجاهلية وكسر شوكة جيشها المرتد، وإلا فسيبقى ثوب المذلة والمسكنة هو دثارَهم وشعارَهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : [إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ]

ولو كان شرع الله عز وجل يمكن أن يقام أو يحكَّم دون أن تكسر شوكة الكفرة المتنعين، ومن غير قتل ولا قتال، ولا سلاح ولا نزال، لما أمرنا الله سبحانه بالقتال حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، كما قال عز وجل : {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (الأنفال/٣٩) ، فهذه دعوة صادقة خالصة إلى أولئك الشباب الذين تلتهب قلوبهم بالغيرة على الإسلام وأهله في باكستان، والذين خدرتهم الشعارات البراقة، والهتافات المتكررة، والمظاهرات العارمة، والخطابات النارية، والاجتماعات المكتظة، نقول: عليكم بالجهاد في سبيل الله تعالى، فوالله لهو أقصر الطرق وأسلمها وأقربها إلى التمكين، بل لا طريق ولا سبيل للوصول إلى دولة إسلامية إلا بحمل السلاح في وجه هؤلاء المجرمين المتمردين على الله ودينه، وإن ما أصاب باكستان من الهوان والإذلال وتسلط الكفرة الفجرة ما هو إلا بسبب ترك

الجهاد في سبيل الله تعالى، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : [ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب]، فهل تنتظرون من جيش دمر الديار، وهدم المساجد، وأحرق المصاحف، وشرد المستضعفين، وقتل العلماء وطلبة العلم، وسجن ونكل بالصادقين المخلصين، هل تنتظرون منه أن يُسلم لكم مفاتيح الحكم لتقيموا دولة إسلامية على منهاج النبوة من غير أن تسيل في سبيل ذلك قَطرة دمٍ واحدة، وهل يمكن لهذه الجاهلية المتمكنة والضاربة بجذورها في أعماق الزمن أن تتخلى عن مناهجها وأفكارها ونظمها وقوانينها ومؤسساتها بمجرد ورقة تلقى في صناديق، أو صراخ وصياح داخل قاعات برلماناتهم، وقد قال الله تعالى : {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا}(البقرة:٢١٧)
فالقتال بماذا يقابل...

فيا شباب الإسلام في باكستان عليكم بالسبيل الذي سلكه نبيكم صلى الله عليه وسلم فكسرت فيه رباعيته، وشج فيه وجهه الشريف، وهشمت البيضة على رأسه صلى الله عليه وسلم، وانبذوا عنكم سبلاً تميت القلوب، وتقتل الحمية، وتبلد المشاعر، وتضاعف من تسلط العدو داخله و خارجه {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (الأحزاب:٢١)، وقفوا بأنفسكم وأموالكم مع إخوانكم المجاهدين الصادقين في سوات وغيرها، فالمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

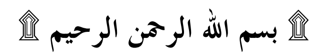
فبالأمس القريب كانت محنة المسلمين في غزة على أيدي اليهود المحتلين، فانتفض المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، واهتزت البلدان وارتجت تعاطفاً وتأييداً لإخوانهم هناك، واليوم ترتكب مجزرة أخرى لا تقل بشاعة ولا شناعة عن تلك المذبحة، إلا أنها ليست بأيدي اليهود ولكنها على أيدي أوليائهم وأنصارهم المرتدين، فقد دكت القرى في سوات كما دكت غزة، و دمرت المساجد والمدارس بصورة أبشع وأقبح مما فعل في غزة، وقتل من عوام المسلمين أكثر من إخوانهم الذين قتلوا في غزة، وأجلي وهجِّر من ديارهم وقراهم ما يزيد على سكان غزة كلها، وصبت الحمم على رؤوس الضعفاء والفقراء مثلما صبت على المسلمين في غزة، ولئن كان سبب هجمات اليهود على إخواننا المسلمين في غزة هو تعزيز الاحتلال وكسر شوكة المجاهدين فإن سبب هجمات عملائهم من الجيش الباكستاني المجرم هو منع إقامة شريعة الله، وفرض أحكامهم الجاهلية، وإرضاء أسيادهم الأمريكان، والتنكيل بكل من ناصر أو أيد أو تعاطف مع تلك الدعوة الحقة : {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (المائدة:٥٠)

وكل هذه الجرائم ترتكب وتقترف على أيدي هؤلاء السفاحين ومع ذلك فلا نسمع عشر معشار ما سمعناه من الاستنكار لمجزرة غزة، لا في داخل باكستان ولا في خارجها، وكأن الدم المسلم لا تنتهك حرمته ولا يكون جريمة مستبشعة إلا إذا سفكه اليهود الحاقدون.

فلكم الله يا أيها المسلمون في سوات، يا من رفعتم راية الجهاد صافية نقية، فلم تدنسوها بلوثات الوطنية، ولا أرجاس القومية الجاهلية، بل رفعتم السلاح في وجه قومكم الأقربين الذين حادوا الله ورسوله، ووالوا الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم، وحكموا شرائع الجاهلية وفرضوها على الناس، فلتصبروا ولتثبتوا ولتعلموا أن

النصر مع الصبر، ولا يهولنكم تبجح هؤلاء السفلة، ولا بطرهم واستكبارهم، فتلك هي سنة الله تعالى في خلقه، والعاقبة للمتقين، فستنكسر شوكتهم، وتذهبُ ريحهم، ويحيق مكرهم بهم، قال الله تعالى : {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ} (القصص:٥-٦)، فلا سبيل للنصر إلا ما سلكتموه، ولا باب للتمكين إلا ما طرقتموه، فسيروا عليه موفين بعهدكم، ثابتين على نهجكم، مستيقنين بنصر ربكم، وهل هي إلا أحدى الحسنيين : إما فتحٌ وتمكين، وإما شهادة ورضوان، وذلك هو الفوز العظيم...
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فلسطين : صيحة نذير ... وصرخة تحذير





الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:
أمة الإسلام أمة التضحية والإقدام أمة الثبات والوفاء السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وقد قال الله عز وجل وقوله أصدق قيلا وأحسن حديثا} :وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.{

فانطلاقا من مبدأ التناصح في الدين الذي هو ركيزة أساسية من ركائزه الراسخة واستجابة لنداء الولاء الإيماني الذي يتمثل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وينبثق منه التواصي بالحق والتعاون على القيام به فهذه كلمات اقتطعها من فؤادي المحب لأبعثها إلى إخواني في الأرض المقدسة المباركة فلسطين السليبة التي ما فتئت تتدفق دماؤها جراء طعنات اليهود المحتلين حتى فوجئت بخنجر حاد ينفذ إلى مقاتلها ويُركز في أحشائها فنكبت به نكبة ضاعفت محنتها وأضعفت قوتها.

وذلك بعد المنزلق الهاوي الذي زلت فيه أقدام ساسة حماس وأوردوا جماعتهم مهلكة تائهة لا مخرج لهم منها ولا نجاة من مخادعات سرابها إلا بالاستيقاظ من أحلام سبات عميق خدروا بها أنفسهم وخيبوا أتباعهم وأنصارهم وبالعود الصريح الواضح إلى نهج الجهاد في ساحات الوغى والذي تسللوا لواذا لتركه شيئا فشيئا حتى آل بهم الحال إلى هذه الهوة السحيقة العميقة تحت غطاء العملية السياسية ودعوى الحفاظ على الوحدة الوطنية.

وقبل ذلك أحب أن أقول أننا مسلمون تجمعنا عقيدة الإسلام الحقة ويربطنا رابط الولاء المتين وتشدنا آصرة الأخوة الإيمانية ومقتضى هذه الأخوة حينما نكون صادقين فيها متجردين لها هو إسداء النصح وقبوله أيضا وقد قال الله عز وجل}: وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

وفي حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال " :بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم " ولذا فلا يحق لمسلم مهما ارتقى أن يأنف من استماع النصح إن كان جادا في توخي الحق حريصا على اتباعه ولا أن يجعل بينه وبينه حجبا وعقبات يموه بها ويحسبها عذرا تعفيه من تقبل ما يصله من الحق ومن أي جهة كانت مادام ما يقال له وينصح به دعوة صادقة وهداية راشدة وحقا صريحا فالكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها وإلا فلإن استطاع المرء بفصاحة لسانه وقوة بيانه أن يقنع الناس بتمويهاته وتلبيساته وحججه التي يعلم هو قبل غيره أنها داحضة فما عساه أن يقول لربه جل وعلا غدا يوم تبلى السرائر فماله من قوة ولا ناصر؟! أما يخشى وقد لبس على الناس دينهم وزين لهم الباطل حتى ارتضوه واتبعوه أما يخشى أن يكون له نصيب ممن قال الله فيهم} :لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ}.

قلت هذا الكلام لأننا سمعنا مرارا وتكرارا من قادة حماس السياسيين كلما قدم لهم بعض قادتنا نصائح أو خاطبوهم بتوجيهات أو حذروهم من مزالق وانحرافات قالوا إن نهجنا يختلف عن نهج تنظيم القاعدة أو إننا لسنا في حاجة إلى نصائح قادة القاعدة! وجعلت هذه العبارات التي لا مكان لها في الشرع حائلا يدفع به الحق ويمنع من الاسترشاد به.

ومن عجائب المفارقات في هذا الصدد أن مثل هذه العبارات صرح بها بعض كبارهم وهم في قلب عاصمة الإلحاد والإفساد موسكو وفي الوقت الذي كانوا يثنون فيه على نتائج لقائهم واجتماعهم بالسفاحين القتلة من قادة روسيا الملحدة والذين لا يقل إجرامهم وإفسادهم بحال عن جرائم شارون وحزبه بل ويصفون تلك الاجتماعات بأنها إيجابية ومثمرة!

فيا ساسة حماس هل أصبح الطاغية بوتين وحزبه الأرعن أحرص عندكم وفي قاموس موازناتكم على مصلحة

فلسطين والفلسطينيين من الشيخ المجاهد أيمن الظواهري حفظه الله ؟!
وأي رابطة هذه التي تربطكم يا قادة حركة المقاومة الإسلامية –وأقول الإسلامية– بقيادة الإلحاد والخراب والدمار في موسكو حتى تطمئنوا إلى نصائحهم وتصدقوا أقوالهم وتثنوا على مواقفهم وتصغوا لإرشاداتهم؟!
أهو حب بوتين لتحرير فلسطين –كل فلسطين– وسعيه لطرد المحتل الصهيوني المفسد من أرضها ؟
أم هو حرصه الجاد على أمان واستقرار الشعب الفلسطيني المنكوب ؟
أم هو عداؤه السافر لدولة بني صهيون وموالاته لكم ؟
ألا تعتبرون وتتعظون بمن كان قبلكم من المنظمات والدول التي ولت وجهها تارة شطر الشرق وتارة شطر الغرب فأصبحوا كالشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة لا تدري أيهما تتبع وقبلوا بكل نصير إلا الله فعاشوا دهورهم وقضوا أعمارهم بالمخادعات والمراوغات والأماني الكاذبات فما زادوا أمتهم بعمالتهم ونذالتهم إلا ذلا إلى ذلها وأرغموها لتكون ذنبا منقادا لأعدائها وسلخوها من الاعتزاز بهويتها، أوتريدون أن تعيدوا الكرة عليها بعد أن طفقت الحياة تدب في عروقها؟ فسبحان الله!

{الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً}

{وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}

ألستم تقرؤون في كتاب الله :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ}.
فها أنتم يا ساسة حماس لم تتوقفوا في اتخاذ البطانة منهم عند المغمورين الذين لا يحركون ولا يسكنون من النصارى الذين رشحتموهم ضمن جماعتكم "الإسلامية!" حتى قفزتم قفزة أودت بجهود حركتكم وبددت تضحيات شبابكم وولجتم هذه المهلكة القاتلة فجعلتم بطانتكم ومحل الثقة في مشورتكم أئمة الكفر ورؤوس الطغيان وأركان الإلحاد فأين أين تذهبون؟
أأصبح هذا المجرم الملحد المفسد الذي دمر بلدا مسلما وأباد شعبا كاملا في الشيشان وشرده في الأودية والشعاب والصحاري تشريدا فاق تشريد اليهود لشعبنا المسلم في فلسطين أأصبح أقرب إليكم يا قادة حماس من أناس أثبتوا صدقا وحقا ولاءهم لله ولرسوله وللمؤمنين وبرهنوا قولا وعملا على تبنيهم لقضية فلسطين واجتهادهم لرفع معاناة شعبها المسلم ,لا منة منهم ولا تطوعا يسدونه إليهم ولكنه الشعور بالواجب الشرعي الذي ينطلقون منه في كل قراراتهم وسياساتهم وتوجيهاتهم ومواقفهم والذي يفترض أن يكون منطلقكم أنتم أيضا.
إنني لأعلم أن أناسا مشفقين ومحبين وناصحين سيقولون أم تجد إلا حركة حماس التي تقف اليوم بشبابها وأبطالها في وجه المشروع الصهيوني لتجعلها محلا لنصائحك وعنوانا لكلماتك وفي هذا الظرف العصيب الكئيب حيث التقت عليها قوى الخارج والداخل وطوقت بحصار اقتصادي وسياسي قاتل، فأقول:
أولا : إن واجب النصيحة لم يستثن منه أحد ولا يستغني عنه فرد ولا جماعة وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم :"الدين النصيحة– ثلاثا– قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" رواه مسلم ولولا

النصيحة لما بقي للدين باقية ولما قامت له قائمة ولأصبح شرعا ممسوخا ببدع المبتدعة ومدنسا بتلطيخ أهل الأهواء وممزقا بنتائج أفكار الفلاسفة والعقلانيين ومنكوسا بجشع الحكام وأطماع المتسلطين وما بلغنا بصفائه ونقائه ويسره إلا بنصح الناصحين وتقويم الصادقين وصراحة الصادعين.
وكما أن الأرض المقدسة لا تقدس أحدا وإنما يقدس الإنسان عمله كما قال سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه فكذلك الأسماء لا تعصم أو تنزه أو تكرم أحدا إنما يرفع الإنسان ويبجله استقامة عمله {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}.

ونحن نقول نعم إن حماسا في مأزق ومضيق ولكن من الذي ألجأها إليه ودفعها نحوها وألقاها بين مطحنة المطالب الشعبية ومقارع الضغوطات الدولية وإغراءات المساومات العربية حتى أصبح منتهى التجلد وغاية علامة الثبات على المبدأ هو رفضها الاعتراف بإسرائيل بعد أن كانت تنادي بوجوب إزالتها من الوجود أصلا واسترداد كل ذرة من فلسطين إلى الحكم الإسلامي والملكية الإسلامية ولهذا فإننا بهذه الكلمات لا مقصد لنا إلا إخراج الحركة من ورطتها التي ألقت نفسها في حبائلها ومطلبنا هو نبذها لهذا المسلك الردي الذي اقتحمته من غير مسوغ شرعي ولا عقلي.

ثم أقول:
ثانيا : رغم أننا كنا نرصد المزالق المتعددة الخطرة التي كانت تزل فيها أقدام قادة الحركة حينا بعد حين من خلال تصريحاتهم ولقاءاتهم ومواقفهم ورغم علمنا أن المنهج الذي وضعوا أنفسهم فيه لن يجنى من ورائه إلا ضياع الجهود وتزايد الانحرافات وتوالي التنازلات إلا أننا آثرنا أن ندع الأمر إلى الواقع والمشاهدة لينكشف لكل منصف انحراف النهج الذي يسلكونه ويظهر للعيان ظهورا لا خفاء فيه، تخليهم عن الشعارات التي كانوا يدندنون حولها و ينادون بها ويلهبون حماسة شعب فلسطين برفعها فحينما طفح الكيل وفاض السيل وبدأت أفعالهم تعود بالشعب الفلسطيني المسلم إلى نقطة الصفر وأصبح خلاصة سعيهم ترسيخ العلمانية الجديدة في واقع وأفهام الناس وتجلت الحقيقة لكل طالب حق جلاءً لا غبش فيه كان لزاما علينا بل على كل مسلم أن يسعى لإنقاذ تضحيات هذا الشعب الأبي من تلاعب المتلاعبين ومخادعات طلاب المناصب وأرباب المراتب، فسكوتنا يعني أننا شركاء في هذه الفعلة الشنعاء التي هي تضييع للدين وتحريف للحق المبين ومجاراة للباطل المهين وسرقة وتبديد لجهود الصادقين المخلصين ونعوذ بالله من خيانة دماء الأبطال والشهداء وقد قال الله تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}.
وما علينا إلا أن نبلغ الحق ونقذف به على الباطل ومبتغانا في ذلك رضا الله وحده ولو سخطت علينا الأرض كلها} الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً.{
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله ومن أسخط الله برضا الناس وكله الله إلى الناس"

إن مقتضى تسمية حركتكم بالمقاومة الإسلامية أن تكون مستمسكة بطريق الجهاد الذي أسميتموه مقاومة مع تحفظنا على هذا الإطلاق إلا أنه لا مفهوم لها إلا ذلك.

ثم إن هذه الحركة كما يريدها أصحابها هي حركة إسلامية ولا معنى لإسلاميتها إلا بتميزها الشامل عن سائر الحركات الوطنية والقومية وذلك بالتزامها الكامل بأحكام الإسلام ظاهرا وباطنا في علمها وعقائدها و دعوتها وتحريضها وجهادها وسياستها وعلاقاتها وبياناتها {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} .

فبهذا تستبين سبيل المجرمين وتزايل سبيل المؤمنين في أصول القضايا وفروعها وكلياتها وتفاصيلها وتتمايز الرايات وتحدد الأهداف فلا تبقى هائمة عائمة مائعة لا يعرف فيها حق من باطل ولا يلتبس صادق بكاذب {وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ}.

ومن هنا فإن أصل إقامة حركتكم وتأسيسها ليكون الدين كله لله لا أن يجزأ ويبعض وينتقى منه ما يوافق النفوس وينبذ الباقي وراء الظهور تحت دعاوى المصالح والسياسات ومتطلبات العصر، فكيف تجعلون الدين لله في الخطب الرنانة والشعارات البراقة وعند دغدغة عواطف الناس وإيقاد حماسة الشباب حتى إذا قرعتم أبواب السياسة العرجاء العوجاء واستظللتم بقبة المجلس التشريعي الشركي والتقيتم أئمة الكفر وطوفتم في الأرض شرقا وغربا تنكرتم له بأفعالكم وأهنتموه بأقوالكم، أخبرونا إذن عن أي إسلام تتحدثون وأي شريعة تلك التي ستقيمون ولتطبيقها تسعون حسب ما تزعمون ؟!

}وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَـذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ {لقد غدا الدين بهذا المسخ والتشويه والتلاعب والتخير لا حقيقة له ولا وجود إلا في عالم المزاعم والدعايات وفي ذاكرة الأوهام والخيالات ذالكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل فأين دينكم يا قادة حماس من قضية تحكيم الشرع كل الشرع والتي ذبحتموها بأيديكم يوم أن رضيتم بالدين الديمقراطي الكفري الذي يقوم على أساس حاكمية الشعب وسيادة الشعب فدين الله يقول :{إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} ,ودين الديمقراطية الذي نخر في جسد أمتنا المنهكة يقول إن الحكم إلا للشعب فليس الفصل لأحد سواه فهو في دينها لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه فأي الدينين تختارون وأي الحكمين ترتضون ؟!

وأين دينكم يا قادة حماس من اختصاص ربكم –الذي تزعمون أنكم ستقيمون دينه– بحق التشريع الذي هدمتم بنيانه وقلعتم أركانه باسم السياسة والكياسة والحنكة ونضوج الفكر يوم أن نصبتم أنفسكم تحت القبة البرلمانية دار الندوة مشرعين تنازعون الله هذا الحق تلك القبة السافلة التي جُعل لها الحق وفق الدستور العلماني الذي أقسمتم على احترامه في أن تحلل وتحرم وتشرع وتلزم فالحلال ما أحله أهلها ولو كان في دين الله حراما والحرام ما حرمه أربابها ولو كان في شرع الله حلالا فدين الله تبارك وتعالى يقول :{أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} ,ويقول :{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً}.

ومجلسكم التشريعي الشركي الذي ارتضيتم أن تكونوا أبرز أقطابه يقول بل نحن الأرباب المعقبون فلا حكم إلا

ما قررناه ولا قانون إلا ما ارتضيناه ولا إلزام لأحد إلا بما ألزمناه ولا عقوبة إلا حيث خولف ما شرعناه فلنا في انتمائنا إليه الخيرة من أمرنا ولو قضى الله ورسوله أمرا سواه!

إننا لن نفتري عليكم ولا على مجلسكم الذي جمع شركاء متشاكسين ولكن قولوا لنا بربكم أوليس ما ذكرناه هو حقيقته ولبه ومضمونه ولو زعم الزاعمون خلاف ذلك ؟!
أتستطيع حركتكم الإسلامية أن تلزم الشعب الفلسطيني بحكم شرعي واحد قبل إمراره على قناة الشرك والتعقب لأحكام الله؟ فما لكم كيف تحكمون؟!

ولتعلموا أن الأسماء مهما زُينت ونُمقت لن تغير من الحق شيئا ولن تسوغ لأصحابها اتباع الباطل والتفلت من أوامر الشرع والإعفاء من المؤاخذة في الدنيا والآخرة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " :ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها " فالضلال هو الضلال والكفر هو الكفر والتشريع هو التشريع والتلاعب بالدين هو كذلك سواء سماه أصحابه سياسة أو فطنة أو مصلحة أو مراعاة للمصلحة الوطنية أو اتباعا للإجماع العربي {وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} .

وأين دينكم يا قادة حماس من قضية الولاء والبراء التي هي لب الإسلام وروحه وركنه الركين وقوامه المتين وأوثق عراه والذي ينفرط بقطعها عقد الإسلام وتتناثر وتتلاشى أحكامه لتصبح فرائس تتخطفها أيدي العابثين وتحرفها عقول المخبولين وتملأ بغيابها الأرض بالفساد والإفساد وتعم الفتن وتتوالى المحن وهو ما تعيشونه اليوم من بني جلدتكم الذين تتوددون لهم وهم لكم كارهون {وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}.

فالإسلام قد جعل رابطة الولاء واحدة وألا وهي رابطه الإيمان فقال} :إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ {فهي قطب الرحى وعليها المدار فالمؤمن أخو المؤمن قرب أم بعد عربيا كان أم أعجميا أسود أم أبيض رجلا أو امرأة وقد أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ الأصيل في أكبر تجمع شهده المسلمون فقال: " يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم ألا هل بلغت قالوا بلى يا رسول الله قال فليبلغ الشاهد الغائب".
فما بالنا نسمع منكم اليوم روابط أخرى وبدائل مستحدثة مالها في الإسلام نصيب فغدت الوطنية والوحدة الفلسطينية وغيرها هي مرتكز علاقاتكم و وأساس روابطكم فركبتم بها الصعب والذلول واقتحمتم من خلالها مفاوز الضلال فأوبقتكم ودنست جماعتكم التي طهرها الشهداء بدمائهم حتى لم يعد المستمع لتصريحاتكم ولقاءاتكم ليفرق بينكم وبين الحركات العلمانية التي آخيتموها وواددتموها وواليتم قادها وأتباعها.
إن هذه المسالك المعوجة هي التي صار بها البهائي عبد البيت الأبيض سيدا ورئيسا وأخا وصاحب فخامة بينما حكمتم على قضية الشيشان تملقا للملاحدة واستجداء لرضاهم بأنها قضية داخلية لا شأن لكم بها كما صرح بذلك بعض ساستكم وهو ما أنتجه فقه الصفقات السياسية المشينة الذي ضلل العقول وصدع مبادئ الدين أما

فقه الإسلام وهدي النبوة الذي به نستضيء فيقول لنا:" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" ، قال الله عز وجل} :لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ,{وقال سبحانه :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :"أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله" .

نعم إن تقحمكم لهذا الطريق الخطر من غير مبالاة ولا اكتراث هو الذي جعل الروافض في إيران الذين هم أعداء الصحابة بل أعداء دين الإسلام جعلهم إخوة لكم تداهنونهم على حساب عقيدتكم وتبشون لهم هادمين بذلك أصول دينكم وقد عظمتم أئمتهم وقدستم مراقد جيفهم بزياراتكم وفتحتم لهم أبواب التشييع للشعب الفلسطيني المسلم السني وأطلقتم أيديهم المفسدة عبر جماعتكم لتعبث في الأرض المقدسة فسادا تهدم عقائد الناس وتلوث أفكارهم وتحرف فطرهم كل ذلك تحت حجج المصلحة وأوهام الحاجة وأكاذيب الضرورة وأنتم في كل ذلك تتعامون عن جرائمهم التاريخية والعصرية والتي لا تقل والله عن جرائم اليهود المجرمين فكان حالكم وحالهم كالمستجير من الرمضاء بالنار.

وفي مقابل ذلك تنكرتم لإخوانكم في العقيدة والمنهج من المجاهدين الصادقين الذين إن نصحوا نصحوا بالحق وإن نصروا نصروا بالصدق وإن حكموا حكموا بالعدل بعيدا عن أضاليل الأهواء وأقاويل أرباب الفساد {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}.

وإنني أخاطب تلك الفِتية الفَتية النقية من القساميين البواسل الأبطال تلامذة الأسد يحيى عياش رحمه الله الأوفياء لدماء إخوانهم الشهداء الذين ضربوا أروع الأمثلة في صنوف التضحية وقصص الإقدام في شجاعة نادرة وغيرة صادقة وجرأة يتهيب من مثلها الأبطال، أخاطبهم مخاطبة المحب المشفق فأقول لهم:

يا أيها الليوث الحماة إن وفاءكم لدماء سابقيكم من الرجال المخلصين لن يكون إلا بالاستمساك الصارم بطريق الجهاد والقتال والنزال الذي أسست كتائبكم لإحيائه وتقويته وإمضائه ونبذ كل مسلك سواه مهما زينه المزينون وموّه له المموهون وركض نحوه المنهزمون وتهافت عليه المتهافتون فالحق أبلج والباطل لجلج فما هو إلا زبد منتفش يطيش في أول محنة ويتبدد عند أدنى عاصفة فإذا هو كأن لم يكن ,{فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ}.

أكتائب القســـام أين الثارُ *** أين القنابل أين أين النـــــــــــــــارُ

أين ابن عياش يجـــــــــــدد مجدكم *** فنرى به صرح العدا ينهـــارُ

فبكم سمت شمس الجهاد وأرسلت *** نورا تصاغر حوله الأنـــــــــوار

والمسجد الأقصى علته بشـــاشة *** لما تساقط دونه الأبـــــــرار

وبعثتم الآمال في أعمـــــــــاقه *** فرأى الفكاك يسوقه الإصرار
واليوم غطته الكآبة آسفا *** إذ أبعد السيفَ الصقيل حـــــــــوارُ
فاستمسكوا بالعروة الوثقـــــى *** ولا يرضيكم شجب ولا استنكار

فورب السماء والأرض لولا الله أولا ثم مواجهتكم المسلحة وجهادكم الشرعي للمحتل الغاصب وتحملكم في سبيل ذلك الآلام والجراحات وباهظ التضحيات وتقطيعكم لأوصال المغضوب عليهم بعملياتكم المسددة لما كان لكم في هذه المعمعة وزن ولا قيمة ولكنتم رقما تائها في مهب رياح المؤامرات لا يعبأ به ولا يلتفت إليه بل ولما وصل هؤلاء القادة السياسيون إلى ما وصلوا إليه حيث تضلعوا في انتخاباتهم المهينة بدماء الشهداء واقتاتوا بجهود الشجعان وارتقوا على متن أشلاء الجرحى حتى إذا وطئت أقدامهم بلاط مجلسهم التشريعي الشركي واستظلوا بقبته واتكؤوا على مقاعده إذا بهم يحيون السنة العرفاتية من جديد ليعيدوها إلى الشعب الفلسطيني المنكوب غضة يافعة فما بين تطواف دائم في عواصم المكر والخبث موسكو القاهرة طرابلس طهران الرياض دمشق وغيرها، إلى اللقاءات المتكررة بفراعنة الزمان وطغاة العصر وجلادي الأمم إلى سياسة الاستجداء والتوسل والتنازلات من منظمات وهيئات ما قامت أصلا ولا تأسست إلا لتقوية وترسيخ دعائم دولة بني صهيون.

إن من حق كل واحد منكم يا أبطال حماس الصادقين بل من حق كل مسلم أين ما كان أن يسأل سؤالا لا لجلجة فيه ولا مواربة: ما الذي يريدونه قادة حماس السياسيون؟ والى أي غاية يذهبون بها ؟ ومن حق كل أحد أن يطالبهم بجواب صريح يحكم به على أعمالهم ويقوّم به حقيقة دعواهم بعيدا عن ترهات التصريحات الصحفية البائسة و ليّ الألسن ولوكها بالعبارات والشعارات الخاوية الجوفاء التي لا تظل هذا الشعب المسكين من قيظ قنابل اليهود ولا تدفئهم من زمهرير خيانات السلطة الفلسطينية وأشياعها.

إن قادة كأمثال هؤلاء الساسة الذين أثبتوا فشلهم وانحراف أفكارهم وترهل تدبيراتهم لا يمكن لبصير بحقائق دينه حريص على جني ثمار تضحياته أن يقبل بأن يكونوا هم من يقودونه ويسوسونه مهما ادعوا الكياسة وفهم السياسة ونضوج الفكر والقدرة على التأقلم مع الظروف المتقلبة.

فوالله ثم والله إن بنيانا يريد أن يشيده أصحابه على أساس كهذا الأساس لهو منهار بأصحابه لا محالة زائل عند وضع أول لبنة وسيكد بانيه وينصب ليبلغ غايته إن كان صادقا في طلب بلوغها وما هو ببالغها {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.

فمن أراد أن يقيم بنيان الدين ويرسخ أركان الجهاد ويثبت دعائم الحق ويصل الى مقصد واضح فعليه أن يعرف حقيقة دينه وأصوله التي لا يقوم عماده إلا عليها وإلا فسيبقى يزرع في الماء ويحرث في الهواء فهل سيرجو بعد ذلك حصادا ؟ هيهات هيهات} فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً.{

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلى الله وسلم على نبيه الكريم.

فلسطين،، الآن حمي الوطيس

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

أمة الإسلام:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

يشهد العالم اليوم المجزرة القذرة والإبادة الجماعية التي يقوم بها إخوان القردة والخنازير ممن ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله، تلك المجزرة التي يقومون بها ضد أهلنا وإخواننا المسلمين في غزة، لتكون هذه الأحداث عبرة وتذكرة وتبصرة لكل من أخذته ثقلة الأرض وبدأ يجنح إلى طلب السلامة ويسبح في أوهام دعاوى السلام وإقامة الدولة الفلسطينية لتعيش جنباً إلى جنب في أمن وسلام مع ردغة الخبال، دولة زمرة الفساد وعصابة الإجرام اليهودية.

وإن هذه الفاجعة الكبرى والمصيبة العظمى لتعرّفنا بحقيقة إيمانية راسخة، ليس للمسلم بأي حال من الأحوال وتحت أي ظرف من الظروف أن يتغاضى عنها أو يتجاهلها، ألا وهي أن الإيمان والكفر والحق والباطل لا يمكن أن يتعايشا في موطن كندّين دون أن يغالب أحدهما الآخر، كما تعرّفنا أن الكفر في تظاهره على الإسلام وتعاضده على أهله وسعيه في استئصالهم ملة واحدة، تفيض قلوبهم بالحقد وتنضح بالعداوة وإن زعموا خلاف ذلك،،

(إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ)

فلو أن قطيعاً من الخنازير والكلاب تعرض لعشر معشار ما يتعرض له إخواننا المسلمون في غزة لانتفضت مؤسسات الغرب الكافر، واستنفرت مؤسسات حقوق الإنسان والحيوان على حد سواء، وتعالت أصوات المطالبة بمحاكمة الجناة المسؤولين عن تلك الجريمة المنكرة، ولظهر عندها عدل الغرب ورحمته ورقته وتنديده الشديد بالمجازر التي تتعرض لها تلك القطعان، أما وقد كان الضحية في مجزرة غزة شعباً مسلماً فإنه لا يستحق في عدل الغرب وقيمه حتى مجرد ورقة قرار غير ملزم من مجلس أمنهم الإجرامي، لنعلم أن المؤامرة ضد هؤلاء الضعفاء قد حيكت بليل ونسجت خيوطها بأيدٍ قذرة من أهل الغرب الكافر والطغاة المرتدين الخونة وأمريكا أم الخبائث، وما اليهود المجرمون إلا منفذون لفصولها، ليكون أهل هذا الحلف الشيطاني جميعاً شركاء متساوين في هذه المجزرة المستأصلة، فعليهم أن يكونوا شركاء أيضاً في تحمل دفع ضريبتها التي سيذوقون مرارها، فهذا هو موقف دول الكفر وأذناها العملاء، الذين لم يزل الكثير يستجدوهم ويترقبون نصرهم ويتحينون رفع المعاناة بأيديهم.

فماذا أنتم فاعلون أيها المسلمون نصرة لإخوانكم المنكوبين داخل سجن غزة المحكم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقال رجل يا رسول الله أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً، قال تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه" (متفق عليه).

فما يدور في غزة هي ملحمة من ملاحم الإسلام التي يجب أن يكون لكل مسلم موطن فيها وموقف صادق معها، فالمسألة أكبر من كونها استهدافاً لحركة المقاومة الإسلامية حماس أو إيقافاً لإطلاق الصواريخ على اليهود المجرمين، إنه سعي حثيث لاستئصال واقتلاع كل ما له أدنى صلة بدين الله تعالى وإبادة لهذا الشعب المسلم الذي لم يزل صابراً ثابتاً متحدياً لتلك القوى الإجرامية التي تريد تركيعه وإذلاله.

ومن هنا فإن لنا مع هذه الأحداث عدة وقفات مشاركة منا ونصرة لإخواننا وأداء لشيء من واجبنا،،

أما الوقفة الأولى:

أنه رغم ثقل الأحداث وعمق الجراحات ومشاهد الفجائع فلا أحسب أننا بحاجة إلى خطب حماسية وكلمات رنانة تلتهب بها المشاعر ثم تخبو وتتلاشى مع طول الحدث واعتيادهم، فقد سمع المسلمون من ذلك ما صم آذانهم وأرهق إعلامهم، فقضية فلسطين هي القضية التي اقتات عليها القوميون فزادوها رهقا، وتضلع منها الشيوعيون فغوّروا جراحاتها، وتغنّى بها الطغاة المرتدون فمزّقوا أوصالها، وبيانات التنديد والشجب والاستنكار قد أثقلت كاهل منظماتهم، ورغم ذلك فما تزال فلسطين محتلة منكوبة مسلوبة.

إذاً فنحن اليوم، وأمام هذه الأحداث وغيرها، أحوج ما نكون إلى وقفة صادقة صارمة وتأملات جادة متجردة نرد بها الركب إلى الجادة، ونغوص بها في أعماق المشكلة، لنضع دواء ناجعاً نافعاً يأتي على الداء من أصله ويقتلعه من جذوره، ولا يقف عند أعراضه ومعالجة مظاهره التي تخرج علينا كل حين بصورة متنوعة وتبرز أمامنا بشكل جديد.

وعليه فما لم نأتها من أصولها وقواعدها ونعالجها بعلاج الشرع الناصع فسيبقى إخواننا المسلمون في أرض الرباط فلسطين حقلاً مستمراً لتجارب الأسلحة اليهودية والأمريكية، ومحلاً فسحياً لترجيح كفات التنافسات الانتخابية في هذه الدولة أو تلك.

الوقفة الثانية:

إن الوقوف أمام هذا الإجرام اليهودي أو العالمي لا بد أن يسلك مسلكين:

الأول:

هو موقف التحدي وطريق الصبر والإصرار، ودخول هذه المعركة بعزيمة وهمة، وضرب اليهود والدول التي تمدهم وتعينهم بكل ما أمكن، ولا سيما مصالحهم الاقتصادية ومؤسساتهم السياسية وثكناتهم العسكرية، وهذا واجب يجتهد فيه إخواننا المسلمون في فلسطين وأنصارهم المجاهدون في بقاع العالم بأسره.

المسلك الثاني:

أن مما يتحتم على كل من أراد أن يرد الأمور إلى نصابها ويأتي القضية من بابها أن يعلن في وضوح وجلاء، بلا تمتمة ولا استحياء وبلا خجل ولا وجل، أن قضية فلسطين قضية إسلامية خالصة خاصة، تقاس بميزان الشرع، وينظر إليها بمنظاره، ويتعامل معها بأحكامه، ويقاتل لإنقاذها تحت رايته، فلا مكان في هذه المعركة للقومية العربية، ولا للّحمة الوطنية، ولا للشرعية الدولية بجميع منظماتها وهيئاتها وقراراتها، فلا بد أن تصفى القضية تصفية كاملة حقيقية من كل هذه اللوثات لتقف على أساس متين وركن مكين لا يمكن أن يتلاعب به متلاعب أو يعبث به عابث.

فرفع راية الإسلام لتحرير فلسطين يجب ألا يكون مجرد شعارات نلهب بها مشاعر المسلمين كلما حمي الوطيس واستعرت نار الحرب، بل يجب أن يكون ذلك هو المبدأ الذي لا نفرط فيه والصراط الذي لا نتزحزح عنه، وأن يكون فناؤنا وذهابنا عن بكرة أبينا أهون عندنا وأيسر علينا من التنازل عن أصل واحد من الأصول الإسلامية التي تقوم عليها قضيتنا.

ومن هنا فمذهب التوفيق والتلفيق بين ما يمليه علينا شرع الله في هذه القضية وما تطالبنا به الشرعية الدولية الكافرة لا يعني إلا شيئاً واحداً وهو ذهاب الجهود هباءً منثوراً، فلا الله أرضينا فأجرنا ولا الأرض أعدنا فتحررنا.

الوقفة الثالثة:

سيظن الكثيرون أن تجريد القضية بهذه الكيفية وذلك الوضوح سيجعلنا ندفع ضريبة باهظة، ويهيج الأمم للتكالب علينا، ويؤجج المنظمات ضدنا، ويسد كل الأبواب أمامنا، ومالنا بذلك من طاقة، ولكننا نقول يا معاشر العقلاء والنبلاء:

هل هناك ضريبة أثقل وأعظم مما دفعه ويدفعه المسلمون في فلسطين، وماذا بقي مما يمكن أن يحتفظ به أو يخاف عليه ؟

فسيول الدماء لا تتوقف، وأكوام الأشلاء متراكمة، وسجون اليهود مكتظة متزاحمة، وتخريب الديار واقتلاع الأشجار وجرف الأراضي مستمر، والحصار مطبق وقاتل وما ينفذ من خلاله فبالمن والأذى، فما الحال في فلسطين إلا كما قال الشاعر:

أنا الغريق فما خوفي من البلل

ثم علينا ألا ننسى، ونحن في غمرة مسيرتنا الجهادية، أننا نتعامل مع الله القوي العزيز ولي المؤمنين نعـم المـولى ونعم النصير، وقد وعد سبحانه وتعالى، ومن أوفى بعهده من الله، بأن ينصر عباده المؤمنين إن هم نصروه، وهـو الذي لا يعجزه هؤلاء الكفرة بجدهم وحديدهم وعدتهم وعتادهم وجيوشهم ودولهم فلو شاء لأهلكهم أجمعين:

(أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِـي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ)

وقال سبحانه: (ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ)

فباب النصر على الأعداء والتخلص من قهرهم وتسلطهم إنما هو باللجوء إلى الله والاستمساك بشرعه والثبات على هديه، لننال بذلك شرف دفاعه عنا ومعيته لنا قال الله سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَـا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ)

فإذا التفتنا إلى غيره وتعلقت قلوبنا بمن سواه تخلى عنا ووكلنا إلى أنفسنا وإلى ما ارتضيناه نـصيراً لنـا، والله يقول:

(إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ)

وقال سبحانه وتعالى: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ)

فحذار حذار من أن يخذلنا ربنا، ولئن كان فذلك هو الخسران المبين، ولنرسخ في قلوبنا ونضع أمام أعيننا قول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم:

"احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده اتجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفّت الصحف".

ثم هاهي التجارب أمامنا تؤكد لنا ما قرره الشرع، فانظروا إلى الساحات التي رفع بها المجاهدون رايات الجهاد خالصة نقية بعيدة عن الجاهلية العمية بجميع أنواعها وسائر أشكالها،

فهذا أمير المؤمنين الملا محمد عمر حفظه الله ورعاه قد ضرب للأمة أروع الأمثلة في التوكل على الله والثقة بـه واليقين بوعده، وجاءته قوى الكفر كلها ورمته عن قوس واحدة وعلى رأسها راعية دولة إسـرائيل أمريكـا، وفتحت عليه أبواب العروض والإغراءات على مصارعها، فركلها برجله مزدرياً لها، وأتته الوفـود مـن كـل

حدب وصوب تعده وتمنيه تارة، وتتوعده وتتهدده تارات، فظهر في موقفه قوة الإيمان وعزة المؤمن، حتى إنه ليذكر بموقف خليل الرحمن عليه السلام:

(وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ ، وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)

فما مرت إلا بضع سنين حتى بدأ الكفرة المتبجحون يركضون وراءه طالبين مصالحته، إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب.

وتلك العراق ملحمة العصر، والتي ظهرت فيها معجزة الإيمان وتأكد في أحداثها ضرورة صفاء الراية ونقائها، حيث جاءت حامية الصليب راعية دويلة اليهود ومن معها من الأحلاف والشيطان يدفعهم ويحثهم ويجبرهم، فما إن وطئت أقدامهم تلك الأرض وأزالوا دولة البعث البائسة حتى وجدوا أنفسهم أمام المفاجأة التي لم تخطر لهم على بال، إذ ظهر لهم جنود الإسلام وحماة العقيدة وعشّاق الشهادة من حيث لا يحتسبون، فكان حالهم نظير من قال الله تعالى فيهم من أهل الغرور من أسلافهم:

(وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

فأصبحت العراق لعنة تلاحق أم الخبائث أمريكا وساستها أبد الدهر، فذهبت هيبتها وتمرغ كبرها وتلاشت قيمة جنودها وتبدد اقتصادها، وهاهي اليوم جاثية على الركب تستجدي العالم وتتسول في المحافل لعلها تنال عطية تقيم بها صلبها، وهيهات هيهات وقد دب الهرم في جسدها المتهاوي.

وتلك الصومال لم تكد تطأ أرضها اللاحبة أقدام أوباش الأحباش حتى قام لها أهل العزيمة والصدق والإيمان متوكلين على الله، متبرئين من أدناس الوطنية والقومية والشرعية الدولية وشعارهم:

(إِنَّ وَلِيِّـيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ)

فتولاهم الله برعايته وحاطهم بعنايته حتى جرجرت أجساد الأحباش النتنة في شوارع مقديشو، كما فعل بأشياعهم من قبل، وهاهم اليوم وبعد عامين يعلنون على الملأ انسحابهم أذلة صاغرين غير ملتفتين إلى نداءات أسيادهم ولا أوامر أربابهم.

فيا أخواننا المجاهدين في فلسطين: ذلك هو الشرع وهذا هو الواقع، فمالكم وبنيات الطريق وقد جربتم كل الرايات، وركضتم في كل الاتجاهات وسلكتم سائر السبل، ومع ذلك فما زال المسلمون يتجرعون الويلات والويلات، فلتكن هذه الأحداث المرة درساً بليغاً يتميز فيه أهل الصفاء عن الغثاء، وينفرد أهل العزيمة عن

أرباب الوهن، ولينبذوا عنهم الرايات العمّية والدعاوى الجاهلية والتلفيقات الرديّة والطرق الغويّة، وليكن قتالهم لله وفي الله وبالله، ولتنادوا كما نادى أسلافكم الأبرار حينما حمي الوطيس يوم حنين: يا أصحاب السمرة ويا أصحاب سورة البقرة، وسترون من فتح الله لكم وعنايته بكم ودفاعه عنكم ما لم يخطر لكم على بال قال الله تعالى:

(وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)

الوقفة الرابعة:

إن الدخول للقضية الفلسطينية من هذا الباب سيضع كل متعامل معها في موطنه الذي يستحقه، وأول من سيتعرى أمره وتنكشف خياناته المكشوفة أصلاً ويفتضح زيفه طغاة العرب، الذين شحوا عليها حتى بدموع التماسيح، هؤلاء المرتدون الخونة وعلى رأسهم فرعون مصر هم أصل البلاء وأس الداء وعنوان الشقاء ورأس المصيبة، فالمخادع لنفسه ولدينه ولأمته من يعدّهم أخوة يحملون قضية فلسطين معه، أو يميل إليهم ليكونوا شركاء في حل أزمتها، أو يترقب منهم عوناً لإخراجها من ورطتها، ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، فما بالنا وقد قطعت أيدينا في جحورهم، وتمزقت من طعناتهم وخياناتهم، ولا زلنا نصرّ ونسارع في مدها إليهم،

كنا نسمع بأن إسرائيل ستلقى في البحر، وانتظر المسلمون تلاطم أمواجه من هول الوقعة، ففوجئوا بالنكبات والنكسات، وصارت أيامها عنواناً للذكريات المخزية، حتى توقفت بطولاتهم وفتوحاتهم النادرة على ما أسموه سلام الشجعان، فصار خزيهم وذلهم وخياناتهم وصفقاتهم وصفاقتهم هي العقل والحكمة والعدل، فإذا بحكيمهم الأرعن يخرج علينا بمبادرة السلام العربية، فصفق لها القريب والبعيد، إذ رأوها أقصى ما توصلت إليه عبقريتهم وشجاعة سلامهم، فهذه هي سلسلة مخازيهم المكشوفة المعروفة التي لم يعودوا يستحيون من ذكرها ولا الدعوة إليها وتجريم من يخالفها أو يعاديها، فأي خير إذاً يرجى من وراء هؤلاء الفراعنة الأذلاء، وأية نصرة تلك التي تترقب من جهودهم ومساعيهم، وأية منفعة يمكن أن تعود على المسلمين في فلسطين من وراء اجتماعاتهم ولقاءاتهم.

فهل يمكن لسليل الخيانة طاغية الأردن، الذي رضع العمالة صاغراً عن صاغر، هل يمكن أن يكون شريكاً في رفع معاناة الشعب المسلم في فلسطين، وهو الذي يقف حارساً أميناً مخلصاً لحماية أوليائه اليهود، ويسهر جنوده واستخباراته للدفاع عنهم والتنكيل بمن يهم بالنيل منهم ؟

أم هل ينتظر من فرعون مصر وهامانه (عمر سليمان) أن ترق قلوبهم وتخلص نياتهم ليصدقوا في إخراج هذا الشعب من سجنه الكبير، الذي جعلوا حدودهم أحد جدرانه المطبقة المغلقة، واستنفروا جنودهم المستأسدة على الضعفاء لتفجير الأنفاق التي بقيت آخر متنفس لأولئك المنكوبين ؟

وهل سيكون إنقاذ المسلمين على يد معتوه جزيرة العرب الذي قلب حوار أديانه إلى خطوة مكشوفة لتحقيق مبادرته العربية للسلام ؟

ومن هنا فعلينا أن نعلم أن أعداءنا لا يرضون بوقوفنا في وسط الطريق مهما ادعينا تقارباً معهم وتفاهماً لسياساتهم واحتراماً لآرائهم ومنظماتهم، ومع ذلك فلن يقبلوا إلا بشيء واحد وهو أن نكون على ملتهم وداخل صفهم كما أخبرنا الله تعالى بذلك فقال:

(وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)

وقال عز وجل:

(وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ)

إننا نعلم أن إخواننا المسلمين في فلسطين لا ينقصهم الصبر فهم مدرسته وجامعته، ولا يعوزهم التضحيات فبطولاتهم النادرة شاهدة لهم ومغامرات رجالهم عجب لها القريب والبعيد، ولكنهم في حاجة حقيقية إلى القيادة الجادة الصادقة الراشدة المتجردة التي ترفع راية الحق والجهاد بصفاء ونقاء، يلتقي فيها الشعار والمضمون والقول والعمل والحماسة والحكمة، بعيداً عن متاهات السياسة المظلمة المضلّلة واتفاقيات الخيانة المخزية.

فيا إخواننا المجاهدين الأبطال في أرض الرباط:

إن الأمة الإسلامية اليوم كلها تنظر إليكم وتترقب تضحياتكم وتنتظر عملياتكم التي تدك معاقل اليهود وتشرد أبناءهم ونساءهم، فشمروا عن ساعد الجد ووطدوا أنفسهم لخوض معركة المصير بصبر على لأوائها وثبات على طريق الحق فيها، وحافظوا على ثمرة بذلكم وتضحياتكم.

(اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)، ولا يهولنكم تبجح عدوكم ولا بطره وانتفاشته، فعما قليل ليصبحن نادمين، وستكون هذه المعركة الحاسمة التي فتحوها بأيديهم لعنة عليهم وحسرة في قلوبهم وخزياً لجنودهم ودولتهم، فما عليكم إلا أن تخلصوا النية لله وتتوكلوا عليه حق التوكل:

(وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً)

الوقفة الخامسة:

وهي لكم أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها: إن الحقيقة التي لا بد أن تعوها وتتيقنوا منها أن شلالات دمائكم وتطاير أشلائكم وتوالي محنكم واستباحة دياركم في الأرض كلها، وليس في فلسطين فحسب، لن تنقطع وتتوقف ما دامت زمام الأمور بأيدي الغرب الكافر وأمريكا المتجبرة، ولن يخرجكم من أتون المحنة وتتابع المصائب إلا التوكل على الله أولاً، ثم الجهاد في سبيل الله بجد وعزم وتضحية وبذل وقوة وشراسة ومغامرات ومخاطرات تليق بمن يحمل عقيدة تقول له:

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ)

ويردد معها قول ربه ومولاه:

(قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ)

ويعلم وهو يخوض غمار هذه الحرب أنه في صفقة بيع رابحة لا بخس فيها ولا وكس:

(إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

وإن الأمر أيسر عليكم، وأنفع لكم ولأمتكم ولإخوانكم المنكوبين في غزة الأسيرة من المظاهرات العارمة، التي اكتظت بها شوارع المدن وتعالت في وسطها الصرخات والنداءات، فأمة الإسلام هي أمة التضحيات النادرة والجرأة الفذة والنصرة للمستضعفين، أو تعجز إذاً أن تخرج لنا من مدرسة العقيدة أبطالاً أفذاذاً يعيدون لها ما سطره لها ليوث ملحمة مومباي بدمائهم الزكية، وما أيسرها على من قوي عزمه وتوكل على ربه واقتحم وهو ينادي من أعماق قلبه:

فلست بمبدٍ للعدو تخشّعاً *** ولا جزعاً إني إلى الله مرجعي

ولستُ أبالي حين أقتل مسلماً *** على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ *** يبارك على أوصال شلوٍ ممزَّعِ

ويا أيها المجاهدون في كل مكان انتفضوا انتفاضة الليث المُغْضَب، وهبّوا هبة أهل الغيرة والحمية على الدين والعرض، وابذلوا ما تستطيعون لتذيقوا عواصم الغرب الكافر وأمريكا المجرمة والطغاة العملاء ما يذوقه إخواننا وأهلنا المستضعفون في فلسطين جزاءً وفاقاً، فما من طفل يقتل على أرض فلسطين، أو امرأة ترمل، أو دم يسال، أو أجساد تمزّق، أو بيوت تهدَّم، أو مصيبة تحلّ، إلا ومصدرها من أسلم فلسطين إلى اليهود ووطّنهم في

ربوعها وأقام دولتهم عليها، ألا وهي بريطانيا بوعدها المشؤوم، فما كان لها ولإخوانها الأوربيين أن يأمنوا ويُخافَ أهلنا، وينعموا وييأسَ إخواننا، وتعمَّرَ بلدانهم وتدمَّرَ ديارنا، وتستقرَّ شعوبهم وتتشرّدَ شعوبنا، ولسنا ممن تخدعهم سياسات المجاملات أو تصريحات المراوغات، فالذئب هو الذئب وإن لبس ثوب النعاج، فأذيقوهم مرارة الحرب ومآسي التشريد ونكد الرعب:

(الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)

فقد آن الأوان لهذه الدولة المجرمة (أعني بريطانيا) أن تدفع ضريبة جريمتها التاريخية التي لم ولن ننساها، فانتظروا إنا منتظرون

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وقفات مع بيان العلماء حول غزّة

بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله، والصّلاةُ والسّلام على رسولِ الله وعلى آلهِ وصحبهِ ومن اهتدى بهداه

ثـــمَّ أمـــــا بـــعـــد ..

أمّة الإسلام، السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فمازالَ علماء الإسلامِ الصّادقون موئلاً للمسلمين كلما ادلهمت الخطوب وملجأ حيثما تداخلت الأمور، ومناراً كلما أطبقت الظلمات وتوالت الشبهات، وما ذلكَ إلا لأن العلماء الصّادقين الصّادعين بالحق، قد تبوّؤوا منزلةً عالية وارتقوا مرتقاً كريماً شرّفهم به ربّ العزةِ سبحانه وتعالى .

فكانوا شهداء على وحدانيته، كما قال عز وجل : { شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا اله إِلا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئـِمًا بِالْقِسْطِ لا إله إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}، وجعلهم نبيه صلى الله عليه وسلم ورثتهُ، إذ يقول : " إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهما، إنما ورّثوا العلم، فمن أخذهُ أخذهُ بحظٍ واثر " .

ولعمر الله، إنّ هذه الوراثة كرامةٌ لهم وأمانةٌ في أعناقهم، فمن صانها من العبث وحفظها من الضياع وأداهـــا إلى أهلها نال الشّرف والإكرام والإعزاز بحسب ذلك .

ومن جعلها عرضةً للامتهان ومرتعاً لتلاعب الأهواء وتقلب الآراء، وأخضعَ أحكام الشرع لأطماع الدنيا، أذله الله وجعلهُ في أسفل سافلين، كما قال سبحانه { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ۚ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }.

فالعالم الصادق هو وريثُ النبي صلى الله عليه وسلم في ما يحملهُ من الهدى ولـعلم والبينات .

والعالم الصادق هو وريث النبي صلى الله عليه وسلم في صبرِه على البلاء وتحملهِ لـلأذى.

والعالمُ الصادق هو وريثُ النبي صلى الله عليه وسلم في دعوتهِ على بصيرةٍ إلى سبيل الله الخالصة.

والعالم الصادق هو وريث النبي صلى الله عليه وسلم في صدعهِ بالحق وإعلانهِ به في كل موطنٍ يقف فيه لا يحابي أحدا.

والعالم الصّادق هو وريث النبي صلى الله عليه وسلم في جهادهِ بالنفسِ والمالِ واللسان لأعـداء الإسـلام مـن الكفار والمنافقين.

والعالم الصادق هو وريث النبي صلى الله عليه وسلم في شدتهِ على الكفار وبراءتهِ منـهم، ورحمتـه بـالمؤمنين وموالاتهِ لهم.

وعلى كلٍ فإنّ العالمَ أولى الناسِ وأحقُهم دخولاً في قولِ الله تعالى : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا }.

وبقدر موقفِ العالم في وجه الباطل، وقيامهِ بواجب البلاغ والبيان بجلاءٍ ومجاهرة، لا يخاف في الله لومـة لائـم، وبقدرِ بذلهِ نفسه في ذات الله وصبرهِ على ذلك، تكون إمامتهُ في الدين .

فإليهِ تشخصُ الأبصار، وعليهِ تأتلف القلوب، وحولهُ يلتف أهل الصدقِ وبهم يسترشد الحيارى، كما قالَ تعالى : { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ }. فإنما صاروا أئمـةً هـادين مهـديين بصبرهم ويقينهم .

فقد اطلعتُ على البيان القيّم الذي أصدرهُ عددٌ من العلماء والشيوخ والدعاة وطلبة العلم عبرَ العـالم، تحـت عنوان بيان علماء الأمة في مظاهرة اليهود على المسلمين في غزة، فنسأل الله أن يجزيهم عن الإسلام خير الجـزاء .

******

نص

" بيان علماء الأمة في مظاهرة اليهود على المسلمين في غزة "

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن الظلم العظيم الذي لحق بإخواننا المسلمين في غزّة بالحصار الخانق بمنع الغذاء والدواء وجميع الإمدادات الضرورية ، والذي زاد على السنتين بفرض من العدو اليهودي، وتآمر من دول الكفر، وتعاون من بعض الدول العربية بإغلاق معبر رفح وتتبع الأنفاق الأهلية وهدمها حتى لا يصل الغذاء والدواء والسّلاح لأهلنا في غزة، واستمرّ الإصرار على إغلاق المعبر حتى بعد هجوم اليهود العسكري على إخواننا في غزة وقتل المئات وجرح الآلاف وانقطاع الماء والكهرباء والوقود ، كل ذلك مع إلحاح وصراخ المسلمين كافّة بطلب فتح المعبر.

فهو تعاون صريح مع العدو اليهودي في قتل إخواننا في غزة، وما كان ليتم هذا الحصار، ولا استتراف قوة المجاهدين وخنقهم في غزة وعدم قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم إلا بإغلاق المعبر والأنفاق. فهو من أعظم الخيانات الصريحة التي مرت على الأمة عبر التاريخ ، وقد اتفق العلماء على أن مظاهرة الكفار على المسلمين كفر وردة عن الإسلام، وقد عدها الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى الناقض الثامن من نواقض الإسلام العشرة المتفق عليها.

ويخشى أن يدخل في هذا الحكم أيضاً:

١. من تعاون على إغلاق المعبر أو الأنفاق أو الدلالة عليها أو منع دخول المساعدات إليهم، ويتحمل كل جندي شارك في ذلك إثم كل قتيل وجريح وإثم هدم المساجد والدور بغزة، ولا حجة لمن قال من الجنود: إنه عبد مأمور؛ لأن العبودية لله وحده، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٢. تسليم المعابر لليهود أو القوات الدولية الموالية لهم.

٣. الأفراد والمنظمات والوسائل الإعلامية التي تمالأت مع اليهود على المجاهدين في سبيل الله في غزة.

فالجهاد في فلسطين كلها هو جهاد شرعيّ يجب دعمه بالمال والنفس والسلاح. واليهود في فلسطين حربيون: تحل دماؤهم وأموالهم ؛ يجوز للمسلمين قتل رجالهم وأخذ أموالهم وتدمير منشآتهم داخل فلسطين.

أما مستند إجماع العلماء على كفر المتعاون مع الكافرين على المسلمين فأدلة كثيرة منها: قول الله تعالى {لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ..} [سورة آل عمران: ٢٨].

وقول الله تعالى: {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً} [سورة النساء: ١٣٩].

وقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [سورة المائدة: ٥١].

وقول الله تعالى: {تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} [سورة المائدة: ٨٠-٨١].

قال العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله(مجموع فتاويه ١/٢٧٤): "وقد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم عليهم بأي نوع من المساعدة فهو كافر مثلهم" اهـ.

وقال العلامة أحمد شاكر(كلمة حق ١٢٦-١٣٧)في فتوى له طويلة بعنوان(بيان إلى الأمة المصرية خاصة وإلى الأمة العربية والإسلامية عامة)في بيان حكم التعاون مع الإنجليز والفرنسيين أثناء عدوانهم على المسلمين: " أما التعاون مع الإنجليز، بأي نوع من أنواع التعاون، قلّ أو كثر، فهو الردّة الجامحة، والكفر الصّراح، لا يقبل فيه اعتذار، ولا ينفع معه تأول، ولا ينجي من حكمه عصبية حمقاء، ولا سياسة خرقاء،ولا مجاملة هي النفاق، سواء أكان ذلك من أفراد أو حكومات أو زعماء، كلهم في الكفر والردة سواء، إلا من جهل وأخطأ، ثم استدرك أمره فتاب وأخذ سبيل المؤمنين، فأولئك عسى الله أن يتوب عليهم، إن أخلصوا لله، لا للسياسة ولا للناس" ا.هـ.

وقال العلامة عبد الله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى بالمملكة العربية السعودية ورئيس المجمع الفقهي رحمه الله تعالى(الدرر السنية ١٥ / ٤٧٩): "..وأما التولي: فهو إكرامهم، والثناء عليهم، والنصرة لهم والمعاونة على المسلمين، والمعاشرة، وعدم البراءة منهم ظاهراً، فهذا ردة من فاعله، يجب أن تجرى عليه أحكام المرتدين، كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأئمة المقتدى بهم" ا.هـ.

وهذه فتوى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر وقد نشرت(بمجلة الفتح العدد ٨٤٦، العام السابع عشر، الصفحة العاشرة). وجاء فيها: ".. لا شك أن بذل المعونة لهؤلاء؛ وتيسير الوسائل التي تساعدهم على تحقيق غاياتهم التي فيها إذلال المسلمين، وتبديد شملهم،ومحو دولتهم؛ أعظم إثما؛ وأكبر ضررا من مجرد موالاتهم.. وأشد عداوة من المتظاهرين بالعداوة للإسلام والمسلمين.. والذي يستبيح شيئا من هذا بعد أن استبان له حكم الله فيه يكون

مرتدا عن دين الإسلام ،فيفرق بينه وبين زوجه، ويحرم عليها الاتصال به، ولا يُصلَّى عليه، ولا يدفن في مقـــابر المسلمين.." ا.هــ.

وفي ربيع الأول عام ١٣٨٠هــ أصدر الأزهر بيانا نشر(بمجلة الأزهر بالمجلد الثاني والثلاثين الجـــزآن الثالـــث والرابع (ص٢٦٣))بتوقيع شيخ الأزهر العلامة محمود شلتوت: "فلئن حاول إنسان أن يمد يـــده لفئـــة باغيـــة يضعها الاستعمار لتكون جسرا له؛يعبر عليه إلى غاياته، ويلج منه إلى أهدافه، لو حاول إنسان ذلك لكان عملُه هو الخروج على الدين بعينه" ا.هــ.

ونقصد بهذا البيان التحذير من جريمة غلق المعبر وجريمة التعاون مع اليهود ضد المسلمين. وندعو كل من وقف ضد الجهاد في سبيل الله تعالى سياسياً أو إعلامياً أو عملياً، أو منع دخول الإمداد والسلاح للمجاهدين بغـــزة، ندعوهم جميعاً إلى إعلان التوبة إلى الله تعالى، ونخص الرئيس المصري بفتح معبر رفح عاجلا بلا شرط أو قيـــد، ونطالبه بترك الأنفاق الأهلية وعدم تتبعها.

ونذكر الذين تأثروا بكلام المنافقين في تحميل المجاهدين في سبيل الله بغزة تبعة ما يحدث من قتل وهدم بقـــول الله تعالى: {الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـــادِقِينَ} [سورة آل عمران: ١٦٨].

نسأل الله تعالى أن يحفظ إخواننا المسلمين في غزة وأن يُفرغ عليهم صبرا، ويثبت أقدامهم، وينـــصرهم علـــى اليهود والمنافقين . اهــــ

******

الشيخ أبو يحيى الليبي :

وبما أن هذا البيان يُعد خطوةً مهمة طالما انتظرت الأمّة نظيرها في وقائع شتى وأحداثٍ مُتعددة، فقد رأيـــتُ أن أقف عندهُ وقفات والتمس من خلالهِ معاني يترسّخ بها مفهوم الأمةُ الواحـــدة، في فرحهـــا وترحهـــا وســـرائها وضرائها وسعتها وضيقها وقضاياها ونوازلها، لا يفرقها في ذلك سدودٌ ولا حدود، ولا يفاضل بينـــها لـــونٌ ولا عرق، ولا يمايزُ في أحكامها قربٌ ولا بعد، ولا يقطع أوصالها عربٌ ولا عُجم، وإنما أمرها كما قال تعالى : {إِنَّ هَذِه أُمَّتُكُمْ أمة وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون }، وقال عز وجل : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَـــرٍ وَأُنْثَـــىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }.

وعن عليٍ رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " المسلمون تتكافؤ دماؤهم، ويـــسعى بذمتـــهم أدناهم ويردُّ عليهم أقصاهم وهم يدٌ على من سواهم " .

فالوقفة الأولى :

لاشكّ إن ما حصلَ ويحصلُ لإخواننا المسلمين في غزة، بل وفي فلسطين كلها من قتلٍ إجراميّ وإبادةٍ جماعية، وحصارٍ قاتل، يُعدّ من أعظم مصائبِ العصر تتفتت له الأكباد وتشيبُ له مفارق الولدان وتذوب لهوله الصخور الصمّاء، كيف لا!؟ ولم يسلم فيه طفلٌ ولا امرأةٌ ولا شيخٌ ولا قويٌ ولا ضعيف ولا شجرٌ ولا حجر .

فما من مسلمٍ من مشارق الأرض إلى مغاربها، إلا وهو مطالبٌ مطالبةً شرعيةً صريحة بأن يكون لهُ دورٌ عملي في كشف غمة المسلمين هناك، ورفعُ معاناقم ومناصرتهم بما في الوسع بالنفس والمال والتحريض والدعوة والدعاء، وفضح أهل المروق والنفاق{ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ}.

ولا عذر في التقصيرِ تجاههم لمجاهد نافر ولا لقاعد معذور، فإن الله عزّ وجل إنما رفعَ الإثم والحرج والتبعةَ عن من عذرهُم من المرضى والضعاف والفقراء بشرطٍ اشترطه عليهم، فقال : {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } .

ومن هذا المنطلق، فإن المجاهدين من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق يعدُّون الثأرَ والانتقام لما وقعَ ويقعُ لإخواننا المسلمين في غزة على أيدي اليهود دَيناً ثابتاً في ذمتهم، لن يهنؤوا حتى يقضوه ويؤدوه وافياً غير منقوص، مقتصين من كلّ من باشرَ وشاركَ في هذه الجريمة الشنعاء، والخبرُ ما يُرى لا ما يُسمع، فانتظروا إنا منتظرون .

الوقفةُ الثانية :

بيّن العلماء بصورةٍ جليّة، أنّ الجهاد في فلسطين هو جهادٌ شرعيّ حيث جاء في بيانهم : " فالجهاد في فلسطين كلها هو جهاد شرعي يجب دعمه بالمال والنفس والسلاح. واليهود في فلسطين حربيون: تحل دماؤهم وأموالهم؛ يجوز للمسلمين قتل رجالهم وأخذ أموالهم وتدمير منشآتهم داخل فلسطين. " اهـ

فمن المعلوم أن الجهاد إنّما صارَ مشروعاً وواجباً في فلسطين، بسببِ مداهمة الكفار لأراضيها وتسلطهم عليها، ومثل هذه الحالة قد اتفق العلماء أنّ الجهادَ فيها يصبح فرض عينٍ على أهلِ تلكَ الناحية، فإن قاموا بالواجبِ وطردوا العدو فذاك، وإلا فإن عجزوا أو قصّروا انتقل الواجبُ إلى من يليهم، وهكذا حتى و لو أدّى ذلك إلى أن يعمّ الفرض جميع المسلمين.

وهذا أمرٌ مقررٌ عندَ أهل العلمِ، ومكررٌ في كُتبهم، ولولا الإطالة لنقلتُ أقوالَ الأئمة والعلماء من كلّ مذهب، ولكن يكفينا هنا :

. قول الإمامين ابن عبد البر المالكي، وأبي بكرٍ الجصاص الحنفي رحمهم الله :

" والفرضُ في الجهاد ينقسم أيضاً قسمين :

أحدهما : فرضٌ عام متعيّن على كل أحد ممن يستطيع المدافعة والقتال وحمل السلاح من البالغين الأحرار وذلك أن يحلّ العدو بدار الإسلام محارباً لهم فإذا كان ذلك وجبَ على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافاً وثقالاً وشباباً وشيوخا، ولا يتخلف أحدٌ يقدرُ على الخروج من مقاتل أو مكثر ، وإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا، قلوا أو كثروا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة حتى يعلموا أن فيهم طاقةً على القيام بهم ومدافعتهم، وكذلك كل من علمَ بضعفهم عن عدوهم وعلمَ أنه يدركهم ويمكنهُ غياثهم لزمهُ أيضاً الخروج إليهم، فالمسلمون كلهم يدٌ على من سواهم حتى إذا قام بدفعِ العدو أهل الناحيةِ التي نزلَ العدو عليها و احتل بها سقطَ الفرضُ عن الآخرين، ولو قاربَ العدو دارَ الإسلام ولم يدخلها لزمهم أيضاً الخروج إليه " اهـ

. وقال العلامةُ أبو بكر الجصاص الحنفي :

" ومعلومٌ في اعتقاد جميع المسلمين أنه إذا خافَ أهل الثغور من العدو ولم تكن فيهم مقاومة لهم فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذراريهم أن الفرض على كافة الأمة أن ينفر إليهم من يكفّ عاديتهم عن المسلمين وهذا لا خلاف فيه بين الأمة إذ ليس من قول أحدٍ من المسلمين إباحةُ القعود عنهم حتى يستبيحوا دماءَ المسلمين وسبيَ ذراريهم " اهـ

الشيخ أبو يحيى الليبي :

ودليلُ ذلك كُله قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } .

وقال عزّ وجل : { وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا } .

ونستخلص من هذا كله أنّ الجهادَ إنما صارَ مشروعاً وواجباً في فلسطين لا لأمرٍ اختصت به عن سائرِ بلاد المسلمين المحتلة، فهذا الحكمُ الشرعيّ لم يثبت في حق فلسطين لبركة أرضها، ولا لوجود المسجد الأقصى فيها ولا لمزيّةٍ تعلقت بأهلها وإنما مردُّ ذلك ومدارهُ على كونها أرضاً للمسلمين داهمها العدو الكافر.

وبناءاً على ذلك فحيثُ ما وجد هذا الأمر وتحقق هذا الوصف على أية بقعةٍ من البقاع الإسلامية فإن الحكمَ فيها تماماً كما هو الحكمُ في فلسطين سواءاً بسواء، هذا هو المتقرر عند علماءِ الإسلام الصادقين قديماً وحديثاً، لا مجالَ فيهِ للتردد ولا للتشكيك.

وكلُّ من أرادَ أن يُفرقَ بين بلدٍ وبلد أو أرضٍ وأرض أو جهةٍ وجهة، فإنه يُصادم إجماع العلماء القائمَ المحكم، وعليهِ فإننا نسأل علماء الأمة الصادقين الغيورين ممن وقعّوا على هذا البيان أو غيرهم من الفضلاء،

لماذا لا نرى هذه التجليةَ والبيان لحُكم الجهاد في أراضي إسلامية كثيرة حالها كحال فلسطين، حيث احتلها العدو الكافر وتسلّط عليها بقوتهِ وجيشه، وعاثَ فيها فساداً فأهلكَ الحرث والنسل وانتهك العرض ونهبَ العرَض.

فأيّ فرقٍ بين ما حصلَ ويحصلُ في فلسطين، وما حدثَ ويحدُث في أفغانستان، وأيُّ فرقٍ بينما جرى ويجري في فلسطين وما وقعَ ويقعُ في العراق، وأيُّ فرقٍ بين تسلّط اليهود المجرمين على فلسطين و تسلّط الإثيوبيين النصارى على الصومال، وأيُّ فرقٍ بين ما يقوم به الصهاينةُ المجرمون ضدّ أهلنا في فلسطين وبين ما يقوم به الصينيون الملحدون ضدّ إخواننا في تركستان الشرقية .

أو ليست المصيبةُ في كل هذه المواطنِ واحدة ؟ والنازلةُ متفقة؟ أوليسَ جميعُ هؤلاء الأعداء محتلين مغتصبين كفرةً فجرة ؟

نعم، نحنُ نعلمُ أن حالةَ القهر والظلم والتقتيل والإفساد قد تتفاوت بين دولة ودولة، ومثل هذا يزيد حكم الجهاد في تلك الناحية تأكيداً لوجوبه وتعزيزاً لتعيُّن فرضيته، أما من حيث أصل الحكم فإن الأمر واحد في جميع تلك البلدان .

إذاً، فعلى علماء الأمة الصادقين أن يقفوا موقفَ الإمامةِ في الدين، ويقولوا في سائر أراضينا المحتّلة ما قالوه في فلسطين، فالجهاد في أفغانستان والعراق والصومال والشيشان والأندلس وتركستان الشرقية وبلاد المسلمين المحتلة كلها، هو جهادٌ شرعيّ يجب دعمهُ بالمال والنفس والسلاح، والمحتلون من الأمريكان والأسبان والروس وغيرهم، في هذه الدول المحتلة هم حربيوّن تحلّ دمائهم وأموالهم، يجوزُ للمسلمين قتل رجالهم وأخذُ أموالهم وتدميرُ منشآقم داخلها.

الوقفة الثالثة :

أشارَ العلماء الكرام إلى الظلم العظيم الذي حلّ بإخواننا المسلمين في غزة، وبينوا هذا الظلم وبينوا أن هذا الظلم قد شاركَ فيه ثالوثٌ إجراميّ، وهم اليهود المحتلون وأهلُ الكفرِ المتآمرون ومعهم العرب الخائنون، فكان مما جاء في البيان :

" فإن الظلم العظيم الذي لحق بإخواننا المسلمين في غزة بالحصار الخانق بمنع الغذاء والدواء وجميع الإمـــدادات الضرورية،والذي زاد على السنتين بفرض من العدو اليهودي، وتآمر من دول الكفر، وتعاون من بعض الـــدول العربية بإغلاق معبر رفح وتتبع الأنفاق الأهلية وهدمها حتى لا يصل الغذاء والدواء والسلاح لأهلنا في غـــزة " اهـــــ

وبناءاً على ذلك فقد بيّنوا أن ما تقوم به حكومة مصر وعلى رأسها فرعونها وجنوده من إغلاق للمعـــبر وتتبـــع للأنفاق ومنعٍ للغذاء والدواء وغيرها، هو تعاونٌ صريح مع العدو اليهوديّ وهو من أعظم الخيانات التي مـــرت على الأمة في تاريخها، ومن ثَّم فهو مظاهرةٌ للكفار على المسلمين وقد اتفقَ العلماء على أنهـــا كفـــرٌ وردةٌ عـــن الإسلام، ونحن نقول :

إنّ بيانَ حكم مظاهرة الكفارِ على المسلمين من أعظم نواقض الإسلام التي يجبُ على العلماء والـــدعاة وطلبـــة العلم بيانُها للناس، فينبغي إظهارُها وإشهارُها وتكرارُها في كلِّ فرصة، وذلك لعظم شيوعها ولوقوعِ طوائـــف كبيرةٍ من المنتسبين إلى الإسلام فيها، ويتحتّم على علماء الأمة تأصيلها تأصيلاً واضحاً وإنزالها علـــى الحـــالات المتعددة والمتنوعة التي ابتُليت بها أمة الإسلام، فإن العلمَ يجب نشرهُ بحسب حاجةِ الناس إليه { لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَة }.

فصُوَرُ هذه المظاهرة كثيرةٌ ومتنوعة، ولطالما زلّت في ارتكابها أقدام جهلاً أو تجاهلاً وتساهلاً وقد أبان أصـــحاب البيان أثابهم الله بعض تلكَ الصور مما يتعلقُ بموضوع غزة، فذكروا منهم :

"١– من تعاون على إغلاق المعبر أو الأنفاق أو الدلالة عليها أو منع دخول المساعدات إليهم، ويتحمـــل كـــل جندي شارك في ذلك إثم كل قتيل وجريح وإثم هدم المساجد والدور بغزة، ولا حجة لمن قال من الجنود: إنـــه عبد مأمور؛ لأن العبودية لله وحده، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٢– تسليم المعابر لليهود أو القوات الدولية الموالية لهم.

٣– الأفراد والمنظمات والوسائل الإعلامية التي تمالأت مع اليهود على المجاهدين في سبيل الله في غزة." اهـــــ

وما ذكرناه من قبل من عدم الفرق بين حكم الجهاد في فلسطين وسائر بلاد الإسلام المحتلـــة نقولـــه أيـــضا في مسألة مظاهرة الكفار على المسلمين، سواءٌ كان أولئك الكفار يهودا أو نـــصارى أو مجوســـاً أو هندوســـاً أو شيوعيين ملحدين أو غيرهم من نِحل الكفر المتنوعة .

كما أنه لا فرق بين أن يكون هؤلاء المظاهرون للكفار على المـــسلمين أفـــراداً أو جماعـــاتٍ أو حكومـــات أو منظمات، كما قال العلامة أحمد شاكر رحمه الله في بيانه الشهير " كلمة حق " والذي نقلَ أصحابُ البيان جزءاً منه :

" أما التعاون مع الإنجليز بأي نوع من أنواع التعاون قل أو كثر فهو الردة الجامحة والكفر الصُراح لا يقبل فيه اعتذار ولا ينفع فيه معه تأويل ولا يُنجي من حكمه عصبية حمقاء ولا سياسة خرقاء ولا مجاملة هي والنفاق سواء أكان ذلك من أفراد أو حكومات أو زعماء كلهم في الكفر والردة سواء إلا من جهل وأخطأ ثم استدرك أمره فتاب واتخذ سبيل المؤمنين، فأولئك عسى الله أن يتوب عليهم . إن أخلصوا من قلوبهم لله لا للسياسة ولا للناس "

وقال في حق التعاون في حق الفرنسيين أيضا :

" ولا يجوز لمسلمٍ في أي بقعة من بقاع الأرض أن يتعاون معهم بأي نوع من أنواع التعاون، وإن التعاون معهم حكمه حكم التعاون مع الإنجليز الردة والخروج من الإسلام جملة أيًّا كان لون المتعاون معهم أو نوعه أو جنسه " اهـ

الشيخ أبو يحيى الليبي :

وبناءا على ذلك، فإن حكم مظاهرة اليهود على المسلمين في فلسطين هو عينه حكم مظاهرة الأمريكان على المسلمين في أفغانستان أو العراق أو الصومال، وهو نفسهُ حكم مظاهرةِ الروس على المسلمين في الشيشان والهندوس في كشمير وهلُم جرا .

وإذا كان أصحاب البيان الفضلاء قد قرروا أن من المظاهرة التعاون على إغلاق المعبر أو الأنفاق أو الدلالة عليها أو منع دخول المساعدات إليهم، فماذا يقولون في الدولِ والحكومات التي وقفت ولازالت تقفُ جنباً إلى جنب مع حاميةِ الصليب وحاملتهِ أمريكا في حربها ضدّ المسلمين في الأرضِ كلها تحت شعار الحربُ ضدّ الإرهاب .

ففي باكستان قد أعلنَ برويز مشرف من قبل وعلى رؤوس الأشهاد وفي وسائل الإعلام كلها، أنه اختار الوقوفَ بجانب أمريكا في حربها ضدّ المسلمين في أفغانستان، ومطاردتها للمجاهدين أينما كانوا وقد وضعَ كل أجهزتهِ وقواتهِ من جيشٍ وشرطةٍ رهن الإشارةِ الأمريكية وجعلهم جنداً محضرين لها وفتحَ لها أبواب باكستان على مصارعها براً وبحراً وجواً، وأصبحت قوافل إمدادات قوات الصليب تشقُ طريقها عبرَ باكستان وهي تحمل الموت والدمار لأفغانستان وشعبها المسلم، يحصلُ هذا بحمايةٍ تامة ودفاع مستميت من قبل أجهزةِ الدولة الباكستانية على اختلاف أسمائها ومهامها .

الشيخ مصطفى أبو اليزيد :

" ونقول لشعب ومجاهدي باكستان الغيورين، كيف ترضون وأنتم أهلَ النصرة والنجدة بمرور قوافل الأعداء المحملة بالأسلحةِ والمؤن والعتاد عبرَ أراضيكم، والتي تحملُ الموت والدمار والهلاكَ لإخوانكم في أفغانستان "اهـ

الشيخ أبو يحي الليبي :

ومع مرور أكثر من سبعِ سنوات فلا تزالُ باكستان بحكومتها الجديدة ورئيسها اللص وجيشها وشرطتها وأجهزة استخباراهّا، تقومُ بنفسِ الدور وتظاهر هؤلاء الكفرة المحتلين على المسلمين، وتتشبّث وتسير على الخطى الذي رسم لها برويز من قبل، بل ازدادَ شرها وتضاعفت معونتها وظهرَ تبجحها .

من مقابلة تلفزيونية أجريت مع زرداري :

المذيع :هل تتمتع بالدعم الكافي في هذه الحملة ضد الطلبان ؟ هل تتمتع بالدعم الكامل من الجيش والاستخبارات ؟

زرداري : لو لم نتمتع به ، لسقطت إسلام آباد ، لأنه من الواضح أنه لو لم يقم الجيش بواجبه، فإن هؤلاء المتشددين ليسوا مقيدين، فقد فجروا فندق الماريوت وهاجموا في العمق من قبل. فلولا الدعم لحاصرونا .

من مقابلة تلفزيونية أجريت مع اللواء طارق خان " قائد القوات الباكستانية في منطقة القبائل " :

.طارق خان :نحن اعتبرنا أن منطقة باجور هي المركز والمحور ونقطة العبور للمتشددين المتجهين لأفغانستان

.المذيع : كيف جرى القتال هناك ؟

. طارق خان : كنا نقاتل من مجمع إلى مجمع وكلما تقدمنا رموا علينا .

.المذيع : ما هي الأشياء الغير متوقعة التي واجهتكم ؟

.طارق خان : عددهم، وشدهّم، وقوة عزيمتهم، ورفضهم للانسحاب، وعدم وجود المستسلمين مقابل عدد كبير من المستعدين للموت .

.المذيع : ولكن الطالبان عدوكم الآن ؟

.طارق خان : نعم ، هم عدونا، ويجب تفكيك بنيتهم وتدميرهم .

مقطع من أحد البرامج الوثائقية :

بالإضافة إلى تدمير معظم باجور. فعقب هذه المعركة أحضر الجيش الباكستاني جرافات لتسوية ما تبقى من المباني بالأرض، لكي لا يرجع إليها الطالبان، وقد تم نقل سكان هذه المنطقة و٢٠٠٠٠٠ألف وغيرهم إلى معسكرات اللاجئين على أطراف بيشاور .

من مقابلة تلفزيونية مع بروس ريدل " عضو كبير في مؤسسة بروكنكس " :

المذيع : قال الرئيس زرداري إنها حربنا الآن، بمعنى أنها حرب باكستان. هل تظن أنه جاد في ذلك ؟

بروس ريدل : هو يفهم الآن أنها حربه الشخصية، ولكنه لم ينجح بعد في إقناع معظم الباكستانيين بأنها حربهم، فالأغلبية الساحقة من الباكستانيين يرون أنها حرب من أجل أمريكا .

الشيخ أبو يحيى الليبي :

فما تركت صورةً من صور المظاهرة وإلا تلبست بها من فتحٍ للقواعد العسكرية عبر طول البلاد وعرضها، وفتحٍ للسجون الأمريكية السرية والعلنية في راولبندي وبيشاور وكراتشي وغيرها، ومن تقتيل للمسلمين بالمباشرة والوكالة، كما يحصل في سوهات وبيجاور ومناطق القبائل كلها، واعتقال وتسليم المسمين إلى أمريكا بلا تفرقة بين رجل وامرأة كما فعلت مع أختنا عافية صديق فرج الله كربها، والتي يزعمون كذباً وزوراً أنها اعتقلت في غزني في أفغانستان، ومع ذلك فإننا نرى ونسمع من السفهاء من كان يدعوا لبرويز المجرم وجنودهِ السفاحين .

عبد الرحمن السديس :

اللهم وفق إخواننا في باكستان، اللهم وفقهم واحفظهم وأيد بالحق بفخامة الرئيس برويز مشرف وسائر إخوانه وحكومته ووزرائه وأعوانه .

الشيخ أبو يحيى الليبي :

وتلك هي دولة آل سعود ومثلها دويلة الكويت وقطر والبحرين قد فتحت ولا تزال تفتحُ لأمريكا القواعد العسكرية على أراضيها، وتجوبُ حاملات الطائرات والسفن بحارها، وتُقلِع وتَحُط طائرات القتل والتدمير من وعلى مطاراتها، وتحلّق في سمائها وأجوائها، ولن يستطيع أحدٌ كائن من كان أن ينكر هذه الحقيقة إلا على وجه المكابرة الذي لن يغني عنه من الله شيئا .

فما من أحد على أرض الكويت مثلا، إلا وهو يرى الأرتالَ العسكرية الأمريكية التي لا أول لها ولا آخر، تشق طريقها لقتلٍ شعب العراق المسلم، ومثل ذلك ما يحصل على بلادِ الحرمين، ومع ذلك فمن أراد النفير إلى العراق نصرةً لإخوانه، وحميةً لدينه، فإن أجهزتهم الأمنية له بالمرصاد.

فأيّة مظاهرة أعظم من هذه المظاهرة، وأيّة إعانة أوضح من هذه الإعانة، فإذا كانت حكومة مصر المرتدة قد أغلقت معبر رفح أمام المعونات للمنكوبين في غزة، فإن هذه الحكومات قد فتحت حدودها كاملةً لعبور أرتال

الصليب التي تحمل القنابل المدمرة والصواريخ الفتّاكة والآلات القاتلة وجبال الذخائر المتنوعة، كل ذلك ليُباد بها المسلمون في العراق كما يبادون بها في أفغانستان .

و إذا كانت حكومة مصر المرتدة قد أطبقت حصارها على المسلمين في غزة حتى حُرموا الماء والدواء والوقود والكهرباء، فإن حكومة الرياض والكويت ونظيراتها قد فتحت أنابيب نفطها سخاءاً رخاءاً لتتضلّع منه طائرات الصليب وأغدقت عليهم من أنواع الأطعمة والمشروبات ولذائذ المآكل ما حَرموا منهُ شعوبهم المنكوبة .

ومع هذه الجرائم الفاضحة والمظاهرة الواضحة فما زلنا نسمع ونرى من يمجِّد هؤلاء الطغاة ويثني عليهم ويعدهم ولاة أمرٍ شرعيين، تجب طاعتهم ويحرم الخروج عليهم بل لا يجوز النفير للجهاد إلا بإذنهم .

من مقابلة تلفزيونية مع مفتي آل سعود عبد العزيز آل شيخ :

المذيع : لكن آحاد الناس يا شيخ لو أرادوا يجاهدوا هل لابدّ أن يستأذنوا من ولي الأمر ؟

عبد العزيز آل شيخ : لابدّ أن يستأذنوا من يحيمهم إذا خرجوا من تلقاء أنفسهم من يحميهم ومن يكون ردءاً لهم ، خرجوا بأنفسهم وربما أوقعوا الأمة بإشكال، فإن ولي الأمر كما نعلم له رأيهُ في عقد الهدنة عقد العهد إبرام الأمان، فإذا كان الكل يتصرف من تلقاء نفسه ضاعت القضية .

الشيخ أبو يحيى الليبي :

فيا علماء الأمة الصّادقين مع ربهم الصّادعين بالحق قولوا لنا بربكم ما الفرق بين من يُظاهر اليهود في فلسطين ويُظاهر الأمريكان في العراق أو أفغانستان أو يظاهر الروس في الشيشان، فبأيِّ كتابٍ أم بأيّة سنةٍ يفرق بين هؤلاء وأولئك ، أوليس الذي نهى عن موالاة اليهود قد نهى أيضاً عن موالاة النصارى فقال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }، أوليس الذي نهى عن موالاة اليهود والنصارى نهى أيضا عن موالاة الكافرين أجمعين فقال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا} .

ولا ننسى في هذا الموطن أن نتذكر ونذكر أولئك العلماء الذين وقفوا موقفاً مشرفاً في هذه المسألة إبّان شروع الغزو الأمريكي في أفغانستان قبل ما يزيدُ على سبعِ سنوات، فأصدروا الفتاوى الجريئة والأحكام الصارمة في حق كلّ من يقف بجانب حامية الصليب ويساندها على المسلمين فنسألُ الله أن يجزي أولئك العلماء عنا وعن أمة الإسلام خير الجزاء .

الوقفة الرابعة :

أنّ مما نلمسهُ في كثيرٍ من المسلمين بل حتى من بعض العلماء وللأسف ن تعاملهم مع الأحداث والقضايا إنما هو تعامل انفعالي حماسي تُشعله وسائل الإعلام متى شاءت وتُخمدهُ متى أرادت، وهــذا المنطــق في التعامــل مــع الأحداث إن قُبل من عوام المسلمين فلا يُقبل بحالٍ من علماء تحتّم عليهم أن يتولوا إخراج الأمة مــن تلاطــم أمواج الفتن إلى آمان البصيرة والاستقرار، فالعلماء الصادقون هم القادة والسادة المبصرون كما قال الشاعر :

إنّ الأكابرَ يحكمونَ على الوَرى *** وعلى الأكابرِ تَحكمُ العلماء

وعليه، فإن مظاهرة النظام المصري لليهود على المسلمين في غزة ليست وليدةَ الأحداث الفظيعة التي وقعــت، وإنما تأكدت وبرَزت في أجلى صورها في تلك الأيام، كما أن هذه المظاهرة لم تنقطع بتوقف القصفِ اليهــودي على إخواننا في غزة، بل ازداد الأمر وتفاقم حيثُ نُصبت الكاميرات الحرارية على طول الحدود، واستمر تدمير الأنفاق وتتبعها مع التقنين الدولي لمنع دخول الأسلحة إلى المسلمين في غزة بحضور وإشراف خــبراء أمريكــان وغيرهم .

د . عبد الله النفيسي :

الآن ما هو الوضع ؟ الوضع أن الفرقاطة الفرنسية وصلت إلى شواطئ غزة، ومع الفرقاطة هذه كل ما تحتاجــه لمدة ستة أشهر، كل شيء حتى النبيذ معاهم، حتى الاحتفال بعيد كذا وعيد كذا وعيد كذا، كل شيء معــاهم، وفي الطريق جايين الأسبان وجايين الألمان وجايين الإنجليز .خلوا بالكم! هذه أمم كانت في السابق بينها حروب طاحنة، ملايين الضحايا بينها بين الألمانيين والفرنسيين بين الإنجليز والفرنسيين بين الإيطاليين والألمان، حــروب طاحنة! كلهم أجمعوا على غزة ! كلهم سيتحركون باتجاه غزة! ألا يدفعنا ذلك إلى التفكير بأن نحــن نتوحــد ؟ لكي نتجه إلى غزة بقلب واحد، أنا ما أقول الأنظمة! لا إحنا غسلنا يدنا من الأنظمة .

الشيخ أبو يحيى الليبي :

فهذا المناط المُكفر الذي ذكره أصحاب البيان وفقهم الله كان موجوداً قبل الأحداث وأثنائها وبعدها، فعلــى العلماء الفضلاء أن يدركوا أن الاستجابة الانفعالية مع هذا الحدث أو ذاك وإن كان محموداً إلا أنه ليس كافياً، بل عليهم أن يتعاملوا مع قضايا الأمة بميزانٍ شرعيٍ ثابت، وأصولٍ مستقرة وقواعدَ مستمرة وطريقةٍ مــضطردة ومنهاجٍ راسخ.

ولابدّ أن تُوضع من قبلهم خطواتٌ عمليةٌ جادة للخروج من المآزق التي تمرّ بها أمةُ الإسلام، فما أنــزل الله داءاً إلا أنزل له دواء، فقد حُوصرت غزة وقُصف أهلها ودُمرت مساكنها ثم أُوقفت المجزرة المعلنة واستمرت المجزرة الخفية تديرها نفس الأيدي المجرمة.

فالعلماء معنيون اليوم وفي هذه المرحلة الجديدة من الأحداث بأن يبقوا وتيرتها على حالها وأن لا يغفلوا عنها ولا يُغفلوها وأن يستمروا في فضحِ العملاء الخونة وكشف مظاهر مظاهرة الكفار على المسلمين وتحديــد أصــناف

المتلبسين بها من الحكوماتِ العربية، وجيوشها الإجرامية وبيانِ الموقف الشرعيّ الواجب تجاهها، وحضّ الشعب الفلسطيني المسلم على الاستعداد الدائم للجهاد والتهيؤ للقتال لا ليَدفع عن نفسه في غزة فقط ، بل ليهـاجم ويقاتل اليهود المحتلين في حصونهم ووراء جدُرهم حتى يُطرد الغاصبون وتُقام دولة الإسلام على تلـك الربـوع المباركة .

الشيخ أسامة بن لادن – حفظه الله – من كلمته "خطوات عملية لتحرير فلسطين" :

" وبناء على ما تقدم: لا بد من البحث عن دول خارج دول الطوق، يتم تحرك المجاهدين منها لتفـتح الحـدود بالقوة، لنصل إلى أهلنا في ربوع الأقصى المبارك، والفرصة الثمينة النادرة للـصادقين في رغبتـهم في تخلـيص الأقصى، هي بدعم المجاهدين في العراق بكل ما يحتاجون إليه، لكي يحرروا أرض الرافـدين، وبـذا يقومـون بواجبين اثنين: هزيمة الحليف الأكبر للصهاينة ثم ينطلقوا إلى الأردن، حيث إنها أفضل وأوسع الجبهات، فنـصف سكانها هم من أهل فلسطين الذين هجروا منها سابقاً، ومن الأردن تكون الانطلاقة الثانية إلى الضفة الغربية وما جاورها، وتفتح الحدود بالقوة لاستكمال النقص في المقومات المطلوبة، لكي يتم تحرير فلسطين كلها من النـهر إلى البحر بإذن الله.

فالطريق لتحرير الأقصى يحتاج إلى قيادات حقيقية صادقة مستقلة قوية أمينة، تكون على مستوى هذه الأحداث الجسام، ملمة بفقه الواقع وفقه الشريعة، وينشؤون هيئة مناصحة لها فروع في أقطار العالم الإسـلامي، تـسعى لنشر البيان والبلاغ، وتوعية عامة أبناء الأمة شرعياً وسياسياً، وعندها تتحرر العقول مـن الجهـل والغفلـة، والنفوس من الخضوع والخنوع للحكام الخاضعين لأعدائنا. " اهـــ

الشيخ أبو يحيى الليبي :

الوقفة الخامسة :

ها قد عرفنا حكم مظاهرة الكفار على المسلمين ومساندهم بأي نوعٍ من أنواع الإعانة، كما أننا سمعنا ورأينـا مظاهرة الحكومة المصرية لليهود ضد المسلمين المستضعفين، ومظاهرة حكومات كلّ مـن الريـاض والكويـت والأردن واليمن وغيرها للأمريكان ضدّ المسلمين في العراق، ومظاهرة حكومـة باكـستان للأمريكـان ضـد المسلمين في أفغانستان.

وتعريف الحكم الشرعي لاشكّ أنه خطوة جيدة، ولكن ما هو العمل بعدَ هذه المعرفة، وهل الواجب الـشرعيّ تجاه هؤلاء المظاهرين وهم يُعينون معاونةً علنيةً مباشرة العدو المحتل على تقتيل إخواننا واحتلال ديارنا وانتـهاك أعراضِ أخواتنا والتنكيل بأسرانا وغير ذلك من صور الإجرام السافرة، هل يكفي مجـرد دعـوهم إلى التوبـة والإقلاع عن ما هم فيه ؟ كما جاء في البيان :

" وندعو كل من وقف ضد الجهاد في سبيل الله تعالى سياسياً أو إعلامياً أو عملياً، أو منــع دخــول الإمــداد والسلاح للمجاهدين بغزة، ندعوهم جميعاً إلى إعلان التوبة إلى الله تعالى، ونخص الرئيس المصري بفتح معبر رفح عاجلا بلا شرط أو قيد، ونطالبه بترك الأنفاق الأهلية وعدم تتبعها " اهـــــ

أم أنّ هناك واجباً شرعياً محدداً وبيّناً في دين الله تعالى يجب القيام به، والسعيُ إليه، والاجتهاد في تطبيقه وإزالــة كل العوائق التي تحول دون إحيائه، إلا وهو الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله .

أو لم يتفق العلماء قاطبةً على أن الولاية لا تنعقد لكافر، وأنه لو طرأ عليه كفرٌ وجبَ خلعــه وتنــصيب إمــام للمسلمين، فمن هو المُخاطب بهذا الحكم وإلى من يتوجه التكليف به، وإذا كان هؤلاء الحكام قد تلبسوا بناقضٍ جليٍ من نواقضِ الإسلام، فما وجه ادعاء بعض الناس بقائهم أئمةً شرعيين للمسلمين تجب طاعتــهم ويُحــرم الخروج عليهم .

وإذا كنّا عاجزين حقاً عن منابذتهم ومُقاتلتهم، فهل نكونُ معذورين عند تفريطنا في الإعداد لتحصيل الأســباب التي نرفعُ بها ذلك العجز، أو على الأقل دعمُ ومساندةُ وتأييدُ المجاهدين الذين يسعون سعياً جاداً لإحياء عبــادة الجهاد وتحمل أعبائها، قال الله تعالى : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنْ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ }.

الوقفة السادسة :

كما يُقال، فإنّ من أصعب المعضلات توضيحَ الواضحات، ومن هذا المنطلق وعلى هذا الأساس فلا أحسب أننا بحاجة إلى إثبات أن دويلة إسرائيل هي جزءٌ لا يتجزأ من أمريكا، ومُكوِّنةٌ من مكوناتها بل ولايةٌ مــن ولاياتهــا، فقد تولّى رؤساء أمريكا المتعاقبون إيضاحَ ذلك في تصريحاتهم ولقاءاتهم ومذكراتهم، وما من رئيسٍ يدخلُ بيتــهم الأبيض إلا وتعهد تعهداً مقطوعاً به على الاستمرار في دعم إسرائيل دعماً تاماً، والمحافظة على أمنــها محافظــة دائمة، فأمريكا هي إسرائيل، وإسرائيل هي أمريكا، ومحاولة التفريق بينهما في اشتراكهما في الجريمة والعقاب هو ضربٌ من العبث .

الرئيس الأمريكي أوباما :

تحالفنا أساسه المصالح المشتركة والقيم المشتركة، والذين يهددون إسرائيل يهددوننا، وقد واجهت إسرائيل هذه التهديدات على الخطوط الأمامية، وسوف أحضر إلى البيت الأبيض التزاماً لا يتزحزح بحماية أمن إسرائيل .

الشيخ أبو يحيى الليبي:

ولتوضيح المسألة أكثر أقول إن النبي صلى الله عليه وسلم قد صالح قريشاً على وضع الحرب عشر سنين، وكان في بنود هذا الصلح أنه من شاء أن يدخل في عقدِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم وعهدهِ دخل، ومن شاءَ أن يدخل

في عقد قريش وعهدهم دخلَ، فدخلت خزاعةُ في عقدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، ودخلت بنو بكرٍ في عقدِ قريش، ثمَّ إن بني بكر الذين كانوا قد دخلوا في عقدِ قريشٍ وعهدهم وثبوا على خزاعة الذين كانوا قد دخلوا في عهدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وعقدهِ .

فقالت قريش ما يعلم بنا محمد، وهذا الليل وما يرانا أحد، فأعانوهم عليهم بالسلاحِ والخيل، فقاتلوهم معهم للضغن على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فلمّا بلغَ الخبرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم جهزَ لهم جيشهُ وسأل الله أن يُعمّي على قريش خبره حتى يبغتهم في بلادهم.

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بينه وبين قريش عهدٌ موثق عدّ هذا الفعل منهم نقضاً ونكثاً له، وبمجرد إمدادهم لبني بكرٍ بالسلاح سراً، ولم يكن ذلك من رؤسائهم وزعمائهم ومع ذلك أجازَ أن يُداهمهم في عقرِ دارهم من غيرِ سابق إنذار، فكيف بحالِ أمريكا المجرمة التي ليس بينها وبين المسلمين أي عهدٍ أو عقد، وهي تُجاهر بدعمها لدويلة اليهود وتفتخر بذلك وتعدّه في مقدمة أعمالها وعلى رأس مهامها، مع أن مساندتها لهم ليس مُقتصراً على بضع قطع من السلاح بل هي مساندةٌ مطلقة ومعاونةٌ مفتوحة عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، فما الذي يعفيها إذاً من أن تدفع ضريبة هذا الدعم تماماً كإسرائيل، وما الذي يمنع من قصدها في عقر دارها وفي كلّ مكان لتفجيرِ منشآتها العسكرية والسياسية والاقتصادية والمالية .

وما الذي يجعل اليهود المحتلين لفلسطين حربيين والأمريكان المساندين لهم ليسوا كذلك، أو لم يقل العلماء إن الردءَ والمباشرَ في الحكم سواء، فكيف إذا كان ردءا مباشراً في نفس الوقت، فلماذا نحاولُ التفريق بينها وبين إسرائيل مع أنهم هم بأنفسهم يُصرّحون ويصرّون على أنهم شيءٌ واحد.

ولذا ، فينبغي على العلماءِ الأجلاء أن يبينوا هذه الحقيقة بياناً وافياً ليعلم المسلمون كلهم أن كلّ جريمةٍ تقع في فلسطين على أيدي اليهود فإن الأمريكان شركاء فيها مشاركةً كليّة، وعليه فكلّ قتالٍ نستبيحهُ ضدّ اليهود فإننا نستبيحهُ أيضا ضدّ الأمريكان وفي أيّ مكان و بنفسِ الصورة، وهذا كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " والطائفة إذا انتصر بعضها ببعض حتى صاروا ممتنعين فهم مشتركون في الثوابِ والعقاب" فلماذا نُضيّق على أنفسنا في أمرٍ وسّعهُ الشرع علينا، فكيف وقد داهمَ الأمريكانُ بلدان المسلمين بجيوشهم وقواتهم وتغلّبوا على ديارهم وارتكبوا ويرتكبون نفسَ ما يرتكبه اليهود ضدّ أهلنا في فلسطين، من سفكٍ للدماء وتدميرٍ للبيوت وأسرٍ للرجال والنساءِ والولدان، بل هؤلاء أولى بالمحاربة والمقاتلة فلئن كان اليهود قد حصروا حربهم في داخل فلسطين، فإن هؤلاء المجرمين قد شاركوهم في جريمتهم هذه وزادوا عليها بأن جعلوا الأرضَ كلها ساحةً مفتوحةً لهم، فيقتلون من شاؤوا وأينما شاؤوا ويعتقلون من أرادوا ومن حيثما أرادوا، فلا معنى إذا أن نُقَوقعَ أنفسنا في القتال ضدّ اليهود داخل فلسطين ونذرَ هؤلاء المجرمين القتلة آمنينَ مطمئنين، وهم يعيثون في الأرض فساداً، فما ذلك إلا ضربٌ من العجزِ الذي لا يليق بالمؤمنين.

وما قلناه عن أمريكا فإنه ينطبقُ تماماً على دولِ الاتحاد الأوربي وعلى رأسها بريطانيا صاحبةُ الوعدُ المشؤوم وفرنسا عدوة الحجاب .

وأخيـــــــراً،

نسأل الله أن يُبارك في علمائنا الفضلاء، الذين وقفوا هذا الموقف المشرّف، وأن يزيدهم من فضله، فمـــا هـــذه الوقفات إلا استفادةٌ من علمهم، ووضعا لأيدينا في أيديهم، وانتصاراً للحق الذين دعوا إليـــه وصـــدعوا بـــه، فنسأل الله أن يرينا وإياهم الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، ويثبتنا على الحق حتى نلقاه وهو راضٍ عنا، إنه سميع قريب .

وآخر دعـــوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أطفال الإيدز في ليبيا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على نبيه المصطفى وآله وصحبه وبعد:

فضمن قائمة الجرائم المتسلسلة التي يقدمها الغرب الصليبي من حين إلى حين كهدية حـــضارية تتناســـب مـــع ديمقراطيته وشعاراته وقيمه! رجعت القضية القديمة الحديثة إلى الواجهة لتكون خنجراً جديداً مسموماً ممكنـــاً في جسم أمتنا الإسلامية الممزق، فالكل سمع بتلك الجريمة النكراء التي لم نجد في قاموس الأوصاف والأعـــراف مـــا تستحقه ويليق بها وذلك لفرط بشاعتها وخستها ودناءتها، الجريمة البشعة التي قامت بها خمس ممرضات بلغاريات مع طبيبٍ فلسطيني فحقنوا ما يزيد على أربعمئة طفل ليبي بمرض الإيدز في إحدى مستشفيات بن غازي، حقنٌ تحمل البغضاء الكامنة والأحقاد الدفينة والإجرام المتأصل، تلك الجريمة التي تدل على انسلاخٍ تامٍ من كل القيم البشرية وتنم عن قلوبٍ تجسد فيها الحقد في أبشع صوره، وظهرت الكراهية في أقبح حالاتها والتي أصبح فيهـــا القتل يمارس فيها بأنذل الطرق لتكون هذه الحادثة عنواناً بارزاً يعرفنا بقيم الغرب وحضارة الغـــرب وحقيقـــة الغرب أيضاً!!

جريمةٌ لم ترتكبها جيوشهم التي ألفت الإجرام وعودتنا بأبشع الصور منـــه، إنمـــا ارتكبـــها مـــن قطـــع آلاف الكيلومترات لتمريض الناس وتطبيبهم وعلاجهم –هكذا زعموا!– فإذا بالممرضات ينقلبن سفاحات وقـــاتلات بدمٍ بارد ونفوسٍ شريرة وقلوب حاقدة (كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّـــا وَلَـــا ذِمَّـــةً يُرْضُـــونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ).

جريمةٌ لم تكن أسلحة التدمير فيها الـــ (B 52) و الـــ (F 16) ولم تلقَ فيها قذائف السبعة طن المدمرة أو توجه فيها الصواريخ الذكية والتي يؤدي ذكاؤها دائماً لقتل المئات من النساء والأطفال والشيوخ ليُقال لنا بعد كل مذبحة ومجزرة أن الحرب لا يمكن أن تخلو من الأخطاء! إنما كان السلاح القاتِل الفاتك في هذه الجريمة حقن كان من المفترض أن تحمل الدواء وتضم العلاج فإذا بها تدفع في أجسام الأطفال البريئين السم القاتل وتجرعهم الآلام الدائمة وتسقيهم الموت البطيء.

جريمة لم تكن ساحاتها جبال تورا بورا ولا شوارع وبيوت الفلوجة وتلعفر لتشن على أهلها حرباً تأكل الشجر والحجر وتُذيب الصخر والبشر تحت دعوى وجود إرهابيين في المنطقة وهي دعوى كافية عند الغرب المتحضر لاستحلال إبادة القرى بسكانها وإنما كانت ساحة الإجرام مستشفى يقصده الناس طلباً للعلاج وبحثاً عن الدواء وفِراراً من الأمراض فإذا بالمستشفى يصبح مجزرة يخرج منه الصحيح مريضاً والمريض ميتاً! جريمة لم تُشن على أُناس والسلاح بأيديهم وهم يدافعون عن أنفسهم ليقول لنا إعلام الكذب والنفاق والتزوير إن المقتولين ممن يُشتبه بأنهم متطرفون يخططون لشن عمليات إرهابية كما يسمونها، إنما شُنّت هذه الحرب –وأسميها حرباً وبأقبح صورها– على أطفالٍ يحملون البراءة والصفاء في قلوبهم ونفوسهم هذه هي صورة الجريمة مختصرة وإن كانت الكلمات لتعجز حقاً عن التعبير في وصفها، فهل رأى العالم حِقداً أشد من حقدهم وهل سمعتم بفعلة هي أبشع وأفظع من فعلتهم وهل مر على أحد همجية بلغت مستوى همجيتهم، وهل خطر ببال أحد أن يبلغ الإجرام إلى هذا المبلغ المنحط.

إن من يعرف حقيقة هؤلاء الكفرة الحاقدين ولم ينخدع بزخارف القول وبهرجة الشعارات وأكاذيب الدعايات لن يُفاجأ بمثل هذا لأن القرآن لخص لنا هذه القائمة الطويلة من الجرائم المتتابعة في آية واحدة كشف بها حقيقتهم وأظهر مكنونات نفوسهم ودقق الوصف لأعمالهم (إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ) لقد عودنا الغرب الصليبي الكافر بالتبجح المستمر بأنهم أفضل المجتمعات وأرقى الحضارات وأكثرهم حفاظاً على حقوق الإنسان –بل الحيوان!– وإن العالم لن يخرج من أزماته إلا بقفو آثارهم في الديمقراطية والتحضر والتقدم حذو القذة بالقذة، فماذا كان موقف حضارتهم ونِتاج ديمقراطيتهم إزاء هذه الجريمة البشعة ؟

هل سمعتم طاغية واحداً من طغاتهم أو مؤسسة حقوقية واحدة من مؤسساتهم أو منظمة خيرية واحدة من منظماتهم أو هيئة مستقلة واحدة من هيئاتهم هل سمعتموها لا أقول نددت أو استنكرت أو شجبت بل تحدثت ولو من طرف خفي عن هؤلاء الأطفال الضحايا وذكرت شيئاً من معاناتهم ومعاناة أهليهم أو ذرفت عليهم دموع الرأفة والرحمة والتعاطف؟! فبدلاً من ذلك كله راحوا وبغير حياءٍ ولا وجل يظهرون تعاطفهم وتعاضدهم للذئاب القاتلة وهي تنهش الضحية بأسنانها وتمزقها بمخالبها غير عابئين بجراحات الضحايا النازفة ولا لصرخاتهم المتعالية ولا لمعاناتهم المتتالية فوجهوا كل جهودهم لإبداء التعاطف والرحمة لتلك الذئاب لا لشيء إلا لأنهم ذئاب مثلها، (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) فمال أمريكا وقضية خمس ممرضات بلغاريات مغمورات حتى يتعهد رئيسهم المغرور بالسعي لإطلاق سراحهن؟! هكذا لإطلاق سراحهن لا لتقديمهن لقضائهم العادل المزعوم

فلن يقبلوا إلا بإطلاق سراحهن و لتكن جريمتهن ما كانت، ليذهب أكثر من أربعمئة طفل إلى الجحيم ولتمت عائلاتهم وذووهم بغيظهم! ومالبريطانيا العجوز وهؤلاء المجرمات حتى يعبر كلبهم عن بالغ أساه وحزنه للأحكام الصادرة بحقهن وتعهده ببذل ما يستطيع لإطلاق سراحهن؟ إنها العقيدة النصرانية التي تشد بعضهم لبعض وهو تعبيرٌ مجسد لدوافع العداء والبغضاء للإسلام والمسلمين، فلم يساعدهم نفاقهم ودجلهم وتمويههم لأن يتخذوا موقفاً سوى هذا الموقف الذي عروا وعرّفوا به أنفسهم لمن لم يكن يعرفهم وليست قضية هؤلاء الأطفال – أطفال الإيدز– هي أول قضية يتعامل فيها الغرب بهذه الازدواجية بل إن سياسة الكيل بمكيالين خاصة حينما يكون الضحية أحد المسلمين صار هو السمة البارزة لسياساتهم ومواقفهم وقراراتهم، فتلك فلسطين وما أدراك ما فلسطين والتي تُحصد فيها أرواح العشرات من النساء والأطفال والرجال العزّل على أيدي اليهود المجرمين ورغم ذلك كله فما زاد الغرب الصليبي أهل فلسطين إلا حِصاراً قاتلاً وتأييداً مستميتاً للصهاينة السفاحين فحينما يُقتل جندي واحد من دولة بني صهيون ولا يلبث الخبر أن يلبث مسامعهم حتى يبادروا بالاستنكار والتنديد والشجب وتقديم العزاء لأسرة الضحية! نعم ضحية في قاموسهم، أما إذا جُرِفت الأراضي بما فيها ودُكّت البيوت بساكنيها ونُسِفت المساجد بمُصليها وصُهِرت السيارات براكِبيها وتناثرت أشلاء الأطفال في الشوارع وتعالت صرخات الضعفاء من النساء والولدان فكل ذلك لا يحرك للغرب الصليبي الكافر ضميراً ولا يُعد في قاموسهم جريمة تستحق الاستنكار أو التمعر، لماذا ؟ لأن المقتولين هم من المسلمين وما داموا كذلك فلن يكونوا ضحايا يستحقون التعاطف أو الرحمة أو النداءات المتوالية لإيقاف سيل التقتيل الجارف! وقُل مثل ذلك في العراق وأفغانستان والشيشان والصومال وغيرها من بلاد المسلمين. فهذا هو الغرب وهذه هي قيمه التي يريد أن يقدمها لنا وتلك هي ديمقراطيتهم التي يسعون لنشرها بيننا فبعداً لهم ولحضارتهم وقيمهم وعدالتهم .

و إنّ هذه الجريمة لتُعد نموذجاً حياً لتهاون أنظمة العمالة والخيانة بحياة شعوبها المغلوبة المقهورة واستهانتها بكرامتها وإلا فكيف استطاع هؤلاء الجزارون ارتكاب هذه الجريمة في حق هذا العدد الكبير من الأطفال الأبرياء من غير أن يكون لنظام طاغية ليبيا القذافي علمٌ أو شعور بل دور وتواطؤ في هذه الجريمة ؟ أين كان النظام كل هذه المدة التي يُجرع فيها الأطفال فيروس القتل والإجرام ليظهر بعد ذلك ويتظاهر بحرصه على العدالة وبحثه عن الحقيقة ومتابعته للمجرمين وهو رأس الإجرام والفساد، فأين مؤسسات هذا النظام المتهالك وأين رقابته طوال هذه المدة وكيف تمت هذه الجريمة النكراء في سرية تامة وكِتمان مُطبق دون أدنى شعور من أجهزته الأمنية واستخباراته المتهاوية التي تُحصي على الناس أنفاسهم وتُلاحقهم في صغير أمورهم وكبيرها أم أنها كانت منشغلة بملاحقة ومطاردة المسلمين الصادقين تملقاً للغرب وإرضاء لسادتهم كما سيرضونهم في إغلاق ملف هذه الجريمة النكراء ولتعلمون نبأه بعد حين.

ولهذا فإننا نقول: آن الأوان لكم أيها المسلمون أن تعرفوا هؤلاء الكفرة الحاقدين على حقيقتهم، فهم قتلة سفاحون مجرمون مُفسدون يسعون في الأرض فساداً ولا تخدعنّكم شعاراتهم البراقة ولا كلماتهم المزيفة فوالله لا قيمة ولا وزن عندهم لدمائكم ولا لأرواحكم ولا لأبنائكم ولن تجدوا لأنفسكم عزاً ترتقون به ولا منعة تتحصنون بها إلا بدينكم الحنيف الذي يقوم على البراءة من هؤلاء وأذنابهم وإعلان العداوة الصريحة لهم ولن ينكف شرهم ويوقف إفسادهم إلا بقتالٍ لا هوادة فيه وجهادٍ لا يتوقف طرفة عين حتى لا تكون فتنة ويكون

الدين كله لله، ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

والحمد لله أولاً وأخيراً .

توحيد آل سعود... وتوحيد الحق

﷽ بسم الله الرحمن الرحيم ﷽

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً وبعد :

فبفضل الله عز وجل ، فإن المجاهدين في جزيرة العرب – سددهم الله – وهم أهل السابقة وحسن الأثر ليسوا في حاجة لمثلي كي يبين لهم حكما ، أو يدفع عنهم شبهة، أو يزيل لبسا ، أو يكشف تلبيساً ، فما زالت أقلامهم منذ قيامهم في وجه طغاة آل سعود يتدفق حبرها بكلمات حية مفعمة بروح الإيمان، ومُشعة بنور العلم ، ومُحكَمَةٍ بلجام الإنصاف والعدل ، وقائمةٍ على أساس التوحيد والفهم.

فمذكرات ورسائل وكتب الشيخ المجاهد يوسف العييرى – رحمه الله – صاحبت المسيرة الجهادية هناك خطوة خطوة ، وكلمات الشيخ عبد الله الرشود رحمه الله لم ينقطع أثرها ولا تأثيرها في قلوب الشباب تبعث فيهم الهمم ، وتقوي العزم ، وتحيي الأمل ، وتبدد اليأس والقنوط ، وغيرهم من علماء الجهاد وطلبة العلم كثير ممن أثروا المكتبة الجهادية ببحوث ، وتحقيقات ، وفتاوى ، وردود ، ضبطت المسيرة ، وبينت حدودها ، ورسخت مفاهيمها ، وألجمت الطاعنين في صدقها ، ودحضت افتراءات أعدائها ، ووقفوا مجاهرين بالحق مستخفين من بطش الباطل ينادون المناظرةَ المناظرةَ ، فالحجة تقارعها الحجة ، والبرهان يواجهه البرهان ، والبحث يقابله البحث لا رجال (المباحث) ، فما كانت حجة الباطل المفلس المتهاوي إلا قفو أثر قائدهم ومعلمهم : {قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ}الشعراء٢٩.

واليوم وقد أعاد طغاة آل سعود الكرَّة ، وقبل انعقاد مؤتمر (العهد الدولي) لمناصرة العراق أرادوا أن يقدموا عربوناً يعبر عن جدية توجههم في محاربة ما يسمونه (الإرهاب) ، وأنهم لا يزالون على العهد لم يغيروا ولم يبدلوا ، فشنوا حملتهم العارمة على المجاهدين في جزيرة العرب واستنهضوا لتعزيز هذه الحملة أجهزة إعلامهم تنفخ وتنفخ حتى خُيِّل للمستمع أن هؤلاء المعتقَلين العزل هم جحافل (جنكيز خان) التي ستلتهم القاصي والداني وتأتي على البشر والشجر.

ثم إن عهدنا بحكومة آل سعود هو التكتيم الإعلامي المطبق ، وطمر كل خبر يمكن أن يُفهم منه – ولو تحليلاً– أن هناك معارضة داخلية تؤرق نظام حكمهم ، فما بالهم اليوم – والأوضاع في المنطقة ملتهبة – قد خرجوا عن

(حكمتهم) وطقوسهم فراحوا يتبجحون بحملتهم ويضخمونها ويشهرونها حتى أعلن قبلةُ حكمهم (البيت الأبيض) عن ثنائه عليهم ، ومَسَحَ أكتافهم تعبيراً عن رضاه وامتنانه بأفعالهم.

ورغم ذلك فلم يقف طغاة آل سعود عند هذا الحد ، ولم يكتفوا بهذا السند ، بل يمموا وجهة أخرى يرون فيها قوام مُلكهم ، وتقوية ظهرهم ، وهي استصدار فتاوى مؤيدة لما يرتكبون ومُناصرة لهم في أفعالهم التي يقترفون ، فيزداد النائم بها نوماً ، والحائر حيرة ، والمجرمُ جرأةً ، والمجاهد المكبوت كبتاً وغيظاً ، والطاغية المتجبر تمادياً وطغياناً ، فكان مما وقع بين يدي – أخيراً– فتوى صادرة عن مفتي مملكتهم بمناسبة الحملة التي شنتها أجهزتهم الأمنية على شباب الجهاد في الجزيرة واعتقلت العشرات منهم حسب وسائل إعلامهم ، فلما رأيت ما في هذه الفتوى من المغالطات ، والمجازفات ، ووضع الأمور في غير موضعها ، وإنزال الآيات والأحاديث على غير مستحقيها عنَّ لي أن ألقي هذه الكلمات وذلك كما جاء في الفتوى المذكورة : [إبراء للذمة ، وخروجا من العهدة ، وبيانا للحق ، ونصيحة لله وكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم] سائلاً المولى عز وجل أن ينفع بها قائلها ، ومستمعها ، وناشرها إنه سميع عليم.

أولاً : ظاهرٌ جداً من خلال العبارات المتكررة في الفتوى ، أن الاعتماد الكامل في توصيف حالة (المجموعة) التي صدرت في حقها هذه الفتوى كان على بيان وزارة الداخلية حيث قال المفتي في مطلع ما كتب : [هذا وإن البيان الصادر يوم الجمعة ١٠ / ٤ / ١٤٢٨هـ عن وزارة الداخلية ..ألخ] ، كما أنه أعاد عبارة : [مما ظهر في البيان] ثلاث أو أربع مرات ، وكفى تهالكاً وتهافتاً لفتوى مستندها في (تحقيق مناطها) على بيان ملفقٍ صادر عن وزارة الداخلية التي يتزعمها إمام أئمة الكفر (عميد وزراء الداخلية العرب) نايف بن عبد العزيز ، والذي سخر رجال وزارته لإحصاء أنفاس الناس ، وتتبع سكناتهم ، وانتهاك محارم بيوتهم ، والتنكيل بأصحاب الإيمان الصادق ، والتوحيد الخالص الذين أبوا أن يكون توحيدهم مسخاً يتقنون الكلام عليه وتنساب ألسنتهم بشرحه إنسياب الماء من أفواه القِرَب حتى إذا التفتوا إلى واقع دولتهم وعاينوا عظائم أفعالها التي تأتي على التوحيد من أصله أغمضوا أعينهم وجعلوا أصابعهم في آذانهم فقالوا لم نرَ ولم نسمع ، وأقسموا بالله جهد أيمانهم إنها لدولة التوحيد ، وحامية حمى الشرع.

فوزارة الداخلية التي يعتمد المفتي على أباطيلها هي التي تقف قولا وعملاً بعلانية ومفاخرة جنباً إلى جنب في مناصرة الدول العربية في محاربتها للمسلمين ، فمؤتمرات (وزراء الداخلية العرب) لم تزل تنعقد حيناً بعد حين لتعزيز المعاهدات وتقوية الروابط في مكافحة ما يسمونه الإرهاب ، وما هو في قاموسهم إلا (الإسلام) وإن أبى كثير من الناس أن يفهموا هذا أو يعقلوه !: {وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً}المائدة٤١

ووزارة الداخلية التي يستند المفتي إلى أضاليلها هي التي تُطلق وحوشها لتُنشب أظفارها في الأجساد الطاهرة لتمزقها بحقد دفين وتشف مستعرٍ في ظلمات السجون ، وألسنة هؤلاء المؤمنين تَلهج بذكر الله ، وتعظيمه ، والاستغاثة به ، والشكوى إليه ، وألسنة أولئك الجلادين الجفاة تصرخ بسب الرب ، والاستهزاء بالدين ، والسخرية بالمؤمنين ، وتقيء بكلمات القبح ، وعبارات الخلاعة ، والفاظ السفالة ، فهذه الحقيقة صارت

مقطوعاً بها ، متواترة في نقلها ، مهما كذَّبتم ، أو أعرضتم ، أو رددتم ، وليس هذا الأمر بجديد كما يظن البعض ، وإنما شاع أمره وذاع وظهر أخيراً بعدما اتسعت رقعة المعركة ، وصار الناس في فسطاطين متميزين فرفع كل فريق راية ما يعبد : {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ}البقرة١٦٥ .

يقول الشيخ أبو الليث حفظه الله وهو يحكي لحظات اعتقاله الأولى في سجون (وزارة داخلية آل سعود) : [ابتداء باشروا بالتعذيب مباشرة بدون أسئلة ومقدمات، وعندما عرفوا هويتي الاسلامية ارادوا ان يسقطوا الوازع الديني الذي قد أظنه فيهم ، فصار اللواء الذي كان يباشر تعذيبي واسمه "أمين زقزوق" وهو مصري الأصل ويعتبر المدير العام للسجن ، فبدأ الكلام معي بسب الدين ، فعرفتُ ان المسألة استفزازية فأظهرتُ عدم الاكترات ، ثم اتبع ذلك بسب الجلالة ، فأظهرتُ عدم المبالاة ، ثم واصل ذلك بأن سب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعندما وجد مني اللامبالاة قال لي بالحرف الواحد: (لو كان ابن باز والعثيمين – وسمى عدة مشايخ – لو كانوا هنا لفعلت فيهم)، وذكر ذلك بدون كناية باللفظة السوقية قاصداً الفاحشة ، وبعد ذلك بدأ التعذيب معنا.](في لقاء مع مجلة الفجر).

ولئن شئنا لسطرنا لكم من هذه القصص والأهوال والفظائع صفحات وصفحات ، لا بالاختلاق والتقوّل وإنما بصدق القول وثقة السند وتفاصيل الحوادث ، فإن أبيتم إلا الإصرار والعناد فما حالكم إلا نظير ما قال الله عز وجل : {وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً}الأعراف١٤٦

وحينما كانت السياط تمزق أجساد شباب الإسلام في ظلمات سجون (وزارة الداخلية) ، وأفواه الجلادين تقذف بالكفر المبين والسُباب المهين ، كانت آية الحرابة –كما هي اليوم– تُتلى وتبث وتنشر في وسائل إعلام حكومة آل سعود لتكون سيفاً مصلتاً مسلولاً تضرب به أعناق الذاكرين الخاشعين ، وممن؟! من إنسان كان يرتجى منهم الصدع بالحق ، والأخذ على أيدي الظالمين المجرمين ، وإنقاذ المستضعفين المعذبين الذين لا يملكون إلا : {رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}التحريم١١

ووزارة الداخلية التي يثق المفتي في أكاذيبها ويصدق أراجيفها هي التي استنفرت كلابها وقامت على قدم وساق يوم أن غضبت أمريكا غضبتها ، وهاجت هيجتها ، ونطق مغرورها : [من لم يكن معنا فهو ضدنا] ، فآلت على نفسها أن تكون لها نعم النصير ، وحجتها لكم وأمامكم : {نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ} ، ولتستيقنوا : {أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ}المائدة٥٣.

فأدت ما طُلب منها وزيادة ، فاعتقلت من اعتقلت من العلماء الناطقين بالعلم الصريح الصادعين بالحق الخالص ، ولم يكن هؤلاء ممن : [استعد بالسلاح ، ولا كفر المسلمين أو استحل دماءهم ، ولا خرج على إمامهم ، ولا خطط لاغتيال شخصيات عامة ، ولا تواطئوا مع جهات خارجية ضد البلد!!كما هي التهم الملفقة لضرب الرقاب في كل حين].

فما بال سجون (وزارة الداخلية) تضيق عليهم ، وتكتظ بهم : {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ }البروج٨ ، {وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ } الأعراف١٢٦

كما قامت هذه الوزارة بتسليم عدد من المجاهدين إلى الأمريكان وهم يشيعوهم – عند التسليم – بالسب ، والشتم ، والهمز ، واللمز ، والتفاخر بذلك والتبختر أمام أسيادهم الأمريكان ، والمسلم الأسير ، أسيف ، كسيف ، مهان ، مبتذل ، عار يجر جراً من مراكب (وزارة الداخلية) إلى طائرات عبدة الصليب وقلبه يتقطع أسى ويتفطر حسرة وهو لا يدري أي السجون ستبتلعه كما أنه لا يعرف أي السجون التي قذفته.

وفي الوقت نفسه فتحت هذه الوزارة أبواب مكاتب تحقيقاتها على مصارعها لبني الأصفر يغدون ويروحون متى شاءوا ، ويسائلون من أرادوا أينما أحبوا وكيفما رغبوا ، ووالله كثيراً ما كان محققوا :[السي آي أى ، وال : أف بي آي] أرأف على المجاهدين وألين من جفاة وزارة الداخلية التي ليس لها همٌّ إلا تقديم معلومة تقر بها أعين عباد الصليب وإن كانت تعلم في قرارة نفسها أنها أكذب من وحي مسيلمة!.

فهذه هي وزارة الداخلية التي يعتمد المفتي على تفاصيل بيانها ، ويجعلها حجته فيما يسطر من الأحكام العظام ضد شباب هم أطهر وأنقى من ماء المزن.

وإن المرء ليقف حقاً في حيرة وذهول والتساؤلات تعصف بذهنه المرتبك : هل فعلا تغيب كل هذه الأمور التي صارت عند عجائز البوادي من المُسلمات عن هؤلاء؟ وقد تواترت أنباؤها وتواردت قصصها وغدا التحقق منها والوقوف عليها لتصبح عينَ اليقين أيسر ما يكون ، فلماذا هذا الإصرار على تبرءة هؤلاء المجرمين بالتنقيب عن حجج – والله – لم تخطر لهم على بال ، ولن يستطيعوا فهمها ولا فقهها فضلاً عن الاعتماد عليها ؟!، ولماذا التمادي في إغماض الأعين عن جرائمهم السافرة الظاهرة المتضافرة والتي يكاد يكون إنكارها من قبيل السفسطة في القطعيات؟! فاللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

ثانياً : افتتح المفتي فتواه بما ذكره الإمام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– في مسائل الجاهلية ، وأن من صفاتهم تفرقهم في الدين ، وهي كلمة حق في غير موطنها ، وتهويل لا تعويل عليه في الحادثة التي سيق الكلام لأجلها ، ولا ترهب إلا من تعلق بأطراف الأهداب ولم يستمسك بالعروة الوثقى ويُصبْ لُب الحقيقة ، وإلا فإني أحسب أن كثيراً ممن ابتلعتهم سجون (وزارة الداخلية) يحفظون كتب الإمام عن ظهر قلب وقد فقهوا ما فيها من العلم ، والأحكام ، والعقائد ، فبها تحركوا ، ولنصرتها قاموا ، ولمحتواها دعوا ، ولأجل تطبيقها أوذوا.

ولهذا لما عَلِم طغاة آل سعود بمدى تأثيرها وأنها ودينهم لا يلتقيان ، وأنهم كلما موهوا وزيفوا فضحتهم شر فضيحة بدأوا بمسخ المناهج الدراسية التي تستقي منها وتطويعها بما يجاري أهواءهم ويوافق مطالب أسيادهم ، وكمموا أفواه الدعاة الذين يكشفون الحقيقة من خلال هذه الكتب الحية التي طالما تمسحت حكومات آل

سعود المتعاقبة بالانتساب إليها ، ولبست على الناس بدعاوى الاعتناء بها وطباعتها ، وما دروا أنهم كمن قال الله فيهم : {يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ } الحشر٢ .

فوجدوا أنفسهم أخيراً على مفرق طريق معها فلم يستطيعوا ليّها لتساير هواهم ولم يطيقوا متابعتها ولو زعماً وادعاءً ، فاختاروا أن يكونوا أعداء لها ، ونبذها وراءهم ظهريا ، وهكذا الحق الذي دوّنه أصحابه بالصدق والإخلاص والتجرد لا يمكن أن ينتفع به الباطل في نصرة باطله ، ولو فعل لانفضح ولو بعد حين : {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً } الفرقان٣٣

فوجهة الكلام الصحيحة هي هل ما يقوم به هؤلاء هو من التفرق في الدين الذي قصده الإمام محمد بن عبد الوهاب ، أم هو اتكاء على غير مستند وإلقاء للكلام جزافاً من غير تحقيق ولا روية.

فما هو الدين الذي أبى هؤلاء أن يجمعهم مع طغاة آل سعود وأن يكونوا تحت مظلته وداخل قبته؟ ، أهو دين الإسلام أم دين الأمم المتحدة ؟، أهو دين الإذعان للشرع أم دين التحاكم إلى مجلس الأمن؟ ، أهو دين الأخوة الإيمانية الخالصة أم شريعة المجتمع الدولي ، والأسرة الدولية ، والشرعية الدولية؟ ، أهو دين وحدة العقيدة أم دين جامعة الدول العربية؟ ، أهو دين روابط الولاء للإسلام أم دين دول التعاون الخليجي؟ أهو دين البراءة من الكفرة وإعلان العداوة لهم أم هو دين الإخاء والمودة لكل طاغية جبار عنيد ملحد؟ أهو دين نصرة المستضعفين وإخراج المحتلين أم دين مبادرات الاستسلام ومعاضدة الكفرة على أهل الإسلام؟أهو دين محاربة الشرك والمشركين أم دين حماية الروافض المجرمين والذب عنهم وهم يسبون أصحاب سيد المرسلين؟

هذه أسئلة نلقيها بين يدي المفتي ، ونطالبه بإجابات صريحة ، جريئة ، وافية ، تدليلاً وتفصيلاً ، ثم ليقل لنا بعدها –بشجاعة العالم– إن كان هؤلاء ممن فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ، وليستجلب لإجاباته ما شاء مما دونه الإمام محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة –رحمهم الله– الذين لا تزال كتبهم تنطق بالحق وتقذف به لتبدد شهب الباطل والتي يود طغاة آل سعود أن لا يبقى منها ورقة تؤرقهم : {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } الحج٧٢

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب في مسائل الجاهلية أن منها : قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس ، وصدق رحمه الله تعالى ، فقد قال عز وجل : {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الِّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } آل عمران٢١

أوليس هذا هو عين ما يقوم به طغاة آل سعود ، فكم من دعاة القسط الذين قتلوا ، وأئمة الهدى الذين نُكل بهم ، والمجاهدين الذين شُردوا ، ولم يسلم منهم حتى النساء الطاهرات العفيفات في خسة ودناءة فرعونية لينتظم الجميع في سلك : {ما أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ} غافر٢٩ ، ودليلهم الذي به يستحلون دماءهم وأعراضهم : {إِنَّ هَؤُلَاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ *وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ *وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ} الشعراء٥٤–٥٦

ومن مسائل الجاهلية التي عدها الإمام رحمه الله : مودهم الكفر والكافرين ، وحال طغاة آل سعود في هذه أجلى من الشمس في كبد النهار ، وليس يصح في الأذهان شيء ..متى احتاج النهار إلى دليل ، فلم يقف جرمهم عند المودة القلبية التي سيبرّأون منها بالأيمان المغلظة واستخراجِ دقائق الحجج التي لم يحدثوا بها أنفسهم ، بل صارت موالاتهم ومناصرتهم لجميع أصناف الكفرة ومظاهرتهم لهم على المسلمين مما يتبجحون بها في مؤتمراتهم ولقاءاتهم وصحفهم ولكثرتها فقد استساغتها نفوس الكثيرين ولم يعودا يدركونها فضلا عن أن يستشعروا معرتها وبشاعتها.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في نواقض الإسلام : [الثامن : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى : { ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين}] حتى قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله : [فأما معاداة الكفار والمشركين فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك، وأكد إيجابه، وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده](سبيل النجاة٣١)

فترسيخ القواعد العسكرية الغربية في بلاد الحرمين التي تنطلق منها طائراتهم وهي تحمل أطنان المتفجرات لتُدك بها بيوت المسلمين في العراق وأفغانستان فتغدو بطانا وتعود خماصا أهو من مظاهرة الكفار على المسلمين أم لا؟

وإخلاء الموانئ والشواطيء التي ترسوا فيها السفن وهي تحمل آلاف الجنود وعشرات الطائرات ومئات الصورايخ التي تدك بلاد المسلمين حتى صيرتها يبابا خراباً قاعا صفصفا أهو من مظاهرة الكفار على المسلمين أم لا؟

وترك خزائن البنوك مشرعة مترعة يغترف منها كفرة الغرب متى شاءوا وكم شاءوا لتكون زادا ومددا لهم في حربهم التي أذهبت اقتصادهم أهو من مظاهرة الكفار على المسلمين أم لا؟

وتدفق ملايين البراميل من البترول –بيعا كان أم مجانا– لترتوي به طائراتهم ودباباتهم وبواخرهم وسياراتهم وهي تقتل ، وتنكل ، وتدمر أهو من مظاهرة الكفار على المسلمين أم لا؟

وتزويد الجنود المحتلين بأرقى أنواع الأطعمة والمشروبات ليتفكهوا بها أمام السجين الجائع الضائع ، ويتقووا بها في حربهم المفتوحة ضد الإسلام وأهله أهو من مظاهرة الكفار على المسلمين أم لا؟

فأنتم في هذا بين أمرين لا مخرج لكم منهما ، إما أن تنكروا أن تكون هذه الأمور مما تلبس به طغاة آل سعود ، فأول من سيكذبكم ويصيح في وجهكم هم أنفسهم ، وإما أن تُقروا بها –وليس لكم إلا ذلك– فعليكم أن تظهروا حكمهم وتبينوا حقيقتهم وتعلنوا البراءة منهم ومن كفرهم وذلك ما نرجوه.

الثالث : وبما ذكرناه ينتقض الاستدلال الذي ساق له المفتي عددا من الأدلة التي توجب السمع والطاعة لولاة الأمر ، وتحرم الخروج عليهم ، وتتوعد من نقض بيعته بعد صفقتها ، أو مات وليس في عنقه بيعة لأن أحد

الأحاديث التي جلبها قد أجلبت عليه وبينت أن هذا كله في غير موطنه وهو حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : [بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا ، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم ، وفي رواية وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان]متفق عليه.

والكفر البواح الصراح الذي تلبست به حكومة آل سعود هو مما جعل المجاهدين ينهضون مشمرين لخلعها طاعة لله الذي قال :{وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً} النساء١٤١

وطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : [إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان] واتباعاً للإجماع الذي حكاه غير واحد من أهل العلم على وجوب خلع الحاكم الكافر وتنصيب إمام مسلم يُسمع ويطاع له ، وتطهيراً لجزيرة العرب التي غسلها الصحابة –رضوان الله عليهم بدمائهم– ودنسها طغاة آل سعود باستجلاب جيوش الكفر والعهر والفساد من كل ملة ونحلة فأرست في تلك الأرض المباركة قواعدها ، ونشرت قواها ، وصارت ملجئاً آمناً تأوي إليه وتتحصن به بعد ارتكاب أبشع صور الدمار والفتك والتقتيل والتهجير التي تقترفها في حق المسلمين وبلدانهم وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم من آوى محدثاً فكيف بمن حف الجزارين بالحفاوة ، واستقبلهم بالتبجيل ، وآواهم لمملكته وأيدهم بنصرته ، وأنزل أنكى النكال بمن قصدهم ، وصب عليهم العذاب صباً ، إرضاء للمجرمين ، وتطييباً لقلوب السفاحين ، وإقراراً لأعين السفاكين.

فما الذي تريدونه من هؤلاء الشباب الغيورين بعد هذا ، أيكونون مخنثي العزائم ، متحجري القلوب ، ساقطي الهمة ،يلغون في أوحال الدنيا ، ويتجشأون من نعيمها ، ويتنافسون على حطامها ، وأمتهم صريعة جريحة ذبيحة تصرخ بجانبهم وتجأر إلى ربها وهي تأن وتأن وتأن ،وهم في مجالس القهقهة والعبث ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في وصف المسلمين [وهم يد على من سواهم] ، وقال صلى الله عليه وسلم : [أخرجوا المشركين من جزيرة العرب] .

فما كان لأبطال الإسلام وذوي الغيرة منهم وهم يرون جيرانهم وإخوانهم في العقيدة والدين تدك بيوتهم ، وتدمر ديارهم ، وييتم أبناؤهم ، وتنتهك أعراض نسائهم ، ويهان شبابهم وشيوخهم ، وتُستأصل شأفة الدين من أرضهم ، وتسلب خيرات بلادهم ، على أيدي عباد الصليب الذين يقيمون بأسلحتهم الفتاكة وجيوشهم القاتلة بين أظهرهم بجزيرة العرب في قواعد آمنة ساكنة محاطة بجنود طغاة آل سعود الأوغاد ، ما كان لهم أن يقفوا وقوف المحنطين لا يحركون ساكناً ولا يسكنون متحركاً ولا يقاتلون طاغية معاضداً مناصراً مسانداً لهؤلاء القتلة المجرمين ،قد فتح لهم أرضه ،وجيش لحمايتهم جيشه ، وأنفق لتقويتهم ماله ، وسخر لتأمينهم رجال أمنه الذين جعلوا أرواحهم دون أرواح إخوانهم الكفرة مكان جعلها فداء للمسلمين المنكوبين في العراق وأفغانستان وغيرها ، عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ما من امرئ يخذل امرءا مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته ، إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته ، وما

من أحد ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته ، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته]رواه أبو داود.

فهذا الحال المزري المهين هو الذي دعاهم للاستعداد بالسلاح الذي استبشعه المفتي وساير في ذلك بيان وزارة الداخلية فقال : [مما ظهر في البيان، استعداد هؤلاء بالسلاح] وما فعلوه ما هو إلا استجابة للنداء الرباني : {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ } الأنفال٦٠ ، وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال :[سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا أن القوة الرمي]رواه مسلم

ثم لفق بيان الداخلية ما تبعه عليه المفتي بقوله : [وتخطيطهم ، للخروج على المسلمين ، بذلك السلاح] وهذه –لعمر الله– فرية وجدت لها في الآونة الأخيرة رواجاً وتسويقاً في سائر الدول التي يتحكم فيها الطغاة الجلادون ، وأبدوا فيها وأعادوا ، فمَن هؤلاء المسلمون الذين يُتهم المجاهدون بالتخطيط للخروج عليهم ، فإن كانوا عوامهم فوالله ما خرج المجاهدون إلا دفاعاً عنهم ، ورفعاً للظلم والكبت والقهر المسلط عليهم ، وانتصارا للمستضعفين الذين يأنون تحت وطأة أحكام الكفر التي تحكمهم وتستعبدهم ، يحثهم في ذلك قول الله عز وجل : {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً } النساء٧٥ ، وإلا فقتل العوام من المسلمين لا يحتاج إلى تخطيط ولا تدبير فالطرقات مزدحمة والأسواق مكتظة ، ولكنها افتراءات المفلسين ، وشبهات الذين أعوزهم الحجج ، وأوغرت صدورهم الأحقاد ، فتذكر أيها المفتي أن لك يوماً تقف فيه بين يدي الله تعالى الذي قال : {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } ق١٨ ، وقال سبحانه : {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً } الإسراء٣٦ .

وأما إن كان المقصود بالمسلمين الذين يخطط للخروج عليهم هم طغاةَ الحكم وحماة الظلم وطوائفَهم الممتنعة عن كثير من شرائع الإسلام الظاهرة فنعمّا التخطيط هو ونعمّا الاستعداد هو فسعيهم في ذلك مشكور وعملهم –بإذن الله– مبرور قال شيخ الإسلام رحمه الله : [كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها بإتفاق أئمة المسلمين وإن تكلمت بالشهادتين ، فإذا أقروا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلوات الخمس وجب قتالهم حتى يصلوا ، وإن امتنعوا عن الزكاة وجب قتالهم حتى يؤدوا الزكاة ، وكذلك إن امتنعوا عن صيام شهر رمضان ، أو حج البيت العتيق ، وكذلك إن امتنعوا عن تحريم الفواحش ، أو الزنا ، أو الميسر ، أو الخمر ، أو غير ذلك من محرمات الشريعة ، وكذلك ان إمتنعوا عن الحكم فى الدماء ، والأموال ، والأعراض ، والأبضاع ، ونحوها بحكم الكتاب والسنة...ألخ](مجموع الفتاوى٢٨/٥١٠) ،

ويا عجباً أن توصف حكومة آل سعود بأنها [ولاية عادلة] ، ولكن ينقضي العجب إذا تلى المرء قول الله عز وجل : {وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ } النور٤٠

وأنا لم أرد هنا الخوض في الأبواب المكفرة التي مرق منها طغاة آل سعود عن الإسلام ، فجهود العلماء المخلصين المتجردين الصادعين بالحق قد أتت على ذلك وأبانوها ناقضا ناقضا في مواضع شتى ومناسبات متعددة ، ولكن فقط أردت أن أوقفهم على المحكم الجلي الذي يدركه العامي قبل العالم بل يعرفه الكافر قبل المسلم بل يتبجح به طغاة آل سعود أنفسهم في كل محفل ، وهو قضية المناصرة والمظاهرة والإعانة التي أشرت إليها آنفا ، والتي نطالب كل من ينافح عن هذه الحكومة المرتدة أن ينقضها بأي وسيلة طاوعته سواء بالأدلة الشرعية الصريحة القاطعة –وهيهات– أم بِلَيِّ أعناق النصوص بل حتى كسرها ، فإن عجزوا عن ذلك –وهم لا ريب عاجزون– فليخلعوا ربقة الوهن وعباءة الخور ولينطقوا بالحق أو ليصمتوا عن نصرة الباطل فإن له من يفضحه ويزيله ويرغم أنفه من فرسان الإسلام والأئمة الأعلام : {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً} الأحزاب٣٩

فاللهم عليك بطغاة آل سعود ، اللهم احصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا ، اللهم سلط عليهم جندك وعبادك المؤمنين ، واجعلهم آية للمعتبرين ، وانصر عبادك المجاهدين واحفظهم في أنفسهم وأهليهم ، ودافع عنهم يا من يدافع عن المؤمنين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تأملات في سورة الحجرات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مجموعة دروس صوتية قيمة، ألقاها الشيخ المجاهد / أبو يحيى الليبي حفظه الله، وهي ضمن دروس أقيمت في إحدى الدورات الشرعية عام ١٤٢٧هـ

مع التنبيه إلى أن مجموع الدروس المنشورة سبعة ، الأول منها لم يتم نشره .

*****

الدرس الثاني

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وعلى من اهتدى بهديه وسار على سنته إلى يوم الدين ،

ثم أما بعد :

وكنا بالأمس قد وقفنا عند قول الله عزو جل : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} وقلنا أن في هذه الآية إرشاداً إلى خلق عظيم يجب على المسلم أن يتأدب به ، وهو التثبت في سماع الأخبار ونقلها، وإن التهاون في هذا الامر وتلقف الأخبار من كل جهة وإشاعتها من غير تثبت ولا تحرٍّ ولا تبين يؤدي بلا شك إلى وقوع الإثم –أو وقوع المسلم في الإثم– وظلمه لغيره من المسلمين {أن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} وكما ذكرنا بالأمس النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع " ، وقلنا أن هذا الأدب نحن المجاهدون في حاجة ملحة وعظيمة إليه ، لأن خطأ المجاهد في نقل الأخبار وإشاعتها وبثها ليس كخطأ غيره ، قد يترتب على ذلك سفك دماء ونهب أموال وغير ذلك ، فحري بنا ونحن في هذه النعمة العظيمة التي منّ الله سبحانه و تعالى بها علينا وهي نعمة الجهاد ونعمة الاجتماع على هذه الطاعة ، وأننا دائماً بفضل الله عز وجل في مجتمع إسلامي ، هذه من النعم التي يندر أن يتحصل عليها المسلم ، يعني إذا لاحظت حياتك أو وقتك تجد جل وقتك تعيش بين إخوانك أو بما نسميه بالمصطلح المعاصر : من الملتزمين ، قل ما تحتك بمن ؟ بالفسقة والفجار وبالعوام وبغيرهم ،

فوقتك كله في مجتمع محافظ ، مجتمع إسلامي ، مجتمع يسعى لإقامة دين الله عزو جل، فنحن أولى النـاس بـأن نتمسك بهذه الآداب فيما بيننا .

ثم قال الله عزو جل بعد ذلك : {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّـهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِـدُونَ} مـنّ الله سبحانه وتعالى أو ذكر بعض منه على الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وقال اعلموا أيهـا الـصحابة أو أيهـا المؤمنون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيم بين أظهركم فعليكم أن تتأدبوا معه وأن تعظمـوه وتبجلـوه وتوقروه كما ذكر في الآيات التي في مطلع هذه السورة {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُـمُ الرَّاشِدُونَ} هذه الآية قد جعلت الإنسان في مفرق طرق إما إلى العنت والمشقة والحرج والضيق وإما إلى الفلاح والنجاح والسعة باتباعه لامر النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِـي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ} يعني إما أن تطيعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسعدوا وتفلحوا ، وإما أن تحـاولوا أن تأخذوا أو أن تجذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طرفكم من أجل أن يطيعكم فيما تريدونه ، فيعـد ذلك ستقعون في الحرج والضيق والعنت {لَعَنِتُّمْ} يعني لأصابتكم المشقة ، وهذا يبين لنا أن حرص النبي صـلى الله عله وسلم علينا أشد من حرصنا على أنفسنا، وأن نظره لمصلحتنا أعظم من نظرنا لمصلحتنا ، كما قـال الله عزوجل : {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ} .

إذن الإنسان بين أمرين : طريق سعادةٍ وهي في اتباع سبيل النبي صلى الله عليه وسلم، وأن لا يقدم رأيه علـى رأي النبي صلى الله عليه وسلم، وأن لا يظن المصلحة فيما يذهب إليه عقله مما هو مخالف لشرع الله عزوجـل، لأنك لو حاولتَ أن تُطوع الشرع أو أن تطوع أحكام الشريعة لما تحبه أنت وتهواه أو لما يراه عقلك أو لما يوافق عاداتك فاعلم أنك تسلك سبيل العنت والمشقّة والضيق والحرج.

هذا هو الذي تدل عليه هذه الآية فالإنسان المسلم هو متبعٌ، المسلم يقف أثر النبي صـلى الله عليـه وسـلم والإئتساء به صلى الله عليه وسلم هو سبيل الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُـولِ اللَّـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} أنت ماذا تريد سوى الله سبحانه وتعالى واليوم الآخر؟.

إذا أردت النجاة في الآخرة إذا أردت رضوان الله سبحانه وتعالى فما عليك إلا أن تقتدي بالنبي صلى الله عليـه وسلم، إذا ظهر لك حُكم الله وبانت لك سنة النبي صلى الله عليه وسلم فاعلم أن مصلحتك فيهـا، اعلـم أن مصلحتك في اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وأن مشقتك وعنتك في مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم، والمؤمن ليس له الخيرة من أمره ، لا يتخير من أحكام الله عز وجل {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} ، المؤمن إنما يقول سمعنا وأطعنا

{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}.

واتباع أمر النبي صلى الله عليه وسلم هو السبيل الذي يتحصل به المسلم على محبة الله عز وجل كما قال الله عز وجل {قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} كما قال بعض العلماء : (ادعى بعض الناس محبة الله فطولبوا بالبينة) طولبوا بالبرهان على صدق محبتهم لله عز وجل، ما هي هذه البينة التي عليهم أن يثبتوا بها صدق محبتهم لله عز وجل ؟ هو اتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ} كما تقولون {فَاتَّبِعُونِي} يعني فاتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم إذا فعلتم ذلك يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم.

قال الله عز وجل : {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ} العنت هو المشقة والتعب {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ} هذه من نعم الله عز وجل ، وهو أن يُحبب الإيمان للإنسان ، فالإنسان بنفسه لا يملك أن يحب هذا وأن يكره هذا، فقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيفما يشاء.

فالإنسان لا يملك لنفسه الهداية –بمعنى هداية التوفيق– هذه لا يملكها إلا الله سبحانه وتعالى الله عز وجل كما قال : {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} قال كذلك : {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}سبحان الله، يعني أنت تأمل تدبر في حالك أنت صرت من أهل الإيمان صرت من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، أحببت الإيمان وكرهت المعاصي بفضل الله عز وجل، الله رب السموات والأرض هو الذي غرس في قلبك حب الإيمان ، هو الذي غرس في قلبك حب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وأنت أيها الإنسان الضعيف الفقير المغمور الذي لا يُلتفت إليه ولا يسمع لرأيه الله سبحانه وتعالى اختارك من بين آلاف بل ملايين البشر الضالة التائهة التي لا تفرق بين حق وباطل ولا بين ظلمات ونور ولا بين كفر وإيمان، ثم قذف في قلبك نور الإيمان، هذه نعمة عظيمة من الله سبحانه وتعالى ولا يملكها أحدٌ حتى النبي صلى الله عليه وسلم أكرمُ الخلقِ على الله عز وجل لا يملك هذا الأمر، كما قال الله عز وجل له : {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} .

ودائما أنا في هذا الموطن أذكر قصة أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم، أبو طالب ما بقي شيء يمكن أن يقدمه لحماية النبي صلى الله عليه وسلم ولحماية الدعوة الإسلامية إلا وقدمه، أبو طالب قدّم من الأمور الكثيرة مما لم تقدمها حركات إسلامية وهو رجل كافر، أبو طالب بقي في الحصار مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات يتحمل الجوع ومقاطعة الأقربين والحصار الاقتصادي ومع ذلك هو على كفره، أبو طالب هو الذي يقول ويشهد شهادة حق بأن الإسلام دين حقٍ ، يقول : "ولقد علمت بأن دين محمدٍ من خير أديان البرية دينا " ، أبو طالب هو الذي يتعهد أمام النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لن يسلمه لأحد حتى يموت كما يقول في شعره:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم *** حتى أوسد في التراب دفينا

لن يصلوا إليك ! ومتى هذا ؟ عندما كان النبي صلى الله عليه وسلم أحوج ما يكون إلى من يحميه ، أحوج ما يكون إلى من يدافع عنه ، أحوج ما يكون إلى من يجيره، النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف ويمشي في أيام الحج وينادي من يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي ؟ يبحث عن هذا الأمر وأبو طالب قام بهذه المهمة ، ومع ذلك عندما جاء الأجل وحان الموت أبو طالب على فراش الموت يطلب منه النبي صلى الله عليه وسلم كلمة واحدة ، كلمة واحدة يمكن أن يحرك بها لسانه ، من الذي منع لسان أبي طالب من أن ينطق بهذه الكلمة ؟ قال له : " يا عم قل كلمة واحدة أحاج لك بها عند الله يوم القيامة" ، كلمة واحدة ! لا يريد منه عملاً ، فقط تنطق بهذه الكلمة وتخرج من الدنيا، ولكن كانت شياطين الإنس فوق رأسه : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ قالوا له أتترك ملة عبد المطلب؟ يعني هو كان يدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم حمية وعصبية وهو على ملة عبد المطلب يعني على ملة الشرك والكفر ، وعندما خرج من الدنيا قال أنا على ملة عبد المطلب، خلاص! خسرَ الدنيا والآخرة . هذا عم النبي صلى الله عليه وسلم مع هذه الأعمال الصالحة العظيمة التي قدمها وعندما كان النبي صلى الله عليه وسلم أحوج ما يحتاج إليها ، ولهذا النبي صلى الله عليه وسلم لمعرفته بما قدمه أبو طالب قال : "والله لأستغفرن لك ما لم أُنهى عن ذلك " ، حتى أنزل الله سبحانه وتعالى : {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}.

والله سبحانه وتعالى أنزل : {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ} .

فيا أيها العبد يا أيها المسلم يا من هداك الله : هل قدمت من الأعمال لخدمة الإسلام كما قدم أبو طالب ؟ لا والله ما قدمت ، حماية النبي صلى الله عليه وسلم لا يعدلها شيء، الذبُّ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، عن شخصه في وقت الضيق ووقت الضعف والعجز والكفرة كلهم يتكالبون عليه وهو يقف حاجزاً أمامهم هذا ليس كالدفاع عن الإسلام مجرداً أو الدفاع عن العقيدة مجردةً ، نعم هذا عمل صالح وهو جهاد وهو عظيم ولكن هذا لا شك إنه لو كان من مسلم مخلص لما عدله شيءٌ، ولذلك فالسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار لا يساويهم من بعدهم لأنهم صبروا واحتسبوا وتحملوا الأذى ودافعوا عن النبي صلى الله عليه وسلم، لماذا كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه أفضل الصحابة لأنه وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم في كل موقفٍ حرج وفي كل لحظة كان يحتاج إليه فيها حتى أنه كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه عندما كان كفار قريش يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم كان يدفع عنهم ويقول: " أتقتلون رجلاً يقول ربي الله "، هذا هو حال الصحابة رضي الله عنهم.

إذن نعمة الإسلام نعمة عظيمة ولهذا ذكر الله سبحانه وتعالى بها قال : {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ}، أنت عندما ترى هذه الشريعة تراها بأحكامها بحكمها بآدابها بتناسقها بتوافق أحكامها لا شكَّ أنك يزداد حبك إليها ويزداد يقينك بها، وهذا من فضلِ الله عز وجل، هذا من فضلِ الله سبحانه وتعالى {وَلَكِنَّ

{اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ} والعياذ بالله ، الكفر معلوم {وَالْفُسُوقَ} يعني الكبائر {وَالْعِصْيَانَ} وهو جميع ما يخالف أمر الله سبحانه وتعالى من الصغائر ومن غيرها.

الله سبحانه وتعالى هو الذي جعل قلبك ينفر من هذه المعاصي سبحانه وتعالى

{وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} الذين كانوا على هذا السبيل وعلى هذا الطريق أهل النعمة أهل حب الإيمان وأهل بغض الكفر والعصيان والفسوق، هؤلاء هم الذين على طريق الرشد، يعني على الصراط المستقيم وأما من سواهم فهو على طريق الغواية والضلالة مهما زينوا ومهما نمقوا ومهما مدحوا إلا أنهم على ضلالة وانحراف والعياذ بالله، وما من أحد يسلك طريقاً ولو كان اعوجاجه يراه كل أحد إلا أنه يزعم أنه على طريق الرشد حتى فرعون ، فرعون وهو من هو في الكفر ومحادة الله عز وجل عندما يخاطب قومه ماذا يقول لهم ؟ يقول : {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ} فرعون يهدي قومه إلى سبيل الرشاد {فاستخف قومه فأطاعوه}.

وهكذا ما نسمعه اليوم من الطغاة المجرمين الذين حاربوا دين الله عز وجل يصفون الظلمات والكفر والقوانين الوضعية والديمقراطية وكل نحلة وملة بأنها سبيل التقدم وسبيل الحضارة وسبيل الرقي وسبيل كذا، هذه هي طريق الرشد ! ولكن ماذا ؟ نقول لهم : {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} ديننا هو دين الإسلام هو الذي قال الله عز وجل فيه :

{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيله}، لا يوجد إلا طريقٌ واحدٌ يوصلُ إلى الله عز وجل وهو طريق الإسلام {ومن وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ ديناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}، {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} ما قال الصراط هو صراط واحد ، اهدنا الصراط المستقيم ، فالإنسان إذا وجد نفسه على طريق الهداية في معتقده في عباداته في أخلاقه في سلوكه في معاملاته فليحمد الله عز وجل وليعلم أن الله سبحانه وتعالى قد جعله من الراشدين على طريق النجاة التي توصله إلى الله سبحانه وتعالى.

بعد ذلك قال الله عز وجل : {فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} يعني ما نلتموه أنتم من هذه الأمور التي كنا نذكرها ونعددها هو محض فضل من الله عزل وجل ليس استحقاقاً من عند أنفسكم ، هو تفضل وإكرام وجود من عند الله عز وجل ، فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يجعلنا من الراشدين وأن يجعلنا ممن يحيا على الصراط المستقيم ويموت على الصراط المستقيم إنه سميع قريب.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

*****

الدرس الثالث

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهــده الله فــلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى من اهتدى بهديه وسارَ على سنته إلى يوم الدين.

ثم أمــــا بــعــد ..

فبالأمس كنا قد تكلمنا على قول الله عز وجل : {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِــصْيَانَ ۚ أُولَئِــكَ هُــمُ الرَّاشِدُونَ * فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

وقلنا إن هذه الآية –أي الآية الأولى– بينت السبيل الذي ينال به المسلم السعادة والسعة والراحة والطمأنينــة والسكينة والاستقرار في الحياة، وبينت الطريق الذي يحصل به العنَت والمشقّة والحَرَج وغير ذلك.

فاتباع النبي صلى الله عليه وسلم هو سبيل السعادة، ومخالفة أمره ومشاقّة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هــو سبيل العنَت والشدّة والضيق والحرَج.

فالآية التي نتكلم عليها اليوم هي مرتبطةٌ بهذا السياق، وإذا تأملنا في تسلسل الآيات لرأينا بينها تناسقاً عجيبــاً، فالآية التي تكلمنا عليها قبل يومين قولُ الله عز وجل : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَــإٍ فَتَبَيَّنُــوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}، فعدم التثبت في الأخبار يؤدي إلى ظلمِ الغير إما ظلمــه في ماله أو في نفسه أو في عرضه أو في دمه، وهذا الظلم ربما يكتشف الإنسانُ في وقت ما أنه قد هضمَ حق أخيــه فيندم حين لا ينفع الندم، {أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين}، فهذه الآيــة تحثنــا علــى وجوب التثبت، والتثبت إنما أمر به القرآن الكريم وأمرَ به النبيُ صلى الله عليه وسلم، فحتى لا يقع الإنسانُ في الحرجِ والعنَتِ ومنه ظلم الغير فعليه أن يسلكَ سبيل النبي صلى الله عليه وسلم.

ثمَّ في هذه الآيات التي نتكلم عليها اليوم تتكلم على نوعٍ من العنَت بل هو من أشد العنَت والحرج الذي يقعُ بين المسلم وبين أخيه المسلم، وهو الاقتتال وسفك الدماء، هذا الاقتتال إنما يقعُ بسبب الاختلاف، وهذا الاختلاف إنما يحصلُ بسبب البعد عن دين الله عز وجل، كلما ابتعد الناس عن أحكامِ الله وعن شريعة الله وعن التمسكِ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم عاقبهم الله بأن جعلَ في قلوبهم العداوةَ والبغضاء، كما قال الله عز وجل في حق اليهود : {فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ} عندما نسوا شيئاً مما أمرهم الله سبحانه وتعالى به، فالله سبحانه وتعالى أغرى بينهم العداوة والبغضاء، يعني ملأ قلوبهم بالشحناء والعداوة كعقوبة قَدَرية على تخليهم عن أحكام الله عز وجل، وهذا هو الذي يحصل بين المسلمين إذا ما تنكروا لشيءٍ من شريعة الله عز وجل وابتعدوا عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وعن التمسك بسنته صلى الله عليه وسلم فإن هذا لا شك أنه سيقود إلى الاختلاف، لأن الآراء متباينة والقلوب كذلك مختلفة وطبائع النفوس ليست واحدة، فإذا لم يكن هناك دائرة يرجع إليها هؤلاء المختلفون وكل إنسانٍ يتمسك برأيه ويتشبث بما يراهُ وبما يحبه ويهواه هذا سيؤدي إلى التصادم وهذا التصادم سيؤدي إلى التنازع وهذا سيؤدي إلى الاقتتال.

ولكنّ القرآن يتعامل مع المسلمين بل مع الناس مع واقعهم، فما ترك القرآن هذه المشكلة بغير حل، يعني المسلمون هم بشر قد تغلبهم أهواؤهم وقد يقعون في الجهل وقد يقعون في الظلم فهذه الحالات التي يمرُّ عليها المسلمون تحتاج إلى علاج وتحتاج إلى دواءٍ قرآني، وهو الذي تبينه هذه الآيات فقال الله عز وجل : {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}، والآية التي تليها أيضاً، هذه الآية هي عمدة الفقهاء في قتال البغاة.

البغاة كما ذكرنا من قبل قلنا هم الذين يخرجون على الإمام بتأويل، مع أن هذه الآية لم تشر إلى الإمام ولم تشر إلى التأويل ولم تذكر شيئاً من هذا، وإنما ذكرت الآية إذا وقع قتالٌ بين طائفتين من المؤمنين فالواجب هو الإصلاح بينهما، فإذا تعدت واحدة وبغت بعد الإصلاح {فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ} ، فالآية ليس فيها إشارة إلى القيود الفقهية التي ذكرها الفقهاء، ولذلك هناك فرقٌ بين معنى البغي في اصطلاح الفقهاء وبين معنى البغي في ماذا؟ في لفظِ الشارع كما جاءَ في الكتاب أو كما جاءَ في السنة.

البغيُ هو مطلق الظلم {فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ} وغير ذلك من الآيات التي تذكر البغي وكذلك الأحاديث، وأما البغي في اصطلاح الفقهاء الذي يذكرونه في كتب الفقه والذي يذكرون له أحكاماً محددة فهو الخروج على الإمام بتأويل.

فإذا كانت هناك طائفة من المؤمنين، مجموعة من المؤمنين، أمّروا عليهم أحدهم وأرادوا أن يكون هذا إماماً ثمّ خرجوا بالسيف وبالقوة على إمام المسلمين متأولين يعني عندهم تأويل يعني عندهم حجة أو شبهة شرعية قوية في فعلهم هذا، فهؤلاء هم الذين يسمون بالبغاة، وهذه الآية من ضمن الآيات ومن ضمن الأحاديث التي

استدل بها أهل السنة والجماعة أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر يعني ليس خارجاً من ملة الإسلام خلافاً لما يقوله الخوارج، ولذلك الله سبحانه وتعالى سمّاهم مؤمنين مع اقتتالهم، قال {وإن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا}.

والنبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر في أحاديث قال : " سُباب المسلم فسقٌ وقتاله كفرٌ" هذا حديث صحيح، فإذا جاءَ الخارجي أو الذي لا يجمع بين الآيات والأحاديث لا يجمع بين الأدلة في المسألة، ويقول إن مجرد قتال المسلم للمسلم هذا كفر بنص حديث النبي صلى الله عليه وسلم، صحيح ؟ ولكن الكفر المقصود في هذا الحديث هو كفرٌ غير مخرجٍ من الملة أو أن هذا من أفعال الكفارِ وإلا فإن هذه الآية دلالتها ولفظها صريحٌ في بقاءِ الإيمان بين المتقاتلين، واضح هذا يا إخوة ؟

إذن البغاة هذا هو تعريفهم عند الفقهاء، وذكروا لهم أحكاماً متعددة يعني أحكام كثيرة للبغاة :

أولاً : قالوا ــ ولا نريد أن نطيل إن شاء الله ــ قالوا إذا كان هناك إمامٌ للمسلمين اتفق عليه أهل الحل والعقد، يعني هذا الإمام لم يختلفوا عليه سواءٌ كان هذا الإمام إماماً عاماً لجميع المسلمين في أقطار الدنيا، أو كان إماماً في قُطرٍ من الأقطار وسلّم أهل هذا القُطر لهذا الإمام واعتبروه إماماً يسمعون له ويطيعون، فالحُكم واحد هنا وهنا كما ذكر هذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومثله الإمام الصنعاني بل الشيخ محمد بن عبد الوهاب نقلَ الإجماع على هذا، على أن مثل هذا يعني من تغلّب على قطرٍ من أقطار المسلمين فإنه يأخذ أحكام الإمام الأكبر الخليفة الذي بسطَ سلطته على جميع أقطارِ المسلمين، الحكم واحد واضح ؟

هناك أناس بهذه الصفة، ثمّ هناك أناس يرون عدم شرعية هذا الإمام ننظر في حالهم:

الحالة الأولى : إذا كان هؤلاء الناس متفرقين بين المسلمين، يعني ليسوا منحازين إلى جهة ينفردون بها بأحكامٍ ولا بغيرها، وإنما هم يرون عدم شرعية هذا الإمام ولكنهم متفرقون بين المسلمين ويستطيعُ الإمام أن يُلزمهم بأحكام الإسلام وأن يأخذ حقوق الناس منهم، فهؤلاء ليس للإمام أن يقاتلهم، ليس للإمام أن يقاتلهم سواء اعتقدوا إمامته أو لم يعتقدوا إمامته، لماذا ؟ لأنهم تحت قدرة وقهر السلطان، إذا أراد أن ينتزعَ منهم حقاً لمسلم استطاع، إذا أراد أن يلزمهم بحكمٍ استطاع، إذا أراد أن يقيم عليهم حداً من حدود الله استطاع، فهؤلاء ليس له أن يقاتلهم . هذه الصورة الأولى.

الصورة الثانية : أن يكونوا متفرقين، ولكنهم يجاهرون ويتكلمون ويدعون إلى خلع الإمام ولكنهم لم يستعملوا القوة، ولم ينحازوا إلى جهةٍ ينفردون بها، ففي هذه الحالة للإمامِ أو للأمير أن يعاقبهم على فعلهم عقوبة التعزير، وله أن يحبسهم، ولكن ليس له أن يقتلهم، لماذا ؟ لأنهم لم يَنصبوا له الحرب، لم يُشهروا له السلاح، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : " لا يحل دم امرؤ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة" ، وهؤلاء ليسوا واحداً من هذه الأقسام الثلاثة، هذه هي الصورة الثانية ، واضح ؟

الصورة الثالثة : هو أن ينفردوا في جهة، يعني يتحيزوا ويكونوا في مكانٍ ينفردون فيه عن المسلمين إلا أنهم ما زالوا تحت سلطان الإمام، ولم ينصبوا الحرب ولم يُشهروا السلاح فهنا ما على الإمام إلا أن يضع عليهم مَن يُجري عليهم أحكام الإسلام، رضوا أو لم يرضوا ولكن ليس له أن يقاتلهم إلى هنا، له أن يفرقهم بين المسلمين، له أن يبحث على طريقةٍ يكف بها شرهم إلا أنه إلى هنا ليس له ماذا ؟ قتلهم ولا قتالهم، واضح يا إخوة إلى هنا؟

الصورة الرابعة : هي أن ينفردوا وأن يشهروا السلاح وأن يدعوا لماذا ؟ للخروج على هذا الإمام لخلعه وقتاله وتبديله بحاكمٍ آخر، ففي هذه الحالة هؤلاء هم البغاة الذين يقاتلون.

طبعاً هناك شروط كثيرة يذكرها الفقهاء في صفة البغاة منها أن يكونوا منحازين ومنها أن تكون لهم منعة وشوكة وقوة، بعضهم يشترط أن يكون لهم رأس يعني أمير وبعضهم لا يشترط ذلك، المهم الأمر المتفق عليه هو أن تكون لهم شوكة وقوة يقاتِلون بحيث إذا أرادَ الإمام أن ينتزع منهم حقاً أو أن يجبرهم بأمرٍ ما استطاع لوجود الشوكة ووجود السلاح والمنعة عندهم، واضح هذا يا إخوة ؟

ففي هذه الحالة للإمام أن يقاتلهم، ولكن لا يشرع في قتالهم حتى يدعوهم للرجوع إلى الطاعة، لماذا؟ لأن قتال البغاة من باب كف الشر ليس كقتال الكفار، يعني الكفار نحن نقاتلهم لماذا ؟ نريد أن ننشر الإسلام وأن ندخلهم في الإسلام وأما هؤلاء لمجرد كف شرهم وإعادتهم إلى الطاعة، قتالهم لهذا درء للمفسدة رد للشر الذي فيهم فقط، واضح؟ فإذا حصل المقصود فخلاص يجب كف القتال عنهم.

قلنا أولاً عليه أن يدعوهم، يعني يدعوهم للرجوع إلى طاعة الإمام وأن يكفوا عن القتال وأن يضعوا السلاح وإن كانت عندهم شبهة كشفها، يعني ما الذي دعاكم للخروج عليّ أو للخروج على الإمام ؟ إذا قالوا هذا الإمام ظلم وسفك الدماء وفعل وفعل، فإذا كانت هناك شبهات يحتجون بها فيجب على الإمام أن يبعث لهم من أهل العلم والعقل مَن يزيل ويزيح عنهم هذه الشبهة، وإذا كانت هناك مظلمة يدَّعونها وجب عليه أن يردها، الإمام عليه أن يرد هذه المظلمة إذا كان فيها كف للقتال، واضح ؟ فإذا أصروا بعد ذلك كشف شبهتهم ورد مظالمهم إلا أنهم أصروا على القتال ففي هذه الحالة يستعين بالله ويقاتلهم، ويجب على من دعاه الإمام لقتاله معهم يجب عليه أن يخرج لماذا ؟ لأن طاعة الإمام واجبة وهذا من فروض الكفايات يتعين بتعيين الإمام له.

إلا أن أحكام هؤلاء البغاة في القتال ليست كأحكام الكفار الأصليين ولا كأحكام المرتدين ولا كأحكام المحاربين الذين هم قطاع الطرق، هؤلاء لهم أحكامٌ خاصة، منها أنه لا يجوز أن يُقتل جريحهم، هذا مذهب الجمهور ، يعني إذا جُرِحَ أحد هؤلاء البغاة في المعركة فليس لأحد أن يأتي وأن يُكَمِّل عليه أن يذفف عليه واضح لماذا ؟

لأن المقصود هو كف الشر وقد انكف شره خلاص، واضح ؟

ليس له أن يُتبِع مدبرهم هذا مذهب الجمهور، يعني إذا هربَ هذا الباغي إذا هربَ ورجع إلى فتته فليس لأحدٍ أن يقتله وهو هاربٌ، لماذا؟ لأنه قد يكون فراره هذا فراراً نهائياً لن يرجع بعدهُ إلى القتال، واضح؟

ولا يقتل أسيرهم، يعني إذا وقع أحدهم أسيراً في أيدي طائفة الإمام فليس للإمام أن يقتله وهذا مذهب الجمهور أيضاً، الجمهور يعني مذهب المالكية والشافعية والحنابلة وخالف في ذلك الأحناف وعندهم بعض الضوابط والقيود ليس هذا وقت ذكرها، واضح؟

فليس له ماذا؟ فليس له أن يقتلَ أسيرهم ولا تُسـ ذراريهم، يعني لا تسـ نساؤهم ولا أبناؤهم لأنهم مسلمون مثل أي مسلم آخر ارتكب كبيرةً من الكبائر هذا هو حكمهم، ولا تُغنَم أموالهم، أموالهم هذه لا تغنم لماذا؟ لأن الشرع إنما أحل دماءهم فقط للضرورة وأما أموالهم فتبقى على أصل الحرمة ولهذا فلا يصح أن نقول أن من استُحِل دمُه استُحِل ماله، لا . قد يبيح الشرع دم شخصٍ ولكن يحرم ماله، واضح هذا؟

فأموالهم مصونة محرمة لا يجوز أن تغنم، نعم يجوز للإمام أن يأخذها وأن يحفظها عنده وتبقى محفوظة لأهلها وأصحابها إلى أن ينكفَّ شرهم وتنكسر شوكتهم وتنتهي ماذا ؟ تنتهي فتنتهم، فعندها يرد هذا المال إلى أهله.

أما أن يأخذ هذا المال وأن يُقسمه بين المسلمين كما يُقسم المال فهذا لا يجوز له، واضح؟ إذن هذا مُجمل أحكام البغاة.

فقال الله عز وجل هنا : {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}، تنبهوا أو انتبهوا لما في هذه الآية، الآية ذكرت قتالَين، قتال قبل الصلح وقتال بعد الصلح، القتال الأول هو إخبار والقتال الثاني هو أمرٌ، الأول {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}، والثاني {فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا} هذا أمرٌ صحيح ؟ إذن القتال إذا كان قبل الصلح يعني إذا وقعَ قتالٌ بين طائفتين سوى طائفة الإمام –لأن الإمام ذكرنا التدرج الذي يكون بينه وبين أهلِ البغي– إذا كانت هناك طائفتان من المؤمنين وقع بينهم قتال إما على أمر الدنيا أو لشبهةٍ بينهما كل طائفة تدَّعي أن الحق معها، فما لم يقع الصلح ما لم يقع محاولة الصلحِ فهذا القتال يعد قتال فتنة لا يجوز لأحدٍ أن يدخل فيه، واضح؟ لأن الأمر الأول الشرعي الذي أُمرنا به في طوائف المسلمين عند النزاع بينها هو ماذا؟ هو الصلح، فلذلك إذا رأينا مخايل و علامات القتال أن هذه الطائفة تتأهب وتستعد وتتجهز للقتال والأخرى كذلك، فعلينا في هذه الحالة وجوباً كفائياً أن نسعى لماذا؟ للصلح بين هاتين الطائفتين، فإذا حاولنا الصلح فعجزنا وظهرت لنا الطائفة الظالمة والطائفة المظلومة بعد ذلك يُشرَعُ لنا أن نقاتل مع الطائفة المظلومة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " إلى آخر الحديث الذي تعرفونه، واضح هذا يا إخوة؟

إذن هذه هي مراحل التعامل مع القتال الذي يقع بين المسلمين، نسأل الله أن يعيذنا منه، فقال الله عز وجل : {وإن طائفتان من المؤمنين} إذن القتال بين طائفتين والقتال بينهما لا يخرجهما عن الإيمان من المؤمنين، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم –وهذا الحديث في الصحيح– كان يخطب على المنبر وبجانبه الحسن بن علي رضي

الله تعالى عنهما، فكان ينظرُ للناس مرة وينظرُ إلى الحسن مرة فيقول النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " إن ابني هذا سيدٌ ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المؤمنين" ، وكان كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم فأصلح الله بالحسن بين أهل الشام وأهل العراق، فالمقصود هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم سمّى هاتين الطائفتين من المؤمنين، طائفة الشام التي كانت مع معاوية رضي الله تعالى عنه ، وطائفة العراق والتي كانت مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، والحسن هو الذي أصلحَ بينهما عندما تنازل عن الأمر لمعاوية رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

فقال الله عز وجل هنا :{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} يعني اسعوا لنزعِ سبب القتال، لماذا؟ لأن هؤلاء إخوة كما قال الله عز وجل، أخٌ يتقاتل مع أخيه، فلا بد من نزع سبب القتال، يعني لماذا وقع هذا القتال ولماذا وقعت هذه الفتنة، فالمسلم عليه أن يسعى للإصلاح بين المسلمين لأجل كفِّ دمائهم، والإصلاح بين الناس يا إخوة أجرهُ عظيم جداً كما قال الله عز وجل :{لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} ، لأن الإنسان قد يُصلح بين الناس رياء وسمعةً، ولكن من يفعل هذا الصلح ابتغاء مرضاة الله عز وجل هو الذي ينال هذا الأجر العظيم، وفي المقابل فإن إفساد ذات البين والتحريش بين المسلمين وبث أسباب العداوة والبغضاء والشحناء فإن هذا إثمه عظيمٌ عند الله عز وجل، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إياكم وفسادَ ذات البين فإنها الحالقة ، لا أقول تحلقُ الشعر ولكن تَحلقُ الدين" ، فساد ذات البين أن تفسد القلوب وتتنافر وتقع بينها الشحناء والبغضاء والعداوة فهذا يؤدي إلى البهت والكذب والسخرية والغيبة والنميمة والقتل أيضاً ، فلا يبقى للمرء دينٌ بعد ذلك، فلهذا سماها النبي صلى الله عليه وسلم الحالقة.

ويكفينا اليوم إن شاء الله هذا، وغداً إن شاء الله نكمل الكلام على هاتين الآيتين.

وجزاكم الله خيراً.

*****

الدرس الرابع

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى من اهتدى بهديهِ وسارَ على سنته إلى يوم الدين.

ثم أمـــا بــعــد..

فكنا قد تكلمنا من قبل ووقفنا عند قول الله عز وجل: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} وقلنا إن هذه الآية هي أصلٌ في تشريع قتال البغاة، ولو كانت الآية في أصلها لم تُشر إلى ما يذكره الفقهاء في تعريف البغاة، ولم تتعرض إلى تفاصيل أحكامهم أو أحكام قتالهم المتعلق بدمائهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم أيضاً.

ولكن هذا يُؤخذُ من مجموع الأدلة التي وردت في بيان حرمة المسلم وتعظيم حرمتهِ وكذلك يُؤخذ من سيرة الصحابة رضوان الله عليهم فيما وقعَ بينهم من القتال، وقلنا إنّ الفقهاءَ يعرِّفون الباغي بأنه الخارج على الإمام العدل بتأويل، وقلنا إن البغاة أحكامهم في الجملةِ أنه إنما يقاتلون دفعاً لشرهم لا قصداً لقتلهم، ولهذا بعض العلماء ذكرَ أنّ الفرق بين قتال البغاة وبين قتال الكفار والمرتدين يصلُ إلى تسعة أو عشرة فروق، منها الذي ذكرناه وهو أنّ الكفار يُقصدون بالقتل ويُتعمد قتلهم، سواءٌ كانوا كفاراً أصليين أو كانوا مرتدين، وأما البغاة فإنما يقاتلون على سبيلِ دفعِ الشرِ وكفِّ الضرر الذي يقعُ بسبب بغيهم.

ومنها أنّ الكفار يُقتلون مقبلين ومدبرين، وأما البغاة فلا يقتلون في حالِ إدبارهم يعني في حال فرارهم من ساحة المعركة، ومنها أن الكفار يُجهَز على جريحهم وأما البغاة فإنهم لا يجهز على جريحهم، ومنها أن الكفار يُقتل أسيرهم وأما البغاة فالصحيح الذي عليه جمهور العلماء أنه لا يجوز قتل أسيرهم، ومنها أن الكفار يجوز سبي نسائهم وأما البغاة فهم مسلمون ونسائهم مسلمات فلا يجوز سبي نسائهم ولا ذراريهم، ومنها أن الكفارَ تُقَسَّم أموالهم تُغنم أموالهم وتُقسَّم وأما البغاة فلا يجوز تقسيم أموالهم وإنما هي أموالٌ لمسلم لها حرمةُ مال المسلم الصالح التقي كما لها حرمةُ وهكذا أموال البغاة، إذن هذه مُجمل الفروق التي تكون بين قتال البغاة وبين قتال الكفار سواء كانوا مرتدين أو كانوا كفاراً أصليين.

فهذه الآية التي نحن في صدد الحديث عنها قال الله عز وجل فيها : {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا} هذا أي قتالٍ يقع بين طائفتين من المسلمين وكما نعلم فإن دوافع القتال التي تقعُ بين المسلمين متعددة قد تكون الدوافعُ شرعيةً بمعنى أن تكون هناكَ طائفة من قطاع الطرق المفسدين في الأرض الذين يصولون على دماء الناس ويسطون على أموالهم فقتال هذا مشروعٌ وقد أمرَ بهِ الشرع، وقد يكون دافع القتالِ على أمرٍ من أمور الدنيا كقتال العصبية الذي يقع بين القبائل وبين طائفتين من المؤمنين، فهذا قتال مذموم، والقاتل والمقتول فيه في النار، وهو الذي يشمله قول النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا التقى المسلمانِ بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار" لماذا ؟ لأن قتالهم على أمرٍ من أمور الدنيا.

الأمر الثالث قد يقع القتال بين طائفتين من المسلمين في حقٍ ملتبس، يعني لا يميز من المصلح فيهم ومن المبطل من المحق فيهم ومن الظالم ومن المظلوم، الحق ملتبس وكل طائفة منهما تدَّعي أن الحق في جانبها فهؤلاءِ يحرم وقوع القتال فيما بينهم وقد يكون بعضهم معذورين بتأويلهم في ما يدعونه من الحق.

إذن أسباب وقوع القتال متعددة بين المسلمين، وهذه الآية التي تتكلم هنا هو القتال الذي يقعُ على غير الصفة المشروعة، يعني إما على أمرٍ من أمور الدنيا أو يقع قتال في أمرٍ ملتبس الحق فيه الحق ليس مبين ليس واضحاً، فهنا قال الله عز وجل وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فأمرَ المسلمين الآخرين بالسعي للإصلاح بين هاتين الطائفتين والإصلاح إنما يتمُّ بماذا ؟ بتبيين من هو صاحب الحق ومن هو الظالم ومن هو المظلوم والصلح إنما يقع بتنازل أحد الطرفين عن حقه أو عن شيءٍ من حقه، وأما إذا تمسك كل طرفٍ بحقه وتشبث به وتعصب إليه فلا يمكن أن يقع الصلح.

الشاهد من هنا أن الواجبَ على المسلمين عند وقوع قتالٍ بين طائفتين منهم أن يسعوا وأن يبذلوا قصارى جهدهم للإصلاح بين هاتين الطائفتين وإيقاف القتال، وهذا الصلح كما ذكرنا من قبل أجرةُ عظيمٌ عند الله عز وجل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ألا أدلكم على ما هو أفضل من درجة الصيامِ والصلاة والزكاة، قال الإصلاح بين الناس" وكما قال الله عز وجل: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ}، ولهذا فالشرع دائماً يحرصُ على الصلح حتى في المشاكل الخاصة التي تقع بين الرجل وأهله، حتى وحضَّ على ماذا؟ على الصلح { وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} فالصلح أمرٌ محمود ومطلوب والشريعة تحثُّ وتحضُّ عليه فالمسلمون مطالبون بماذا؟ بأن يسعوا لنزع فتيل الحرب الذي يقع بين طائفتين من المؤمنين.

إذن هذا هو الأمر الأول والمرحلة الأولى التي يجب على المسلمين أن يقوموا بها وهي السعي لإيقاف القتال وإصلاح ذات البين الذي أجج وحصل بسببه القتال، قال الله عز وجل: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا} فإن بغت البغي الذي يقع هنا فسَّره العلماء بواحدٍ من أمرين، قالوا إما أن يكون البغي بعدم إذعان إحدى الطائفتين للصلح أصلا يعني بعد أن يسعى الناس للإصلاح وتقبل إحدى الطائفتين وتقول أنا مستعدة للصلح وأن أتنازل عن شيءٍ من حقي إلا أن إحدى الطائفتين تستمر في القتال ولا تذعن لمطالب المصلحين، فهذا هو البغي يعني البغي بعدم إيقاف القتال مع وجود سببِ الإيقاف من الطرف الآخر ومع وجود السعي من المسلمين واضح؟

وبعضهم فسَّر البغي بأنه بعدما حصلَ الصلح وتوقف القتال وأرادت كل واحدةٍ من الطائفتين تنازلت عن حقها وأرادت وقف القتال {بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ} يعني نشبت وأعادت القتال مرةً أخرى بعد الصلح بعد حصول الصلح واضح؟

فإذن قول الله عز وجل هنا {فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا} يحتمل يعني بغت استمرت في بغيها وعدم إذعانها للصلح مع وجود سببه، أو إنها بغت يعني نقضت الصلح وأعادت القتال للطائفة الأخرى بعدما اتفق الجميع على المصالحة.

{فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي} إذن هذه هي المرحلة الثانية وهي قتال الطائفة الباغية التي تبيَّن ظلمها و ظهر أَنها تريد القتال وتستمر في سفك دماء المسلمين مع ظهور أن الظلم في طرفها بعدم إنقيادها للصلح أو بنقضها له، فهمتم هذا يا إخوة؟

قال الله عز وجل: {فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي} إذن هنا انظر في الأول أمرنا الله سبحانه وتعالى بالسعي لإيقاف القتال وهنا أمرنا بالقتال بالدخول في القتال لماذا ؟ لأن هناك من الأمراض والفساد مالا يحسم إلا بالقتال، يعني هذه طائفة سعى الناس للإصلاح وتنازلت الطائفة الأخرى وظهر من هو صاحب الحق ومع ذلك هي تبغي وتسفك دماء المسلمين، هذه أصبحت لا حل لها ولا طريقة لكف شرها إلا بقتالها وهو أمرٌ شرعي، وهنا إما أن يكون هناك للمسلمين إمامٌ يقوم عليهم فالواجب القتال مع الإمام ضدَّ الطائفة الباغية وإما أن يكون هذا القتال في زمنٍ ليس فيه إمام وهذا يقع كثيراً، والآن ليس هناك إمام للمسلمين وكثيرا ما يحصل القتال بين طوائف المسلمين وبين أحزاب المسلمين ففي هذه الحالة قال العلماء يسعى أهل العلم والعقل والحكمة الذين لهم منزلة في الناس وأهل العلم، لماذا اشترطنا أهل العلم ؟ لأن المسألة تحتاج إلى معرفة من هو الظالم ومن هو المظلوم وهذا يحتاج إلى حكمة ويحتاج إلى علم، وإلا مجرد الدخول في الصلح فهذا قد يكون على طريقة غير ما يريد الله سبحانه وتعالى فقال العلماء في هذه إذا لم يكن للمسلمين إمام فيسعى المسلمون قالوا والسواد الأعظم يعني أكثر الناس يعني رؤوس الناس أمراء الناس الذين ورائهم الناس ويطيعونهم ويسمعون لأقوالهم يسعون في الصلح ويبذلون جهدهم لإيقاف هذا القتال فبعد ذلك إذا ظهرت الطائفة الباغية وحكمَ العلماء بأن هذه الطائفة باغية على هذه الطائفة فبعد ذلك يشرع قتالها لكف شرها، واضح هذا يا أخوة؟

فقال الله عز وجل: {فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ} تفيء يعني ترجع حتى تفيء ترجع إلى أمر الله، وأمر الله قال العلماء هنا إما أنه المقصود به حكم الله عموما أو أنه ترجع إلى الصلح خصوصاً، إما أنه الصلح الذي نقضته ابتداء أو صلح الذي أبت أن تذعن له وتنقاد له في أول الأمر يعني واضح الكلام؟

{حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ} فإن فائت خلاص فإن قالت هذه الطائفة أنا استسلم وأنا أذعنت للصلح وأنا أنزل عند لحكم الله عزل وجل {فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ} فبعد ذلك عليكم أن تسعوا للإصلاح بين هاتين الطائفتين ولكن هذا الإصلاح يكون بالعدل لا يكون فيه إجحاف وفيه ظلم وهظم للحقوق الآخرين وإنما بما توجبه الشريعة بما توجبه شريعة الله عز وجل، {فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا} وأقسطوا يعني واعدلوا في صلحكم {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} وهذه منقبةٌ عظيمة لأهل العدل أن ينالوا محبةَ الله عز وجل {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} .

ثمَّ بيَّن الله سبحانه وتعالى العلة أو السبب الذي يدفع المسلمين للإصلاح قال الله عز وجل: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ}، كيف يحصل القتال وسفك الدماء بين أخوين هذا مسلم وهذا مسلم، يجمعُ بينهم دينٌ واحد وعقيدةٌ واحدة وشريعةٌ واحدة وحكمٌ واحد فالواجب أصلاً على أهلِ العقيدة الواحدة أن

يكونوا كالبنيان يشد بعضهم بعضا لا أن يكونوا متنافرين متنازعين ومتقاتلين متحاربين هذا على خلاف ما يوجبه عليهم الشرع فقال الله عز وجل هنا إنما المؤمنون إخوة فالمؤمن أخو المؤمن، المسلم أخو المسلم أينما كان، سواء كان من وطنك أو من غير وطنك قريب أو بعيد فقير أو غني فاسق أو صالح، مادام هذا الإنسان باق على دين الله عز وجل فلابد أن يكون هناك رابطة إخوة الإيمان، نعم تضعف وتقوى إذا كان هذا الرجل تقياً صالحاً فولاؤنا له وأخوتنا له ومحبتنا له بقدر ما عنده من الإيمان والتقوى والصلاح، وإذا رقّ دينه وارتكب شيئا من معصية الله عز وجل فمحبتنا له وإخوتنا له تنقص بقدر مخالفته لدين الله عز وجل، أما انقطاع حبلُ الإخوة تماماً فهذا لا يمكن أن يكون بين مسلم و بين مسلم آخر.

ولذلك هذه هي الرابطة التي أرادَ الله عز وجل أن تكون بين الناس وهي رابطة الإيمان، فالذين يريدون الآن أن يستبدلوا هذه الرابطة بروابط أخرى كرابطة القومية أو رابطة الوطنية أو رابطة المصالح المشتركة أو غير ذلك، هؤلاء يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير.

الله سبحانه وتعالى جعلَ لنا رابطةً واحدة وهذه الرابطة هي التي ينتفع بها الناس يوم القيامة {الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} من كانت أخوته وصحبته لأخيه من أجل أمور الدنيا أو لأجل العرقية أو الوطنية فهذا سيكون عدواً له يوم القيامة، ليس فقط يفارقه وإنما يكون عدو له {الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذ بَعْضُهُمْ لِبَعْض عَدُوٌّ} بينهم العداوة في ذلك اليوم، فإذن الرابطة التي علينا أن نعززها و أن نقويها وأن نحرص عليها وأن نذبَّ عنها وأن نوالي عليها وأن نعادي عليها هي رابطة إخوة الإيمان المسلم هو أخوك فقال الله عز وجل هنا: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} وإنما كما تعلمون من أدوات الحصر كأنه لا إخوة إلا المؤمنون كأن الآية تقول لنا هذا{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} والنبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر هذا في أحاديث متعددة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص"، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره" هكذا ينبغي أن تكون علاقة المسلم مع أخيه المسلم نعم تقع بينهم العداوة ويقع بينهم الشحناء ويقع بينهم الأهواء ولكن رابطة الإخوة لابد أن تبقى، وما ينبغي للمسلم أن يعامل أخاه المسلم كما يعامل الكافر ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم شبَّه قتال المسلم لأخيه المسلم ماذا؟ جعل قتال المسلم لأخيه المسلم كفر، لأن هذا هو عمل الكفار فيما بينهم هم الذين ليس بينهم روابط كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ": لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم :" سبابُ المسلم فسوقٌ وقتاله كفرٌ" إذن هذه هي الرابطة العظيمة التي علينا أن نوطدها وأن نقويها وأن نحرص عليها وأن نُدافع عنها حتى ننال رحمة الله سبحانه وتعالى.

الله سبحانه وتعالى قال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} فكيف يقع بينهم هذا التقاتل وسفك الدماء والعداوات على شيء من أمور الدنيا ؟

{فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} إذن على المتقاتلين أن يعلموا أنهم إخوة، وعلى المصلحين أن يعلموا أنهم يسعوا للإصلاح بين الإخوة {فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} وتأملوا يا إخوة لم يقل الله سبحانه وتعالى فأصلحوا بين إخوانكم

مع إنه يتكلم عن جمع، قال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} جمع، المؤمنون جمع ليس فردا واحـــداً صـــح ؟ ثم قـــال: {فأصلحوا بين أخويكم} مثنى، أخ وأخ صحيح ؟ قال العلماء لأن هذه الطائفة كالجسد الواحـــد كالجماعـــة الواحدة كأنها إنسانٌ واحد وهذه الطائفة المعادية التي تقاتلها كذلك كالإنسان الواحد فأنت كأنك تصلح بـــين أخوين، هذه طائفة شخصٌ واحد وهذه الطائفة شخصٌ واحد يعني هذا التجمع كأنه شيءٌ واحد.

فلذلك ينبغي أن يكونوا كحال الأخوين في البيت الواحد، ونحن نعلم إذا وقعت شحناء أو عـــداوة في داخـــل البيت الواحد مباشرة سيسعى الإخوة للإصلاح.

فقال الله عز وجل هنا: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ} فعليكم أن تتقوا الله عز وجل في هذا الإصلاح فلا تميلوا مع طائفة ولا تجحفوا بحق طائفة أخرى وإنما عليكم أن تتقوا الله عز وجل وأن يكون إصلاحكم بينهم بالعدلِ، {وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} فرحمة الله عز وجل إنما تنال بالاتفاق وبالألفة وبالأخوة وبالاجتماع.

*****

الدرس الخامس

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدهِ الله فـــلا مضلَّ له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى من اهتدى بهديه وسارَ على سنته إلى يوم الدين.

ثم أمـــــا بـــعـــد..

فكنا بالأمس قد تكلمنا عن الآيةِ التي تتحدث عن الإصلاح بين طوائف المسلمين فيما لو وقعَ بينـــهم القتـــال وبيَّنا أن الله عز وجل قد ذكرَ القاعدة العامة التي تجمعُ بين المؤمنين وهي أخوة الإيمان، هـــذه الرابطـــة وهـــذه الآصرة التي يجب على المسلمين أن يحافظوا عليها وأن يقووها وأن يبحثوا عن أسبابِ تدعيمها وأن ينبذوا عنهم كل ما يوهنها ويضعفها ويؤدي إلى قطعها.

فقال لله عزَّ وجل : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} فهم إخوةٌ سواءٌ في حالة المسامحة أو في حالة العداوات التي تقع بينهم والشحناء التي تكون في قلوبهم والبغضاء التي قد تمتلأ منها صدورهم، إلا أنهم مع ذلك إخوة تجمعهم عقيدة واحدة ودينٌ واحد.

إذن هذه هي الرابطة التي يقومُ عليها ويتأسسُ عليها العلاقةُ بين الإنسانِ وبين أخيه المؤمن، سواءٌ كان هذا المؤمن قريباً أو بعيداً سواءٌ كان شريفاً أو وضيعاً سواءً كان أسودا أو أبيض سواء كان غنياً أو فقيراً فهو مؤمنٌ وله حق إخوة الإيمان {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}.

بعد هذه الآيات ذكرَ الله سبحانه وتعالى بل نهى الله سبحانه وتعالى عن أمراضٍ مستفحلة إذا دبّت في المجتمع المسلم وإذا انتشرت بين أفراده فإنها تؤدي بلا شك إلى ذلك المرض العظيم وتلك النتيجة السيئة التي كنا نتحدث عنها من قبل وهي الاقتتال الذي يقع بين المؤمنين.

قال الله عزَّ وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.

نادى الله سبحانه وتعالى المؤمنين بهذه الصفة التي لها مقتضيات ولها لوازم وعليهم أن يُحققوها بأعمالهم التي هي طاعة الله عزَّ وجل واجتناب ما نهى الله عزَّ وجل عنه، فمما نهى الله سبحانه وتعالى عنه المؤمنين إن كانوا مؤمنين والذي عليهم أن يلتزموا به هو أن يسخرَ بعضهم من بعض والسخرية هي الاستهزاء بالآخرين وهي احتقارهم وازدرائهم، فقال الله عز وجل هنا : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ} يعني لا يستهزئ قومٌ من قوم آخرين، ولا يحتقر قومٌ قوماً آخرين وهذه السخرية سواءٌ كانت بالقولِ أو بالفعل أو بالإشارة أو بكل ما يفهم استنقاص أخيك المسلم وبكل ما يفهم احتقار أخيك المسلم وبكل ما يفهم ازدراء أخيك المسلم فهذا كله نهى الله سبحانه وتعالى عنه بهذه الكلمات، وإلا فهذا المسلم الذي أنت تسخر منه وتزدريه وتحتقره وتظن نفسك أفضل منه قد يكون أفضل عند الله عز وجل ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: {عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ} فإن الخيرية الحقيقية هي المنزلة التي ينالها العبد عند الله عز وجل، أنت قد ترى هذا الإنسان فقيراً ضعيفاً وربما عاصياً لله عز وجل، وقد تراه قبيحاً وقد تراه وضيعاً في شرفه فتحتقره وتزدريه وتترفع عليهم وتظن نفسك خيراً منه، وتكون منزلة هذا الإنسان بحسب خشيته لله ومراقبته لله سبحانه وتعالى ومحبته لله عزَّ وجل أضعاف أضعاف ما تظنه أنت في نفسك.

ونضرب لذلك مثلاً من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نتكلم عن احتقار المسلم يعني أن مجردَ وقوع الإنسان في المعصية هذا لا يدفع المسلم إلى أن يحتقره وأن يزدريهم وأن يمتهنه، كان هناك رجلٌ من الصحابة يداعب النبي صلى الله عليه وسلم معروفاً بكثرة مزاحه وكان يُضحك النبي صلى الله عليه وسلم، هذا الصحابي كان يشرب الخمر كثيراً فيشرب الخمر ثمَّ يُؤتى به فيُجلد يقام عليه الحد فيرجعُ مرةً أخرى ويشرب الخمر ثمَّ يُجلد فمرةً من المرات جيء به وقد شرب الخمر فالنبي صلى الله عليه وسلم أمر الصحابة أن يجلدوه أن يقيموا

عليه الحد فقال أحد الصحابة: "لعنه الله ما أكثر ما يُؤتى به"، يعني في كلِّ مرةٍ يُجلد ويشرب الخمر يُجلد ويشرب الخمر ويشرب الخمر ألا يتقي الله ألا يستحي من نفسه فلعنه غضباً لله عز وجل، فالنبي صلى الله عليه وسلم سمع هذه الكلمة، فقال "لا تلعنه أما إني قد علمتُ أنه يحبُ الله ورسوله" انظر ! رجل يشرب الخمر بل يكرر شرب الخمر والنبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة لعنَ في الخمر عشرة منهم من؟ شاربها، النبي صلى الله عليه وسلم لعن شارب الخمر وهذا الصحابي إنما قالها حمية لله عز وجل، فالنبي صلى الله عليه وسلم أخبر الصحابي عن أمرٍ في قلب هذا الإنسان بإخبار الله عز وجل وإطلاعه لنبيه عليه، هذا الصحابي لم يعلمه ولم يطَّلع عليه وهو محبة هذا الصحابي الذي كان يشرب الخمر لله عزَّ وجل وللنبي صلى الله عليه وسلم فكانت هذه المحبة منعت من لعنه، فكذلك الإنسان قد ترى أنت إنساناً صاحب معصية وصاحب مخالفةٍ لأمر الله عز وجل فتأخذك الحمية فتقول كلمةً والأشد من ذلك هو احتقارك لهذا المسلم الاحتقار شيءٌ غير الإنكار، يعني تنكر نعم على هذا العاصي وتُحذر منه وتبين ما هو فيه من مخالفة أمر الله عزّ وجل وتهجره إن احتاج إلى الهجران، ولكن هذا شيء لأنه بضوابط شرعية وبأصول شرعية وبآداب شرعية واحتقاره وازدرائه شيءٌ آخر لماذا ؟ لأن الإنسان كما ذكرنا بالأمس الإيمان عندنا نحن قولٌ وعمل يدخل فيه الأعمال الظاهرة ويدخل فيه أعمال القلوب وتفاوت العباد الحقيقي بما في قلوبهم من محبة الله عز وجل ومن خشيته ومن رهبته ومن مراقبته ومن شكره ومن التوكل عليه والإنابة إليه والحياء منه سبحانه وتعالى، فهذه الأعمال التي في القلوب لا تطلع عليها أنت ولا يطلع عليها غيرك، فربما أنت تزدري الإنسان وتحتقره بماذا ؟ بحسب ما ظهر لك من أعماله الظاهرة هذا إذا كان عمله مخالفةً لأمر الله عزّ وجل ولكن يخفى عليك ويغيب عنك شيءٌ عظيم من أعمال القلوب التي تكون في قلب هذا الإنسان.

إذن علينا أن نحترز من احتقار الآخرين ومن ازدرائهم، فكيف إذا كان هذا الاحتقار والازدراء مبنياً على أمرٍ من أمور الدنيا ليس غضباً لله عز وجل يعني إنسان يحتقر إنسانا لأنه قبيحٌ في منظره، إنسانٌ يحتقر إنساناً ويسخر منه لأن ثيابه رثّه إنسان يحتقر إنساناً آخر لأنه فقير إنسان يحتقر إنسانا آخر لأنه جاهل إنسان يحتقر إنسانا آخر لأنه وضيع في نسبه، هذه كلها لا قيمة لها في ميزان الله عز وجل.

فالإنسان عليه أن يعرف قدره وسخريتك بأخيك المسلم واحتقارك له هو وضعٌ من شأنك أنت لماذا ؟ لأنك ارتكبت عملاً قبيحاً في دين الله عزّ وجل فقد يكون هذا الإنسان صاحب توبة صاحب إنابة وأنت في نفس الوقت تعصي الله عزل وجل باحتقاره فقد وضعت من منزلتك ومن مكانتك.

فقال الله عز وجل هنا {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ} لا يسخر طائفة من الناس بطائفة أخرى من الناس ولا يسخر رجل من رجل آخر لماذا ؟ عسى أن يكونوا خيراً منهم يعني ربما يكون هؤلاء القوم المسخور منهم خيراً ممن سخر منهم، خيراً عند من؟ عند الله سبحانه وتعالى وهذا هو الأمر الذي لا يطلع عليه إلا الله عز وجل علام الغيوب.

{وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ} يعني ولا يسخر نساءٌ من نساء، قال العلماء كلمة القوم في الأصل تشمل الرجال والنساء هذا عند بعض أهل اللغة يقولون هذا، وبعضهم قال نحن نعلم في عرف الشرع إذا خاطب الله المؤمنين وقال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} يدخل فيه الرجال والنساء كأي تكليف شرعي، إلا أن الله عز وجل في هذا الموضوع أفرد ذكر النساء عن ذكر القوم لماذا؟ قالوا لأن السخرية في النساء بعضهن من بعض أكثر من ماذا؟ من سخرية الرجال بعضهم من بعض، فالله عزّ وجل خصهن بالذكر لما ينتشر بينهن من الازدراء لبعضهن والاحتقار لبعضهن والسخرية لبعضهن وتحقير بعضهن، فقال الله عز وجل هنا {وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ} يعني ولا يسخر أو ولا تسخر نساءٌ من نساء سواء كان بسبب جمالها أو بسبب مالها أو بسبب شرفها أو بسبب حسبها أو بأي سبب من الأسباب الأخرى لماذا ؟ السبب واحد {عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ} يذكر بعض المفسرين هنا أن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا يذكرونه هنا ويذكرونه أيضا في باب الغيبة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: "حسبك من صفية أنها هكذا" وأشارت إلى قصرها يعني يكفيك عيبا في صفية رضي الله تعالى عنها وعن عائشة أنها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة: " لقد قلت كلمةً لو مُزجت بماء البحر لمزجته" يعني هذه الكلمة البسيطة التي تلفظتي بها لو مُزجت لو خلطناها بماء البحر لغيرت طعم ماء البحر، لماذا ؟ لأنها يعني شيء عظيم هذا الأمر الذي تكلمتِ به.

فإذن الإنسان عليه أن يتجنب هذا الخلق السيئ احتقار الآخرين والمؤمنين هذا ليس من خلق أهل الإسلام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره" والنبي صلى الله عليه وسلم قال: " بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم " يعني يكفيك من الشر الذي تستحق عليه العقوبة من الله عز وجل أن تحتقر أخاك المسلم، هذا يكفيك لا تحتاج معه لذنب آخر هذا يدل على ماذا؟ يدل على أن احتقار المؤمنين كبيرة من الكبائر يعني أن من يرتكب هذا الفعل هو فاسق لأن الفاسق من هو؟ مرتكب الكبيرة فالإنسان عليه أن يحفظ عليه دينه وقلنا لا نخلط بين الأمرين الإنسان قد يكون عاصياً لله عز وجل وقد يكون مرتكب لكبيرة من الكبائر وقد يكون مرتكباً لبدعة من البدع نعم هذا الإنسان نحذر منه وننصحه وننكر عليه ونهجره ويُعاقب إذا استحق العقوبة هذه كلها أشياء جاء بها الشرع ولكن هذا شيءٌ واحتقاره وازدرائه شيءٌ آخر لماذا ؟ لأن الاحتقار يكون مبنياً على أعمال الإنسان كلها يعني تريد عندما تريد أن تقوم هذا الإنسان وأن تعطيه قيمته ومنزلته إما أنك ترفعه وإما أنك تضعه هذا لابدَّ أن تجمع بين خصال هذا الإنسان كلها وخصاله منها ما هو ظاهر ما تراه أنت سواء من صفات حسنة أو من صفات سيئة ومنها ما هو باطن لا تطلع عليه أنت قد يكون هذا الإنسان محباً لله عز وجل معظماً لله عز وجل مستحياً من الله عز وجل بما يفعله من الموبقات فكم من ذنبٍ أورث طاعة كم من ذنبٍ يرتكبه الإنسان فبعد ذلك يندم ويستحيي من الله عز وجل ويكثر من الإستغفار وينكسر بين يدي الله عز وجل فيرفعه الله درجات بماذا ؟ بسبب هذا الإستغفار وهذا الحياء، فعلينا ماذا؟ علينا أن نعطي الناس حقهم وأن نتجنب احتقار المسلمين فقال الله عز وجل هنا {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ} يعني ولا تعيبوا ولا يعب بعضكم بعضا، اللمز هو إظهار عيب الإنسان إما أن يكون باللسان وإما أن يكون بالإشارة وإما أن يكون بالفعل أو بأي طريقة تعيب بها هذا الإنسان تظهر عيبه في المجالس وبين الناس

{وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ} قال العلماء تأمل كيف قال الله عز وجل هنا {وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ} كيف يعيب الإنسان نفسه ؟ وذلك لأن المسلمين كالجسد الواحد فأنت إذا عبت أخاك المسلم فكأنك عبت نفسك هذا واحد من الأقوال، أو أن عيبك لأخيك المسلم يؤدي إلى عيبه لك يعني عندما تذكر ما فيه من العيوب وما فيه من النقائص فتأخذهُ الحمية ويرد عليك بمثلها فأنت كنت السبب في ماذا؟ في عيب نفسك، فهو إما أن المقصود به أنه لا يعب بعضكم بعضا كما قال الله عز وجل {وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} هذه تشمل المعنيين يعني لا ينتحر الإنسان لا يقتل نفسه وكذلك لا يقتل أخاه المسلم لأنك حينما تسفك نفس أخيك المسلم فكأنما قتلت نفسك لماذا ؟ لأن المسلمين كما قلنا هم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، فالإنسان لا يعيب أخاه المسلم.

{وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ} يعني ولا يرمي بعضكم بعضاً بالألقاب السيئة القبيحة، اللقب كما نعلم هو وصفٌ إما يتضمن مدحاً وإما ذماً والمنهي عنه هنا هو الوصف الذي يكون ذماً لأخيك المسلم يعني ولا تنابزوا بالألقاب لا يصف بعضكم ولا ينادي بعضكم بعضا بألقابٍ يكرهها، يكرهها هذا الإنسان كالأعرج أو الأعمش أو القصير أو الأسود مما يكرهه هذا الإنسان.

فقال الله عز وجل هنا {وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ} ويدخل في ذلك مناداة المسلم لأخيه المسلم يا فاسق يا كافر يا مجرم إذا لم يكن فيه هذا الوصف كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " من قال لأخيه المسلم يا كافر، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه"، يعني إذا كفّر الإنسان أخاه المسلم فإذا كان هذا المُكفّر حقيقي يعني يستحق التكفير فذاك هو وإلا فرجع الأمر على قائله واختلف العلماء في معنى هذا الحديث على سبعة أو ستة أقوال.

فالمقصود هنا أن المسلم لا ينادي ولا ينبز أخاه المسلم بلقب يكرهه.

وقال الله عز وجل {وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ}، يعني قبح الاسم الذي هو الفسوق بعد أن تتصفوا بالإيمان، هذا يحتمل معنيين كما ذكر العلماء، إما أنه بئس أن تصف أخاك المسلم بالفسوق بعد أن اتصف بالإيمان، وإما أنك أنت بنداداتك لأخيك المسلم بلقبٍ يكرهه قد أوقعت نفسك في الفسق، فبئس ما أوقعت نفسك فيه بعد إيمانك وبعد صلاحك.

{بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، يعني فمن بلغه هذا ولم يتب عن هذه المعاصي ولم يقلع عنها فقال الله عز وجل {فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، جاء بصيغة الحصر كأنه لا ظالم إلا من فعل هذا، وهذا يدلنا على عظم هذه الأفعال {بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} وهذه الأعمال كما نعلم هي من حقوق العباد فالتوبة منها تحتاج إلى ماذا؟ إلى أن يُسقط الإنسان حقه، فلذلك الإنسان الذي يحتقر أخاه المسلم أو الذي ينادي أخاه المسلم أو الذي يلمز أخاه المسلم هذا يحتاج إلى توبة صادقةٍ لله عز وجل يندم فيها ويعزم فيها على عدم الرجوع ويقلع عن ما فعل ويدعو لأخيه في ظهر الغيب.

ونقف عند هذه الآية وغداً إن شاء الله نتكلم عن الآية الأخرى، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

*****

الدرس السادس

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهـدِه الله فـلا مضلَّ له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

ثم أمـــا بـعـــد..

كنّا قد تكلمنا بالأمس على قول الله عزَّ وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، وقلنا إن هذه الآية قد نهت عن ثلاثة أخلاقٍ ذميمة يجب على المسلم أن يتجنبها، أولها هي السخرية من أخيه المسلم.

والأمر الثاني هو التنابز بالألقاب.

والأمرُ الثالث هو اللمز.

وقد فصّلنا الكلام في هذه العيوب الثلاثة وقلنا لا يصلحُ للمسلم أن يحتقر أخاه المسلم وهو الذي تجمعه به عقيدة الإسلام وإخوة الإيمان ورابطة التوحيد.

ثمَّ قال لله عزَّ وجل بعد ذلك: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}.

كما ذكرنا في أول السورة فإن هذه السورة تُبين الأسس والقواعد التي يقوم عليها المجتمع المسلم في التعامل وفي العلاقات في ما بينهم، فأمرت بأخلاقٍ يجب على المسلمين أن يأخذوا بها كما قال الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا} وهمت عن أخلاقٍ وحذّرت منها وأمرت المسلمين أو المؤمنين أن

يجتنبوها، فمن هذه الأخلاق الذميمة التي يجب على المسلم أن يتورع عنها هو سوءُ الظنِّ بإخوانه المسلمين، قال الله عز وجل : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} فحتى لا يقع الإنسان في هذا البعض الذي هو معصيةٌ لله عزَّ وجل والذي هو أذيةٌ لأخيه المسلم، فينبغي له أن يجتنب كثيراً من الظن، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: {اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ}.

وذكرَ العلماء للظن المذموم ثلاثة أمور:

أولاً أن يكون هذا الظن في حقِّ المسلم وليس في حقِّ الكافر، كما قال الله عزَّ وجل هنا اجتنبوا كثيراً من الظن أي في حقِّ إخوانكم من المسلمين.

الأمر الثاني هو أن يكون هذا الظن أو هذا الظن المنهي عنه هو الذي يستقر في القلبِ ويثبت ويحققه صاحبه حتى يصبح ماذا؟ حتى يصبح كاليقين فيبني عليه تصرفاته وعلاقاته مع إخوانه، أما الهواجس والخواطر التي تعبُر بنفس الإنسان عبوراً ولا تستقر ولا يبني عليها شيئاً ماذا؟ فهذا الأمر ماذا ؟ هذا الإنسانُ لا يؤاخذ على هذا الأمر.

الأمر الثالث أن يكون هذا في من ظاهرهُ الصلاح والتقوى وأما المجاهر بالمعصية والذي يُدخل نفسه في مواضع الريبة والشك فهذا هو الذي أوقع نفسه في ماذا؟ في دائرة التهمة، وقال الله عز وجل هنا {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ}، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: " إياكم والظن فإنّ الظن أكذبُ الحديث"، وكثيراً ما يتعامل الإنسان مع ما يقع في نفسه من الظنون والأوهام وربما يبني عليها أحكاماً قد يكون هذا الحكم تفسيقاً أو تكفيراً أو هجراناً لأخيه المسلم وربما غيبةً وربما تحذيراً من أخيه المسلم إلى غير ذلك مما يُبنى على هذا الظن، فإذا تحقق من هذا وبحثَ عنه وتفحصه وجده مجرد وهم و مجرد ظنون لا أصلَ لها في الواقع.

فقال الله عزَّ وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} وتأملوا الترتيب التي سارت عليه هذه الآية فأولاً نهت عن الظن وهي الخواطر التي تقع في قلب المؤمن ثمَّ ماذا؟ فإذا الإنسان أصابه ظن سوء بحق أخيه المسلم، يعني ظننت بأخيك المسلم ظناً سيئاً، فبعد هذا الظن سيدعوك للتحقق منه يعني ستحاول أنت أو يحاول هذا الإنسان الظان بأخيه سيحاول أن يتفحص وأن يتحقق من صحة هذا الظن فهذا يدعوه إلى ماذا؟ إلى التجسس يدعوه إلى التجسس ، ولهذا قال الله عزَّ وجل بعد النهي عن الظن نهى عن التجسس قال: {وَلَا تَجَسَّسُوا} يعني ما دام أخوك المسلم مستوراً فدعه على حالة ستره وأما البحث والتفحص ومحاولة التنقيب من هنا ومن هنا في أمور ليست لك بها علاقة ولا يتعلق بها حكمٌ شرعي تحتاجه فهذا أمرٌ منهي عنه.

النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تجسسوا ولا تحسسوا" ، بعض العلماء قال إن التجسس يكون في أمور الشر والتحسس يكون في أمور الخير كما قال الله عز وجل {يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ}

وبعض العلماء قال يُطلق كل منهما على الآخر يعني يطلق على التجسس بأنه تحسس ويطلق على التحسس بأنه كذلك تجسس.

فالله عزَّ وجل هنا نهى عن التجسسِ ولكن التجسس ماذا؟ التجسس الذي يكون في حق المؤمنين الذي يكشف عن عورات المسلمين ويبحث عن ماذا ؟ عيوب المسلمين ويحاول أن يطلع على خفايا أخطاء هؤلاء المسلمين.

أما من جاهر فهذا لن تتجسس عليه لأنه أعلن بماذا؟ أعلن بمعصيته ومخالفته لأمر الله عز وجل، إذن التجسس المنهي عنه هنا هو التجسس الذي يكون بحثاً وتنقيباً عن عيوبِ المسلمين وعن عورات المسلمين، النبي صلى الله عليه وسلم قال " يا معشرَ من آمنَ بلسانه ولم يدخُل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورات المسلمين يفضحهُ الله ولو في عقرِ بيتهِ" إذن الإنسان منهي عن تتبع ماذا؟ عورات المسلمين كما نهي أيضاً عن غيبة المسلمين.

وقلنا إن الذي يدعوا إلى التجسس ما هو ؟ هو سوء الظن، فلهذا قال الله عزَّ وجل هنا: {وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا}.

ثمَّ نهى الله سبحانه وتعالى بعد ذلك عن الغيبة، وهي تكون نتيجة للتجسس، فالإنسان إذا ظنَّ بأخيه ظنَّ السوء، ثمَّ حاولَ أن يطلع أو يتحقق من صحةِ ذلك الظن الذي وقعَ في نفسه فهذا سيدعوهُ ويدفعهُ إلى التحدث عن أخيه المسلم بما يكره، وهذه هي الغيبة.

النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الغيبة وعندما سُئل عن الغيبة قال: " ذكركَ أخاكَ بما يكرَه" قيل: "أرأيت إن كان في أخي ما أقول" ، يعني أرأيت إن كان في أخي المسلم ما أقول فيه من العيوب، فيه بعض العيوب التي يمكن أن أتحدث بها، قال: " إن كان فيه ما تقول فقدْ اغتبته، وإن لم يكن فيهِ ما تقول فقدْ بهتــه"، إذن البهتان أشدّ من الغيبة، والغيبةُ نقلَ غيرٍ واحد من العلماء على أنها كبيرةٌ من الكبائر، وهي محرمةٌ باتفاقِ العلماء وبدلالة الكتاب الصريحة وبدلالة السنة الصحيحة أيضاً، فقال الله عز وجل هنا: {وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} والأحاديث في النهي عن الغيبة كثيرة.

فقال الله عز وجل هنا نهى عن الغيبة وضربَ مثلاً يُنفِّرُ من هذا العمل القبيح، والغيبة هي أعظم ما يفسد العلاقات بين المسلمين، الغيبةُ والنميمة، الغيبة هي أن تذكر أخاكَ في المجالس بما يكرهه والنميمة هو أن ينقل الإنسان كلام هذا لهذا وكلام هذا لهذا ليُفسد بينهما " لا يدخل الجنةَ قتّات"، " ولا يدخل الجنة نمّام" كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

فهنا الله سبحانه وتعالى نهى نهياً صريحاً عن الغيبة قال: {وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} ثمَّ ضربَ لهذه الغيبة مثلاً، قال : {أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا} هذه هي حالة المغتاب، كحالةِ إنسان جلسَ على جثةِ أخيه وبدأ

يُقطع لحمها ويأكلها وهذا الأخ هو إنسان ميت، هل هناك إنسان يمكن أن يقبل مثل هذه الصورة أو يشتهي مثل هذا اللحم، هذا هو حال المسلم الذي يغتابُ أخاه المسلم.

قال العلماء وجه التشبيه من أين؟ أولاً، هذا الأخ أنت تأكلُ لحمه فكذلك أنت تتحدث عنهُ فهذا الكلام الذي تقوله كأنك تأكل لحم أخيك.

الأمر الثاني هذا الإنسان هو غائبٌ ليس موجوداً في مجلسكَ لا يدري بما تقوله أنت عنه فكذلك هذا الميت لا يدرك ما يقال عنه، واضح ؟ فكأن هذا الإنسان الغائبُ هو إنسان ميت وأنت تأكل لحمه وتتفكه به.

فكما أن الإنسان يكره هذه الصورة وهو أن يأكل لحم أخيه المسلم الميت، فكذلك يجبُ عليه أن يكره الحديث أو أن يكره إعابة وعيب أخيه المسلم الغائب عنه، واضح يا أخوة؟

فقال الله عزَّ وجل هنا: {وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا} نعم لا يحب أحدنا أن يأكل لحم أخيه ميتا {فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ}.

وذكرَ العلماء أن هناك بعض الحالات التي تجوز فيها الغيبة وذلك إذا كان هناك مقصود شرعي ولا يمكن الوصول إلى هذا المقصود الشرعي إلا بهذه الطريقة، واضح؟

إذن بضابطين، الضابط الأول أن يكونَ هذا الذي ستتكلم عنه هذا العيب ستذكره لمقصودٍ شرعيٍ معتبر، والأمرُ الثاني أنك لا تستطيع أن تتوصل إلى هذا المقصود إلا عبرَ ذكركَ أخاكَ بما يكره، واضح؟

وذكر العلماء ستة صور لهذا نذكر بعضها:

الحالة الأولى هي حالة التظلم، قالوا لو أن إنساناً ظلمَ إنساناً أخذَ ماله أو ضربه ظلماً أو لأيّ نوع من أنواع الظلم فلهذا الإنسان أن يتكلم عن من ظلمه في الموضع الذي يحتاج فيه لبيان الظلم، مثلاً يذهب إلى القاضي ويقول إن فلاناً ظلمني خانني أكل مالي إلى غير ذلك من الأشياء التي يحتاج فيها لبيانه، المقصد الشرعي ما هو هنا، هو استرجاع حقه هذا مقصدٌ شرعي، صحيح؟

والأمر الآخر أنك تريد أن تبين حقيقة هذا حتى يحكم القاضي أو من أرادَ أن يحكم لك بماذا ؟ بما تستحقه.

والنبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَطلُ الغني ظلمٌ يحل عرضه وعقوبته"، يعني الإنسان إذا كان غنياً يستطيع أن يقضي دينه ثمَّ بدأ يماطلُ في هذا الدين يطلبهُ الدائن ولكنّ الغني يماطل يعني يتأخر ويتقاعس في قضاء هذا الدين فلهذا الإنسان أن يتكلم على هذا الغني ويقول هو ظلمني وأكل مالي و ماردّ ديني وإلى غير ذلك، واضح هذا ؟ إذن هذه هي الحالة الأولى وهي حالة التظلُم.

الحالة الثانية في حالة الاستفتاء، يعني لو أن إنسان عنده نازله وجاءَ إلى أحد العلماء يستفتيه فيقول مثلاً ضـــربني فلان أو خانني فلان أو ظلمني فلان في كذا وكذا وكذا فما الحكمُ؟ ليس قضاء ولكن هذا في الاستفتاء يعـــني يبحث عن الحكم الشرعي الذي يتعلق بهذا الشخص ففي هذه الحالة لا تعد غيبة واستدل العلماء لهذه الحالـــة بأن هند رضي الله تعالى عنها وهي زوجة أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه جاءت إلى النبي صـــلى الله عليـــه وسلم وقالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجلٌ شحيح، لا يعطيني وأبنائي ما يكفيني أفآخذُ من مالـــه ؟ قـــال: " خُذي ما يكفيك وأبناءك"، واضح؟ إذن هنا جاءت ووصفت زوجها بأنهُ شحيح يعني بخيل واضح؟ ومع ذلـــك لم ينكر عليها النبي صلى الله عليه وسلم، واضح يا إخوة؟

الأمر الثاني التعريف، إذا كان هناكَ شخصٌ صاحب بدعة أو صاحب فسق أو صاحب فجور أو جاءك شخصٌ يستنصحك في حق رجل لمعاملةً ستكون بينهما وأنت تعلم صفةً ذميمةً في هذا الشخص فهنا يجـــبُ عليـــك أن تذكر ماذا ؟ ما تعتقده في هذا لا شخص وأن تبين ما فيه من العيب مادام يُـــبنى عليه مصلحة شرعية، وفي هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم، جاءته امرأة وقالت خطبني فلان وفلان يعني تستشيره من تتزوج منهما قال لهـــا الذي هو معاوية بن أبي سفيان – والآخر من؟ – الثاني هو أبو جهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما معاويـــة فرجلٌ صعلوك لا مال له، ذكرهُ النبي صلى الله عليه وسلم بما يعرفه من حاله، صح؟ وأما أبو جهمٍ فقال الـــنبي صلى الله عليه وسلم إنه رجلٌ لا يضع العصا عن عاتقه وفي رواية أخرى إنه ضرّاب للنساء، فذكر النبي صـــلى الله عليه وسلم ماذا؟ ذكر الصفتين اللتين تتعلقان بهذين الصحابيين حتى قال لها انكحي فلاناً يعني أسامة رضـــي الله تعالى عنه.

كذلك من هذا الباب تجريح الشهود والرواة، الشاهد إذا جاءَ القاضي وأرادَ أن يعدِّل هذا الشاهد وسألَ عنـــه ماذا تعرف عنه ؟ وأنت تعرفُ أنه فاسق فتقول يفعل كذا ويفعل كذا ويفعل كذا، لماذا؟ لأن شـــهادته ســـيبنى عليها حكمٌ شرعي، ومن هذا الباب أيضاً ما يفعله علماءُ الحديث عندما يقولون هذا الراوي مثلاً كذاب وهذا متهم وهذا كذا ويذكرون بعض الصفات في بعض الرواة لأن ذكرَ هذه الأشياء يترتبُ عليها مصلحة شـــرعية وهي المحافظة على السنة، إذن هذا هو الموطن الثالث الذي تجوزُ فيه الغيبة.

الموطن الرابع، قالَ العلماء إذا احتاجَ الإنسان أن يستعينَ بشخصٍ في إنكار منكر، يعني لو كان هناك إنـــسان يفعل منكراً وأنت لا تستطيع أن تنكر عليه ولا أن تمنعه مما هو فيه وتعلم أنه هناك شخصا له سلطة وقدرة على منع هذا الإنسان من منكره وإزالته عنه فهنا يجوز لك أن تذهبَ لهذا الشخص وربما يجب عليك، وأن تقول لـــه إن فلاناً يفعل كذا ويفعل كذا ويفعل كذا، هذا من باب الغيبة صحيح ؟ لأنك تذكره بما يكرههُ واضـــح؟ وفي هذه الحالة جوَّزت الشريعة للإنسان أن يستعين في إنكار المنكر بشخصٍ ولو ذكر الآخر بما فيه من المنكر.

هذه بعض المواضع التي تجوز فيها الغيبة ونكمل غداً .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

*****

الدرس السابع

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهــده الله فــلا مضلّ له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، صلى الله عليه وعلى آلــه وأصــحابهِ أجمعين وعلى من اهتدى بهديه وسارَ عل سنته إلى يوم الدين.

ثمّ أمــــا بعد ..

فإن الوقتَ لا يتسع للتفصيل الذي كنا نسير عليهِ في تفسير الآيات ولذلك سنقتصرُ على ذكر المعــاني الــتي يتضحُ بها المعنى العام للآية من غيرِ دخول في كثيرٍ من التفاصيل والأمور الأخرى التي ربما كنا نشير إليها بــين حينٍ وحين.

فنحاول إن شاء الله أن نمرّ على ما بقي من آيات سورة الحجرات وكنا قد وقفنا عند قول الله عز وجــل: {يَــا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} قلنا إن هذه الآية قد نهت عن ثلاثة أمور وأوجبت على المسلمين أن يتقوها وأن يجتنبوها:

أولها سوء الظن بالمسلمين، فإنه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أكذبُ الحديث" ، والثاني هو التجــسس ومعناهُ البحث والتحسس لمحاولة الإطلاع على عورات المسلمين، وكما قال النبي صــلى الله عليــه وســلم في الحديث الذي ذكرناه بالأمس: " يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبــه، لا تغتــابوا المــؤمنين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عوراتهم يفضحه الله ولو في عقرِ داره " أي ولو في قعر داره، فالمسلم إذن مطالــب بأن يستر على أخيه المسلم لا أن يفضحهُ وأن يُشهِّر بهِ ويذكر معايبه في المجالس وينشرها بين الناس وربما يفرحُ بما يكتشفه من ماذا ؟ من الأخطاء والعيوب والزلات و الهفوات التي يقع فيها المسلم، فهذا أخوك سترك له هو سترٌ لك أنت وكما ذكرنا في الآية السابقة التي قبل هذه قول الله سبحانه وتعالى: {وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُــسَكُمْ وَلَــا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ}.

والأمر الثالث الذي نهت عنه هذه الآية هو الغيبة، وقلنا إن الغيبة داءٌ عضال إذا انتشر في المجتمعات فإنه يفرق ويقطع أواصرها ومابينها من الروابط وتورث الشحناء والبغضاء والعداوة، وتجعل الإنسان أو تجعــل المــسلم يكيد لأخيه المسلم، ويحاول أن يوقعه في ماذا ؟ أن يوقعه فيما يكرههُ فلهذا نهى الله سبحانه وتعالى عنــها أشــد النهي، ونهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم أشد النهي وورد في ذلك أحاديث متعددة لا مجال لذكرها والمرور عليها.

وكلنا نعلم الأحاديث التي كقول النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: " إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ عليكم كحرمة يومك هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا "، فالنبي صلى الله عليه وسلم سوّى في الحرمة بين هذه الأمور، الدماء يعني فلا تسفكوها بغير حقٍ والأموال فلا تأخذوها بغير حقٍ والأعراض فلا تنتهكوها، ولذلك كما ذكر شيخ الإسلام وغيره ، تجد الإنسان يتورع كثيراً عن سفك دم أخيه المسلم ويتورع عن أخذ مال أخيه المسلم بغير حق ولكنه لا يتورع عن ماذا ؟ عن تقطيع عرض أخيه المسلم، يعني تجدهُ في المجالس يخوض في عرض هذا ويخوض في عرض هذا ويذكر معايب هذا ويذكر أخطاء هذا وهو لا يدري بذلك أنه قد ارتكب محرما لا يكاد يقل في حرمته عن سفك دم المسلم، واضح يا إخوة ؟

بل كثير من الناس يرضى أن تقتلهُ ولا يرضى أن تتكلم في عرضه، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم " إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ عليكم".

وذكرنا بالأمس بعض الصور التي استثناها العلماء وجازَ فيها غيبة المسلم وقلنا ضابطُ ذلك أن يكون هناك مصلحةٌ شرعية تدعو إلى ذكر هذا العيب وأن لا يمكن التوصل لهذه المصلحة إلا عبر ماذا؟ إلا عبر الغيبة، فإذا وجد هذان الشرطان فإنها تجوزُ، بل ربما تجبُ إذا ترتب عليها دفعُ ضررٍ محققٍ في حق المسلمِ.

ثمَّ قال الله سبحانه وتعالى بعد ذلك في آخر الآية: {أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ} فأمر أولا بتقوى الله عز وجل وقد مرَّ معنا هذا الأمر مكرراً في هذه السورة وفي غيرها من السور، فالله سبحانه وتعالى يأمر بتقواه لماذا؟ لأنها هي الحائل بين المسلم وبين اقتحام محارم الله عز وجل أن تجعل بينك وبينها وقاية حاجز يمنعك من دخولها، هذا الحاجز هو خشية الله عز وجل ومراقبة الله سبحانه وتعالى، هو العلم والتيقن بأنك معروضٌ ستعرض على الله عز وجل وأنه سيسألك عن كل صغيرٍ وكبيرٍ من ماذا ؟ من أعمالك سواءٌ منها ما يتعلق بحق الله سبحانه وتعالى أو ما يتعلق بحقوق العباد فالإنسان إذن مأمور بتقوى الله سبحانه وتعالى.

ثمّ بعد ذلك أمرَ بالتوبة، أمر بالتوبة والله سبحانه وتعالى أمر بالتوبة في كتابه فقال: {وَتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ} وقال {يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا}.

التوبة قسمان :

–هناك توبةٌ عامة بمعنى أن الإنسان يتوب توبةً عامة من كل ذنب ارتكبه، فالإنسان لا يستطيع أن يستحضر ذنوبه كلها في كل حين ولكن يستطيع أن يعزم بقلبه على أن لا يعصي الله سبحانه وتعالى ما استطاع، وأنه سيقلع عن الذنوب التي كان يفعلها، هذه توبة عامة.

–وهناك التوبة الخاصة التي تتعلق بذنبٍ معين يعلمه الإنسان، وقال العلماء إن التوبة واجبة، التوبة واجبة وتصحُّ التوبة من بعض الذنوب مع عدم التوبة من بعضها، يعني الإنسان قد لا يتوب من ذنبٍ ويتوبُ من ذنبٍ

على وجه الخصوص، واضح يا إخوة؟ فالله سبحانه وتعالى أمرَ المؤمنين بالتوبة {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا} ليس هناك مؤمنٌ على وجه الأرض لا يحتاج إلى التوبة، لماذا ؟ لأنه ليس هناك أحد معصوم من معصية الله عز وجل أقل ذلك التقصير في حق الله سبحانه وتعالى، المسلم مهما عبد الله عز وجل مهما صلى مهما صام مهما سجد مهما ذكر إلا أنه لم يؤدي شيئاً من شكر نعم الله عز وجل، نعم الله سبحانه وتعالى عظيمة {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ للّهِ لاَ تُحْصُوهَا} إذا كنت أنت عاجزاً عن عد نعم الله فكيف ستؤدي شكرها؟

لذلك كما جاء عن أنس رضي الله عنه قال توضع يوم القيامة ثلاثة دواوين، ديوانٌ للحسنات وديوانٌ للسيئات المعاصي وديوانٌ للنعم، ديوان لنعم الله عز وجل، فيقول الله سبحانه وتعالى قايسوا بين نعمي وبين عبادات عبدي، يعني انظروا هل تكافؤها فأي عمل يمكن أن يكافئ نعم الله سبحانه وتعالى ؟ لا يوجد فتستهلك ماذا ؟ نعم الله تستهلك الطاعات كلها فتبقى المعاصي تحتاج إلى ماذا ؟ تحتاج إلى شيء يقابلها من الحسنات ولذلك لن يدخل الجنة أحد بعمله وإنما برحمة الله عز وجل، ومع ذلك كما قلنا فإن الإنسان مطالب بالتوبة والتوبة كما ذكر العلماء لها شروط التوبة ليست مجرد كلمة يقولها الإنسان ويرددها على لسانه وإنما هي عمل يجتمع فيها عمل الجوارح وعمل القلب أيضا.

أول هذه الأعمال أو أول هذه الأمور التي يحتاجها التائب ما هي ؟ هي العزمُ على عدم العود إلى هذا الذنب سواء كان هذا الذنب مما يتعلق بحقوق الله أو ما يتعلق بحقوق العباد، الإنسان يعزم بقلبه عزيمة قاطعة أن لا يرجع إلى هذا الذنب مرة أخرى.

الأمر الثاني هو الندم على ما فعله، يعني الانكسار والحياء والندم، لماذا هو اقترف هذا الذنب في حق الله سبحانه وتعالى أو في حق أحدٍ من عباده.

الأمر الثالث هو الإقلاع عن ماذا ؟ عن الذنب ، أن يقلع عن الذنب فلا يصح أن يكون الإنسان منغمساً في معصية من المعاصي ويعب منها عباً ويقول أنا أتوب إلى الله سبحانه وتعالى وإنما التوبة لابد أن يكون فيها ماذا ؟ أعمال الجوارح هو مفاصلة هذه المعصية ولذلك فالرجل الذي قتل تسعاً وتسعين نفسا ثم تمم بالراهب وتمم مئة أرشده العالم إلى ماذا ؟ إلى الخروج من هذه الأرض التي يرتكب فيها المعصية مفاصلتها الابتعاد عنها فإنها أرض سوءٍ.. نعم .

هذه الشروط قال العلماء إذا كان الذنب حقا لله عز وجل، فإذا كان الذنب من حقوق العباد انضاف إليه شرط آخر وهو التحلل من صاحب هذا الحق، يعني طلب الصفحِ والعفوِ من صاحب هذا الحق سواء كان هذا الحق ماديا كأموالٍ أخذها منه بغير حقٍ أو كان هذا معنوياً كالغيبة والنميمة والكذب عليه والافتراء، ولكن قال العلماء كالغيبة ربما يؤدي ذكرك لأخيك وذهابك إليه وتحللك منه يؤدي إلى ماذا ؟ يؤدي إلى زيادة العداوة فقالوا في هذه الحالة يكفي الإنسان أن يذكر من اغتابه في المجالس التي استنقصه فيها أن يمدحه ويذكر ما فيه من المحاسن حتى يتحلل مما ارتكبه وأن يدعوا له في ظهر الغيب.

ولهذا قال الله عز وجل هنا في آخر الآية: {وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}، يعني الإنسان لا ييأس من رحمة الله عز وجل وعليه أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى من كل ذنبٍ من قبل أن يحال بينه وبين التوبة، إذا خرج الإنسان من هذه الدنيا وعلى ظهرهِ أوزار من حقوق العباد أو من حق الله عز وجل فخلاص ستحاسب على هذه الأعمال أما مادمت في الدنيا وفي السعة وبإمكانك التوبة والإقلاع والندم والإستغفار والإكثار من الحسنات التي تُكفر السيئات فالباب أمامك مفتوح ما الذي يمنعك {إِنّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السّيّئَاتِ} " واتبع السيئة الحسنة تمحوها" واضح يا إخوة؟

إذن نحن محتاجون إلى التوبة ومحتاجون إلى تقوى الله سبحانه وتعالى التي وصى بها الأولين والآخرين كما قال الله سبحانه وتعالى : {وَلَقَدْ وَصّيْنَا الّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيّاكُمْ أَنِ اتّقُوا اللّهَ}.

ثمَّ قال الله عز وجل بعد ذلك {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}.

تبين لنا هذه الآية الميزان الصحيح عند الله عز وجل في تفاوت مراتب الناس، فذكر الله سبحانه وتعالى ابتداء الأصل الذي يتساوى فيه جميع الناس الأسود والأحمر والأبيض، العبد والسيد، القريب والبعيد كلهم قال الله عز وجل {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} وانظر كيف خاطبهم بالناس وما قال يا أيها الذين آمنوا وهو خطاب لماذا ؟ لجميع الناس وهذا الخطاب {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} هو من المعهود في السور المكية وليست في السور المدنية، السور المكية هي التي تجد فيها {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} لأن الخطاب كان عاماً ولم يكن للمسلمين مجتمع خاص بهم يفردنا به عن الكفار {يَا أَيّهَا النّاسُ اتّقُوا رَبّكُمْ إِنّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} إلى غير ذلك.

فقال الله عز وجل هنا : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ} وهما آدم وحواء، يعني كلكم يرجع أصلكم إلى من ؟ إلى آدم وحواء فالنسب الطيني لا تفاوت فيه، النسب الطيني من حيث أصل الخلقة هذا لا تفاوت فيه بين الناس كلهم فيه سواء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " كلكم لآدم" فقال الله عز وجل هنا {يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} ثم بعد ذلك الله سبحانه وتعالى فرق العباد وجعلهم شعوبا وهم أعم من القبائل والقبائل هم جزء من ماذا؟ من الشعوب يعني الشعوب تتركب من القبائل وهكذا هي ست مراتب يذكرها العلماء.

فقال الله عز وجل وبين لنا ما هي الحكمة من جعل الناس شعوبا وقبائل قال {لِتَعَارَفُوا} يعني ليقع التعارف فيما بينكم فينتسب هذا إلى هذه القبيلة وينتسب هذا إلى هذه القبيلة أو إلى هذا الشعب، إذن هنا كون الإنسان ينتمي إلى شعبٍ من الشعوب أو إلى قبيلة من القبائل هذا بمجرده لا يدل على التفاضل والحكمة فيه فقط ليقع التعارف بين الناس {وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}.

ثم بين الله سبحانه وتعالى الميزان الحقيقي الذي على الناس أن يتنافسوا فيه وهو الذي تكون به درجاتهم ومنزلتهم عند الله سبحانه وتعالى {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} ليس صاحب المال ولا صاحب الجاه ولا صاحب السلطان ولا صاحب الحكم ولا صاحب الجمال ولكن الكريم عند الله سبحانه وتعالى هو التقي، وهذا باب يستطيع كل إنسان أن يجتهد فيه هذه المراتب يستطيع كل واحد من الناس أن يبذل جهده ليكون تقيا لله عز وجل، فالأعمال أمامك والقدرة عندك والله سبحانه وتعالى موجود لتستعين به في ماذا ؟ في أداء الطاعات واجتناب المحرمات فما الذي يمنعك من تقوى الله سبحانه وتعالى لتكون من الأكرمين ؟ وتكون بعد ذلك من المقدمين فقال الله عز وجل {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} وجاءت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم تؤكد هذا المعنى النبي صلى الله عليه وسلم سأله الصحابة قالوا من أكرم الناس؟ قال: " أتقاهم لله " أتقاهم لله سبحانه وتعالى والتقوى تشتمل ماذا ؟ تشتمل القيام بالطاعات واجتناب المحرمات وعندما نقول أداء الواجبات والطاعات فهذا باب واسعٌ عظيم فيه يتنافس المتنافسون سواء كان من الفرائض العينية أو الواجبات الكفائية أو المستحبات أو ترك المشتبهات والمكروهات وكذلك اجتناب المحرمات.

إذن هذه هي الحقيقة التي يتفاوت بها الناس، أما من أراد أن يفاضل بين الناس بالقومية أو بالشعوبية أو بالمال أو بالجاه أو بالقوة أو بالعقل أو بغير ذلك هذه كلها لا ميزان ولا قيمة لها عند الله سبحانه وتعالى "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى"، لا فضل لعربي ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} ولهذا فالذين ــ هذا المعنى دائما نكرره ــ الذين يريدون أن يغرسوا في قلوب شعوبهم سواء كانت الشعوب العربية أو غيرها الذين يردون أن يغرسوا فيها الترفع على بقية الشعوب بمجرد الانتماء لهذا الشعب أو لغير الشعب هؤلاء ماذا ؟ قد ناقضوا وخالفوا الميزان الشرعي الذي جاء به كتاب الله سبحانه وتعالى الميزان الذي جاء به كتاب الله سبحانه وتعالى وهو تقوى الله عز وجل أما الصورة والجمال والمال والجاه والقومية والوطنية والمصلحة المشتركة وغير ذلك فهذه كلها لا قيمة لها عند الله عز وجل فقال الله سبحانه وتعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} .

وأذكر هنا حديثاً يبين لنا أن الميزان عند الله عز وجل هو بالأعمال الصالحة التي يقوم بها العبد، النبي صلى الله عليه وسلم كان في طريقه إلى غزوةٍ فجاءه رجل قال : يا رسول الله إني رجل أسود اللون قبيح المنظر منتن الريح ــ هكذا يقول هذا الرجل عن نفسه ــ قال أرأيت إن قاتلت هؤلاء فقُتلت فأين أنا ؟ قال: " في الجنة "، فقاتلهم وقُتل هذا الرجل قُتِل، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال : "والذي نفسي بيده إنه لمن ملوك الجنة" ، هذا رجل لا يلبس القيرافيت ولا يخفف لحيته ولا يسرح شعره يمينا ولا يسارا وليس مفتونا بحضارة غربية ولا بتقدم موهوم وإنما كان عمله فقط إن قاتلت هؤلاء فقتلت فأين أنا ؟ قال في الجنة هو يقول عن نفسه لوني أسود شكلي قبيح رائحتي منتنة هذا أنا، إذن الذين يحالون أن يفاضلوا بين الناس بهذه المعايير الأرضية التي ابتلوا بها والتي غزتهم من ماذا ؟ من الشعوب المادية التي تعطي قيمة للناس بحسب غناه وبحسب ماله وبحسب جاهه هؤلاء لا يدركون هذا الميزان الشرعي الذي جاءَ به كتاب الله سبحانه وتعالى.

{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} إن الله عليم خبير هو الذي يعلم التقي ويعلم الصالح والله يعلم المفسد من المصلح فما في القلوب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى والتقوى كما قلنا هي مقسمة على أعمال الجوارح ومقسمة أيضا على أعمال القلوب وفيها يتنافس المتنافسون ثم قال الله عز وجل ولا بأس إن اطلنا قليلا {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

الأعراب هؤلاء أقوامٌ جاؤوا ودخلوا في الإسلام دخلوا في الإسلام وفي أول دخولهم للإسلام زعموا أنهم قد بلغوا ماذا ؟ حقيقة الإيمان يعني أن الإيمان قد تمكن في قلوبهم وأنهم قد أتوا بحقائقه فقال الله عز وجل {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا} يعني آمنا إيماناً حقيقياً راسخاً، فقال الله عز وجل {قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا} ليس المقصود أنكم كفار لا ولكن أن الإيمان المتمكن في القلوب والذي يأتي به صاحبه بحقائقه هذا لم يدخل في قلوبكم بعد، قال: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا} وبهذه الآية استدل بعض العلماء على أن الإيمان والإسلام مختلفين وأن الإيمان أخص من الإسلام فكل مؤمن مسلم وكل محسن مؤمن ولكن ليس كل مسلم مؤمنا ولا كل مؤمن محسن، واضح يا إخوة ؟ فالإيمان أخص من الإسلام وكما قلنا من قبل إن الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

فقال الله عز وجل هنا : {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} يعني لم يدخل الإيمان في قلوبكم بعد بمعنى الدخول المتمكن الذي تحصلون معه على حقيقة الإيمان، واضح ؟ {وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا} يعني إذا أطعتم الله سبحانه وتعالى وأطعتم رسوله لا ينقصكم من أعمالكم شيئا كما قال الله عز وجل: {وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} يعني وما أنقصناهم من عملهم من شيء فلا يخافوا ظلما ولا هضما، حقك لا يضيع عند الله سبحانه وتعالى فإذا أديت طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الوجه الذي أمرت به فلا تخاف أن يضيع هذا العمل الصالح، وقال الله عز وجل هنا : {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} وهذه الآية تدلنا على أن الإنسان لا يزكي نفسه، الإنسان عليه أن لا يزكي نفسه لأنك لا تعرف حقيقة نفسك {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ} فالله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم السر وأخفى هو الذي يعلم تقواك ويعلم قدرها ويعلم إن كنت صادقا فيها وهو الذي يعلم إيمانك ويعلم قدره ويعلم إن كنت صدقا فيه فالإنسان عليه أن لا يغتر بعمله،

أولاً: لأن هذا العمل قد يكون متضمناً لأمر يمنع من قبوله عند الله سبحانه وتعالى وأنت لا تشعر.

ثانياً: أنك لا تدري أيبقى هذا العمل بعد أدائه أو لا يبقى قد ترتكب من المعاصي ما يؤدي إلى إحباط هذا العمل، ثالثاً: إنك لا تدري أتموت على الإيمان أم لا تموت على الإيمان.

فالإنسان عليه إذن أن لا يغتر بعمل صالح قام به ولكن يشكر الله على أن وفقه لأداء هذا العمل، سواء كان هذا العمل صلاةً أو ذكراً أو تلاوةً أو تهجداً أو جهاداً أو إعدادا أو نصحاً أو أمراً بمعروف أو نهياً عن المنكر أو

تعلماً أو تعليماً، كل عمل صالح وفقك الله إليه فاشكر الله عز وجل عليه وأكثر من شكر الله عز وجل على هذا العمل ولا تغتر بهِ لا تغتر بهذا العمل ولك أن تفرح به من باب أن الله سبحانه وتعالى يسره عليك ووفقك إليه.

قال الله عز وجل: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ثم قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} هؤلاء هم المؤمنون الذين كمُل إيمانهم والذين هم رسخت قلوبهم في الإيمان إنما المؤمنون يعني الكاملون الذين آمنوا باللهِ آمنوا بألوهيته وبربوبيته وبأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} وآمنوا برسوله أيضا صدقوا النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبر وأطاعوه فيما أمر وانتهوا عن ما عنه نهى وزجر وكانوا مجتهدين في طاعة الله عز وجل {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} قلوبهم راسخة في الإيمان هم على يقين لم يتطرق إليهم شك ولا ريب ولا تذبذب ولا تردد وإنما قلوبهم ثبتت ورسخت في ماذا ؟ في حقيقة الإيمان، حاله في حال السعة كحاله في حال الشدة، حاله في حال العسر كحاله في حال اليسر حاله في حال الكرب كحاله في حال الفرج قلبه راسخ متعلق بالله عز وجل يعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يقلب أمره يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه هذا هو المؤمن الحق والذين أضافوا على إيمانهم وطاعتهم لله عز وجل ماذا ؟ وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله إذن الجهاد هو عنوان الصدق الجهاد هو عنوان قال الله عز وجل {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} الذي جمعوا بين هذه الأمور بين الإيمان بالله والإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم قد لا يكفي هذا وحده لا بد من البرهان لابد من البينة لابد من وجود الإثبات لهذه الدعوة ما هي؟ هو الجهاد في سبيل الله، لماذا؟ لأن الجهاد هو الساحة التي يقدم فيها الإنسان السلعة التي طالبه الله سبحانه وتعالى بها {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ} إذا كنت مؤمنا حقا بالله وبرسوله والله سبحانه وتعالى يقول لك إني قد اشتريت منك نفسك وثمن نفسك هو الجنة فقدمها، أين تقدمها في ساحات الجهاد في ساحة الجهاد، فإذا وفقت لهذا الأمر وقدمت نفسك بسخاءٍ وبرضاً وأنت تطلب الشهادة وتجاهد في سبيل الله عز وجل فهذا من توفيق الله سبحانه وتعالى وهو من علامات الصدق، واضح يا إخوة؟

إذن قال الله عز وجل {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} الذي يدفع عن الإنسان الريب والذي يعزز صدقه في نصرة دين الله وفي إيمانه بالله وفي حبه لله عز وجل هو الجهاد في سبيل الله لماذا ؟ لأنه يقدم نفسه وهي أغلى ما يملك يقدمها لله سبحانه وتعالى ولأنه ماذا؟ لأنه ترك الدنيا كلها ورائه من أجل إرضاء الله عز وجل ترك بيته وأهله وتجارته ومسكنه وأبنائه وشهادته وجامعته وغير ذلك ووظيفته من أجل ماذا ؟ من أجل أن يثبت أنه مستعد لأن يقدم نفسه إرضاء لله عز وجل كما قال الله سبحانه وتعالى {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}.

إذن هل هناك شيء فوق هذه الأمور التي ذكرها الله سبحانه وتعالى مما يتشبث به الناس ؟ ما من أحد يا إخوة يبتعد عن الجهاد ويتعذر في ترك الجهاد إلا ويحتج بشيء مما ذكره الله سبحانه وتعالى إما أن يحتج بخدمته لبيته وأبنائه وأهله أو يحتج بوظيفته والتي هي : {وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا} أو يحتج بماذا ؟ بتعمير البلاد والبيت وغير ذلك وأن البلاد محتاجة إلينا ولأعمالنا {وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا} وغير ذلك من الأمور، فالإنسان مادام هناك شيء من أمور الدنيا يثبطه {اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ} فليعلم أنه مازال في دائرة المحنة يحتاج إلى إثبات صدقه في الإيمان.

وقال الله عز وجل: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ} يعني الكُمَّل الذين كَمُل إيمانهم {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} يعني الذين وافق قولهم فعلهم وتطابق فعلهم مع اعتقادهم ومع إيمانهم بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال الله عز وجل: {قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} هذا رد على من ؟ على الأعراب الذين قالوا آمنا، يعني قل أتخبرون الله بحقيقة دينكم الله هو الذي يعلم إن كنتم آمنتم كما قلتم {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا} أو لم تكونوا كذلك، قل أتعلمون يعني قل أتخبرون الله بحقيقة دينكم الذي هو إيمانكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض الله لا تخفى عليه خافية فهو الذي يعلم إن كنتم مؤمنين حقا، والله سبحانه وتعالى يعلم إن كان إيمانكم ضعيفاً أو إن كنتم مسلمين أو إن كان في إيمانكم وهن ورقة فالله عز وجل لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

ثم قال الله سبحانه وتعالى: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ} يعني هؤلاء يمنون عليك أيها النبي بأنهم اسلموا وذكروا أنهم قوم من العرب أسلموا وقالوا إن العرب قاتلتك ولم نقاتلك كأنهم يمنون على النبي صلى الله عليه وسلم، {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ} فقال الله سبحانه وتعالى صحح لهم هذا الفهم الخاطئ قال: {قُل لاَّ تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ}، {فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ}، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه {قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ} نعم الله سبحانه وتعالى هو الذي يمن على عبده أن فتح له باب الهداية وشرح صدره لنور الإيمان وأخرجه من الظلمات إلى النور وأنقذه من الكفر إلى الإيمان وأخرجه من المعصية إلى الطاعة هذا كله بتوفيق الله سبحانه وتعالى، هذا كله بتوفيق الله وتيسيره وإعانته سبحانه وتعالى فهو الذي يمن على عباده ليشكروه على هذه النعمة، نعم .. فقال: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.

ثم قال الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} وهذا من باب الأمر العام، فهناك أخبرهم الله سبحانه وتعالى: {قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ} يعني بما في قلوبكم إن كان إيمانا أو لم يكن كذلك وهنا أخبرهم بأن الله سبحانه وتعالى يعلم كل غيبٍ في السماوات وفي الأرض وهو البصير بأعمالكم

يعلم إن كانت موافقة للحق أو مخالفة يعلم إن كنتم صادقين فيها أو لم تكونوا كذلك فالله سبحانه وتعالى هـــو الذي يعلم السر وأخفى سبحانه وتعالى.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علمنا وأن يجعلنا من الصادقين وأن يختم لنا ولكم بالشهادة في سبيله إنـــه سميع قريب ، وصل اللهم على خير خلقك محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وجزاكم الله خيراً.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الفهرس

	العنوان	الصفحة
١	- اللقاء الأول مع السحاب بعد النجاة من سجن باجرام	٣
٢	- اللقاء الثاني مع السحاب بعد النجاة من سجن باجرام	١٨
٣	- كلمة للشيخ في إصدار (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ)	٤٢
٤	- الملا داد الله - أرجو أن أطأ بعرجتي الجنة	٤٥
٥	- العراق بين أمارات النصر ودسائس المؤامرت	٤٩
٦	- (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)	٥٦
٧	- الـنـفـير	٦٦
٨	- تــقـــارب الأديـــان .. خطوة جديدة ضمن الحرب الصليبية	٧٥
٩	- خطــبة عيد الفطر ١٤٢٦/ هـ	٨٥
١٠	- خطبة عيد الأضحى / ١٤٢٨ هـ	٩٠
١١	- خطبة عيد الأضحى / ١٤٢٩ هـ	٩٧
١٢	- خطبة عيد الفطر / ١٤٢٩ هـ	١٠٩
١٣	- خطبة عيد الفطر ١٤٣٠ / هـ	١١٩
١٤	- خطبة عيد الأضحى ١٤٣٠ / هـ	١٢٨
١٥	- رسالة صوتية إلى أحد المشايخ	١٣٣
١٦	- من ســادات الشــهداء	١٣٦
١٧	- رفــيــق الــدرب	١٤٢
١٨	- لست بالخب ولا الخب يخدعني .. رداً على وثيقة الترشيد	١٤٧
١٩	- نـــورٌ ونـــار	١٥٧
٢٠	- نـــزال لا تنـــازل	١٦١
٢١	- وسطية الإسلام ووسطية الانهزام	١٦٥
٢٢	- الكلمة الختامية للدورة الشرعية	١٧٦
٢٣	- ربــِـح البــيـــع	١٨١
٢٤	- ابــن الشيـــخ .. القبرُ ولا الحَور	١٩٢
٢٥	- الجزائــر بين تضحيات الآباء ووفاء الأبناء	١٩٨
٢٦	- إلى جيش العسرة في الصومال	٢٠٨
٢٧	- الديمقراطية .. الصنم العصري(2)	٢١٤
٢٨	- الصومال .. إن النصر مع الصبر	٢٢٨
٢٩	- الصومال .. وانقشعت سحابة الصيف	٢٣٣
٣٠	- الصومال.. لا سلام بلا إسلام	٢٤٣
٣١	- تركستان الشرقية ...الجرح المنسي	٢٤٨
٣٢	- كلمة للشيخ في إصدار (ريح الجنة ٢)	٢٥٤
٣٣	- كلمة للشيخ في إصدار (ريح الجنة ٣)	٢٥٥

٣٤	ـ كلمة للشيخ في إصدار (عيد الشهداء)	٢٥٧
٣٥	ـ كلمة للشيخ أثناء اقتحام أحد مراكز المرتدين	٢٦١
٣٦	ـ سوات نصر أو شهادة	٢٦٢
٣٧	ـ فلسطين ... صيحة نذير و صرخة تحذير	٢٧٠
٣٨	ـ فلسطين ... الآن حمي الوطيس	٢٧٨
٣٩	ـ وقفات مع بيان العلماء حول غزّة	٢٨٧
٤٠	ـ أطفال الإيدز في ليبيا	٣٠٤
٤١	ـ توحيد آل سعود وتوحيد الحق	٣٠٧
٤٢	ـ تأملات في سورة الحجرات	٣١٦

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم



والحمد لله رب العالمين